توضيح المقاصد وتصحيح القواعد

في شرح

الشافية الكافية في العقائد

«نونية الإمام ابن قيم الجوزية»

تأليف

العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي الحنبلي

(١٢٥٧ - ١٣٢٩هـ)

حقق على نسختين خطيتين

يطبع كاملاً لأول مرة بزيادة الثلث عن المطبوع

دراسة وتحقيق

د. عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجبرين

الأستاذ المساعد في كلية الجبيل الصناعية

الجزء الثالث

دار الخزانة

تَوضِيحُ المَقَاصِدِ وتَصحِيحُ القَوَاعِدِ

في شرح

الشَّافِيَةِ الكَافِيَةِ في العَقَائِدِ

«نُونِيَّةُ الإمامِ ابنِ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ»

(٣)

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

دار الخزانة

هاتف: ٠٠٩٦٥٩٠٩٠٩٢١١ - ٠٠٩٦٥٥٥٩٥٧١٠٣

هاتف المملكة العربية السعودية:

٠٠٩٦٦٥٦٢٠٠٠٧٣٣ - ٠٠٩٦٦٥٦٨٤٨٠٠١٩

dar.alkhezanah@gmail.com

شركة دار اللؤلؤة للطباعة والنشر

Daralloloaa@hotmail.com

٠٠٩٦١٧٠٦٥٤٤٦٠

لبنان - بيروت

@daralloloaa

سلسلة الرسائل الجامعية (١)

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد
في شرح
الشافية الكافية في العقائد
«نونية الإمام ابن قيم الجوزية»

تأليف
العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي الحنبلي
(١٢٥٧هـ - ١٣٢٩هـ)

يطبع كاملاً لأول مرة بزيادة الثلث عن المطبوع
محقق على نسختين خطيتين

دراسة وتحقيق
د. عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجبرين
الأستاذ المساعد في كلية الجبيل الصناعية

الجزء الثالث

دار اللؤلؤ
دار الخزانة

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني

هذا هداك الله من إضلالهم ... وضلالهم في المنطق اليونان

كمجردات في الخيال وقد بنى ... قوم عليها أوهن البنيان

ظنوا بأن لها وجودًا خارجًا ... ووجودها لو صح في الأذهان

أنى وتلك مشخصات حصلت ... في صورة جزئية بعيان

لكنها كلية إن طابقت ... أفرادها كاللفظ في الميزان

يدعونه الكلي وهو معين ... فرد كذا المعنى هما سيان

تجريد ذا في الذهن أو في خارجٍ ... عن كل قيد ليس في الإمكان

لا الذهن يعقله ولا هو خارج ... هو كالخيال لطيفة السكران

لكن تجردها المقيد ثابت ... وسواه ممتنع بلا إمكان

فتجرد الأعيان عن وصف وعن ... وضع وعن وقت لها ومكان

فرض من الأذهان يفرضه كفر ... ض المستحيل هما لها فرضان

الله أكبركم دهى من فاضل ... هذا التجرد من قديم زمان

تجريد ذي الألفاظ عن تركيبها ... وكذاك تجريد المعاني الثاني

والحق أن كليهما في الذهن مف ... روض فلا تحكم عليه وهو في الأذهان

فيقودك الخصم المعاند بالذي ... سلمته للحكم في الأعيان

فعليك بالتفصيل إن هم اطلقوا ... أو أجملوا فعليك بالتبيان

يعني الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أن غلط المتكلمين في تجريد الألفاظ يشبه غلط الفلاسفة في تجريد المعاني؛ وذلك أن الفلاسفة: يزعمون أن الجواهر العقلية التي هي العقل والنفس والمادة والصورة لها حقيقة في الخارج، والصواب أنه لا حقيقة لها في الخارج وإنما هي أمور معقوله في الذهن، يجردها العقل من الأمور المعينة كما يجوِّز (ع/٢/١٧ب) العقل الكليات المشتركة بين الأصناف[١]، كالحيوانية الكلية والإنسانية الكلية، والكليات إنما تكون كليات في الأذهان لا في الأعيان[٢].

وهذا معنى قول الناظم:

يدعونه الكلي وهو معين .... إلخ

ومن هؤلاء من يظن أنها تكون في الخارج كليات، وأن [الذي][٣] في الخارج ماهيات كلية مقارنة للأعيان غير الموجودات المعينة، وكذلك منهم من يثبت كليات مجردة عن الأعيان يسمونها المثل الأفلاطونية[٤]، ومنهم من يثبت دهرًا مجردًا عن

(١) الكليات: جمع كلي، وهو ما لا يمنع تصوره نفسه من اشتراك كثيرين فيه، أو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه.
مثل: الإنسان؛ فإنه كلي؛ لأن تصور معناه في الذهن لا يمنع من اشتراك كثيرين فيه، كزيد وعمرو وبكر، بينما تصور زيد المعين يمنع من اشتراك غيره فيه، فلا يصدق العلم على معين إلا على مسماه وهو واحد. انظر: المعجم الفلسفي (٢/ ٢٣٩)، شرح الرسالة التدمرية للشيخ محمد الخميس (ص٤٧٤).

(٢) انظر: الدرء (٣/ ٤٤٦) (٤/ ١٨٤) (٧/ ١٢٦) (٩/ ١٢٤) (١٠/ ٧٨)، مجموع الفتاوى (٦/ ٣٣٦٩) (٩/ ١٢٥)، (٩/ ٢٧٥)، (١٧/ ٢٨٦)، (١٧/ ٣٢٨)، منهاج السنة (٢/ ١٤١) الرد على المنطقيين (ص١٢٥).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) يزعم أصحاب أفلاطون أن الكليات المجردة والأعداد المجردة والماهيات المجردة والهيولي المجردة والمادة المجردة والخلاء المجرد ثابتة في الخارج بدون أعيانها، فهذه المثل المعلقة تسمى عند أولئك «المثل الأفلاطونية». =

المتحرك والحركة ويثبت خلاءًا مجردًا ليس متحيزًا لا قائمًا بمتحيز، ويثبت هيولى مجردة عن جميع الصور.

والهيولى[١] في لغتهم بمعنى المحل، يقال للفضة هيولي الخاتم، والدرهم والخشب هيولي الكرسي أي هذا المحل الذي تصنع[٢] فيه هذه الصورة.

وهذه الصورة الصناعية عرض من الأعراض، ويدعون أن الجسم هيولى محل الصورة الجسمية، غير نفس الجسم القائم بنفسه، وهذا غلط وإنما هذا يقدر في النفس كما يقدر امتداد مجرد عن كل ممتد وعدد مجرد عن كل معدود ومقدار مجرد عن كل مقدر.

وهذه كلها أمور مقدرة في الأذهان لا وجود لها في الأعيان[٣].

= وزعموا أن تلك الحقائق المجردة الكلية ثابتة في الخارج بدون أعيانها، بل هي قائمة بنفسها لا تقبل الاستحالة، فهي أزلية أبدية، وهم لا يسلمون أن تلك الكليات لا توجد إلا في الذهن، بل قالوا: هي موجودة لا معدومة، لكنها مجردة عن الأعيان المحسوسة.

ولاشك أن هذا باطل لا وجود له، ولايقول بذلك إلا من نزل إلى مستوى الجنون والهلوسة؛ فإن هذا شيء لايعقل ولايتصور أبدًا، فإننا إذا قلنا: إذا قلنا «إنسان» مجردًا عن الإضافة والتعيين، فهذا لا يوجد إلا في الذهن، لكن إذا قلنا: «زيدٌ إنسانًا» فنحن نعني به شخصٌ معين محسوس، له بدن وروح وأعضاء، وكذلك لو قلنا: «أربعة»؛ فهذا العدد ليس له وجود في الخارج، وإذا عيناه وقلنا: «هذه أربعة دنانير» فهذا شيء معقول محسوس، لأنه معين، والله اعلم. انظر: درء التعارض (١/ ٢٨٦) (٥/ ٩٧٤) (٦/ ٢٧٥) (٦/ ٢٨٦) (٨/ ٢١٩)، والصفدية (ص٢٨٢، ٢٩٩، ٣٠٤)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٤٠٧) (٩/ ٩٨)، (١٣/ ١٩٨)، والجواب الصحيح (٤/ ٣٠٧)، الفكر الفلسفي للدكتور محمد نصار (ص٩٧)، مدخل إلى الفلسفة للدكتور إمام عبد الفتاح (ص٢٥٤).

(١) في الأصل: «الهيولى» بدون واو، والمثبت من مجموع الفتاوى وهو الأصح؛ لأن الكلام متصل.

(٢) في الأصل: «يصنع»، والتصحيح من الفتاوى.

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٢٨-٣٢٩).

وهؤلاء الذين جردوا الحقائق عن قيودها، وأخذوها مطلقة، أخرجوها عن مسمياتها وماهياتها [تلك و][1] جميع القيود الخارجة، فلم يجعلوها داخلة في حقيقتها فأثبتوا إنسانا لا طويلًا ولا قصيرًا (ع/٢/١٧ب) ولا أسود ولا أبيض ولا في زمان ولا في مكان ولا ساكنًا ولا متحركًا ولا هو في العالم ولا خارجه ولا لحم ولا له عظم ولا عصب ولا ظفر ولا له شخص ولا ظل ولا يوصف بصفة ولا يتقيد بقيد.

ثم رأوا الإنسان الخارجي بخلاف ذلك كله، فقالوا: هذه عوارض خارجة عن حقيقته، وجعلوا حقيقته تلك الصورة الخالية التي جردوها، فهي المعنى الحقيقي[2].

هؤلاء الذين اعتبروها مجردة عن سائر القيود وجعلهم تلك الأمور التي لا تكون إنسانا في الخارج لأنها خارجة عن حقيقته كجعل هؤلاء القيود التي لا يكون اللفظ مقيدًا إلا بها مقتضية لمجازه.

فتأمل هذا التشابه والتناسب بين الفريقين: هؤلاء في تجريد المعاني وهؤلاء في تجريد الألفاظ، وتأمل ما دخل على هؤلاء وهؤلاء من الفساد في اللفظ والمعنى، وبسبب هذا الغلط دخل من الفساد في العلوم ما لا يعلمه إلا الله تعالى وهذا معنى قول الناظم:

فتجرد الأعيان عن وصف .... إلخ

أي إن تجرد المعين عن الوصف والوضع والوقت والمكان، إنما هو شيء يفرضه الذهن كفرض المستحيل.

---

(١) زيادة لابد منها، وبدونها لا يستقيم الكلام.

(٢) في (ع)، (د): «المعنى الحقيقية» وهو خطأ.

قوله:

الله أكبر كم دهي من فاضل هذا التجرد ....

أي تجريد الألفاظ الذي تقدمت حكايته عن المتكلمين في الفصل قبله وتحرير المعاني الذي حكاه في هذا الفصل عن الفلاسفة «كم دهى من فاضل».

فإياك والإصغاء إلى التجريدين؛ لأن الحق أنهما مفروضان في الذهن[١]، فلا تسلم ما ادعاه المتكلمون والفلاسفة فيهما، فيقودك الخصم المعاند بهذا الذي سلمته وتصير مغلوبًا معه مقهورًا[٢]، والله أعلم.

---

(١) يعني أن الألفاظ المجردة عن المعاني، والمعاني المجردة عن الألفاظ هي خيال يفرضه الذهن وليس له وجود في الخارج.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٢٨)، منهاج السنة (٢/ ٥٨٤)، درء التعارض (١٠/ ١٨٨)، مجموع الفتاوى (٩/ ١٤٣)، الرد على المنطقيين (ص١٥٢).

فصل

في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين مايجب تأويله وما لا يجب

وتمسكوا بظواهر المنقول عن أشياخهم كتمسك العميان
وأبوا بأن يتمسكوا بظواهر النصيين واعجبا من الخذلان
قول الشيوخ محرم تأويله إذ قصدهم للشرح والتبيان
فإذا تأولنا عليهم كان إبطالا لما راموا بلا برهان
فعلى ظواهرها تمر نصوصهم وعلى الحقيقة حملها لبيان
ياليتهم أجروا نصوص الوحي ذا المجرى من الآثار والقرآن
بل عندهم تلك النصوص ظواهر لفظية عزلت عن الإيقان
لم تغن شيئا طالب الحق الذي يبغي الدليل ومقتضى البرهان
وسطوا على الوحيين بالتحريف إذ سموه تأويلا بوضع ثان
فانظر الى الأعراف ثم ليوسف والكهف فافهم مقتضى القرآن
فإذا مررت بآل عمران فهمـ ـت القصد فهم موفق رباني

معنى كلام الناظم في هذا الفصل (ع/٢/١١٨) أن النفاة تمسكوا بظواهر المنقول عن مشايخهم وأَبَوا عن التمسك بظواهر النصيين، ومحرم عندم تأويل قول المشايخ؛ لأن قصدهم[1] الشرح والتبيان، فإذا تأولنا عليهم كان ذلك إبطالاً لما قصدوه، فلذاك حملوا نصوصهم على ظواهرها واعتقدوها على حقيقتها.

---

(١) يعني: المشايخ.

فياليتهم أجروا نصوص الكتاب والسنة هذا المجرى، ولكن عندهم أن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لفظية لا تفيد اليقين.

ولذلك سطوا عليها بالتحريف وسموه تأويلًا، وتأويلهم هذا ليس هو المعنيُ بالتأويل في الكتاب والسنة، ولهذا قال الناظم:

فانظر إلى الأعراف .... إلخ

يعني قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [الأعراف:٥٣]، وقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ ﴾ [يوسف:١٠٠]، وقوله تعالى في سورة الكهف عن الخضر في قصة موسى: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف:٨٢].

قوله:

فإذا مررت بآل عمران... .... إلخ

يعني قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [آل عمران:٧].

قال شيخ الإسلام[1]: «إن الصواب قول من يجعله معطوفًا، وتكون الواو لعطف المفرد على مفرد، أو يكون كلا القولين حقًّا، وهي قراءتان، والتأويل المنفي غير التأويل المثبت، وأن الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف، فيكون التأويل المنفي علمه عن غير الله هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره.

وهذا فيه نظر، وابن عباس جاء عنه أنه قال: «أنا من الرسخين الذين يعلمون تأويله»[2].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٠٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/ ١٨٣) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس بلفظ «أنا ممن يعلم تأويله».

وجاء عنه: «أن الراسخين لا يعلمون تأويله»(١).

وجاء عنه أنه قال: «التفسير على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب»(٢).

وهذا القول يجمع القولين، ويبين أن العلماء يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم، وأن فيه ما لا يعلمه إلا الله، فأما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وجعل التأويل بمعنى التفسير فهذا خطأ قطعًا» انتهى كلامه.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وعلمت أن حقيقة التأويل تبـ	ـيين الحقيقة لا المجاز الثاني
ورأيت تأويل النفاة مخالفًا	لجميع هذا ليس يجتمعان
اللفظ هم أنشوا له معنى بذا	ك الإصطلاح وذاك أمر دان
وأتوا إلى الإلحاد في الأسماء والتـ	ـحريف للألفاظ بالبهتان
فكسوه هذا اللفظ تلبيسا وتد	ليسا على العميان والعوران

تقدم معنى هذه الأبيات(٣).

۞۞۞

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/ ١٨٣) من طريق ابن وهب عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه به. ولم أجده عن ابن عباس، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٥٧) من طريق مؤمل عن سفيان عن أبي الزناد عن ابن عباس به.

(٣) لم يشرح المؤلف تلك الأبيات، فنقول: إن التأويل كما سبق له ثلاثة معان:

الأول: أن التأويل بمعنى التفسير.

الثاني: التأويل بمعنى الحقيقة والمآل. =

قال الناظم:

فـاسـتن كـل مـنـافـق ومـكـذب ... مـن بـاطـنـي قـرمـطـي جـانـي
في ذا بـسـنـتـهـم وسـمـى جـحـده ... لـلـحـق تـأويـلا بـلا فـرقـان
واتـى بـتـأويـل كـتـأويـلاتـهـم ... شـبـرًا بـشـبـرٍ صـارخًـا بـأذان
إنـا تـأولـنـا كـمـا أولـتـم ... فـأتـوا نـحـاكـمـكـم إلى الـوزان
في الـكـفـتـين تـحـط تـأويـلاتـنـا ... وكـذاك تـأويـلاتـكـم بـوزان
هـذا وقـد أقـررتم أنـا بـأيـ ... ـدينـا صـريـح الـعـدل والمـيـزان
وغـدوتم فـيـه تـلامـيـذا لنا ... او لـيـس ذلـك مـنـطـق الـيـونـان
مـنـا تـعـلـمـتـم ونـحـن شيوخكم ... لا تجـحـدونـا مـنـه الإحـسـان
فـسـلـوا مـبـاحـثـكـم سـؤال تفهم ... وسـلـوا الـقـواعـد ربـة الأركـان
مـن أيـن جـاءتـكـم وأيـن أصولها ... وعـلـى يـدي مـن يـا أولـي النكران
فـلأي شـيء نـحـن كـفـار وأنـ ... ـتـم مـؤمـنـون ونـحـن متفقان
إن الـنـصـوص أدلـة لفظية ... لم تـفـض قـط بـنـا إلى إيـقـان
فـلـذاك حـكـمـنـا الـعـقـول وأنـتـم ... أيـضًـا كـذاك فـنـحـن مصطلحان
فـلأي شـيء قـد رمـيـتـم بيننا ... حـرب الـبـسـوس ونـحـن كـالأخـوان
الأصـل مـعـقـول ولـفـظ الـوحـي مـعـ ... ـزول ونحـن وأنـتـم صـنـوان

= الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر لدليل صحيح، فجاء هؤلاء المتكلمون بمعنى للتأويل يخالف تلك المعاني الثلاثة، فقالوا: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، والدليل الصارف عندهم هو العقل، وهذا التعريف للتأويل لم يكن على عهد الصحابة والتابعين، وإنما جاء متأخرًا.

وهذا هو التحريف في الحقيقة؛ لأنهم أنشأوا للألفاظ معانٍ لا تدل عليها، لا لغة ولا شرعًا ولا عقلًا، وسموه تأويلًا زيادة في التلبيس، وإلا فهو في الحقيقة تحريف لا تأويل. والله أعلم.

انظر: شرح القصيدة النونية لابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٤٥٢-٤٥٣).

لا بالنصوص نقول نحن وأنتم أيضا كذاك فنحن مصطلحان

فذروا عداوتنا فإن وراءنا ذاك العدو الثقل ذو الأضغان

فهم عدوكم وهم أعداؤنا فجميعنا في حربهم سيان

تقدم الكلام في معنى هذه الأبيات.

ومعنى ذلك أن القرامطة والباطنية ونحوهم (ع/٢/١٩ب) من أعداء الشريعة كلهم يقولون لنفاة علو الرب تعالى على عرشه وصفاته: تأويلنا ما في الكتاب والسنة من ذكر المعاد وحياة الرب ومشيئته وعلمه وتأويلنا لحدوث العالم ونحو ذلك كتأويلكم،فلأي شيء نحن كفار وأنتم[1] مؤمنون.

فهاتوا واضح الفرق بيننا وبينكم، ولن يجد المتكلمون إلى ذلك سبيلا،فإن القرامطة والباطنية لما جحدوا الشريعة، وتأولوا التأويلات الشنيعة، وتأولوا العمليات مع العلميات فقالوا: الصلوات الخمس معرفة أسرارنا، وصيام رمضان كتمان أسرارنا، والحج هو الزيارة لشيوخنا المقدسين[2].

وإنما فتح لهم هذا الباب: الجهمية والرافضة[3]، حيث صار بعضهم يقول: الإمام المبين علي بن أبي طالب[4]، والشجرة الملعونة في القرآن بنوا أمية[5]، والبقرة

---

(١) (ع) «أنتم أنتم» والمثبت من (د).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٢٣٦) (٣٥/ ١٣٣)، وبغية المرتاد (ص٤١٩)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٦٠)، والفتاوى الكبرى (٤/ ٢٧٥).

(٣) قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «كلام المؤلف يدل على أن النفاة هم الذين فتحوا باب التأويل للقرامطة الباطنية، [والأولى أن يقال] إن القرامطة حرفوا والنفاة أولوا، فقالت القرامطة نحن نسميه تأويلًا ونسلم؛ فالنفاة ورثوا من القرامطة التحريف، والقرامطة ورثوا من النفاة التأويل». اهـ.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٣٢).

(٥) انظر: شواهد التنزيل (٢/ ٤٥٧)، النزاع والتخاصم للمقريزي (ص٨٢).

المأمور بذبحها عائشة[١]، واللؤلؤ والمرجان الحسن الحسين[٢].

فلسان حال القرامطة أو قالهم يقول للجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من أهل التحريف والتأويل: كنا نحن وأنتم قد حكمنا العقول، فلأي شيء تنصبون لنا العدواة، وترمون بيننا الحرب فإن العرش عندنا وعندكم ليس فوقه إلا العدم المحض والنفي الصرف.

وكذا عندنا أن الكتب السماوية ليست كلام الله، بل هو فيض [فاض] من الفعال، وعندكم أنها مخلوقة فعندنا وعندكم أنه لاقول لله تعالى في الأرض وليس فوق السماء رب.

وكذا عندنا أن رؤيته تعالى محال، وعند متقدميكم أنه لا يرى[٣] لكن متأخروكم يقولون: يرى رؤية المعدوم؛ لأنهم يقولون: يرى ولكن لا بشرط اتصال أشعة، ومقابلة الرائي للمرئي[٤].

---

(١) انظر: منهاج السنة (٣/ ٤٠٥)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥٩)، منهاج السنة (٧/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٣) بناء على نفيهم الجهة لأن المرئي يجب أن يكون في جهة من الرائي، وما دامت الجهة مستحيلة، وهي شرط في الرؤية، فالرؤية كذلك مستحيلة، واحتجوا بأدلة تؤيد مشربهم، ليس لهم فيها حجة، وفي ذكرها والرد عليها طول، ولكن يكتفي في الرد عليهم بإثبات جهة العلو الذي دل عليه العقل والنقل، وتطابقت الأدلة على يإثباته. انظر: شرح الواسطية لمحمد خليل هراس (ص١٨٩).

(٤) قال أبو بكر الدمياطي في إعانة الطالبين (١/ ٢٠): «ثم إن رؤية الباري جَلَّوَعَلَا بقوة يجعلها في خلقه، ولا يشترط فيها مقابلة ولا اتصال أشعة بالمريء....».
وانظر: العين والأثر في عقائد أهل الأثر لعبد الباقي المواهبي (ص٩٣) ط. دار المأمون للتراث، والاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٣٠)، ونهاية الإقدام للشهرستاني (ص٢٠٠) ط. دار الكتب العلمية.

فعلام هذا الحرب مع الوفاق والصلح الذي بيننا فدعوا عداوتنا واحملوا معنا على المجسمة فإنهم أعدائنا وأعدائكم.

۞۞۞

قال الناظم:

تلك المجسمة الأولى قالوا بأن الله … فوق جميع ذي الأكوان
وإليه يصعد قولنا وفعالنا … وإليه ترقى روح ذي الإيمان
وإليه قد عرج الرسول حقيقة … وكذا ابن مريم مصعد الأبدان
وكذاك قالوا إنه بالذات فو … ق العرش قدرته بكل مكان
وكذاك ينزل كل آخر ليلة … نحو السماء فهاهنا جهتان
للابتداء والانتهاء وذان للـ … أجسام أين الله من هذان
وكذاك قالوا إنه متكلم … قام الكلام به فيا إخوان
أيكون ذاك بغير حرف أم بلا … صوت فهذا ليس في الإمكان
وكذاك قالوا ما حكينا عنهم … من قبل قول مشبه الرحمن
فذروا الحراب لنا وشدوا كلنا … جمعًا عليهم حملة الفرسان
حتى نسوقهم بأجمعنا إلى … وسط العرين ممزقي اللحمان

قال في القاموس[1]: «العرين كأمير مأوى الأسد (ع/٢/٢٠أ) والضبع والذئب والحية» انتهى[2].

۞۞۞

---

(١) القاموس (ص١٥٦٨).

(٢) لم يشرح المؤلف تلك الأبيات، فنقول:

إن الفلاسفة والقرامطة قالوا لنفاة الصفات من المتكلمين: لنترك الحرب والعداوة بيننا وبينكم فنحن إخوان، لأننا في الحقيقة متفقون في الأصول، فلذا دعونا نترك العداوة التي بيننا، ونتحد =

ولقد كوونا بالنصوص ومالنا بلقائها أبد الزمان يدان
كم ذا بقال الله قال رسوله من فوق أعناق لنا وبنان
إذ نحن قلنا قال أرسطو[1] المعلـ ـم أولًا أو قال ذاك الثاني
وكذاك إن قلنا ابن سينا قال ذا أو قاله الرازي ذو التبيان
قالوا لنا قال الرسول وقال في الـ ـقرآن كيف الدفع للقرآن
وكذاك أنتم منهم أيضًا بهـ ـذا المنزل الضنك الذي تريان
إن جئتموهم بالعقول أتوكم بالنص من أثر ومن قرآن
فتحالفوا أنا عليهم كلنا حرب ونحن وأنتم سلمان
فإذا فرغنا منهم فخلافنا سهل فنحن وأنتم أخوان
فالعرش عند فريقنا وفريقكم ما فوقه أحد بلا كتمان

=لنحارب عدوًّا واحدًا نحن وأنتم متفقون على حربه؛ لأنه عدو ليس بالهين، بل كبير يحتاج إلى جهد ومشقة في جهاده.
وهذا العدو الذي يجب علينا جهاده هم المجسمة -أهل السنة- وعللوا خطورته بأنه كما قالوا:
١- يقول بأن الله تعالى فوق عباده، بل فوق الأكوان كلها موافقة للنصوص.
٢- وقالوا إن نبيه ﷺ قد عرج به حقيقة إلى السماء، موافقة للنصوص.
٣- وقالوا أن عيسى بن مريم رفع إلى السماء موافقة للنصوص.
٤- وقالوا إن الله بذاته فوق العرش، كما صرح بذلك أئمة الإسلام كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن زيد والفضيل وأحمد وإسحاق وأبي عمر الطلمنكي وغيرهم.
أما قدرته فهي في كل مكان.
٥- وقالوا إن الله ينزل في كل آخر ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: «هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له...» الحديث.
٦- وقالوا إن الله متكلم بكلام من حروف وأصوات ولا يصح كلام بلا حرف ولا صوت؛ لأن الكلام الخالي عن الحروف والأصوات مستحيل وقوعه.
هذا كله وغيره مما لم نذكره يدل على خطورة المجسمة، ولذا دعوا الحرب التي بيننا ولنتحد نحن وأنتم؛ لنحمل عليهم حملة رجل واحد. انظر: الكافية الشافية (٢/ ٥٤٢-٥٤٥).

(١) (ع) «رسطو» والمثبت من (د).

ما فوقه شئ سوى العدم الذي لا شيء في الأعيان والأذهان
ما الله موجود هناك وإنما الـ ـعدم المحقق فوق ذي الأكوان
والله معدوم هناك حقيقة بالذات عكس مقالة الديصان
هذا هو التوحيد عند فريقنا وفريقكم وحقيقة العرفان
وكذا جماعتنا على التحقيق في التـ ـوراة والإنجيل والقرآن[1]
ليست كلام الله بل فيض من الـ ـفعال أو خلق من الأكوان
فالأرض ما فيها له قول ولا فوق السما للخلق من ديان
بشرٌ اتى بالوحي وهو كلامه في ذاك نحن وأنتم مثلان
ولذاك قلنا إن رؤيتنا له عين المحال وليس في الإمكان
وزعمتم أنا نراه رؤية الـ ـمعدوم لا الموجود في الأعيان
إذ كل مرئي يقوم بنفسه أو غيره لا بد في البرهان
من أن يقابل من يراه حقيقة من غير بعد مفرط وتدان
ولقد تساعدنا على إبطال ذا أنتم ونحن فما هنا قولان
أما البلية فهي قول مجسم قال القرآن بدا من الرحمن
هو قوله وكلامه منه بدا لفظًا ومعنى ليس يفترقان
سمع الأمين كلامه منه وأد اه إلى المختار من إنسان
فله الأداء كما الأدا لرسوله والقول قول الله ذي السلطان
هذا الذي قلنا وأنتم إنه عين المحال وذاك ذو بطلان
فاذا تساعدنا جميعا إنه ما بيننا لله من قرآن
إلا كبيت الله تلك إضافة الـ ـمخلوق لا الأوصاف للديان

(١) (د) «الفرقان».

فعلام هذا الحرب فيما بيننا ... مع ذا الوفاق ونحن مصطلحان
فإذا أبيتم سلمنا فتحيزوا ... لمقالة التجسيم بالإذعان
عودوا مجسمة وقولوا ديننا الـ ... إثبات دين مشبه الديان
أولا فلا منا ولا منهم وذا ... شأن المنافق إذ له وجهان
هذا يقول مجسم وخصومه ... ترميه بالتعطيل والكفران
هو قائم هو قاعد هو جاحد ... هو مثبت تلقاه ذا ألوان
يوما بتأويل يقول وتارة ... يسطو على التأويل بالنكران(١)

(١) معنى الأبيات: قالت الفلاسفة للمتكلمين -مخاطبة إياهم للتعاون معهم ضد المجسمة [أهل السنة]-: لابد أن نستريح من تطاولهم علينا بالنصوص التي طالما كوونا بها وجرعونا غصصها، وما لنا قدرة على مناحزتها، وهم دائمًا يحتمون في هذه النصوص، ويعتمدون بها عند المصاولة ويشهرونها في وجوهنا سيوفًا مسلولة.
فكلما قلنا لهم: قال أرسطو المعلم الأول، أو قال الفارابي المعلم الثاني أو قال أبو علي ابن سينا الملقب بالرئيس أو قال الرازي فخر الدين، قابلونا بقولهم: قال الله تعالى في كتابه كذا، أو قال رسوله ﷺ كذا.
وهل نملك للقرآن دفعًا، وكذلك حال الأشاعرة المتأخرين مع المجسمة، كلما جاؤوهم -بزعمهم- بمقررات العقول أتوهم أولئك بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة.
ولذلك لابد أن نتآزر نحن وأنتم في القضاء عليهم، تشتيت جموعهم، فإذا فرغنا من قتالهم، فإن الخلاف بيننا وبينكم هيِّن بسيط، فنحن وأنتم أيها المتكلمون متفقون في أكثر المبادئ والأحكام، فالعرش عند جماعتنا وجماعتكم ليس فوقه شيء إلا العدم المحض الذي لا في الأعيان ولا في الأذهان، بل ليس وراءه إلا العدم المحقق.
وهذا عندنا وعندكم هو حقيقة التوحيد والمعرفة: أن الله تعالى مجرد بسيط لا تكثر فيه، ولا يقال فوق ولا تحت ولا داخل ولا خارج، ولا يوصف بقرب ولا بعد ولا اتصال ولا انفصال، ولا ينزل من عنده شيء.
وكذلك جماعتنا -الفلاسفة- تقول في التوراة والإنجيل والقرآن أنها ليست كلام الله على الحقيقة، بل هي عندنا فيض فاض من العقل الفعَّال الذي هو عقل القمر، وهو آخر العقول العشرة، وأقربها إلى عالم العناصر، وهو المتصرف فيها بالكون، وهو الذي يفيض الصور النوعية على المركبات، وهو عندكم كذلك من جملة المخلوقات، لأنها حروف وأصوات وألفاظ مكتوبات، =

=فالاتفاق بيننا وبينكم قائم على نفي أن يكون لله كلام في الأرض أو أن يكون بذاته على العرش، بل الذي نقرؤه بألسنتنا إنما هو كلام بشر، وليس كلام الله، ونحن وأنتم في هذا مثلان.
ولما اتفقنا نحن وأنتم على نفي الجهة وإنكار أن يكون الله -تعالى- فوق عرشه بذاته حصل خلاف بيننا وبينكم في الظاهر، وإن كنا متفقين في حقيقة الأمر، وهو أننا قلنا إن رؤيتنا له تعالى التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة مستحيلة وغير ممكنة، أما أنتم فلم تجرؤوا على إنكار تلك النصوص أو تأويلها، فأثبتم رؤية بلا جهة، وهي لا تليق إلا بالمعدوم دون الموجود في الأعيان، فإن البرهان قام على أن كل مرئي، سواء كان قائمًا بنفسه، وهو ما لا يكون تحيزه تابعًا لتحيز غيره، أو كان قائمًا بغيره،كالعرض لابد أن يكون في مقابلًا للرائي وفي جهة منه، وقد تظاهرنا نحن وأنتم على إبطال ذلك، فقولنا في ذلك هو عين قولكم، لهذا حكمنا باستحالة الرؤية والتزمتم رؤية بلا جهة، فليس ثم خلاف بيننا وبينكم في الأصول. وكذلك الكلام فإننا قد اتفقنا وإياكم على أن هذا المكتوب بين دفتي المصحف، المقروء بألسنتنا، المسموع بآذاننا ليس هو كلام الله، واتفقنا على ضلال المجسم الذي يقول بإثبات الكلام اللفظي الذي هو حرف وصوت، والحروف والأصوات لها ابتداء وانتهاء، فهذا دليل الحدوث.فهذا الذي أنكرناه نحن وأنتم عين المحال؛ لاستلزامه مشابهة الله لخلقه، وكونه محلًا للحوادث. فعلام هذه العداوة مع هذا الوفاق العظيم في معظم الأصول والقواعد الأساسية؟
فإذا أبيتم -أيها المتكلمون- إلا حربنا وعدواتنا فانبذوا ما أنتم عليه مما توافقنا فيه، وانحازوا إلى مقالة التجسيم مذعنين، وكونوا مع هؤلاء المجسمة مثبتين، وقولوا رضينا بالإثبات دينًا، وإلا صرحوا بأنكم لستم منا ولا منهم، وأنكم كالشاة الحائرة بين الغنمين، شأن المنافق لا تثبتون على مبدأ، ولا يستقر لكم منهج، فنحن نقول عنكم مجسمة لإثباتكم بعض الصفات، وخصومنا يرمونكم بالتعطيل والجحود لنفيكم بعضها بلا فارق بين ما أثبتموه وما نفيتموه، مرة تجحدون، ومرة تثبتون، لم تضطردوا على قاعدتكم في الجحد ولا على قاعدتكم في الإثبات، بل تفرقون بين المتماثلين، وتسوون بين المختلفين، ومرة تؤولون، ومرة تحرمون التأويل.
والناظم يقصد بذلك الأشاعرة، لاسيما المتأخرين منهم، فهم أشد الفرق حيرة واضطرابًا وتذبذبًا.
انظر: شرح القصيدة النونية لخليل هراس (١/ ٣٣٦-٣٤١).

قال:

فصل
في المطالبة بالفرق بين ما يتأول وما لا يتأول[1]

فنقول فرق بين ما أولته ... ومنعته تفريق ذي برهان
فيقول ما يفضي إلى التجسيم أو ... لناه من خبرٍ ومن قرآن
كالاستواء مع التكلم هكذا ... لفظ النزول كذاك لفظ يدان
إذ هذه أوصاف[2] جسم محدث ... لا ينبغي للواحد المنان
فنقول أنت وصفته أيضًا بما ... يفضي إلى التجسيم والحدثان
فوصفته بالسمع والإبصار مع ... نفس الحياة وعلم ذي الأكوان
ووصفته بمشيئة مع قدرة ... وكلامه النفسي وهو معان
أو واحد والجسم حامل هذه الـ ... أوصاف حقًّا فأت بالفرقان[3]
بين الذي يفضي إلى التجسيم أو ... لا يقتضيه بواضح البرهان

---

(١) المعيار -عند أهل البدع- بين ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبوا إليه، والقواعد التى أصلوها، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلا تأولوه، ولما أصلت الرافضة عداوة الصحابة،ردوا كل ما جاء في فضائلهم والثناء عليهم أو تأولوه، وكذا فعل الجهمية والقدرية والمرجئة والكلابية والجبرية وغيرهم؛ فإنهم لما أصلوا أصولهم التي عرفوا بها، ردوا كل ما يخالفها بدفع أو تأويل حتى أصبح الضابط في الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب وقواعده وما قاله الشيوخ، وبعضهم كأبي حامد الغزالي زعم أن ذلك لا يعلم إلا بتوفيق إلهي، انظر: درء التعارض (٥/ ٣٣٩)، رسالة لشيخ الاسلام ابن تيمية في الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ٣٣)، الصواعق (٢/ ٤١).

(٢) (ع): «الألفاظ».

(٣) في الأصل «القرآن» وكتب هامش (ع) بخط المؤلف «صوابه الفرقان»، وأثبتناه على الصواب على ما جزم به المؤلف، وسينبه المؤلف على ذلك.

والله لو نشرت شيوخك كلهم   لم يقدروا أبدًا على الفرقان

شرع الناظم في مطالبة المتكلمين في الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول من نصوص الكتاب والسنة[1].

وذلك أن بعض المتكلمين يثبت الصفات السبعة كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وبعضهم يزيد على هذه الصفات: صفة التكوين، فتصير الصفات الثابتة عندهم ثمانية.

فيقال لهؤلاء: لا فرق بين ما أثبتموه ونفيتموه، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر.

فإن قلتم: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل.

وإن قلتم: له إرادة تليق به.

قيل لكم: وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة (ع/٢/٢٢أ) تليق به وله سبحانه رضى وغضب يليق به وللمخلوق رضى وغضب يليق به.

وإن قلتم: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام.

فيقال لكم: الإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة.

فإن قلتم: هذه إرادة المخلوق قيل لكم وهذا غضب المخلوق.

وكذلك يلزمون بالقول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته إن نفوا عنه المحبة والرضى والغضب ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين، فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات.

---

(١) انظر: الرسالة التدمرية لابن تيمية (ص٣١).

وإن قلتم: إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين.

قيل لكم: وهكذا السمع والبصر والكلام والقدرة والعلم.

فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعة فيما أثبته.

وهذا هو معنى قول الناظم:

فيقول ما يفضي إلى التجسيم .... إلخ

وهذا الإلزام لازم لهم كما ترى، وجوابهم عنه في غاية الصعوبة، ولهذا قال الناظم:

والله لو نشرت شيوخك كلهم لم يقدروا أبدا على الفرقان

☜ وقوله: «فاءت بالقرآن» كذا في النسخ والصواب «فأت بالفرقان» أي بالفرقان بين ما يتأول وما لا يتأول.

فصل

في ذكر فرق آخر لهم وبيان بطلانه

فلذاك قال زعيمهم في نفسه ... فرقًا سوى هذا الذي تريان

هذي الصفات عقولنا دلت على ... إثباتها مع ظاهر القرآن

فلذاك صناها عن التأويل فاعـ ... ـجب يا أخا التحقيق والعرفان

كيف اعتراف القوم أن عقولهم ... دلت على التجسيم بالبرهان

فيقال هل في العقل تجسيم أم الـ ... ـمعقول ينفيه كذا[1] النقصان

إن قلتم ينفيه فانفوا هذه الـ ... أوصاف وانسلخوا من القرآن

أو قلتم يقضي بإثبات له ... ففراركم منها لأي معان

أو قلتم ينفيه في وصف ولا ... ينفيه في وصف بلا برهان

فيقال ما الفرقان بينهما وما الـ ... ـبرهان فأتوا الآن بالفرقان

ويقال قد شهد العيان بأنه ... ذو حكمة وعناية وحنان

مع رأفة ومحبة لعباده ... أهل الوفاء وتابعي القرآن

ولذاك خصوا بالكرامة دون أعـ ... ـداء الإله وشيعة الكفران

وهو الدليل لنا على غضب وبغـ ... ـض منه مع مقت لذي العصيان

والنص جاء بهذه الأوصاف مع ... مثل الصفات السبع في القرآن

ويقال سلمنا بأن العقل لا ... يقضي إليها فهي في الفرقان

أفنفي آحاد الدليل يكون للـ ... ـمدلول نفيًا يا أولي العرفان

أو نفي مطلقه يدل على انتفا الـ ... ـمدلول في عقلٍ وفي قرآن

---

(١) في هامش (ع): «ينفي كذا».

أفبعد ذا الإنصاف ويحكم سوى ... محض العناد ونخوة الشيطان

وتحيز منكم إليهم لا إلى[1] القـ ... رآن والآثار والإيمان

ذكر الناظم لمثبتي بعض الصفات (ع/٢/٢٣ب) دون بعض فرقًا آخر وبين بطلانه[2].

وذلك أنهم أن قالوا: أثبتنا تلك الصفات؛ لأن العقل دل على إثباتها مع النقل، فإن الفعل الحادث دل على القدرة، والتخصيص دل على الإرادة، والإحكام دل على العلم، وهذه الصفات مستلزمة للحياة والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك.

فيقال لهم عن هذا جوابان:

أحدهما: أن يقال عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين،فهب أن ما سلكتموه من الدليل العقلي لا يثبت ذلك فإنه لا ينفيه، وليس لكم أن تنفوه بغير دليل؛ لأن النافي عليه الدليل كما على المثبت.

والسمع قد دل عليه ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي فيجب إثبات ما أثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم.

الثاني: أن يقال: يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبتم به تلك من العقليات فيقال: نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة كدلالة التخصيص على المشيئة، وإكرام الطائعين يدل على محبتهم، وعقاب الكافرين يدل على بغضهم كما قد ثبت بالشهادة والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه.

(١) في(د، ع): «أولي»، وهو خطأ.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٩).

والغايات المحمودة[1] في مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة تدل على حكمته البالغة،كما يدل التخصيص على المشيئة وأولى؛لقوة العلة الغائية.

ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في المخلوقات من النعم والحكم أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة.

وهذا شرح كلام الناظم في هذا الفصل. والله أعلم.

(١) في (ع، د) «الموجودة»، وهو خطأ، والمثبت من حاشية (ع).

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ(١):

فصل

في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة عقلًا ونقلا

واعلم بأن طريقهم عكس الطر ... يق المستقيم لمن له عينان
جعلوا كلام شيوخهم نصا له ال ... أحكام موزونا به النصان
وكلام رب العالمين وعبده ... متشابها متحملا لمعان
فتولدت من ذينك الأصلين أو ... لاد أتت للبغي والبهتان
إذ من سفاح لا نكاح كونها ... بئس الوليد وبئست الأبوان
عرضوا النصوص على كلام شيوخهم ... فكأنما جيش لذي السلطان(٢)
والعزل والإبقاء مرجعه إلى الس ... لطان دون رعية السلطان
وكذاك أقوال الشيوخ فإنها ... الميزان دون النص والقرآن
إن وافقا قول الشيوخ فمرحبًا ... أو خالفت فالدفع بالإحسان
إما بتأويل فإن أعيى فتف ... ويض ونتركها لقول فلان
إذ قوله نص لدينا محكم ... فظواهر المنقول ذات معان
والنص فهو به عليم دوننا ... وبحاله ماحيلة العميان
ألا تمسكهم بأيدي مبصر ... حتى يقودهم كذي الأرسان
فاعجب لعميان البصائر أبصروا ... كون المقلد صاحب البرهان

(١) زيادة من (د).

(٢) (د): «سلطان».

ورأوه بالتقليد أولى[١] من سوا ه بغير [ماهدى ولا][٢] برهان

وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا معناهما عجبًا لذي الحرمان

أشار الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بهذه الأبيات إلى أن طريق النفاة عكس طريق أهل الاستقامة؛فإن النفاة جعلوا كلام شيوخهم نصًّا محكمًا.

وقول الناظم:

جعلوا كلام شيوخهم نصًّا له الـ إحكام..............................

هو بكسر الهمزة أي محكمًا، وكلام الله ورسوله متشابهًا مجملًا، فلما بنوا الأمر على هذين الأصلين الباطلين؛ تولد من ذلك أنهم يعرضون النصوص على كلام مشايخهم، فإن وافقتها قبلوها وإن خالفتها دفعوها إما بالتأويل، فإن عجزوا عن ذلك فالتفويض.

ويقولون: كلام الشيخ أولى، وهو أعلم منا بالنصوص، ونحن مقلدون ونحن كالعميان، والأعمى لا بد له من قائد ونحو ذلك.

۞۞۞

قال الناظم:

فاعجب لعميان البصائر أبصروا كون المقلد صاحب البرهان

المقلد بفتح اللام أي عجبًا لعميان البصائر كيف أبصروا أن مقلدهم أولى بالصواب من غيره من المقلدين، فاعجب لهذا الحرمان.

---

(١) في (د، ع): «أولي»، وهو خطأ.

(٢) البيت في (د، ع) وفي جميع النسخ الخطية لمتن النونية هكذا:

ورأوه بالتقليد أولى من سوا ه بغير ما برهان

وهوناقص الوزن؛ لأن القصيدة من بحر الكامل، ومابين الحاصرتين زيادة لايستقيم الوزن إلا بها. انظر: الكافية الشافية للناظم(٢/ ٥٥٧).

قال الناظم:

قول الشيوخ أتم تبيانا من الـ ... ـوحيين لا والواحد المنان
النقل نقل صادق والقول من ... ذي عصمة في غاية التبيان
وسواه إما كاذب أو صح لم ... يك قول معصوم وذي تبيان
افيستوي النقلان يا أهل النهى ... والله لا يتماثل النقلان
هذا الذي ألقى العداوة بيننا ... في الله نحن لأجله خصمان

أي أنهم لما عموا عن الوحيين (ع/٢/٢٥ب) وزعموا أنهم لا يفهمون معناهما، فكيف يفهمون كلام الشيوخ، مع أن الوحيين أتم بيانًا من كلامهم؛ ولأن الوحيين نقل صادق عن قائل معصوم.

وأما أقوال الشيوخ فهي إما نقل كاذب، وإن صحت فهي عن غير معصوم، فهل يستوي النقلان؟ كلا وهيهات.

۞۞۞

قال الناظم:

نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم ... لكن نصرنا موجب القرآن
ولنا سلوك ضد مسلكهم فما ... رجلان منا قط يلتقيان
إنا أبينا أن ندين بما به ... دانوا من الآراء والبهتان
إنا عزلناها ولم نعبأ بها ... يكفي الرسول ومحكم الفرقان
من لم يكن يكفيه ذان فلا كفا ... ه الله شر حوادث الأزمان
من لم يكن يشفيه ذان فلا شفا ... ه الله في قلب ولا أبدان
من لم يكن يغنيه ذان رماه رب ... العرش بالإعدام والحرمان
من لم يكن يهديه ذان فلا هدا ... ه الله سبل الحق والإيمان

إن الكلام مع الكبار وليس مع ... تلك الأراذل سفلة الحيوان
أوساخ هذا الخلق بل أنتانه ... جيف الوجود وأخبث الانتان
الطالبين دماء أهل العلم بالـ ... ـكفران والعدوان والبهتان
الشاتمي أهل الحديث عداوة ... للسنة العليا مع القرآن
جعلوا مسبتهم طعام حلوقهم ... فالله يقطعها من الأذقان
كبرا وإعجابا وتيها زائدا ... وتجاوزا لمراتب الإنسان
لو كان هذا من وراء كفاية ... كنا حملنا راية الشكران
لكنه من خلف كل مخلف ... عن رتبة الإيمان والإحسان

قوله: «كبرًا وإعجابًا......» إلخ هذا مأخوذ من قول القائل:

حجاب وإعجاب وفرط تصلف ... ومد يد نحو العلى بتكلف
فلو كان هذا من وراء كفاية ... لهان ولكن من وراء تخلف[(١)]

❁❁❁

قال الناظم:

من لي بشبه خوارج قد كفروا ... بالذنب تأويلًا بلا إحسان
ولهم نصوص قصروا في فهمها ... فأتوا من التقصير في العرفان
وخصومنا قد كفرونا بالذي ... هو غاية التوحيد والإيمان

يقول الناظم: إن الخوارج[(٢)] أحسن حالاً منكم (ع/٢/٢٦أ) أيها الخصوم؛ لأن

(١) القائل هو الحسن بن عبدالحميد بن أبي الشخباء العسقلاني، صاحب الخطب المشهورة،مات سنة (٤٨٢هـ). ويقال:إن هذه الأبيات منسوبة إليه، وهي من الأبيات الجميلة، فإنها تمثل أدق وصف للمتشبع بما لم يعطه. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٩٠).

(٢) الخوارج: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد قصة التحكيم، وهم فرق شتى يجمعهم تكفير علي، وعثمان، والحكمين وأصحاب الجمل. =

الخوارج في تكفيرهم بالذنوب أخذوا بنصوص الوعيد، لكن أخطؤوا في ذلك، وقصرت أفهامهم.

وأما أنتم فخالفتم النصوص، وكفرتم من أخذ بها، وقدمها على غيرها،بل كفرتم بما هو غاية التوحيد والإيمان!.

= وقالوا بتكفير مرتكب الكبيرة، وأنه مخلد في النار، وجوزوا الخروج على أئمة الجور من المسلمين، وهم فرق كثيرة.

انظر: التبصير في الدين (ص٢٦)، والتنبيه والرد (ص٤٧)، ومقالات الإسلاميين (ص٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص١٧).

فصل

في بيان كذبهم ورميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج وبيان شبههم المحقق بالخوارج

ومن العجائب أنهم قالوا لمن قد دان بالآثار والقرآن
أنتم بذا مثل الخوارج إنهم أخذوا الظواهر ما اهتدوا لمعان
فانظر إلى ذا البهت هذا وصفهم نسبوا إليه شيعة الإيمان
سَلوا على سنن الرسول وحزبه سيفين سيف يد وسيف لسان
خرجوا عليهم مثلما خرج الألى من قبلهم بالغي والعدوان
والله ما كان الخوارج هكذا وهم البغاة أئمة الطغيان
كفرتم أصحاب سنته وهم فساق ملته فمن يلحاني
إن قلت هم خير وأهدى منكم والله ما الفئتان مستويان
شتان بين مكفر بالسنة الـ ـعليا وبين مكفر العصيان
قلتم تأولنا كذاك تأولوا وكلاكما فئتان باغيتان
ولكم عليهم ميزة[1] التعطيل والتـ ـحريف والتبديل والبهتان
ولهم عليكم ميزة[2] الإثبات والتـ ـصديق مع خوف من الرحمن
ألكم على تأويلكم أجران إذ لهم على تأويلهم وزران
حاشا رسول الله من ذا الحكم بل أنتم وهم في حكمه سيان
وكلاكما للنص فهو مخالف هذا وبينكما من الفرقان

(١) (ع): «مزية».
(٢) ليست في (د).

هم خالفوا نصًا لنص مثله	لم يفهموا التوفيق بالإحسان
لكنكم خالفتم المنصوص للشـ	ـبه التي هي فكرة الأذهان
فلأي شئ أنتم خير واقـ	ـرب منهم للحق والإيمان
هم قدموا المفهوم من لفظ الكتا	ب على الحديث الموجب التبيان
لكنكم قدمتم رأي الرجا	ل عليهما أفأنتم عدلان
أم هم إلى الإسلام أقرب منكم	لاح الصباح لمن له عينان
والله يحكم بينكم يوم الجزا	بالعدل والإنصاف والميزان
هذا ونحن فمنهم بل منكم	برآء إلا من هدى وبيان

شرع الناظم (رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى)[1] في بيان كذبهم في (ع/٢/٢٧ب) رميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج. وأوضح [الناظم] شَبَهُهُمْ المحقق بالخوارج؛ وذلك أن النفاة قالوا للمثبتة: أنتم أخذتم بالظواهر ولم تهتدوا للمعاني كالخوارج.

قال الناظم:

فانظر إلى ذا البهت هذا وصفهم	....

أي أنهم وصفوا المثبتة بما هو وصفهم؛وذلك أنهم سلوا السيوف على السنة وأهلها، وخرجوا عليهم كخروج الخوارج على الأمة،لكن الخوارج مع بغيهم وطغيانهم كَفَّرُوا فُسَّاق الملة، وأما هم فكَفَّرُوا من اتبع الكتاب والسنة.

فيقول الناظم: «فمن يلحاني...» أي ينازعني إن قلت: إن الخوارج خير وأهدى منكم.

وشتان بينكم وبينهم؛ لأنكم تُكَفِّرُوْنَ باتباع السنة، وتقديم النصوص على غيرها، وهم يُكَفِّرُوْنَ بالذنوب والمعاصي.

---

(١) زيادة من (د).

وإذ قلتم: تأولنا، فهم كذلك تأولوا، كلاكما فئتان باغيتان، ولكن زدتم عليهم بالتعطيل والتحريف والتبديل والبهتان، وهم تميزوا عنكم بالإثبات والتصديق والخوف من الله.

أفلكم على تأويلكم أجران … إذ لهم على تأويلهم وزران

وحاشا رسول الله من هذا الحكم … بل أنتم وهم في حكمه سيان

ومع هذا فكلاكما مخالف للنص، ولكن بينكما فرق كثير؛ لأنهم خالفوا نصًّا لنص آخر، لما لم يفهموا التوفيق بين النصوص.

وأما أنتم فخالفتم النصوص بالعدوان، والشبه التي ما أنزل الله بها من سلطان، وهم -أيضًا- قدموا ما فهموه من القرآن على الحديث، وأما أنتم فخالفتم القرآن والحديث، وقدمتم عليهما آراء الرجال.

فهم أقرب منكم إلى الإسلام، والله يحكم بينكم وبينهم يوم القيامة، وهو العليم الحكيم، ومع هذا فنحن منكم ومنهم براء إلا من هدى وبيان.

ثم شرع الناظم في بيان الموازنة بينهم وبين الخوارج وترجيح الخوارج عليهم فقال:

فاسمع إذا قول الخوارج ثم قو … ل خصومنا واحكم بلا ميلان

من ذا الذي منا إذا أشباههم … إن كنت ذا علم وذا عرفان

قال الخوارج للرسول اعدل فلم … تعدل وما ذي قسمة الديان

وكذلك الجهمي قال نظير ذا … لكنه قد زاد في الطغيان

قال الصواب بأنه استولى فلم … قلت استوى وعدلت عن تبيان

أي أن الخوارج قال قائلهم وهو ذو الخويصرة التميمي[١] للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقسم: إعدل يا رسول الله كما في الصحيح عن أبي سعيد قال: بينا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقسم جاء عبد الله ذو الخويصرة التميمي فقال: إعدل يا رسول الله (ع/ ٢/ ١٢٨أ) فقال: «**ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل**» قال عمر بن الخطاب: ائذن لي فأضرب عنقه، قال: «**دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية....**» الحديث[٢].

وكذلك الجهمي قال: الصواب استولى على العرش، فَلِمَ قلت يا رسول الله استوى؟.

۞۞۞

وكذاك ينزل أمره سبحانه ... لم قلت ينزل صاحب الغفران

ماذا بعدل في العبارة وهي مو ... همة التحرك[٣] وانتقال مكان

أي: وكذلك الجهمي لما قال الرسول ينزل ربنا قال الجهمي: بل ينزل أمره لأن النزول يقتضي الحركة والانتقال.

۞۞۞

وكذاك قلت بأن ربك في السما ... أوهمت حيز خالق الأكوان

كان الصواب بأن يقال بأنه ... فوق السما سلطان ذي سلطان

---

(١) قيل: هو حرقوص بن زهير السعدي، وقد جزم ابن أبي داود بأنه ذو الثدية الذي قتل في النهراوان، وقد قيل في ذي الثدية: إنه ذو الخويصرة، وقيل في ذي الخويصرة إنه حرقوص. والله أعلم. انظر: الإصابة (١/ ٣١٩).

(٢) أخرجه والبخاري كتاب المناقب (٣/ ١٣٢) باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٤١٤). مسلم (٢/ ٧٤٤) باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (٢٥٠٥).

(٣) كذا في (ع، د).

أي قال الجهمي: إنك قلت أيها الرسول عن الله إنه في السماء، وذلك يقتضي التحيز والمكان لله.

كان الصواب بأن يقال بأنه فوق السماء سلطانه سبحانه(١).

۞۞۞

وكذاك قلت إليه يعرج والصوا ب إلى كرامة ربنا المنان

أي أن الجهمي لنفيه علو الرب سبحانه فوق خلقه يقول الصواب أن العروج إلى كرامة الله لا إلى الله(٢).

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وكذاك قلت بأن منه يُنَزَّلُ الـ ـقرآن تنزيلًا من الرحمن

كان الصواب بأن يقال نزوله من لوحه أو من محل ثان

أي أن الجهمي قال للرسول: لِمَ ذكرت أن القرآن ينزل من الرحمن، والصواب إن نزوله من اللوح المحفوظ أو من محل آخر(٣).

---

(١) يعني أن الذي في السماء هو سلطانه؛ لأنك إذا قلت: إن الله في السماء فقد جرت في التعبير، واعتقدت أن السماء تحويه وتحوزه وتحيط به، وهذا باطل، فإنك بهذا ما عدلت مع ربك. يقول الناظم: «وهذه مشابهة للخوارج»، وفي نظري أن الخوارج اعترضوا على الرسول وهؤلاء المعطلة اعترضوا على الله تعالى. وانظر: شرح الكافية الشافية لابن عثيمين (٢/ ٤٦١).

(٢) هذا التحريف من الجهمية للعروج متفرع عن إنكارهم للعلو؛ لأنهم لما أنكروا العلو، احتاجوا إلى دفع جميع النصوص الدالة عليه؛ إما بالتحريف وإما بالتضعيف وإما بدعوى مخالفة القواطع العقلية؛ لأنهم زعموا أنه لا يوجد في العلو إلا العدم المحض. انظر: درء التعارض (٢/ ١١) (٥/ ١٩)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٤٩) (٢/ ٣١٢)، مجموع الفتاوى (٣/ ٢١٨) (٥/ ١٧٦)، الفتاوى الكبرى (٢/ ٢٩) (٥/ ٣٣٠).

(٣) هذا القول مبني على أصل فاسد، وهو القول بخلق القرآن، وهذه هي مقالة الجهمية والمعتزلة، =

=وحقيقتها إنكار أن يكون الله تعالى متكلمًا حقيقة، ولازم هذه المقالة من الكفر والالحاد والزندقة وإنكار الرسالة ووصف الله تعالى بالخرس وتشبيهه بآلهة المشركين التي لا تتكلم وغير ذلك من المحاذير الكفرية.

والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة: أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء، وكيف شاء، وأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ سمع القرآن من الله تعالى وبلغه إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما كونه في اللوح المحفوظ، فلا يعني أنه نزل منه كما تقول الجهمية، لأن اللوح المحفوظ فيه ما هو كائن الى يوم القيامة، ومن جملة ذلك كلام الله تعالى الذي سينزله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩] فتفسيرها على الصحيح: ابتدأنا نزوله، لا نزوله جملة كما فهم بعضهم. والمقصود بالنزول هنا: النزول المباشر من الله تعالى الى جبريل ثم محمد.

أما الآثار الواردة في نزول القرآن الى السماء الدنيا،ثم نزوله من السماء الدنيا منجمًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة، باطل سندًا ومتنًا، فليس بين جبريل وبين الله واسطة، وليس بين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجبريل واسطة كما قال ابن العربي.

وأيضًا: فإن القول بإنزال القرآن من السماء الدنيا الى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبطل القول بأن الله يتكلم بقدرته ومشيئته، والكلام الحقيقي هو الذي يوجد بقدرة المتكلم وإرادته قائمًا به، لا يعقل غير هذا، وأما ما كان موجودًا بدون قدرته ومشيئته ولا أنه سمع منه الكلام، فهذا في الحقيقة ليس بكلام له، وإنما هو مخلوق خلقه الله فيه، فلو كان ما قام بالرب تعالى من الكلام غير متعلق بمشيته، بل يتكلم بغير اختياره، لم يكن هذا هو الكلام المعهود، بل هذا شيء آخر غير ما يعرفه العقل ويشهد به الشرع.

وقد دلت النصوص النبوية أن الله تعالى يتكلم إذا شاء بما شاء كيف شاء، والقرآن جميعه حروفه ومعانيه كلام الله، نفسه الذي تكلم به ليس بمخلوق ولا بعضه قديمًا وهو المعنى وبعضه مخلوقًا وهو الكلمات والحروف.

والأدلة لأهل السنة والجماعة على هذا الأصل من الكتاب والسنة والمعقول كثيرة جدًّا.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام:١١٤]، وقوله: ﴿حم ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر:١-٢]، وقوله: ﴿حم ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت:١-٢]، وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢]. والحاصل وجود القرآن وهو كلام الله تعالى في اللوح المحفوظ ظاهر لا إشكال فيه؛لأن اللوح المحفوظ قد كتب الله فيه كل شيء كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]. =

وتـقـول أيـن الله والأيـن مـمـ ... تـنـع عـلـيـه ولـيـس في الإمـكـان

لو قلت من كان الصواب كما ترى ... في الـقـبـر يـسـأل ذلـك الملـكـان

أي يقول الجهمي للرسول إنك تقول: أين الله والأين ممتنع على الله تعالى ومحال وليس بممكن.

والصواب أن تقول: من الله؟ كما يسأل الملكان في القبر الميت فيقولان: من ربك وما دينك ومن نبيك(١).

۞۞۞

قال الناظم:

وتـقـول الـلـهـم أنـت الـشـاهـد الـ ... أعـلـى تـشـيـر بـأصـبـع وبـنـان

نحـو الـسـمـاء ومـا إشـارتـنـا له ... حسـيـة بـل تـلـك في الأذهـان(٢)

والله مـا نـدري الـذي نـبـديـه في ... هـذا مـن الـتـأويـل لـلاخـوان

قـلـنـا لهـم إن الـسـمـا هـي قـبـلـة الـد ... اعـي كـبـيـت الله ذي الأركـان

= أما نزوله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا منجمًا على حسب الوقائع، فلا أعلم له أصلًا، وإنما الآثار الواردة عن ابن عباس تدل على أن القرآن نزل جملة واحدة من الله تعالى الى السماء الدنيا، وهذا لايعارض أن الله تعالى تكلم به بقدرته ومشيئته، والأثر أخرجه النسائي (٦/ ٥١٩)، والحاكم (٢/ ٢٤٢)، والبيهقي (٤/ ٣٠٦) وغيرهم من طريق محمد بن المثنى عن عبد الأعلى عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل الله القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئًا أنزل منه حتى جمعه».
إسناده صحيح.

(١) هو جزء من حديث البراء بن عازب الطويل، أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٥٠): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وأصله في مسلم (٨/ ١٦٢).

(٢) يعني أن الإشارة معنوية.

قالوا لنا هذا دليل أنه ... فوق السماء بأوضح البرهان
فالناس طُرًّا إنما يدعونه ... من فوق هذي فطرة الرحمن
لا يسألون القبلة العليا ولـ ... ـكن يسألون الرب ذا الإحسان
قالوا وما كانت إشارته إلى ... غير الشهيد منزل الفرقان
أتراه أمسى للسما مستشهدًا ... حاشاه من تحريف ذي البهتان

أي أن الجهمي يقول للرسول: إنك تشير (ع/٢/٢٩ب) بأصبعك إلى السماء في خطبتك[1] بعرفة في الموقف العظيم، وتقول: اللهم أشهد[2].

ونحن لا ندري ما نبديه[3] من التأويل في هذا، فإن قلنا للناس: إن السماء قبلة الداعي كبيت الله، قالوا لنا: هذا دليل أنه فوق السماء؛ لأن الناس إنما يدعونه من فوق، وعلى هذا فطر الله الخلق.

ومعلوم بالضرورة أنهم لا يسألون القبلة، وكذلك معلوم أنهم لا يستشهدون السماء، وإنما يستشهدون من فوقها سبحانه.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وكذاك قلت بأنه متكلم ... وكلامه المسموع بالآذان
نادى الكليم بنفسه وكذاك قد ... سمع الندا في الجنة الأبوان
وكذا ينادي الخلق يوم معادهم ... بالصوت يسمع صوته الثقلان

---

(١) (د، ع): «خطبته» وهو خطأ، ولعل الصواب ما أثبته، ويؤيده سياق الجملة.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج (٢/ ٦٢٠) برقم (١٦٥٤).
(٣) يعني لا ندري ما نقول من التأويل، فأنت حيرتنا لما رفعت أصبعك إلى السماء. انظر لسان العرب (١/ ٣٣٤-مادة بدأ).

إني أنا الديان آخذ حق مظـ ـلوم من العبد الظلوم الجاني
وتقول إن الله قال وقائل وكذا يقول وليس في الإمكان
قول بلا حرف ولا صوت يرى من غير ما شفة وغير لسان
أوَقفت في التشبيه والتجسيم من لم ينف ما قد قلت في الرحمن
لو لم تقل فوق السماء ولم تشر بإشارة حسية ببيان
وسكت عن تلك الأحاديث التي قد صرحت بالفوق للديان
وذكرت أن الله ليس بداخل فينا ولا هو خارج الأكوان
كنا أنتصفنا من أولي التجسيم بل كانوا لنا أسرى عبيد هوان
لكن منحتهم سلاحًا كلما شاؤوا لنا منهم أشد طعان
وغدوا بأسهمك التي أعطيتهم يرموننا غرضًا بكل مكان
لو كنت تعدل في العبارة بيننا ما كان يوجد بيننا رجفان
هذا لسان الحال منهم وهو في ذات الصدور يغل بالكتمان
يبدو على فلتات ألسنهم وفي صفحات أوجههم يرى بعيان
سيما إذا قرئ الحديث عليهم وتلوت شاهده من القرآن
فهناك بين النازعات وكورت تلك الوجوه كثيرة الألوان
ويكاد قائلهم يصرح لو يرى من قابل فتراه ذا كتمان

يعني أي أن الجهمي يقول:إنك يا رسول الله (ع/٢/٣٠أ) قلت بأنه سبحانه متكلم بكلام مسموع وذكرت أنه نادى الكليم وكذا نادى الأبوين في الجنة وأنه ينادي الخلق يوم المعاد.وتقول: إن الله قال وقائل ويقول ولا يمكن قول بلا حرف ولا صوت ولا شفة ولا لسان.

فإذا نحن لم ننف ما قلته في الرحمن؛ وقعنا في التشبيه والتجسيم، ولكن لو لم تقل فوق السماء ولم تشر إليه الإشارة الحسية، ولم تنطق بالأحاديث التي صرحت بالفوقية، وذكرت أن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه كنا انتصفنا من المجسمة وكانوا لنا أسرى.

ولكنك منحتهم سلاحًا كلما شاؤوا طاعنونا به أشد المطاعنة وغدوا يرموننا بتلك الأسهم التي أعطيتهم وصرنا لهم غرضًا بكل مكان. والغرض قال في القاموس[1]: «الغرض محركة هدف يرمى فيه جمعه أغراض». فلو كنت عدلت بيننا في العبارة لم يوجد بيننا رجفان.

قال في القاموس[2]: «رجف حرك وتحرك واضطرب شديدًا رجفًا ورجفانًا ورجوفًا ورجيفًا».

قوله:

هذا لسان الحال منهم.................. .... إلخ

أي أنهم يقولون: هذا بلسان حالهم، ولكنه مكتوم في صدورهم مغلول، ومع ذلك فهو يبدو على فلتات ألسنتهم، ويرى في صفحات وجوههم، لا سيما إذا قرئ الحديث عليهم، وتلي شاهده من القرآن:

فهناك بين النازعات وكورت ....

أي إنك إذا قرأت عليهم الحديث، وتلوت ما يصدقه من القرآن، تلونت وجوههم، فتارة تظلم وتارة تصفر وتغير كحالة من في نزع الموت والنازعات في

(١) القاموس (ص٨٣٦).
(٢) القاموس (ص١٠٤٩).

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا﴾ [النازعات:١] هي الملائكة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم على قول أكثر المفسرين[١] وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١].

قال ابن عباس: «أظلمت»[٢].

وقال مقاتل والكلبي: «ذهب ضوؤها»[٣].

وقال مجاهد: «اضمحلت»[٤].

وقيل «غورت»[٥]، والله أعلم.

قوله:

ويكاد قائلهم يصرح.......... ....

أي بها في نفسه لو يرى قابلًا، بل ذكر شيخ الإسلام في بعض رسائله: «أن بعض من خاطبه صرح بأنه لا يقبل (ع/٢/٣١ب) من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يقوله في هذا الباب»[٦]

۞۞۞

قال الناظم:

يا قوم شاهدنا رؤوسكم على	**هذا ولم نشهده من إنسان**
إلا وحشو فؤاده غِلٍ على	**سنن الرسول وشيعة القرآن**

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٢١)، ومعالم التنزيل (٨/ ٣٢٣)، زاد المسير (٩/ ١٤) ورجحه ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٣٥)، وذكر الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٣٧٢)، وقال بعده: «وهذا قول الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم...».

(٢) أخرجه البغوي في تفسيره (١٢/ ٤٥٦).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٨/ ٣٤٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٥٦).

(٥) انظر: زاد المسير (٩/ ٣٨).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٧).

أي أنا رأينا رؤوسهم على هذا الذي ذكرناه، ولم نشهده من أحد إلا وفؤاده محشو غلًا على سنن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشيعة القرآن.

۞۞۞

قال الناظم:

وهو الذي في كتبهم لكن بلطـ ... ـف عبارة منهم وحسن بيان

وأخو الجهالة نسبهُ للفظ والمـ ... ـعنى فنسب العالم الرباني

يقول الناظم إن هذا الذي ذكرناه عنهم، هو الذي في كتبهم لكنهم،يلطفون العبارة، ويحسنون الكلام، ولكن الجاهل نَسَبَهُ للفظ والمعنى، فنسب العالم الرباني أي أن العالم الرباني نظره إلى ما يتضمنه[1] اللفظ وأما الجاهل فنظره مقصور على اللفظ.

❧ وقوله: «نسبهُ...» بفتح النون وإسكان السين وضم الباء: أي أن العالم يَنْسِبْ إلى المعاني وأما الجاهل فهو يَنْسِبْ إلى الألفاظ، فهو دائر معها.

ثم اعتذر الناظم عما لعله ينسبه من لا علم عنده إلى الحيف عليهم فيما نسبه إليهم فقال:

يا من يظن بأننا حفنا عليـ ... ـهم كتبهم تنبيك عن ذا الشان

أي ظلمناهم وجرنا عليهم.

قال في القاموس[2]: «الحيف الجور والظلم»[3].

---

(١) (ع): «يتضمنته»، والتصحيح من (د).

(٢) القاموس (ص١٠٣٧).

(٣) المعنى أن الناظم يخاطب بعض المتسرعين في الأحكام الذين يلقون بالتُّهم جزافًا دون تروٍ وتؤده، فيقول لهم: هذا الذي ذكرناه عن المتكلمين لم نظلمهم فيه، بل هو موجود في كتبهم.

فانظر ترى لكن نرى لك تركها ... حذرًا عليك مصايد الشيطان
فشباكها والله لم يعلق بها ... من ذي جناح قاصر الطيران
الا رأيت الطير في قفص الردى ... يبكي له نوح على الأغصان
ويظل يخبط طالبًا لخلاصه ... فتضيق عنه فرجه العيدان
والذنب ذنب الطير خلى طيب الث ... مرات في عال من الأفنان
وأتى إلى تلك المزابل يبتغي الـ ... ـفضلات كالحشرات والديدان
يا قوم والله العظيم نصيحة ... من مشفق وأخ لكم معوان
جربت هذا كله ووقعت في ... تلك الشباك وكنت ذا طيران

يقول الناظم: «يا من يظن بأنا حفنا عليهم...» أي على النفاة، أي جرنا عليهم وظلمناهم، كتبهم تنبئك عما ذكرنا لك، وقد أثقلت ظهر البسيطة، فطالعها إن شئت، لكن نرى لك تركها حذرًا عليك أن تصيدك شبههم الشيطانية، فكم وقع في تلك الشباك من قاصر الطيران، فتراه عند وقوعه في تلك المصائد حائرًا ندمانًا، يبكي لوقوعه في مهامة الحيرة والشكوك.

وكل هذا على طريق النصح (ع/ ٢/ ٣٢أ) من الناظم فجزاه الله تعالى خير الجزاء، عملًا بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الدين النصيحة»**[(١)].

ثم بيّن أنه قد جرب ذلك، وأنه وقع في بعض تلك الشباك والمصائد، حتى أتاح له المولى بفضله من أوضح له تلك الشبه وأزاح عنه تلك الشكوك وهو شيخ الإسلام[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٠).

(٢) اتصل ابن القيم بشيخ الإسلام ابن تيمية لما عاد من مصر سنة (٧١٢هـ)، ولازمه ملازمة طويلة، ولم يفارقه حتى مات، وقد أخذ عنه علمًا كثيرًا، وكان شيخ الاسلام يهتم بابن القيم اهتمامًا عظيمًا، =

وأشار إلى ذلك بقوله:

حتى أتاح لي الإله بفضله ... من ليس تجزيه يدي ولساني
حبرًا أتى من أرض حرّان فيا ... اهلا بمن قد جاء من حرّان
فالله يجزيه الذي هو أهله ... من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يرم ... حتى أراني مطلع الإيمان
ورأيت أعلام المدينة حولها ... نزل الهدى وعساكر القرآن
ورأيت آثارًا عظيمًا شأنها ... محجوبة عن زمرة العميان
ووردت رأس الماء أبيض صافيًا ... حصباؤه كلآلئ التيجان
ورأيت أكوابًا هناك كثيرة ... مثل النجوم لواردٍ ظمآن
ورأيت حوض الكوثر الصافي الذي ... لا زال يشخب فيه ميزابان
ميزاب سنته وقول إلهِه ... وهما مدى الأيام لا ينيان

=ويوجه له النصائح والإرشادات، ولما أوذي شيخ الإسلام، وسجن بسبب الفتوى الحموية وغيرها، ناصره ابن القيم حتى أدى به إلى السجن والإيذاء.

يقول ابن رجب: «وقد امتحن وأوذي مرات وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفردًا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ».

ولم يكن ابن القيم صوفيًّا قبل اتصاله بشيخ الإسلام كما يظنه البعض، بناءً على كلامه عن الصوفية في مدارج السالكين واعتذاره لهم وشكوك في العقيدة زالت عنه بعد لقاءه بالشيخ، لكنه لما سجن -كما يقول ابن رجب: «وكان في مدة حبسه مشتغلًا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكير، ففتح الله عليه من ذلك خيرًا كثيرًا، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف -يعني الصوفية- والدخول في غوامضها، وتصانيفه ممتلئة بذلك....» أما دفاعه عن أبي اسماعيل الهروي واعتذاره عنه فلأنه من أهل السنة، وله جهود عظيمة في الرد على المتكلمين، وخصوصًا في كتاب ذم الكلام وكتاب الفاروق وغيرها. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٣٤)، ذيل طبقات الحنابله (٢/ ٤٤٨)، الكلام على مسألة السماع (ص١٧، ٣٢، ٣٣ـ مقدمة المحقق).

والناس لا يردونه إلا من الالآف أفرادًا ذوو إيمان

وردوا عذاب مناهل أكرم بها ووردتم أنتم عذاب هوان

قوله: «حران.....» قال في القاموس[١]: «حران كشداد موضع بالشام، والنسبة حرناني ولا تقل حرَّاني، وإن كان قياسًا»[٢].

قوله: «حتى أتاح لي الإله بفضله..........» إلخ قال في القاموس[٣]: «تاح له الشيء يتيح تهيأ كتاح يتيح» انتهى.

وكم أنقذ الله بشيخ الإسلام ومصنفاته العظام من حيرته تلك الشبهات والأضاليل وكاد يخرج بها عن سواء السبيل.

قال الشيخ الإمام أبو حفص عمر بن علي البزاز[٤] -أحد تلامذة شيخ الإسلام- في ترجمته[٥]: «حدثني غير واحد من العلماء الفضلاء النبلاء الممعنين بالخوض في أقاويل المتكلمين لإصابة الصواب وتمييز القشر من اللباب، أن كلًّا منهم لم يزل حائرًا في تجاذب أقوال الأصوليين ومعقولاتهم، وأنه لم يستقر في قلبه

(١) (ص١٥٣٤).

(٢) حرَّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم، وبينهاوبين الرقه يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، وسميت بهاران أخو ابراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه أول من بناها فعربت فقيل: حران، وكانت منازل الصائبة الحرانيين،ففتحت في أيام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على يد عياض بن غنم. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٧٢-٢٧٣).

(٣) القاموس (ص٢٧٤).

(٤) في النسختين (البزاز) وهو خطأ، والصواب: هو البزار. لمن يخرج الدهن من البزر، أو يبيعه، وقد اشتهر هو بهذه النسبة عند كل من ترجم له، أما البزاز ينسب لمن يبيع البز وهو الثياب.
وهو عمر بن علي بن موسى الأرجي الحنبلي البزار الفقيه المحدث وكان ذا عبادة وبهجة، مات سنة (٧٤٩هـ). انظر: ذيل طبقات ابن رجب (٢/ ٣٦٤)، والدرر الكاملة (٣/ ١٠٦).

(٥) من الأعلام العلية (ص٣٢) ط. المكتب الإسلامي. وانظر: الرد الوافي (ص١٣١).

منها قول، ولم يبن له من مضمونها حق،بل رآها كلها موقعة في الحيرة والتضليل، وجلها مذعن بتكافىء الأدلة والتعطيل.

وأنه كان خائفًا على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل، حتى من الله عليه بمطالعة مؤلفات هذا الإمام أحمد بن تيمية شيخ الإسلام مما أورده من النقليات (ع/٢/٣٣ب) والعقليات في هذا النظام، فما هو إلا أن وقف عليها وفهمها فرآها موافقة للعقل السليم، وعلمها حتى انجلى ما كان قد غشيه من أقوال المتكلمين من الظلام، وزال عنه ما خاف أن يقع فيه الشك وظفر بالمرام»[١] انتهى.

قوله:

ورأيـت أكـوابًـا.................. .... [إلخ]

هي جمع كوب وهي أقداح بلا عرى.

قوله:

وردوا عـذاب.......................... ....إلخ

بكسر العين، وعذاب هوان -بالفتح- أي[٢]: وردوا المناهل الحلوة العذبة من الكتاب والسنة، ووردتم الشكوك والحيرة، وهي العذاب بعينه، بل ربما تفضي إلى العذاب الأكبر، نعوذ بالله من موجبات غضبه.

❁❁❁

قال الناظم:

فبحق من أعطاكم ذا العدل والـ إنصاف والتخصيص بالعرفان

---

(١) انظر: الأعلام العلية (ص٣٢)، الرد الوافر (ص١١٧).

(٢) (ع): «أي أي» والتصويب من (د).

مَن ذا على دين الخوارج بعد ذا ... أنتم أم الحشوي ما تريان

والله ما أنتم لدى الحشوي أهـ ... ـلا أن يقدمكم على عثمان

فضلًا عن الفاروق والصديق فضـ ... ـلًا عن رسول الله والقرآن

والله لو أبصرتم لرأيتم الـ ... ـحشوي حامل راية الإيمان

وكلام رب العالمين وعبده ... في قلبه أعلى وأكبر شان

من أن يحرف عن مواضعه وأن ... يقضي له بالعزل عن إيقان

ويرى الولاية لابن سينا أو أبي ... نصر أو المولود من صفوان

أو من يتابعهم على كفرانهم ... أو من يقلدهم من العميان

يا قومنا بالله قوموا وانظروا ... وتفكروا في السر والإعلان

نظرًا وإن شئتم مناظرة فمن ... مثنى على هذا ومن وحدان

أي الطوائف بعد ذا أدنى إلى ... قول الرسول ومحكم القرآن

فإذا تبين ذا فإما تتبعوا ... أو تعذروا أو تؤذنوا بطعان

أقسم الناظم على النفاة بحق الله الذي أعطاهم العدل والإنصاف وهذا على طريق التهكم(١).

أي إذا سمعتم ما تقدم فهل أنتم مثل الخوارج أو أعظم منهم مضرة على الدين أم المنبوذ عندكم بالحشو.

ثم أقسم قسمًا آخر: أنكم لستم بأهل أن يقدمكم على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فضلًا عن الفاروق والصديق فضلًا عن رسول الله والقرآن، وأن كلام رب العالمين وعبده

---

(١) وقد يكون الناظم قال ذلك من باب المداراة، أو من باب التلطف معهم؛ لأجل إيصال كلامه الآتي، وإلا فهؤلاء ليس عندهم عدل ولا إنصاف، وأنى لهم ذلك، وهم أصحاب بغي وظلم وعدوان على الحق وأهله، والله أعلم.

أعلى في قلبه من أن يحرفه عن مواضعه، وأن يرميه بأنه[1] نصوص لفظية لا تفيد اليقين (ع/٢/ ١٣٤أ)، ويرى الولاية لابن سينا أو أبي نصر هو الفارابي أو المولود من صفوان، وهم الجهم.

(١) (د، ع): «بأنها»، وهو تصحيف، والضمير يعود لكلام رب العالمين.

فصل

في تلقيبهم أهل السنة بالحشوية وبيان من أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب من الطائفين وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدعة

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشوًا في الوجو ... د وفضله في أمة الإنسان
ويظن جاهلهم بأنهم حشو ... ا رب العباد بداخل الأكوان
إذ قولهم فوق العباد وفي السما ... ء الرب ذو الملكوت والسلطان
ظن الحمير بأن في للظرف والر ... حمن محوي بظرف مكان
والله لم يسمع بذا من فرقة ... قالته في زمن من الأزمان
لا تبهتوا أهل الحديث به فما ... ذا قولهم تبًا لذي البهتان
بل قولهم إن السماوات العلى ... في كف خالق هذه الأكوان
حقا كخردلة ترى في كف مم ... سكها تعالى الله ذو السلطان
أترونه المحصور بعد أم السما ... يا قومنا ارتدعوا عن العدوان

شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان عدوان النفاة وتلقيبهم أهل السنة والحديث بالألقاب الشنيعة لتنفير الطغام وأشباه الأنعام،كما لقبوهم بالحشوية وغير ذلك من الألقاب الآتية.

والحشوية.

قال في شرح مختصر التحرير(١): «سموا حشوية؛ لأنهم كانوا يجلسون في حلقة الحسن البصري أمامه، فلما أنكر كلامهم قال: «ردوهم إلى حشو الحلقة»(٢) أي جانبها.

وقال ابن الصلاح: فتح الشين غلط، وإنما هو بالإسكان.

وكذلك قال البرماوي(٣): بالسكون، لأنه إما من الحشو، لأنهم يقولون بوجود الحشو [الذي لا معنى له](٤) في كلام المعصوم أو نحو ذلك(٥).

ورأيت كلامًا لشيخ الإسلام في معنى الحشو فيه مخالفة لهذا(٦).

---

(١) شرح مختصر التحرير (٢/ ١٤٧).

(٢) هذا الأثر يروى عن الحسن بغير إسناد، ولو ثبت عن الحسن لم يكن للمعطلة فيه حجة بتسمية أهل السنة حشوية، لأن معناه أن من أُنْكِرَ عليه أمرًا يبعد عن حلق أهل العلم، لكي لا يؤثر ببدعته على غيره، والله أعلم.

(٣) هو محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني الأصل، البرماوي، وتوفي ببيت المقدس سنة (٨٣١هـ). انظر: معجم المؤلفين (١٠/ ١٣٢).

(٤) ما بين معكوفتين سقط من أصل النسخة الخطية، واستدركناه شرح الكوكب المنير.

(٥) انظر: حاشية البناني على جمع الجوامع(١/ ٢٣٣).

وإذا كان أهل التعطيل يرمون أهل السنة بالحشو بناءً على هذا التعريف، فمعناه أن أهل السنة ليسوا حشوية باعترافهم؛ لأنهم يؤمنون بجميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة، ومنها نصوص الصفات على وجه الخصوص، أما هؤلاء فيقولون بأن بعض النصوص الواردة في الكتاب والسنة ظاهرها الكفر، ويجب تأويلها وإبطالها.

فأي الفريقين أحق بالحشوا يا أهل العقول؟

(٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٤٤) تعليق محمد بن قاسم: «أول من عرف أنه تكلم في الإسلام بهذا اللفظ عمرو بن عبيد، رئيس المعتزلة، وفقيههم وعابدهم، فإنه ذكر له عن ابن عمر شيء يخالف قوله، فقال: «كان ابن عمر حشويًّا» نسبة إلى الحشو، وهم العامة والجمهور. وكذلك تسميهم الفلاسفة -كما سماهم بذلك صاحب هذا الكتاب-، والمعتزلة ونحوهم يسمونهم الحشوية، والمعتزلة تعني بذلك كل من قال بالصفات وأثبت القدر، وأخذ ذلك عنهم متأخروا الرافضة، فسموهم الجمهور بهذا الاسم، وأخذ ذلك عنهم القرامطة الباطنية، فسموا بذلك كل من اعتقد صحة ظاهر الشريعة. اهـ.

وقد فسر الناظم معنى الحشوية بقوله:

يعنون حشوًا في الوجود وفضله .... إلخ

أي أن المعطلة يعنون بقولهم حشوية أن المثبتة حشو في الوجود وفضله في الناس، وجهالهم يظنون أن معنى الحشو أنهم بقولهم: إن الله سبحانه في السماء، وفوق خلقه، قد حشوا رب العباد بالأكوان، وهذا معنى قوله: «ظن الحمير...» إلخ.

قوله:

ظن الحمير بأن في للظرف ....

أي إذا ظنوا أنا إذا قلنا الله في السماء، ففي للظرفية! تعالى الله عن ذلك.

ولهذا قال:

والله لم يسمع بذا من فرقةٍ قالته في زمن من الأزمان.

وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان ابن درباس الشافعي[١] مصنفًا سماه تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة[٢] (ع/ ٢/ ٣٥ب).

وقوله:

بل قولهم إن السماوات العلى .... إلخ

---

(١) إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الماراني الكردي، أبو إسحاق المصري، الشافعي. وكان خيرًا صالحًا زاهدًا قانعًا مقلًا مقبلًا على شأنه. توفي بين الهند واليمن سنة (٦٢٢هـ) وله خمسون سنة. انظر: السير (٢٢/ ٢٩٠).

(٢) هذا الكتاب ذكره ابن تيمية ونقل عنه في عدة مواضع. وهو من الكتب المفقودة، ولم أجد من أشار إليه، وبعضهم يخلط بينه وبين عمه أبي القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس، وهو مترجم في السير (٢١/ ٤٧٦). انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٠٥)، الفتوى الحموية (ص٥٣)، مجموع الفتاوى (٥/ ١١١).

أي أن قول أهل السنة والحديث: إن السماوات السبع في كف الرحمن جَلَّ وَعَلَا كخردلة في كف ممسكها كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«يقبض الله تعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»**[(١)].

وفي الصحيحين -واللفظ لمسلم- عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول:أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، ثم يطوي الأرضين بيده الأخرى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون»**[(٢)].

وفي لفظ في الصحيح عن عبيد الله بن مقسم[(٣)] أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«يأخذ الله سماواته وأرضيه بيديه ويقول:أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها: أنا الملك »** حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني أقول أساقط هو برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٤)].

وفي لفظ قال رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنبر وهو يقول: **«يأخذ الجبار عَزَّ وَجَلَّ سماواته وأرضيه وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ويقول: أنا الرحمن أنا الملك أنا السلام أنا المؤمن أنا العزيز أنا الجبار أنا المتكبر أنا الذي بدأت الدنيا ولم**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٩)، وابن ماجه في سننه (١/ ٦٨).

(٢) مسلم في كتاب صفات المنافقين (٤/ ٢١٤٨).

(٣) عبيد بن مقسم المدني. قال في التقريب (ص٦٤٥): «ثقة مشهور من الرابعة». انظر: الكاشف (٢/ ٢٢٧)، تهذيب الكمال (٦/ ٥٩٦).

(٤) أخرجه مسلم في صفات المنافقين (٤/ ٢١٤٨-٢١٤٩). برقم (٢٧٨٨).

تك شيئًا أنا الذي أعيدها أين الملوك أين الجبابرة»[(١)]. وفي لفظ: **«أين الجبارون أين المتكبرون»**، ويتميل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على يمينه وعلى شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)].

والحديث مروي في الصحيح والمسانيد وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضًا وفي بعض ألفاظه: «قال قرأ على المنبر: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧] الآية قال: مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة»[(٣)].

وفي لفظ: «يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده فيجعلهما في كفه ثم يقول بهما هكذا كما يقول الصبيان بالكرة أنا الله الواحد»[(٤)].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم».

قال شيخ الإسلام في كتاب العرش[(٥)]: «وهذه الآثار معروفة»[(٦)].

۞۞۞

---

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين (٤/ ٢١٤٩) برقم (٢٧٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٤٠)، وابن ماجه في سننه (١/ ٧١)(٢/ ١٤٢٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٤٣٨).

(٢) أخرجه ابن حبان (١٦/ ٢١٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٤٠٦).

(٣) لم أقف عليه، وإنما ذكره ابن القيم في الصواعق (١/ ٢٨٤) ولم يعزه لأحد.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٦) وابن منده في الرد على الجهمية (ص٤٣) من طريق ابن وهب عن أسامة بن زيد عن أبي حازم عن ابن عمر أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان على المنبر يخطب الناس فقال:(... فذكره).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٥٦١).

(٦) في هامش الأصل بخط المؤلف «بلغ قراءة على المؤلف».

قال الناظم:

كم ذا مشبهة وكم حشوية فالبهت لا يخفى على الرحمن
يا قوم إن كان الكتاب وسنة المـ ـختار حشوا فاشهدوا ببيان
إنا بحمد إلهنا حشوية صرف بلا جحد ولا كتمان
تدرون من سمت شيوخكم به ذا الإسم في الماضي من الأزمان
سمى به ابن عبيد عبد الله ذا ك بن الخليفة طارد الشيطان
فورثتم عمروًا كما ورثوا لعبـ ـد الله أنى يستوى الإرثان
تدرون من اولى بهذا الاسم وهـ ـو مناسب أحواله بوزان
من قد حشى الأوراق والأذهان من بدع تخالف موجب القرآن
هذا هو الحشوي لا أهل الحديـ ـث أئمة الإسلام والإيمان
وردوا عذاب مناهل السنن التي ليست زبالة هذه الأذهان[1]
ووردتم القلوط مجرى كل ذي الـ أوساخ والأقذار والأنتان
وكسلتم أن تصعدوا للورد من رأس الشريعة خيبة الكسلان

يقول الناظم: كم ذا تنبزون أهل (ع/٢/٣٦أ) الإثبات بهذا البهت والكذب الصريح فإن كان الكتاب والسنة حشوًا فاشهدوا أنَّا حشوية بلا جحد ولا كتمان.

ونحو من هذا قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن كان تجسيمًا ثبوت صفاته وتنزيها عن كل تأويل مفتري
فإني بحمد الله ربي مجسم هلموا شهودًا واملؤوا كل محضر

قوله: «سمى به ابن عبيد عبد الله...» أي أول من نطق بهذا الاسم هو عمرو

(١) عِذاب -بكسر أوله- جمع عذب، والعذب من الشراب كل مستساغ. يقال: ماءُهُ عذبة، وماء عِذاب، على الجمع، لأن الماء جنس للماءة. انظر: لسان العرب (٩/ ٩٩-١٠٠).

ابن عبيد المعتزلي[(١)] قال: «كان عبد الله بن عمر حشويًّا»[(٢)]. يعني عبد الله بن عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهذا معنى قول الناظم«.... ابن الخليفة طارد الشيطان» ومراده بالخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: «...طارد الشيطان» يشير إلى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر: «**ما رآك الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجك**»[(٣)].

قوله:

تـــدرون مـــن أولى بـــهـــذا الاســـم .... إلخ

أي أن الأولى والأحق بهذا الاسم منه حشو الأوراق والأذهان من البدع المضلة والآراء المضمحلة،المخالفة للقرآن والسنة، فهذا هو الحشوي على الحقيقة لا أئمة الحديث وأئمة الإسلام والإيمان.

قوله: «موجب القرآن............» هو بفتح الجيم.

قوله:

وردوا عـــذاب مـنـاهـل الـسـنـن الـتي لـيـسـت زبـالـة هـــذه الأذهـــــان

أي أن أهل الحديث والسنة وردوا مناهل السنن العذبة، التي ليست زبالة

(١) أبو عثمان البصري كبير المعتزلة، أخذ عن أبي العالية والحسن، كان زاهدًا في أول أمره، ثم انتحل مذهب المعتزلة مع واصل بن عطاء الغزال، ودعا إلى القدر فتركوه، مات سنة (١٤٤هـ). انظر: السير (٦/ ١٠٤).

(٢) ذكره شيخ الاسلام في درء التعارض (٧/ ٣٥١) (٧/ ٤٣٢)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٤٤).

(٣) أخرجه البخاري في المناقب، باب مناقب عمر، برقم (٣٦٨٣)، ومسلم في فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٢٣٩٧).

الأذهان، والزبالة [كما] قال في القاموس[1]: «زبل زرعة يزبله سمده وككتاب ما تحمله النحلة».

[قوله]:

ووردتم القلوط........................ .... إلخ

سيأتي بيان القلوط في الفصل المعقود له (ع/ ٢/ ٣٧ب).

(١) القاموس (ص١٣٠٣).

فصل

في بيان عداوتهم في تلقيب أهل القرآن والحديث بالمجسمة وبيان أنهم أولى بكل لقب خبيث

كم ذا مشبهة مجسمة نوا بتة مسبه[١] جاهل فتان
أسماء سميتم بها أهل الحـ ـديث وناصري القرآن والإيمان
سميتموهم أنتم وشيوخكم بهتًا بها من غير ما سلطان
وجعلتموها سبة لتنفروا عنهم كفعل الساحر الشيطان
ما ذنبهم والله إلا أنهم أخذوا بوحي الله والفرقان
وأبوا بأن يتحيزوا لمقالة غير الحديث ومقتضى القرآن
وأبو يدينوا بالذي دنتم به من هذه الآراء والهذيان
وصفوه بالأوصاف في النصين من خبر صحيح ثم من قرآن
إن كان ذا التجسيم عندكم فيا أهلا به ما فيه من نكران
إنا مجسمة بحمد الله لم نجحد صفات الخالق الرحمن
والله ما قال امرؤ منا بأن الله جسم يا أولي البهتان
والله يعلم أننا في وصفه لم نعد ما قد قال في القرآن
أو قاله أيضًا رسول الله فهـ ـو الصادق المصدوق بالبرهان
أو قاله أصحابه من بعده فهم النجوم مطالع الإيمان
سموه تجسيمًا وتشبيهًا فلسـ ـنا جاحديه لذلك الهذيان

---

(١) (د): «مشبه».

أي أن النفاة والمعطلة سموا أهل الإثبات بأسماء بشعة قصدًا للتنفير عنهم فإنهم يسمونهم مشبهة، أي أنهم يشبهون الله بخلقه، وسموهم مجسمة، أي يقولون بأن الله جسم -تعالى عن ذلك-.

وسموهم نوابت والنوابت هم كما قال في القاموس[(١)]: «الأغمار من الأحداث ونبتت لهم نابتة نشأ لهم نشأ صغار».

وقد قال الإمام أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر وعلامة الجهمية أن يسموا أهل السنة مشبهة ونابتة وعلامة القدرية أن يسموا أهل السنة مجبرة وعلامة الزنادقة أن يسموا أهل الأثر حشوية»[(٢)] انتهى، نقله عنه الذهبي في كتاب العلو[(٣)].

قوله:

لتنفروا عنهم.................................. إلخ

أي أنهم سموا أهل الحديث بهذه الأسماء، ولقبوهم بهذه الألقاب للتنفير عنهم، وإلا فهم (ع/ ٢/ ٣٨أ) لم يتعدوا ما قال الله ورسوله.

---

(١) القاموس (ص٢٠٧).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٢٠٠) «قال أبو محمد: سمعت أبي يقول: وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة...» بقية الأثر.

(٣) العلو (٢/ ١١٦٢).

قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «تطلق الزندقة على المنافق وعلى الجاحد المعطل، والزنادقة هم المنافقون، وقد حدث هذا الاصطلاح بعد زمن الصحابة، والزنادقة اليوم هم العلمانيون» اهـ.

ولم يقل أحد منهم إن الله تعالى جسم جل عن ذلك، ومع ذلك فأهل الإثبات لما أثبتوا ما أثبته الله ورسوله لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل وإن سمت المعطلة ذلك تشبيهًا وتجسيمًا، فأهل الإثبات لا يجحدونه لأجل تشنيعاتهم وهذيانهم.

۞۞۞

قال الناظم:

بل بيننا فرق لطيف بل هو الـ ... ـفرق العظيم لمن له عينان
إن الحقيقة عندنا مقصودة ... بالنص وهو مراده التبيان
لكن لديكم فهي غير مرادة ... أنى يراد محقق البطلان
فكلامه فيما لديكم لا حقيقة ... تحته تبدو إلى الأذهان
في ذكر آيات العلو وسائر الـ ... أوصاف وهي القلب للقرآن
بل قول رب الناس ليس حقيقة ... فيما لديكم يا أولي العرفان
وإذا جعلتم ذا مجازا صح أن ... ينفى على الإطلاق والإمكان
وحقائق الألفاظ بالعقل انتفت ... فيما زعمتم فاستوى النفيان
نفي الحقيقة وانتفاء اللفظ إن ... دلت عليه فحظكم نفيان[1]
ونصيبنا إثبات ذاك جميعه ... لفظا ومعنى ذاك إثباتان
فمن المعطل في الحقيقة غيركم ... لقب بلا كذب ولا عدوان
وإذا سببتم بالمحال فسبنا ... بأدلة وحجاج ذي برهان
تبدي فضائحكم وتهتك ستركم ... وتبين جهلكم مع العدوان
يا بعد ما بين السباب بذاكم ... وسبابكم بالكذب والطغيان

(١) يعني أن حقيقة المعنى، وحقيقة اللفظ منفية عند المعطلة.

مـن سـب بـالـبرهـان لـيـس بظالم	والـظـلـم سـب الـعـبـد بالبهتان
فحقيقة التجسيم إن يك عندكم	وصـف الإلـه الخـالـق الـديـان
بـصـفـاتـه الـعـليـا الـتي شـهـدت بها	آيــاتـــه ورســـولـــه الـــعـــدلان
فـتـحـمـلـوا عـنـا الـشـهـادة واشهدوا	في كـل مجـتـمـع وكـل مـكـان
أنـــا مجـسـمـة بـفـضـل الله ولـ	ـيـشـهـد بـذلـك مـعـكـم الـثـقـلان
الله أكـبـر كـشـرت عـن نـابـهـا الـ	ـحـرب الـعـوان وصـيـح بـالأقـران
وتـقـابـل الـصـفـان وانـقـسـم الـورى	قـسـمـين واتـضـحـت لـنـا الـقسمان

معنى كلام الناظم: أن الحقيقة عند المثبتة مقصودة بالنص، والمراد به التبيان وأما عندكم أيها النفاة فهي غير (ع/٢/٣٩ب) مرادة؛ لأن الحقيقة عندكم لم تدل إلا على التشبيه والتجسيم.

فكلام الله ورسوله في آيات العلو والصفات وكذا كلام رسوله ﷺ ليس بحقيقة، بل هو مجاز والمجاز هو ما يصح نفيه.

وحقائق الألفاظ دل العقل بزعمكم على نفيها فاستوى -أي: تم- عندكم نفيان نفي الحقيقة، ونفي دلالة اللفظ عليها. وأما المثبتة فهم أثبتوا اللفظ والمعنى بغير تشبيه ولا تمثيل، فلهم إثباتان.

فأنتم المعطلة حقًّا، وإذا سببتم بالكذب والمحال، فسبنا بالأدلة والحجج، ويا بعد ما بين السبابين؛ لأنكم تسبون بالكذب والطغيان، ونحن نسب بالبرهان، فمن سب بالبرهان، فليس بظالم وإنما الظلم هو السب بالبهتان[1].

---

(١) السب في اللغة يأتي بمعنى الشتم: وهو القبيح من الكلام، ويأتي بمعنى القطع، يقال سبه سبًّا: قطعه:

قال شمير بن عبدالله بن هلال ذو الخرق الطهوى: =

وقوله:

........................كشرت عن نابها ....إلخ

قال في القاموس[١]: «كشر عن أسنانه يكشر كشرا أبدى يكون في الضحك وغيره».

قوله: «........العوان» هي الحرب بعد الحرب.

= فما كان ذنب بني مالك بأن سب منهم غلام فَسَبْ

والمقصود بالسب هنا: قطع الخصم وإبطاله وإفحامه، وإظهار معايبه، وإذا كان السب ببرهان ظاهر كان محمودًا؛ لأن المقصود منه إرجاع المبطل عن باطله، أما إذا كان بالكذب والمحال فهو المذموم، لأن المقصود منه الانتصار للنفس والهوى والشيطان، ويجب التنبيه هنا إلى أمرين:

الأول: أن إظهار معايب أهل الباطل إنما ينصب على الباطل نفسه لا على الذوات، لأن الذوات هي من خلق الله تعالى، ولا يجوز الاستهزاء بخلق الله تعالى، كما أن الكُره إنما يكون للباطل نفسه كما في الحديث: «إذا رأى من أميره شيئًا فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينز عن يدًا من طاعة». وكذلك الحب إنما يكون للحق نفسه، وحب أهل الحق إنما هو بقدر موافقتهم للحق كما في الحديث: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان.... وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله» فأخبر أن الحب لا للذوات، بل لله تعالى.

وهذه طريقة أهل السنة، بعكس أهل البدع؛فإنهم مع بغضهم للحق يبغضون أهل الحق ويستهزؤن بهم، كما أن الحب عند بعضهم إنما يكون للذوات أنفسها، كما هو مشاهد عند الصوفية الذين يحبون الحسان من الصبيان، ويبررون لاتباعهم حلول الله تعالى في الصور الجميلة، ويستدلون ببعض الأحاديث الموضوعة في ذلك، والكلام في مثل هذا طويل يحتاج إلى مزيد بحث، وسيأتي الكلام عنه مستوفى في أبواب الجنة إن شاء الله تعالى.

الثاني: أن سب أهل السنة لأهل البدع إنما يكون باظهار معايب بدعهم وخطرها وضلالهم فيها، كما أن إظهار معايب الكفار إنما يكون باظهار معايب كفرهم وضلالهم، كما في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه حينما كسر الأصنام، وأظهر لهم لما جادلوه أن آلهتهم لا تسمع ولا تنطق،فكيف تستجيب لهم. والله أعلم.

(١) القاموس (ص٦٠٤).

قال في مختار الصحاح[1]: «العوان النصف في سنها من كل شيء، والجمع عون والعوان من الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة، كأنهم جعلو الأولى بكرًا».

فصل

في بيان مورد أهل التعطيل وأنهم تعوضوا بالقلوط عن مورد السلسبيل

يا وارد القلوط ويحك لو ترى ... ماذا على شفتيك والأسنان
أو ما ترى آثارها في القلب والنـ ... ـيات والأعمال والأركان
لو طاب منك الورد طابت كلها ... أنى تطيب موارد الأنتان
يا وارد القلوط طهر فاك من ... خبث به واغسله من أنتان
ثم اشتم الحشوي حشو الدين والـ ... ـقرآن والآثار والإيمان
اهلا بهم حشو الهدى وسواهم ... حشو الضلال فما هما سيان
أهلا بهم حشو اليقين وغيرهم ... حشو الشكوك فما هما صنوان
أهلا بهم حشو المساجد والسوى ... حشو الكنيف فما هما عدلان
أهلا بهم حشو الجنان وغيرهم ... حشو الجحيم أيستوي الحشوان
يا وارد القلوط ويحك لو ترى الـ ... ـحشوي وارد منهل القرآن
وتراه من رأس الشريعة شاربا ... من كف من قد جاء بالفرقان
وتراه يسقي الناس فضلة كأسه ... وختامها مسك على ريحان
لعذرته إن بال في القلوط لم ... يشرب به مع جملة العميان
يا وارد القلوط لا تكسل فرأ ... س الماء فاقصده قريب دان
هو منهل سهل قريب واسع ... كاف إذا نزلت به الثقلان
والله ليس بأصعب الوردين بل ... هو أسهل الوردين للظمآن

القلوط -بفتح القاف وتشديد اللام (ع/٢/٣٤أ) وبالطاء المهملة- هو نهر بدمشق الشام يحمل أقذار البلد وأوساخه وأنتانه[١]، ويسمى في هذا الوقت قُليطًا -بالتصغير- والله أعلم[٢].

(١) هو نهر صغير متفرع عن نهر بانياس المتفرع عن البردى -بالمقصور- المار قريبًا من الباب الشرقي، ودعي قليطًا لما يحمله من الأقذار والنفايات. انظر: نزهة الأنام في محاسن الشام لأبي البقاء الدمشقي الوفائي (ص٩٢، ٩٣) ط. المكتبة العربية، تاج العروس للزبيدي (١٨/ ١٢٤) ط. دار الهداية.

(٢) في هامش (ع) بخط المؤلف «بلغ قراءة على المؤلف».

فصل

في بيان هدمهم لقواعد الإسلام والإيمان بعزلهم نصوص السنة والقرآن

يا قوم بالله انظروا وتفكروا ... في هذه الأخبار والقرآن
مثل التدبر والتفكر للذي ... قد قاله ذو الرأي والحسبان
فأقل شيء أن يكونا عندكم ... حدًا سواء يا أولي العدوان
والله ما استويا لدى زعمائكم ... في العلم والتحقيق والعرفان
عزلوهما بل صرحوا بالعزل عن ... نيل اليقين ورتبة البرهان
قالوا وتلك أدلة لفظية ... لسنا نحكمها على الإيقان
ما أنزلت لينال منها العلم با ... ل إثبات للأوصاف للرحمن
بل بالعقول ينال ذاك وهذه ... عنه بمعزل غير ذي سلطان
فيجهدنا تأويلها والدفع في ... أكنافها دفعًا لذي الصولان

أشار الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنهم بما فعلوه وهو عزلهم النصوص عن إفادة اليقين قد هدموا قواعد الإسلام والإيمان فقال:

يا قوم بالله انظروا................ ....إلخ

أي تفكروا وتدبروا في الكتاب والسنة كتدبركم وتفكركم في كلام المشايخ، فأقل شيء أن يكونا عندكم سواء. ثم أقسم أنهما:

.... ما استويا عند زعمائكم ... في العلم والتحقيق والعرفان

بل يقولون تلك أدلة لفظية، وما وضعه مشايخنا قواطع عقلية، وتلك الظواهر اللفظية لم تنزل لِتُعْلَمَ منها صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، وإنما يعلم ذلك بالعقل،

ومع ذلك فنجتهد في دفعها كدفع الصائل، فإن أمكن تأويلها فذاك، وإلا فآخر الأمر التفويض.

قوله: «في أكنافها.....» الكنف الجانب والظل والناحية قاله في القاموس[1].

ثم ضرب الناظم لذلك مثلًا فقال:

ككبير قوم جاء يشهد عند ذي ... حكم يريد دفاعه بليان

فيقول قدرك فوق ذا وشهادة ... لسواك تصلح فاذهبن بأمان

ويوده لو كان شيء غير ذا ... لكن مخافة صاحب السلطان

أي أن مثل نصوص الكتاب والسنة الدالة على إثبات العلو والصفات عندهم كرجل كبير (ع/٢/٤١ب) ذي منصب جاء يشهد عند بعض الحكام، وهو يريد أن لا يقبل شهادته ويريد دفعه بالأسهل، فيقول: أنت جليل القدر عظيم المنصب وقدرك فوق هذا، والشهادة تصلح لسواك، مع أن ذلك الحاكم يود أن يرده بغير هذا الرد، لكن لأجل مخافة صاحب السلطان يدفعه بهذا الدفع.

✿✿✿

قال الناظم:

فلقد أتانا عن كبير فيهم ... وهو الحقير مقالة الكفران

لو كان يمكني وليس بممكن ... لحككت من ذا المصحف العثماني

ذكر استواء الرب فوق العرش لـ ... ـكن ذاك ممتنع على الإنسان

يعني جهنم بن صفوان وقد تقدمت قصته هذه أول الشرح وقد رواها ابن أبي حاتم كما ذكره الذهبي في كتاب العلو[2]:

---

(١) القاموس (ص١٠٩٩).

(٢) انظر العلو للذهبي (٢/ ١٠١١٥) ط. مكتبة أضواء السلف.

قال أبو حاتم ثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي[١] ثنا يحيى بن أيوب[٢] ثنا أبو نعيم البلخي[٣] وكان قد أدرك جهمًا قال:

كان لجهم صاحب يكرمه ويقدمه على غيره فإذا هو قد صيح به وندر به ووقع فيه.

فقلت له: قد كان يكرمك.

فقال: إنه قد جاء منه ما لا يحتمل، بينا هو يقرأ طه والمصحف في حجره، فلما أتى على هذه الآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] قال: «لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت» فاحتملت هذه.

ثم إنه بينا هو يقرأ آية إذ قال: ما أظرف محمدًا إذ قالها ثم إنه بينا هو يقرأ ﴿طسٓمٓ﴾ [الشعراء:١]، والمصحف في حجره إذ مر بذكر موسى فرفع المصحف بيده ورجليه وقال: أي شيء هذا ذكره هنا فلم يتم ذكره.

ثم قال الذهبي: «أخرجها عبد الله بن أحمد عن الصنعاني[٤] عن يحيى بن أيوب»[٥] انتهى.

۞۞۞

---

(١) كتب عنه أبو حاتم وأبو زرعه ورويا عنه. قال أبو حاتم: «صدوق». الجرح والتعديل (٥/ ١٦٣).

(٢) يحيى بن أيوب المقابري أبو زكريا البغدادي العابد قال في التقريب: «ثقة من العاشرة» مات سنة (٢٣٤هـ). التقريب (ص١٠٥٠).

(٣) شجاع بن أبي نصر الخراساني أبو نعيم البلخي المقرئ قال عنه في التقريب: «صدوق روى له البخاري في خلق الأفعال». مات سنة (١٩٠هـ). التقريب (ص٤٣١).

(٤) محمد بن إسحاق الصَّغاني بفتح المهملة ثم المعجمة ويقال الصاغاني أبو بكر نزيل بغداد ثقة ثبت من الحادية عشرة، مات سنة سبعين. التقريب (ص٨٢٤).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة له (١/ ١٦٧) والبخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ٤١-٤٢). وإسناده حسن.

قال الناظم:

والله لولا هيبة الإسلام والـ قرآن والأمراء والسلطان
لأتوا بكل مصيبة ولدكدكوا الـ إسلام فوق قواعد الأركان
فلقد رأيتم ما جرى لأئمة الـ إسلام من محن على الأزمان
لا سيما لما استمالوا جاهلا ذا قدرة في الناس مع سلطان
وسعوا إليه بكل إفك بين بل قاسموه بأغلظ الأيمان
أن النصيحة قصدهم كنصيحة الشـ يطان حين خلا به الأبوان

يشير الناظم بهذه الأبيات إلى أنه: لولا هيبة الإسلام والقرآن والأمراء لأتت المبتدعة بكل مصيبة ولدكدكوا الإسلام.

وشاهد هذا أنهم لما استمالوا المأمون عبد الله بن الرشيد العباسي[1]، وقام بامتحان الناس بأن القرآن مخلوق، وحصل (ع/٢/١٤٢أ) للأئمة ما حصل من الكروب والمشاق، ولكن أعجلته المنية، فأوصى إلى أخيه أبي إسحق المعتصم[2]، وحصل ما حصل من المحن، وحبسوا الإمام أحمد وضربوه، وبعد ذلك في خلافة الواثق قتل أحمد ابن نصر الخزاعي[3]، وامتحن الإمام محمد بن عبد الرحمن

---

(١) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدى ابن جعفر المنصور العباسي المعروف بالمأمون، كان من دهاة رجال بني العباس حزمًا وعزمًا ورأيًا وعقلًا وهيبة؛ إلا أنه غرم بترجمة كتب الأوائل، ودعا إلى رأي المعتزلة وقال بخلق القرآن، وامتحن العلماء، وشدد في المسألة سنة ثماني عشرة ومائتين، فأخذه الله. انظر: السير (١٠/ ٢٧٢/ ٢٩٠).

(٢) المعتصم بن هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي بويع له بعد أخيه المأمون، وسار على نهج أخيه، وامتحن الناس بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الأمصار، وامتحن الإمام أحمد وجلده بالسياط حتى زال عقله، وكان أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي من جلسائه ومات سنة (٢٢٧هـ). انظر: السير (١٠/ ٢٩٠-٣٠٦).

(٣) سبق ترجمته.

الأدرمي![1] وكانوا لايولون قاضيًا ولا غيره إلا إن كان ممن يقول بخلق القرآن، وذلك مشهور في كتب التواريخ مع أن المأمون قبل ذلك لم يزل يداري العلماء في القول بهذه المسألة ثم صدع بذلك.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام[2]: «أخبرني جماعة إجازة أن الكندي[3] أخبرهم أنبأ القزاز[4] أنبأ الخطيب أنبأ أبو بكر الحيري ثنا الأصم ثنا يحيى بن أبي طالب[5] أخبرني الحسن بن شاذان الواسطي الحافظ[6] حدثني ابن عرعرة[7] حدثني يحيى بن

(١) لم أعرفه.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (ص٤٥٧ ـ حوادث ٢٠١-٢١٠هـ).

(٣) زيد بن الحسن بن زيد الكندي البغدادي قال ابن النجار: ما رأيت أكمل منه عقلًا ونبلًا وثقه وتحقيقًا ورزانة مع دماثه أخلاقه، وكان بهيًّا وقويًّا. وكان ثقه في الحديث والقرآءات مات سنة (٦١٣هـ) انظر: السير (٢٢/ ٣٤-٤١).

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن عبدالواحد الشيباني البغدادي، راوي تاريخ بغداد عن الخطيب سوى الجزء السادس. قال الذهبي: الشيخ الجليل الثقة. مات سنه (٥٣٥هـ). انظر: السير (٢٠/ ٦٩-٧٠).

(٥) يحيى بن جعفر بن عبد الله بن الزبرقان الإمام المحدث العالم أبو بكر البغدادي. توفي سنة (٢٧٥هـ). انظر: السير (١٢/ ٦٢٠).

(٦) الحسن بن خلف بن شاذان الواسطي، أبو علي البزاز، وقد ينسب إلى جده.
قال أبو حاتم: شيخ، وقال الخطيب: ثقة، قال السراج: مات في بغداد سنة (٢٤٦هـ).
انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ٢٣٩) برقم (٤٩٩).

(٧) بعد بحث طويل ظهر لي -والعلم عند الله- أن ابن عرعرة هو إبراهيم بن محمد بن عرعر بن البرند ابن النعمان القرشي السامي -بالمهملة- البصري، نزيل بغداد، كان والده من شيوخ البخاري القدماء.
قال الحافظ في التقريب (ص١١٤): «ثقة حافظ، تكلم أحمد في بعض سماعه من العاشرة» أشبال.
ولم أجد له ذكرًا في تلاميذه ابن أكثم ولا في شيوخ الحسن بن شاذان.
وقد ترجح عندي أنه إبراهيم بن محمد لما يلي: أن الحافظ ذكره التقريب في أصحاب الطبقة العاشرة، بينما ذكر الحسن بن شاذان بن خلف الراوي عنه في الطبقة الحادية عشرة، مما يدل على أنه من طبقه تلاميذه. وقد وجدت أن (ابن عرعرة) أكثر من واحد منهم والد إبراهيم ولا يصح أن يكون هو الراوي عن ابن أكثم؛ لأن محمدًا هذا يروي عن شعبة وشعبة من الطبقة السابعة.

أكثم[١] قال: قال لنا المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت القرآن مخلوق، فقيل: ومن يزيد حتى يتقى، فقال: ويحك إني لا أتقيه لأن له سلطنة، ولكن أخاف إن أظهرته، فيرد علي فيختلف الناس ويكون فتنة.

وأما المأمون فهو عبدالله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد بن المهدي بن عبد الله المنصور أبو العباس الهاشمي، ولد سنة سبعين ومائة عندما استخلف أبوه الرشيد، وقرأ العلم في صغره وسمع من هشيم وعباد بن العوام[٢] ويوسف بن عطيه[٣] وأبي معاوية الضرير[٤] وطبقتهم.

وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس، ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن.

روى عنه ولده الفضل![٥] ويحيى بن أكثم والأمير عبد الله بن طاهر ودعبل الخزاعي[٦] وآخرون.

---

(١) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسيدي، أبو محمد المروزي الفقيه القاضي، سنة (٢٤٢هـ). انظر: تهذيب الكمال (١٠/ ٦٢٩).

(٢) يوسف بن عطية بن ثابت الصفار الأنصاري أبو سهل، متروك من الثامنة. انظر: التقريب (ص١٠٩٤).

(٣) محمد بن خازم أبو معاوية الضرير الكوفي، ثقة أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقد يهم في حديثه، من كبار التاسعة مات سنه (١٩٥هـ).انظر التقريب: (ص٨٤٠).

(٤) عابد بن العوَّام بن عمر بن عبد الله المنذر الكلابي الواسطي، قال الذهبي: الإمام المحدث الصدوق. انظر: السيرة (٨/ ٥١١).

(٥) لم أجده.

(٦) دُعبل بن علي أبو علي الخزاعى، شاعر زمانه، كان من غلاة الشيعة. قال الذهبي: هجا المأمون والكبار، وكان خبيث اللسان والنفس. انظر: السير (١١/ ٥١٩).

وكان من رجال بني العباس حزمًا وعزمًا وحلمًا وعلمًا ورأيًا ودهاء وهيبة وشجاعة وسؤددًا وسماحة وله محاسن وسيرة طويلة.

وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها، وصمم عليها في سنة (٢١٨هـ) وامتحن العلماء فعوجل ولم يمهل.

مات لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة (٢١٨هـ).

انتهى ملخصًا من تاريخ الإسلام للذهبي[١] رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قوله:

....	**بل قاسموه بأغلظ الأيمان**
إن النصيحة قصدهم	.... **إلخ**

أي يحلفون له بأغلظ[٢] الإيمان أن قصدهم النصيحة، كما قاسم إبليس الأبوين كما في قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١].

۞۞۞

قال الناظم:

فيرى عمائم ذات أذناب على	**تلك القشور طويلة الأردان**
ويرى هيولى لا تهول لمبصر	**وتهول أعمى في ثياب جبان**
فإذا أصاخ بسمعه ملؤوه من	**كذب وتلبيس ومن بهتان**
فيرى ويسمع فشرهم وفشارهم	**يا محنة العينين والآذان**
فتحوا جراب الجهل مع كذب فخذ	**واحمل بلا كيل ولا ميزان**
وأتوا إلى قلب المطاع ففتشوا	**عما هناك ليدخلوا بأمان**

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (ص٢٢٥- حوادث ٢١٠-٢٢١).

(٢) (ع، د): «بأعظم» وهو خطأ.

فإذا بدا غرض لهم دخلوا به ... منه إليه كحيلة الشيطان

فإذا رأوه هش نحو حديثهم ... ظفروا وقالوا ويح آل فلان

هو في الطريق يعوق مولانا عن الـ ... ـمقصود وهو عدو هذا الشان

فإذا هم غرسوا العداوة واظبوا ... سقي الغراس كفعل ذي البستان

حتى إذا ما أثمرت ودنا لهم ... وقت الجذاذ وصار ذا إمكان

ركبوا على جرد لهم وحمية ... واستنجدوا بعساكر الشيطان

فهنالك ابتليت جنود الله من ... جند اللعين بسائر الألوان

ضربًا وحبسا ثم تكفيرًا وتبـ ... ـديعًا وشتمًا ظاهر البهتان

تقدم الكلام في تفسير الهيولى.

قوله:

.... ظفروا وقالوا ويح آل فلان

يحتمل أنه بالظاء المشالة (ع/٢/٤٣ب) من الظفر ويحتمل أنه بالطاء وهو الوثب في ارتفاع.

✿✿✿

قال الناظم:

فلقد رأينا من فريق منهم ... أمرا تهد له قوى الإيمان

من سبهم أهل الحديث ودينهم ... أخذ الحديث وترك قول فلان

يا أمة غضب الإله عليهم ... الأجل هذا تشتموا بهوان

تبا لكم إذ تشتمون زوامل الـ ... إسلام حزب الله والقرآن

وسببتموهم ثم لستم كفأهم ... فرأوا مسبتكم من النقصان

هذا وهم قبلوا وصية ربهم ... في تركهم لمسبة الأوثان

حذر المقابلة القبيحة منهم بمسبة القرآن والرحمن
وكذاك أصحاب الحديث فإنهم ضربت لهم ولكم بذا مثلان
سبوكم جهالهم فسببتم سنن الرسول وعسكر الإيمان
وصددتم سفهاءكم عنهم وعن قول الرسول وذا من الطغيان
ودعوتموهم للذي قالته أشـ ـياخ لكم بالخرص والحسبان
فأبوا إجابتكم ولم يتحيزوا إلا إلى الآثار والقرآن
وإلى أولي العرفان من أهل الحديـ ـث خلاصة الإنسان والأكوان

يشير إلى أن المعطلة يسبون أصحاب الحديث غاية السب، ويثلبونهم أعظم الثلب، وأن أهل الحديث قبلوا وصية ربهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]، فالله سبحانه قد نهى عن سب معبودات المشركين لئلا يسبوا الله سبحانه، فكذلك أصحاب الحديث تركوا مسبة النفاة والمعطلة لئلا يسبوهم فيتعدى السب إلى الرحمن والقرآن والسنة.

❁❁❁

قال الناظم:

قوم أقامهم الإله لحفظ هـ ـذا الدين من ذي بدعة شيطان
وأقامهم حرسًا من التبديل والتـ ـحريف والتتميم والنقصان
يزك على الإسلام بل حصن له يأوي إليه عساكر الفرقان
فهم المحك فمن يرى متنقصا لهم فزنديق خبيث جنان
إن تتهمه فقبلك السلف الألى كانوا على الإيمان والإحسان
أيضًا قد اتهموا الخبيث على الهدى والعلم والآثار والقرآن(١)

(١) الخبيث هنا هو المعطل، كما يدل عليه سياق الأبيات، لأنه هو المتنقص لأهل العلم والسنة.

وهو الحقيق بذاك إذ عادى روا ... ة الدين وهي عداوة الديان
فإذا ذكرت الناصحين لربهم ... وكتابه ورسوله بلسان
فاغسله ويلك من دم التعطيل وال ... تكذيب والكفران والبهتان
أتسبهم عدوا ولست بكفئهم ... فالله يفدي حزبه بالجاني
قوم هم بالله ثم رسوله ... أولى وأقرب منك للإيمان
شتان بين التاركين نصوصه ... حقًّا لأجل زبالة الأذهان
والتاركين لأجلها آراء من ... آرائهم ضرب من الهذيان
لما فسا الشيطان في آذانهم ... ثقلت رؤوسهم عن القرآن
فلذاك ناموا عنه حتى أصبحوا ... يتلاعبون تلاعب الصبيان
والركب قد وصلوا العلى وتيمموا ... من أرض طيبة مطلع الإيمان
وأتوا إلى روضاتها وتيمموا ... من أرض مكة مطلع القرآن
قوم إذا ما ناجذ النص بدا ... طاروا له بالجمع والوحدان
وإذا بدا علم الهدى استبقوا له ... كتسابق الفرسان يوم رهان
وإذا هم سمعوا بمبتدع هذى ... صاحوا به طُرًّا بكل مكان
ورثوا رسول الله لكن غيرهم ... قد راح بالنقصان والحرمان
وإذا استهان سواهم بالنص لم ... يرفع به رأسا من الخسران
عضوا عليه بالنواجذ رغبة ... فيه وليس لديهم بمهان
ليسوا كمن نبذ الكتاب حقيقة ... وتلاوة قصدا بترك فلان
عزلوه في المعنى وولوا غيره ... كأبي الربيع خليفة السلطان

أي أن النفاة والمعطلة نزَّلوا كتاب الله (ع/٢/٤٥ب) وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزِلة الخليفة أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله[1].

(١) سبقه ترجمته.

وقد بويع المذكور بالخلافة بعهد من أبيه في جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة لأن الخليفة المذكور يدعى له على المنابر ويضرب اسمه فوق السكة وليس له من الأمر شيء فحال كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ عندهم كحال أبي الربيع مع السلطان محمد بن قلاوون الألفي[١].

قوله:

يزك على الإسلام ....[٢]

قوله: «فهم المحك......» يشبه هذا ما أنشده ابن أعين[٣] في الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه:

اضحى ابن حنبل محنة مأمونة ... وبحب أحمد يعرف المتنسك

وإذا رأيت لأحمد متنقصًا ... فاعلم بأن ستوره ستهتك[٤]

۞۞۞

---

(١) الناصر محمد قلاوون ثالث سلطان المماليك البحرية، حكم سنه (٦٩٣هـ). ويعتبر عصره العصر الذهبي لدولة المماليك، مات سنة (٧٤١هـ). انظر: الأعلام للزركلي(٧/ ١١).

(٢) اليزك: طلائع الجيش، وهو فارسي معرب، ويطلق على الحرس والعسس.
انظر: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٢/ ٥٧١- تعليق).

(٣) الأرجح أن يكون محمد بن موسى بن حماد البربري، أبو أحمد، فإن البيت رواه الخطيب من طريق أحمد بن إبراهيم بن شاذان عن محمد بن علي عن محمد بن محيي الدين الموصلي عنه.
وقد ذكره الحافظ الذهبي عن الطبراني، قال: «أنشدنا محمد بن موسى بن حماد لمحمد بن عبدالله ابن طاهر....» فذكر البيت، فظهر أن المنشئ لتلك الأبيات هو ابن حماد هذا، وهو معاصر للإمام أحمد، وقد شاهد محنته، وما جرى له.
قال الخطيب: «كان إخباريًّا فهمًا ذا معرفة بأيام الناس» اهـ. لكنه في الحديث على ما قال الدارقطني: ليس بالقوي. مات سنة (٢٩٤هـ). انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٢٤٣)، والسير (١٤/ ٩١).

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٥/ ٣٢٣) من طريق أبي بكر الخطيب به.

قال الناظم:

ذكروه فوق منابر وبِسِكَّةٍ ... رقموا اسمه في ظاهر الأثمان
والأمر والنهي المطاع لغيره ... ولمهتد ضربت بذا مثلان
يا للعقول أيستوي من قال بالـ ... ـقرآن والآثار والبرهان
ومخالف هذا وفطرة ربه ... الله أكبر كيف يستويان
بل فطرة الله التي فطروا على ... مضمونها والعقل مقبولان
والوحي جاء مصدقًا لهما فلا ... تلق العداوة ماهما حربان
سلمان عند موفق ومصدق ... والله يشهد إنهما سلمان
فإذا تعارض نص لفظ وارد ... والعقل حتى ليس يلتقيان
فالعقل إما فاسد ويظنه الرا ... ئي صحيحًا وهو ذو بطلان
أو أن ذاك النص ليس بثابت ... ما قاله المعصوم بالبرهان
ونصوصه ليست تعارض بعضها ... بعضًا فسل عنها عليم زمان
وإذا ظننت تعارضًا فيها فذا ... من آفة الأفهام والأذهان
أو أن يكون البعض ليس بثابت ... ما قاله المبعوث بالقرآن
لكن قول محمد والجهم في ... قلب الموحد ليس يجتمعان
إلا ويطرد كل قول ضده ... فإذا هما اجتمعا فمقتتلان

يقول الناظم: إذا تعارض النقل (ع/٢/١٤٦) والعقل فإما أن يكون العقل فاسدًا وإما أن يكون النص ليس بثابت والنصوص[1] لا تتعارض، وما يظن فيها من التعارض فهو من آفة الأفهام والأذهان، أو بعضها ليس بثابت ما قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) الصحيحة.

قوله:

.... إنهما سلمان

هو بكسر الهمزة وتسكين النون للوزن وأصله إن المؤكدة.

ثم قال الناظم:

لكن قول محمد والجهم في قلب الموحد ليس يجتمعان
إلا ويطرد كل قول ضده [فإذاهما اجتمعا فمقتتلان][1]
والناس بعد على ثلاثٍ حزبه أو حربه أو فارغ متوان

قوله:

.... حزبه .... إلخ

الحزب الورد والطائفة والسلاح وجماعة الناس.

قوله: «...... أو حربه»، الحرب معروف، وهو بفتح الحاء وبالراء الساكنة ويذكر مفرد حروب.

ودار الحرب: بلاد المشركين الذين لا صلح بيننا وبينهم[2].

۞۞۞

فاختر لنفسك أين تجعلها فلا والله لست برابع الأعيان
من قال بالتعطيل فهو مكذب بجميع رسل الله والفرقان
إن المعطل لا إله له سوى الـ ـمنحوت بالأفكار في الأذهان
وكذا إله المشركين نحيتة الـ أيدي هما في نحتهم سيان

---

(١) ما بين معكوفتين ساقط من جميع النسخ، واستدركناه من النص السابق، وهو مكرر.
(٢) انظر: القاموس الفقهي لسعدي أبو جيب (ص٨٤) ط. دار الفكر.

قوله: «..........نحيتة»، هي: فعيلة بمعنى مفعولة، أي منحوتة.

قال في القاموس[1]: «نحته ينحته كيضربه وينصره ويعلمه براه» انتهى.

۞۞۞

لكن إله المرسلين هو الذي ... فوق السماء مكون الأكوان

تالله قد نسب المعطل كل من ... بالبينات أتى إلى الكتمان

والله ما في المرسلين معطل ... نافي صفات الواحد الرحمن

كلا ولا في المرسلين مشبه ... حاشاهم من إفك ذي بهتان

فخذ الهدى من عبده وكتابه ... فهما إلى سبل الهدى سببان[2]

---

(١) القاموس (ص٢٠٧).

(٢) معنى الأبيات: أن إله المرسلين الذين جاؤا بالتبليغ عنه، والدعوة إلى توحيده، هو الذي فوق السماء، مستو على عرشه، وهو الموجد لجميع الكائنات. وتالله لقد نسب هذا المعطل كل الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى جحود الحق وكتمانه. مع أن كلام الرسل عليهم الصلاة والسلام صريح في الإثبات، وحاشاهم من التعطيل والتشبيه. وعلى طالب الهدى والنجاة أن يأخذ بما جاء في القرآن وصحيح سنة رسوله ﷺ. انظر: شرح النونية لهراس (١/ ٣٨٥).

فصل

في بيان بطلان قول الملحدين إن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد العلم واليقين

واحذر مقالات الذين تفرقوا شيعًا وكانوا شيعة الشيطان
واسأل خبيرًا عنهم ينبيك عن أسرارهم بنصيحة وبيان
قالوا الهدى لا يستفاد بسنةٍ كلا ولا أثر ولا قرآن
إذ كل ذاك أدلة لفظية لم تبد عن علم ولا إيقان
فيها اشتراك ثم إجمال يرى وتجوز بالزيد والنقصان
وكذلك الإضمار والتخصيص والحذف الذي لم يبد عن تبيان
والنقل آحاد فموقوف على صدق الرواة وليس ذا برهان
إذ بعضهم في البعض يقدح دائما والقدح فيهم فهو ذو إمكان
وتواتر وهو القليل ونادر جدًّا فأين القطع بالبرهان
هذا ويحتاج السلامة بعد من ذاك المعارض صاحب السلطان
وهو الذي بالعقل يعرف صدقه والنفي مظنون لدى الإنسان
فلأجل هذا قد عزلناها وو لينا العقول ومنطق اليونان
فانظر إلى الإسلام كيف بقاؤه من بعد هذا القول ذي البطلان
وانظر إلى القرآن معزولا لديهم عن نفوذ ولاية الايقان
وانظر إلى قول الرسول كذاك معـ ـزولا لديهم ليس ذا سلطان
والله ما عزلوه تعظيما له أيظن ذلك قط ذو عرفان

يـا لـيـتـهـم إذ يحـكـمـون بعزله … لم يـرفـعـوا رايـــات جنكسخان
يـا ويـلـهـم ولـــوا نـتـائـج فكرهم … وقـضـوا بـهـا قـطـعًـا عـلـى الـقـرآن
ورذالهـــم ولـــو إشـــارات ابـــن سيـ … ـنـا حـين ولـــوا مـنـطـق الـيـونـان
وانـظـر إلى نـص الـكـتـاب مجدلا … وسـط الـعـريـن ممـزق اللحمان
بالطعن بالإجمال والإضمار والتـ … ـخصيص والـتـأويـل بالبهتان
والاشـــتراك وبـالمجاز وحـذف ما … شـــاؤوا بـدعـواهـم بـلا بـرهـان
وانـظـر إلـيـه لـيـس يـنـفـذ حكمه … بـين الخـصـوم ومـالـه مـن شـان
وانـظـر إلـيـه لـيـس يـقـبـل قوله … في الـعـلـم بـالأوصـاف للرحمن
لـكـنـما المـقـبـول حـكـم الـعـقـل لا … أحـكـامـه لا يـسـتـوي الحـكـمـان
يـبـكـي عـلـيـه أهـلـه وجـنـوده … بـدمـائـهـم ومـدامـع الأجـفـان
عـهـدوه قـدمـا لـيـس يحـكـم غيره … وسـواه مـعـزول عـن السلطان
إن غـاب نـابـت عـنـه أقـوال الرسو … ل هـمـا لهـم دون الــوري حكمان
فـأتـاهـم مـالم يـكـن في ظنهم … في حكم جنكسخان ذي الطغيان
بجـنـود تـعـطـيـل وكـفـران مـن الـ … ـمـعـقـول ثـم الآص والـعـلان
فـعـلـوا بمـلـتـه وسـنـتـه كما … فـعـلـوا بـأمـتـه مـن الـعـدوان
والله مـا انـقـادوا لجنكسخان … حتى أعـرضـوا عـن محكم القرآن
والله مـا ولـــوه إلا بـعـد عز … ل الـوحـي عـن عـلـم وعـن إيقان
عـزلـوه عـن سـلـطـانـه وهـو الـ … ـيقين المستفاد لنا من السلطان
هـذا ولم يـكـف الـذي فـعـلـوه حـ … ـتـى تمـمـوا الـكـفـران بالبهتان
جـعـلـوا الـقـران عـضـين إذ عضو … ه أنـواعًـا مـعـددة مـن النقصان
مـنـهـا انـتـفـاء خـروجـه مـن ربنا … لم يـبـد مـن رب ولا رحمـن

لكنه خلق من اللوح ابتدا ... أو جبرئيل أو الرسول الثاني
ما قاله رب السماوات العلى ... ليس الكلام بوصف ذي الغفران
تبا لهم سلبوه أكمل وصفه ... عضهوه عضه الريب[1] والكفران
هل يستوي بالله نسبته إلى ... بشر ونسبته إلى الرحمن
من أين للمخلوق عز صفاته ... الله أكبر ليس يستويان
بين الصفات وبين مخلوق كما ... بين الإله وهذه الأكوان
هذا وقد عضهوه أن نصوصه ... معزولة عن إمرة الإيقان
لكن غايتها الظنون وليته ... ظنا يكون مطابقا ببيان
لكن ظواهر لا يطابق ظنها ... ما في الحقيقة عندنا بوزان
إلا إذا ما أولت فمجازها ... بزيادة فيها أو النقصان
أو بالكناية واستعارات وتشـ ... ـبيه وأنواع المجاز الثاني
فالقطع ليس يفيده والظن منـ ... ـفيّ كذلك فانتفى الأمران
فلم الملامة إذ عزلناها وو ... لينا العقول وفكرة الأذهان
فالله يعظم في النصوص أجوركم ... يا أمة الآثار والقرآن
ماتت لدى الأقوام لا يحيونها ... أبدا ولا تحييهم لهوان

شرع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الرد على الملحدين القائلين بأن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد اليقين (ع/٢/٤٩ب) وهو المراد عندهم بالأدلة اللفظية.

وذلك أنهم قالوا: الاستدلال بكلام الله ورسوله موقوف على مقدمات ظنية مثل نقل اللغة والنحو والتصريف ونفي المجاز والإضمار والتخصيص والاشتراك

---

(١) (د) «الرب».

والنقل ومعارضة العقل للسمع وانتفاؤها مظنون، والموقوف على المظنون مظنون.

قال شيخ الإسلام في أول كتاب العقل والنقل[١]: «ذكر الرازي في أول كتابه نهاية العقول: أن الاستدلال بالسمعيات في المسائل الأصولية لا يمكن بحال، لأن الاستدلال بها موقوف على مقدمات ظنية، وعلى دفع المعارض العقلي، وأن العلم بانتفاء المعارض لا يمكن؛ إذ يجوز أن يكون في نفس الأمر دليل عقلي يناقض ما دل عليه القرآن، ولم يخطر ببال المستمع.

وقد بسطنا الكلام على ما زعمه هؤلاء من أن الاستدلال بالأدلة السمعية موقوف على مقدمات ظنية مثل نقل اللغة والنحو والتصريف ونفي المجاز والإضمار والتخصيص والاشتراك والنقل والمعارض العقلي بالسمعي[٢].

وقد كنا صنفنا في فساد هذا الكلام مصنفًا قديمًا من نحو ثلاثين سنة، وذكرنا طرفًا من بيان فساده في الكلام على المحصل وفي غير ذلك،فذاك كلام في تقرير الأدلة السمعية، وبيان أنها قد تفيد اليقين والقطع» انتهى كلامه.

قوله:

جعلوا القرآن عضين .... إلخ

العضين جمع عضة، وأصلها عضوة فعلة من عضي الشاة إذا جعلها أعضاء وأجزاء، فيكون المعنى على هذا الذي جعلوه أجزاءً متفرقة بعضه شعر وبعضه سحر، وبعضه كهانة ونحو ذلك.

---

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٢١).

(٢) كذا في (ع، د) ودرء التعارض، ولعل العبارة: «المعارض العقلي للسمعي».

ونذكر هنا ما ذكر المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١] عن المشركين، ثم نبين كيفية جعل الملحدين القرآن عضين.

روى البخاري عن ابن عباس ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١]: «قال هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه»[١].

وروي أيضًا عن ابن عباس قال: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر:٩٠] قال: «آمنوا ببعض وكفروا ببعض اليهود والنصارى»[٢].

قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك[٣].

وقال الحكم بن أبان[٤] عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١] قال: «السحر»[٥].

وقال عكرمة: «العضة السحر بلسان قريش يقول السحرة إنها الكهانة»[٦].

وقال مجاهد: «عضوه أعضاء قالوا سحر وقالوا كهانة وقالوا أساطير الأولين»[٧].

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٢٢٢).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٢٢٢).

(٣) انظر: تفسير بن كثير (٤/ ٤٦٧).

(٤) العدني أبو عيسى، وثقه النسائي، وابن معين وذكره ابن حيان في الثقات. وقال: ربما أخطأ، وإنما وقع المناكير في روايته من رواية ابنه إبراهيم عنه. وإبراهيم ضعيف. وقال في التقريب في الحكم ابن أبان: «صدوق عابد له أوهام». مات سنة (١٥٤هـ). انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٥٧٢)، والتقريب (ص٢٦١).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٧).

(٦) انظر: المصدر السابق نفسه.

(٧) انظر: المصدر السابق نفسه، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٤).

وقال عطاء: «قال بعضهم ساحر وقالوا مجنون وقالوا كاهن فذلك العضين[(١)] وكذا روي عن الضحاك وغيره».

ومعنى كلام الناظم: أن هؤلاء الملحدين جعلوا القرآن أجزاء، وتنقصوه[(٢)] أعظم النقصان، منها أنهم قالوا: لم يبدأ من الله سبحانه، وإنما (ع/٢/٥٠أ) بدأ من غيره، إما أنه خلق من اللوح المحفوظ أو أنشأه جبريل أو الرسول الثاني وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والقائلون بالكلام النفسي جعلوا بعضه كلام الله -وهو المعنى-، وبعضه كلام غيره وهو الألفاظ،فسلبوه بذلك أكمل وصفه إذ قالوا لم يتكلم الله به.

وعضهوه أيضًا: أي نقصوه بأن قالوا: إن نصوصه لا تفيد اليقين، وأي تنقص أعظم من هذا؟ نعوذ بالله من موجبات غضبه.

قوله:

منها انتفاء خروجه من ربنا ....إلخ

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه**»[(٣)]، يعني القرآن.

وقال خباب بن الأرت[(٤)]: «يا هنتاه تقرب إلى الله بما استطعت فلن تقرب إليه بشيء أحب إليه مما خرج منه»[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٧).

(٢) تحرفت في (د، ع) «ونقصوه».

(٣) سبق تخريجه.

(٤) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة التميمي، أبو يحيى، من السابقين، وله عدة أحاديث وشهد بدرًا، والمشاهد، مات بالكوفة سنة (٣٧هـ) وصلى عليه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: السير (٢/ ٣٢٣).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة له (١/ ١٤١) وأبو الفضل عبد الرحمن أحمد الرازي في فضائل القرآن وتلاواته (ص١٠٨-١٠٩) وغيرهم، من طريق جرير بن عبد الحميد عن منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف عن فروة بن نوفل به، وإسناده صحيح.

وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قرئ عليه قرآن مسيلمة الكذاب فقال: «إن هذا كلام لم يخرج من «إل»[1] يعني: رب.

۞۞۞

قال الناظم:

هـذا وقـولهـم خـلاف الحـس والـ	**ـمعقول والمنقول والبرهان**
مع كونه أيضًا خلاف الفطرة الـ	**أولى وسنة ربنا الرحمن**
فالله قد فطر العباد على التفا	**هم بالخطاب لمقصد التبيان**
كل يدل على الذي في نفسه	**بكلامه من أهل كل لسان**
فترى المخاطب قاطع بمراده	**هذا مع التقصير في الإنسان**
إذ كل لفظ غير لفظ نبينا	**هو دونه في ذا بلا نكران**

شرع الناظم في بيان بطلان قول النفاة، وأنه خلاف الحس والعقل والنقل والفطرة؛وذلك أن الله سبحانه فطر العباد على التفاهم بالخطاب،فكل يدل على الذي في نفسه بكلامه من جميع الألسنة.

قوله:

فترى المخاطب قاطع بمراده	....

(١) ذكر الطبري في تفسيره (١/ ٤٨٣) بغير إسناد و«إل» معناه: من الله، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾، و«إلّا » أي: إله. والعرب تحذف من الأسماء والأفعال أواخرها إيجازًا، واستغناءً بما بقي عما ألقي.
انظر: أدب الكاتب لابن قتيبة (ص٢١٣)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (١٠/ ٣٦٦)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣/ ٢٥٥)، لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد البغدادي المشهور بـ (الخازن) (١/ ٤٤٠) ط. دار الفكر. أي: إل جرير بن عبد الحميد عن منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف.

أي ترى المخاطب -بفتح الطاء- قاطع بمراد المخاطب -بكسر الطاء- وذلك مع التقصير في الإنسان، إذ كل لفظ غير لفظ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو دونه بغير شك، حاشا كلام الله تعالى فهو الغاية القصوى في التبيان، ولهذا قال الناظم:

حاشا كلام الله فهو الغاية الـ ... قصوى له أعلى ذرى التبيان

لم يفهم الثقلان من لفظ كما ... فهموا من الأخبار والقرآن

فهو الذي استولى على التبيان ... كاستيلائه حقًّا على الإحسان(١)

ما بعد تبيان الرسول لناظر ... إلا العمى والعيب في العميان

۞۞۞

ثم شرع الناظم في بيان أن بيان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوق كل بيان فقال:

فانظر إلى قول الرسول لسائل ... من صحبه عن رؤية الرحمن

حقا ترون إلهكم يوم اللقا ... رؤيا العيان كما يرى القمران

كالبدر ليل تمامه والشمس في ... نحر الظهيرة ما هما مثلان

بل قصده تحقيق رؤيتنا له ... فأتى بأظهر ما يرى بعيان

ونفى السحاب وذاك أمر مانع ... من رؤية القمرين في ذا الآن

فإذا أتى بالمقتضي ونفى الموا ... نع خشية التقصير في التبيان

صلى عليه الله ما هذا الذي ... يأتي به من بعد ذا التبيان

ماذا يقول القاصد التبيان يا ... أهل العمى من بعد ذا التبيان

فبأي لفظ جاءكم قلتم له ... ذا اللفظ معزول عن الإيقان

وضربتم في وجهه بعساكر ... التأويل دفعا منكم بليان

---

(١) مراد الناظم: أن القرآن هو أحسن الكلام تبيانًا، ولا يمكن لأحد أن يكون بيانه أجود من بيان القرآن. انظر: الكافية الشافية (٢/ ٦٠٢).

يعني الناظم بهذه الأبيات أن بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان.

كما روى البخاري ومسلم وغيرهما (ع/ ٢/ ٥١ب) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**» الحديث[١].

وفي الصحيحين وغيرهما أيضًا عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن ناسًا في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم، فهل تضارون في روية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس دونها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**ما تضارون في رؤية الله** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**» الحديث[٢] فهل بعد هذا البيان والإيضاح شيء.

قوله:

فإذا أتى بالمقتضى...................... ....

هو -بكسر الضاد- اسم فاعل، وهو أن ليس دون الرؤية سحاب والشمس في نحر الظهيرة،فإذا تم المقتضي حصل المقتضى، ولكن لا حيلة في أهل التحريف والتعطيل.

۞۞۞

(١) مختصر صحيح الإمام مسلم. كتاب الإيمان للدكتور عبد العزيز الهليل (ص٦٣).
(٢) مختصر مسلم كتاب الإيمان للدكتور الهليل (ص٦٤).

قال الناظم:

لو انكم والله عاملتم بذا ... أهل العلوم وكتبهم بوزان
فسدت تصانيف الوجود بأسرها ... وغدت علوم الناس ذات هوان
هذا وليسوا في بيان علومهم ... مثل الرسول ومنزل القرآن
والله لو صح الذي قد قلتم ... قطعت سبيل العلم والإيمان
فالعقل لا يهدي إلى تفصيلها ... لكن ما جاءت به الوحيان
فإذا غدا التفصيل لفظيًا ومعـ ... ـزولًا عن الإيقان والرجحان
فهناك لا علم أفادت لا ولا ... ظنًا وهذا غاية الحرمان
لو صح ذاك القول لم يحصل لنا ... قطع بقول قط من إنسان
وغدا التخاطب فاسدًا وفساده ... أصل الفساد لنوع ذا الإنسان
ما كان يحصل علمنا بشهادة ... ووصية كلا ولا إيمان
وكذلك الإقرار يصبح فاسدًا ... إذ كان محتملًا لسبع معان
وكذا عقود العالمين بأسرها ... باللفظ إذ يتخاطب الرجلان
أيسوغ للشهدا شهادتهم بها ... من غير علم منهم ببيان
إذ تلكم الألفاظ غير مفيدة ... للعلم بل للظن ذي الرجحان
بل لا يسوغ لشاهد أبدًا شها ... دته على مدلول نطق لسان
بل لا يراق دم بلفظ الكفر من ... متكلم بالظن والحسبان
بل لا يباح الفرج بالإذن الذي ... هو شرط صحته من النسوان
أيسوغ للشهداء جزمهم بأن ... رضيت بلفظ قابل لمعان
هذا وجملة ما يقال بأنه ... في ذا فساد العقل والأديان

أي لو أنكم عاملتم أهل العلوم وكتبهم بما عاملتم به الوحيين لفسدت تصانيف الناس.

وأيضًا: لو صح هذا الذي قلتموه؛ لانقطعت سبيل العلم والإيمان؛ لأن العقل لا يهدي إلى تفصيلها ولا سبيل إلى تفصيلها إلا بما جاء عن الله ورسوله.

فإذا صار التفصيل لفظيًّا وهو معزول عن اليقين فحينئذ لا تفيد علمًا ولا ظنًّا.

وأيضًا: لو صح ما قلتموه فسد التخاطب ولم يصح لنا قطع بقول من إنسان، فلا يصح لنا علم بشهادة ولا وصية ولا يمين، ولا إقرار بل لا يراق دم بلفظ كفر ولا يباح فرج بالإذن الذي هو شرط صحة النكاح من النساء، ولا يسوغ للشهداء جزمهم بأنها رضيت، إذ ذاك قابل المعاني المذكورة. بل تفسد بذلك العقول والأديان(١). ونعوذ بالله من العمى والخذلان.

۞۞۞

قال الناظم:

هــذا ومــن بـهـتـانـهـم أن اللغا	**ت أتـت بـنـقـل الـفـرد والـوحـدان**
فـانـظـر إلى الألـفـاظ في جريانها	**في هــذه الأخــبــار والــقــرآن**
اتـظـنـهـا تحـتـاج نـقـلا مـسـنـدًا	**مـتـواتـرًا أو نـقـل ذي وحـدان**
أم قـد جـرت مجـرى الـضـروريـات لا	**تحـتـاج نـقـلا وهـي ذات بـيـان**
إلا الأقــل فـإنـه يحـتـاج لـلـ	**ـنـقـل الـصـحـيـح وذاك ذو تـبـيـان**

(١) قوله: «.... والأديان» فيه تسامح، لأن جميع الأديان باطلة، لا نقر منها إلا دين الإسلام.
قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «لو قال: العقل والدين لكان أولى، ولعله يقصد بالأديان وقت صحتها» اهـ.

حاصل معنى هذه الأبيات أن المعطلة يقولون: إن اللغات أتت بنقل الآحاد وهذا تدليس وتلبيس (ع/٢/٥٣ب)؛ لأن الألفاظ من الأخبار والقرآن يفهم منها مراد المتكلم بمجرد سماعها، من غير حاجة إلى النقل، اللهم إلا الأقل كما قال الناظم، فإنه يحتاج للنقل الصحيح.

۞۞۞

قال الناظم:

ومن المصائب قول قائلهم بأن	**الله أظهر لفظه بلسان**
وخلافهم فيه كثير ظاهر	**عربي وضع ذاك أم سرياني**
وكذا اختلافهم امشتقًا يرى	**أم جامدًا قولان مشهوارن**
والأصل ماذا فيه خلف ثابت	**عند النحاة وذاك ذو الألوان**
هذا ولفظ الله أظهر لفظة	**نطق اللسان بها مدى الأزمان**
فانظر بحق الله ماذا في الذي	**قالوه من لبس ومن بهتان**
هل خالف العقلاء أن الله رب	**العالمين مدبر الأكوان**
ما فيه إجمال ولا هو موهمٌ	**نقل المجاز ولا له وضعان**
والخلف في أحوال ذاك اللفظ لا	**في وضعه لم يختلف رجلان**
وإذا هم اختلفوا بلفظة مكةٍ	**فيه لهم قولان معروفان**
أفبينهم خلف بأن مرادهم	**حرم الإله وقبلة البلدان**
وإذا هم اختلفوا بلفظة أحمدٍ	**فيه لهم قولان مذكوران**
أفبينهم خلف بأن مرادهم	**منه رسول الله ذو البرهان**
ونظير هذا ليس يحصر كثرة	**يا قوم فاستحيوا من الرحمن**
أبمثل ذا الهذيان قد عزلت نصو	**ص الوحي عن علم وعن إيقان**

فالحمد لله المعافي عبده ... مما بلاكم يا ذوي العرفان

فلأجل ذا نبذوا الكتاب وراءهم ... ومضوا على آثار كل مهان

ولأجل ذاك غدوا على السنن التي ... جاءت وأهليها ذوي أضغان

يرمونهم كذبًا بكل عظيمة ... حاشاهم من إفك ذي بهتان

أي ومن المصائب التي تلبس بها المعطلة أنهم قالوا: بأن لفظة «الله» فيها خلاف، هل هو عربي أم سرياني[(١)]؟.

وكذا فيه اختلاف هل هو مشتق أم هو جامد وأصله ماذا[(٢)]؟.

---

(١) حكى ذلك الرازي في تفسيره (١/ ١٥) محتجًّا بأن الصفات التي وصلت إلينا بعضها جاء متواترًا وبعضها آحادًا، وزعم أن بعضهم طعن في كونها متواترة، وذلك أن لفظ الجلاله «الله» مع أنها أشهر الألفاظ إلا أنهم اختلفوا فيها، فقيل: إنها عربية، وقيل: بل هي عبرية، وقيل: إنها اسم علم، وقيل: إنها من الأسماء المشتقة».
وهذا يتوافق مع ما ذكره الرازي في كتاب «محصل أفكار المتقدمين» (ص١٤٢) أن الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن عشرة أمور، وذكر منها عصمة رواة مفردات تلك الألفاظ وصحة إعرابها وتصريفها، وهذا الشرط مستحيل الوقوع، وكأنه عمد إلى التشكيك في اللغة العربية بالطعن في عربية أشهر لفظ عرفته البشرية، وتناقله رواة العرب، وورد قبل ذلك في القرآن الكريم.

(٢) اختلف أهل اللغة هل لفظ الجلالة مشتق أم غير مشتق؟ فذهب بعضهم إلى أنه اسم علم ليس بمشتق، فلا يجوز حذف الألف واللام منه كما يجوز في الرحمن والرحيم، وقال آخرون: هو مشتق، واختلفوا في اشتقاقه على أقوال، تركناها اختصارًا؛ ولأن المؤلف ساق بعضها في شرحه لمقدمة الناظم. ولكلا القولين أدلتهم، لكن الرازي وقبله السهيلي وشيخه ابن عربي نفوا الاشتقاق لا لدليل، وإنما خوفًا من أن يلزم من ذلك أن تكون له مادة اشتق منها اسمه.
فرد الناظم عليهم في بدائع الفوائد (١/ ٣٩) بما محصلته: «ولا ريب أنه إن أريد بهذا الاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل، لكن الذين قالوا بالاشتقاق مثل سيبويه والخليل بن أحمد وغيرهم ممن سماهم الرازي لم يريدوا هذا المعنى ولا ألم بقلوبهم، وإنما أرادو أنه دال على صفة له -تعالى- وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور....إلخ.
وهي قديمة بلا ريب، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء، فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه «الله»، وأيضًا: لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، =

ومع هذا فلفظ «الله» أظهر لفظة نطق اللسان بها.

فانظر أيها الناظر في هذا الكتاب ما في هذا الكلام[١] من التلبيس والبهتان.

وذلك أنه لا خلاف بين العقلاء أن «الله» اسم لرب العالمين، خالق السماوات والأرض، الذي يحيي ويميت، وهو رب كل شيء ومليكه. (ع/ ٢/ ١٥٤أ)

فهم لا يختلفون في أن هذا الاسم يراد به هذا المسمى، وهو أشهر عندهم وأعرف من كل اسم وضع لكل مسمى، وأن كان الناس متنازعين في اشتقاقه، فليس ذلك بنزاع في معناه، ولا يتطرق إلى ذلك إجمال ولا مجاز، ومن غير نظر إلى أنه عربي أم سرياني، وهل هو مشتق أم جامد فإن هذا خلاف في أحوال اللفظ لا في وضعه.

ثم ضرب الناظم لذلك مثلًا فقال:

وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة .... إلخ

وفيه لهم قولان[٢]، فليس بينهم خلاف بأن مرادهم حرم الله، وقبلة المسلمين

=لا أنها متولدة فيها تولد الفرع من أصله، وتسمية النحاه للمصدر والمشتق منه «أصلًا وفرعًا» ليس معناه: أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة».
وانظر: الكافية الشافية (٢/ ٦٠٨) - عالم الفوائد.

(١) هكذا في (د، ع)، ولعل عبارة «ما في هذا الكتاب...» زيادة مقحمة من الناسخ؛ لأن ماقبلها يستقيم بما بعدها، والله أعلم.

(٢) اختلف أهل اللغة في أصل مكة على أقوال:
١- منهم من قال: أنها مشتقة من تمككت العظم إذا أخرجت مخه، وتسميتها بذلك لأنها كانت تمك من ظلم بها.
٢- ومنهم من قال: سميت بذلك لقلة مائها، وذلك أنهم يمتكون الماء فيها أي يستخرجونه.
٣- وقيل: سميت بذلك لأنها وسط الأرض كالمخ الذي هو أصل ما في العظم.
انظر: لسان العرب (١/ ٢٦٣)، القاموس (ص١٢٣١)، جمهرة اللغة (١/ ١٦٦)، والمخصص لابن سيده (١/ ٥٢).
ومراد الناظم والشارح: أن الخلاف في أصل الاسم لا يغير من دلالته على المعنى شيئًا.

ونظير هذا إذا اختلفوا بلفظة أحمد، ولهم في ذلك قولان[1]، فليس بينهم خلاف[2] بأن مرادهم منه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ونظائر هذا لا تحصى.

أفبمثل هذا الهذيان تعزل نصوص الكتاب والسنة عن إفادة اليقين، ثم حمد الله على المعافاة مما ابتلاهم به من المحنة، وخلاف نصوص الكتاب والسنة.

---

(١) اختلفوا في اسم أحمد هل هو بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول. قال الناظم في جلاء الأفهام (ص١٩٣): «سمي محمدًا وأحمد، لأنه يحمد غيره، وأفضل مما يحمد غيره، فالاسمان واقعان على المفعول وهو المختار، وذلك أبلغ في مدحه وأتم معنى، ولو أريد به معنى الفاعل لسمي «الحماد» وهو كثير الحمد كما سمي «محمدًا» وهو المحمود كثيرًا.

انظر: الأنجم الزاهرات لشمس الدين محمد بن عثمان المارديني (١/ ٧٢).

(٢) في (ع، د) «خلف»، وهو تصحيف.

فصل
في تنزيه أهل الحديث والشريعة عن الألقاب القبيحة الشنيعة

فرموهم بغيًا بما الرامي به أولى ليدفع عنه فعل الجاني
يرمي البريء بما جناه مباهتًا ولذاك عند الغر يشتبهان
سموهم حشوية ونوابتًا ومجسمين وعابدي أوثان
وكذاك أعداء الرسول وصحبه وهم الروافض أخبث الحيوان
نصبوا العداوة للصحابة ثم سمـ ـوا بالنواصب شيعة الرحمن
وكذا المعطل شبه الرحمن بالـ ـمعدوم فاجتمعت له الوصفان
وكذاك شبه قوله بكلامنا حتى نفاه وذان تشبيهان
وكذاك شبه وصفه بصفاتنا حتى نفاها عنه بالبهتان
وأتى إلى وصف الرسول لربه سماه تشبيهًا فيا إخوان
بالله من أولى بهذا الاسم من هذا الخبيث المخبث الشيطان
إن كان تشبيهًا ثبوت صفاته سبحانه فبأكمل ذي شان
لكن نفي صفاته تشبيهه بالجامدات وكل ذي نقصان
بل بالذي هو غير شيء وهو معـ ـدوم وإن يفرض ففي الأذهان
فمن المشبه بالحقيقة أنتم أم مثبت الأوصاف للرحمن

أي: أن المعطلة رموا أهل الحديث بألقاب قبيحة شنيعة، ولقبوهم بما هم أولى

به -أعني النفاة- (ع/ ٢/ ٥٥ب)، فسموهم حشوية ونوابت[١]، ومجسمة وعباد أوثان، وقد تقدم معنى ذلك.

وكذاك الروافض أعداء الرسول وصحبه،نصبوا العداوة للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ثم سموا أهل السنة نواصب!!.

وكذلك المعطلة شبهوا الله تعالى بالمعدوم، ولم يفهموا من صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله إلا التشبيه، فنفوا ذلك ثم شبهوا الله تعالى بالمعدوم، فجمعوا الوصفين شبهوا أولًا ثم عطلوا ثانيًا وسموا أهل الحديث أيضًا مشبهة وهم قد شبهوا الله تعالى وتقدس بالجامدات وكل ذي نقص بل شبهوه بالمعدوم.

فيقول الناظم: «فمن الذي أولى بهذا الاسم» يعني التشبيه أنتم أم المثبتة وحاشا المثبتة، فهم أولى بالله ورسوله، وقولهم هو الحق الذي دل عليه النقل الصحيح والعقل الصريح.

---

(١) نوابت: بمعنى أن أهل السنة يشبهون الأشياء الصغيرة، أي أنهم صغار في العلم والمعرفة كصغار النوابت من الأعشاب التي لم تكتمل قوتها ونضجها. أو أنهم نوابت شر، نبتوا في الإسلام مبتدعين فيه مغيرين له؛ وهذا يدل على تكبر أهل البدع واحتقارهم لأهل السنة، وإذا كان أهل السنة - الذين بنوا عقيدتهم وعلومهم الشرعية على أساس الكتاب والسنة - نوابت؟ فهنيئًا لكم أيها المعطلة!! انظر: مدارج السالكين (٢/ ٨٧).

فصل

في نكتة بديعة تبين ميراث الملقبين والملقبين من المشركين والموحدين[1]

هـذا وثـم لـطـيـفـة عـجـب سـأبـ ـديـهـا لـكـم يـا مـعـشـر الإخـوان
فـاسـمـع فـذاك مـعـطـل ومشبه واعـقـل فـذاك حـقـيـقـة الإنـسـان
لا بـد أن يـرث الـرسـول وضـده في الـنـاس طـائـفـتـان مختلفتان
فـالـوارثـون لـه عـلـى منهاجه والـوارثـون لـضـده فـئـتـان
إحـداهـمـا حـرب لـه ولحـزبـه مـا عـنـدهـم في ذاك مـن كـتـمان
فـرمـوه مـن ألـقـابـهـم بعظائم هـم أهـلـهـا لا خـيـرة الـرحمـن
فـأتـى الألى ورثـوهـم فـرمـوا بها وراثـه بـالـبـغـي والـعـدوان
هـذا يحـقـق إرث كـل منهما فـاسـمـع وعـه يـا مـن لـه أذنـان
والآخـرون أولـو الـنـفـاق فأضمروا شـيـئًـا وقـالـوا غـيـره بـلـسـان
وكـذا المـعـطـل مـضـمـر تعطيله قـد أظـهـر الـتـنـزيـه لـلـرحمـن
هـذي مـواريـث الـعـبـاد تقسمت بـين الـطـوائـف قـسـمـة المـنـان

أي من المعلوم أنه لا بد أن يرث الرسول ﷺ وضده طائفتان إحداهما حرب له أي محارب له ولدينه والثانية ورثته وأتباع سنته.

❁ قوله:

فـرمـوه مـن ألـقـابـهـم بعظائم .... إلخ

(١) في هامش (ع): «الملقبين الأولى بفتح القاف والثانية بكسرها».

أي أن أعداء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين في وقته رموه بعظائم، كقولهم: ساحر ومجنون كذاب ومفتر مذمم، وكذا ورثة أعدائه رموا به وُرَّاثَهُ بغيًا وعدوانًا، وهذا يحقق إرث كل منهما.

قوله: «فاسمع وعه......» فعل أمر من الوعي، وأتى بهاء السكت لاستجلاب النطق بالساكن، أي أن المنافقين أضمروا النفاق وأظهروا غيره، وكذا المعطل أظهر التنزيه وأضمر غيره، والله أعلم (ع/ ٢/ ٥٦أ).

۞۞۞

قال الناظم:

هذا وثم لطيفة أخرى بها ... سلوان من قد سب بالبهتان

تجد المعطل لاعنًا لمجسم ... ومشبه لله بالإنسان

والله يصرف ذاك عن أهل الهدى ... كمحمد ومذمم اسمان

هم يشتمون مذمما ومحمد ... عن شتمهم في معزل وصيان

صان الإله محمدا عن شتمهم ... في اللفظ والمعنى هما صنوان[1]

كصيانة الأتباع عن شتم المعـ ... ـطل للمشبه هكذا الإرثان

والسب مرجعه عليهم إذ هم ... أهل لكل مذمة وهوان

وكذا المعطل يلعن اسم مشبه ... واسم الموحد في حمى الرحمن

هذي حسان عرائس زفت لكم ... ولدى المعطل هن غير حسان

والعلم يدخل قلب كل موفق ... من غير بواب ولا استئذان

ويرده المحروم من خذلانه ... لاتشقنا اللهم بالحرمان

---

(١) في هامش (ع): «صوفان» وأشار بعلامة (صح).

يا فرقة نفت الإله وقوله ... وعلوه بالجحد والكفران
موتوا بغيظكم فربي عالم ... بسرائر منكم وخبث جنان
فالله ناصر دينه وكتابه ... ورسوله بالعلم والسلطان
والحق ركن لا يقوم لهدِّه ... أحد ولو جمعت له الثقلان
توبوا إلى الرحمن من تعطيلكم ... فالرب يقبل توبة الندمان
من تاب منكم فالجنان مصيره ... أو مات جهميًّا ففي النيران

مضمون هذه اللطيفة التي أبداها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: أن المعطلة دائمًا يلعنون المجسمة والمشبهة، والله يصرف ذلك عن أهل الهدى والسنة، المتبعين لما أثبت الله ورسوله من صفات الله تعالى بغير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل.

وكذلك كانت حال قريش مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يشتمون اسم مذمم، يعنون بذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم يسمونه مذممًا، وهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في معزل عن سبهم وصيانة من الله تعالى، ففي هذا تسلية للسلف وأتباعهم؛ لأن السب يرجع إلى المعطلة؛ لأنهم أهل كل مذمة وهوان، وكذا المعطل يلعن اسم مشبه، واسم الموحد في حمى الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال ابن إسحاق في سيرته(١): «وكانت قريش إنما تسمي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مذممًا ثم يسبونه، فكان (ع/٢/٥٧ب) رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ألا تعجبون لما يصرف الله عني من قريش يسبون ويهجون مذممًا وأنا محمد**»(٢).

---

(١) كما نقله عنه ابن هشام في سيرته (٢/ ٢٠١).
(٢) في هامش (ع) بخط المؤلف «بلغ...» والحديث أخرجه البخاري (٤/ ١٦٢).

فصل

في بيان اقتضاء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن جميع ديانات الأنبياء

واسمع وعه سرًا عجيبًا كان مكـ ـتومًا من الأقوام منذ زمان
فأذعته بعد اللتيا والتي نصحًا وخوف معرة الكتمان
جيم وجيم ثم جيم معهما مقرونة مع أحرف بوزان
فيها لدى الأقوام طلسم متى تحلله تحلل ذروة العرفان
فإذا رأيت الثور فيه تقارن الـ ـجيمات بالتثليث شر قران
دلت على أن النحوس جميعها سهم الذي قد فاز بالخذلان
جبر وإرجاء ثم جيم تجهم فتأمل المجموع في الميزان

قوله: «بعد اللتيا والتي....» هما من أسماء الدواهي، واللتيا أصغر من التي، وهي في الأصل تصغيرها، ثم هما من الأسماء الموصولة، وحذفت صلتها؛ وذلك في عظم الأمر وشدته، كأنه قال: كفيته التي عظمت شدتها وتناهت بليتها، وكأنه يريد باللتيا: صغار المغارم أي غرمها في ماله وبالتي عظامها كالدم يعقله عن القاتل ونحوه(١).

قوله:

جيم وجيم .... إلخ

أي تلك الجيمات مقرونة مع أحرف أي جبر وإرجاء وتجهم.

(١) خزانة الأدب للبغدادي (٨/ ٤٥)، والدواهي: هي المصائب، وقد ذكر أبو منصور الثعالبي في كتابه فقه اللغة (١/ ٧٠): «أن حمزة جمع من أسماء الدواهي مايزيد على أربعمائة، فإن للداهية ما لا يحصى من الأسماء، حتى قيل: أسماء الدواهي من الدواهي».

قوله:

.........طـلـسـم.............   ....

هو واحد الطلاسم، وهي أسماء مخصوصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب في أجسام مخصوصة كالمعارف وغيرها مع قوة نفس صالحة لهذا العمل، فتحدث عندها أحكام مخصوصة كما زعم أربابه(١).

قوله:

فــإذا رأيـــت الـــثـــور........   ....

فيه تقارن الجيات بالتثليث، هذا شيء عند المنجمين يسمى بالتثليث والتربيع، ويسمونه النصبة.

أي إذا تقارنت الجيات الثلاث في برج الثور(٢) وهو أحد البروج الإثني عشر المذكورة في قوله:

---

(١) الطلاسم: هي العلم بكيفية التأثير في العناصر المختلفة باستخدام المعرفة بأحوال تفاعل القوى الخفيه السماوية بالقوى الأرضية باستخدام أبخرة مقوية تجلب روحانيات الطلسم، وذلك من أجل الحصول على أفعال غريبة أو التأثير في بعض النواحي وإفسادها. وقال بعضهم: الطلسم: هو عباره عن نقش أسماء خاصه لها تعلق بالأفلاك والكواكب ـ على زعم أهلها ـ في جسم من المعادن أو غيرها تحدث به خاصية ربطت في مجال العادات، ولابد مع ذلك من نفس صالحة لهذه الأعمال، فإن بعض النفوس لا تجري الخاصية المذكوره على يده.
وهذا النوع من السحر يحصل في الغالب إما من محتال ذكي مع مغفل، فنتيجة تصديقه يحصل الشعور النفسي بتأثيره، وإما من علاقة بالشياطين، وإنما يستعمل هذا الطلسم لإخفاء ضلالته وكفره. وكلاهما محرم، فالأول كذب وغش، والثاني شرك ظاهر من فاعله.
انظر: أضواء البيان (٤/ ٤٥٣).

(٢) هذه اصطلاحات يعبر بها عن مواقع النجوم التي تحدث وفق خمس تشكيلات رئيسة، هي: أولًا الاقتران، ويسمى المقارنة أو الاجتماع ثم تأتي بعد ذلك الإنظار والاتصالات الأربعة والتي إذا ضممناها للأول كونت خمس تشكيلات وهي: =

= - الاستقبال: وذلك إذا كان الكوكبان على استقامه واحده، بمعنى أن بينهما (١٨٠) درجة.
- والتسديس: إذا كانت بين الكوكبين (٦٠) درجة من الطول.
- التربيع: إذا كان بينهما (٩٠) درجة.
- والتثليث: إذا كان بين بينهما (١٢٠) درجة.

والمنجمون زعموا أن الخير والشر والإعطاء والمنع الذي يكون في العالم هو بتأثير الكواكب، وبحسب السعود منها والنحوس، وعلى حسب كونها من البروج الموافقه والمنافرة لها، وعلى حسب نظر بعضها إلى بعض من التسديس والتربيع والتثليث والمقابلة، وعلى حسب محاسدة بعضها بعضًا، وعلى حسب كونها في شرفها وهبوطها ووبالها.

إذا تقرر ذلك فإنك إذا رأيت برج الثور -وهو أحد البروج الاثني عشر التي تقاطعها الشمس في حركتها الظاهرية جنوبي مدار السرطان في فصل الربيع- تتقارن فيه الجيمات، بمعنى أن تتقابل فيه الكواكب التي تكون في هذا الفصل بزاوية (٩٠) درجه أو (١٢٠) درجة.

فاعلم بأن الخذلان وعدم التوفيق ستكون لمن هذا برجه، وهذا شيء يعرفه المنجمون -بزعمهم-، فإن لكل أحد برجًا معينًا يعرف عن طريق عدد أحرف الاسم الرباعي كاملًا، ثم تقسم على العدد (١٢) ونتيجة باقي القسمة هو برج الرجل المعين؛ لأن الأبراج الاثني عشر متسلسلة.

وهذا شيء من فعل الجاهلية وفيه ادعاء لعلم الغيب، وأمور كثيرة تخالف اعتقاد المسلم.

والناظم رَحِمَهُ اللَّهُ على اطلاع تام بهذا العلم، وقد تكلم عن ذلك بها لا مزيد عليه في كتابه العظيم «مفتاح دار السعادة» وبين بطلانه، وناقش أدلة المجيزين لهذا العلم بالبراهين الواضحة، والأدلة الساطعة مؤيدًا ذلك بنصوص من الكتاب والسنة.

ومراد الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى هو أن هناك ثلاث جيمات في ثلاث كلمات، وهي الجبر والإرجاء والتجهم، فمن اجتمعت فيه هذه الثلاث،فقد جمع الشر كله، وباء بالخذلان إن مات على هذا الاعتقاد الفاسد، ومعلوم أن التجهم يقوم في أبواب القدر على الجبر، وفي أبواب الإيمان على الإرجاء، ويدخل في ذلك المرجئة الخالصة، والأشاعرة وهم المرجئة المتوسطة ومرجئة الفقهاء، غير أن الجمعية الخالصة والأشاعرة اشتركوا في الثلاث: نفي الصفات، وبدعة الجبر، وبدعة الإرجاء، والجهمية الخالصة أخذت بالنصيب الأكبر وهم كفَّار بالإجماع. والمؤلف يقصد أن من اجتمعت فيه تلك الجيمات فإن حاله يشبه حال الجيمات التي إذا اجتمعت في برج الثور، فاحكم لمن حصل له ذلك بالخذلان وعدم التوفيق. انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ١٥٠) مكانة الفلك والتنجيم لعبد الأمير مؤمن (ص٢٥).

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمت عقرب بالقوس جديا فملا الدلو بركة الحيتان

يقول الناظم إذا حصل هذا القران في البرج المذكور فاحكم لمن حصل له هذا الطالع بخلاصه من ربقه الإيمان.

ثم شرع الناظم في بيان كيفية الخروج عن جميع ديانات الأنبياء لمن حصلت له هذه الجيمات فقال:

فاحكم بطالعها لمن حصلت له بخلاصه من ربقة الإيمان
فاحمل على الأقدار ذنبك كله حمل الجذوع على قوى الجدران
وافتح لنفسك باب عذرك إذ ترى الأفعال فعل الخالق الديان
فالجبر يشهدك الذنوب جميعها مثل ارتعاش الشيخ ذي الرجفان
لا فاعل أبدًا ولا هو قادر كالميت أُدرج داخل الأكفان
والأمر والنهي اللذان توجها فهما كأمر العبد بالطيران
وكأمره الأعمى بنقط مصاحفٍ أو شكلها حذرًا من الألحان

وهذه جيم الجبر؛ لأن [الذي][1] عند الجبرية: أن العباد (ع/ ٢/ ١٥٨أ) مجبورون على أفعالهم وأنها مثل ارتعاش المرتعش أو كالميت يدرج في الأكفان، وكأمر الأعمى بنقط المصاحف أو شكلها[2].

۞۞۞

قوله:

وإذا ارتفعت دريجة أخرى رأيـ ـت الكل طاعات بلا عصيان

(١) زيادة لابد منها.
(٢) انظر: درء التعارض (١/ ٦٥)، ومجموع الفتاوى (٣/ ٣٢٢).

إن قيل قد خالفت أمر الشرع قل لكن أطعت إرادة الرحمن
ومطيع أمر الله مثل مطيع ما يقضي به وكلاهما عبدان
عبد الأوامر مثل عبد مشيئةٍ عند المحقق ليس يفترقان
فانظر إلى ما قادت الجيم التي للجبر من كفر ومن بهتان

أي إذا ارتفع الجبري درجة أخرى، رأى الكل طاعات.

وفي هذه الحال يقول قائلهم:

أصبحت منفعلًا لما تختاره مني ففعلي كله طاعات[١]

ويقول إن خالفت الشرع فقد أطعت القدر والإرادة، ومطيع الأمر مثل مطيع القضاء، وعبد الأمر مثل عبد المشيئة، ونحو ذلك[٢].

قوله: «عند المحقق...» أي بزعمهم فهذا ما قادته جيم الجبر من الكفر والبهتان.

۞۞۞

(١) نسبه شيخ الإسلام لأحمد بن سليمان كما في مجمع الفتاوى (٨/ ٢٥٧) وهو شاعر صوفي تقدم الكلام عنه. وانظر: طريق الهجرتين (١/ ٥٣) (١/ ٣٦٠)، شفاء العليل (ص١٥)، الرد على القائلين بوحدة الجود لملا علي قاري (ص٥٠).

(٢) قال ابن القيم في طريق الهجرتين (١/ ٤٥٣): «وبلغ الجهل والكفر ببعض هؤلاء إلى حد بحيث إذا فعل محظورًا يزعم أنه مطيع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويقول: أنا مطيع لإرادته، ومعلوم أن هذا مخالف لما أرسل الله به رسله وأنزل كتبه، لأن المعصية التي يستحق عليها صاحبها الذم والعقاب هي مخالفة أمر الله ورسوله كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية......».

إلى أن قال (١/ ٤٥٣): «وسمعت شيخ الإسلام يقول: قال لي بعض شيوخ هؤلاء: المحبة نار تحرق من القلب ماسوى مراد المحبوب، والكون كله مراده، فأي شيء أبغض؟ فقلت له: فإذا كان هذا المحبوب قد أبغض بعض مافي الكون، فابغض قومًا ومقتهم ولعنهم وعاداهم، وأحببتهم أنت وواليتهم تكون مواليًا للمحبوب موافقًا له أومخالفًا له معاديًا له؟! قال: فكأنما ألقم حجرًا».

وكذلك الإرجاء حين تقر بالـ ـمعبود تصبح كامل الإيمان[١]
فارم المصاحف في الحشوش وخرب البيت العتيق وجد في العصيان
واقتل إذا ما اسطعت كل موحد وتمسحن بالقس والصلبان
واشتم جميع المرسلين ومن أتوا من عنده جهرًا بلا كتمان
وإذا رأيت حجارة فاسجد لها بل خر للأصنام والأوثان
وأقر أن الله جل جلاله هو وحده البادي لذي الأكوان
وأقر أن رسوله حقًّا أتى من عنده بالوحي والقرآن
فتكون حقًّا مؤمنًا وجميع ذا وزر عليك وليس بالكفران
هذا هو الإرجاء عند غلاتهم من كل جهمي أخي الشيطان
فأضف إلى الجيمين جيم تجهم وانف الصفات وألق بالأرسان
قل ليس فوق العرش رب عالم بسرائر منا ولا إعلان
بل ليس فوق العرش ذو سمع ولا بصر ولا عدل ولا إحسان
بل ليس فوق العرش معبود سوى العدم الذي لا شيء في الأعيان
بل ليس فوق العرش من متكلم بأوامر وزواجر وقرآن
كلا ولا كلم إليه صاعد أبدا ولا عمل لذي شكران
إني وحظ العرش منه كحظ ما تحت الثرى عند الحضيض الداني
بل نسبة الرحمن عند فريقهم للعرش نسبته إلى البنيان
فعليهما استولى جميعًا قدرة وكلاهما من ذاته خلوان
هذا الذي أعطته جيم تجهم حشوًا بلا كيل ولا ميزان

---

(١) قال شيخنا عبد العزيز الراجحي: «الإيمان هو المعرفة عند الجهمية -المرجئة- فلو جاء بكل رده، فهو مؤمن، لأنه قد أقرَّ بالله» اهـ.

تالله ما استجمعن عند معطل جيماتها ولديه من إيمان

شرع الناظم في بيان ما تقضيه جيم الإرجاء (ع/٢/٥٩ب) وهو أن عندهم إذا أقر الإنسان بأن الله وحده هو الخالق وأن رسوله حق أتى من عند الله فهذا هو الإيمان عندهم وإن فعل ما فعل فهو ذنب ووزر وليس بكفر[1].

قوله:

فارم المصاحف في الحشوش وخرب البيت العتيق ....

واقتل إن استطعت الموحدين، واشتم جميع المرسلين واسجد للأصنام، ولا يضرك ذلك؛ إذا أقررت بأن الله الخالق وأن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق.

فهذا هو الإرجاء عند غلاة الجهمية.

قوله:

فأضف إلى الجيمين جيم تجهم ....

---

(١) هذا القول هو قول غلاة الجهمية من المرجئة كما يدل عليه سياق الأبيات، وهم الذين أخرجوا أعمال الجوارح وأعمال القلوب من الإيمان، ومنهم من لم يخرج إلا أعمال الجوارح، وهم أكثر المرجئة.

والمرجئة ثلاثة أصناف:

١- صنف هم هؤلاء الذين ذكرناهم، وقولهم من أخبث الأقوال، لأنهم قاسوا الإيمان بالكفر، فقالوا: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

٢- وصنف آخر يقولون: الإيمان هو مجرد قول اللسان، وهو قول الكرامية.

٣- والصنف الثالث: يقولون: الإيمان تصديق القلب وقول اللسان وأخرجوا الأعمال الظاهرة من مسمى الإيمان، وزعموا أن العمل شرط كمال لا شرط صحة، مع اتفاقهم مع أهل السنة على أن تارك العمل مذموم مستحق للعقاب، وهؤلاء هم مرجئة الفقهاء وقولهم فتح بابًا كبيرًا لأهل البدع، وقول المؤلف: (إذا أقر الإنسان...) إلخ إنما قصد هنا التصديق، وإلا فإن جمهور المرجئة وغلا تهم قالوا: الإيمان هو التصديق بلا إقرار. انظر: زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق العباد (ص٢٦)، جامع شروح الطحاوية (١/ ٨١٠).

وهذه الجيم تقتضي نفي الصفات، وأن الله سبحانه ليس فوق العرش بل ليس فوق العرش معبود سوى العدم، وليس فوق العرش رب متكلم ولا يصعد إليه شيء ولا ينزل من عنده شيء، بل نسبة الرحمن عندهم للعرش والحضيض التحتاني سواء، وهو سبحانه قد استولى عليهما بالقدرة. فهذا الذي أعطته جيم التجهم.

ثم أقسم الناظم أن من اجتمعت له هذه الجيمات الثلاث فقد خلص من ربقة الإيمان ثم قال:

والجهم أصَّلها جميعًا فاغتدت	**مقسومة في الناس بالميزان**
والوارثون له على التحقيق هم	**أصحابها لا شيعة الإيمان**
لكن تقسمت الطوائف قوله	**ذو السهم والسهمين والسُهمان**
لكن نجا أهل الحديث المحض أتـ	**ـباع الرسول وتابعوا القرآن**
عرفوا الذي قد قال مع علم بما	**قال الرسول فهم أولو العرفان**
وسواهم في الجهل والدعوى	**مع الكبر العظيم وكثرة الهذيان**
مدوا يدًا نحو العلى بتكـ	**ـلفٍ وتخلف وتكبر وتوان(١)**
أترى ينالوها وهذا شأنهم	**حاشا العلى من ذا الزبون الفاني**

قوله:

والجهم أصَّلها................ ....

بفتح الهمزة وتشديد الصاد: أي أسسها، ولكن (ع/٢/٦٠) تقاسمها الناس،

---

(١) قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «أراد -الناظم- أن يكونوا من العلماء بالتخلف والتكلف والتكبر». اهـ.

وهذا لا يمكن، ولهذا قال الناظم بعدها:

أترى ينالوها وهذا شأنهم ... حاشا العلى من ذا الزبون الفاني

فبعضهم أخذ سهمًا وبعضهم سهمين، وبعضهم أخذ السهام الثلاثة نعوذ بالله من ذلك[(١)].

والسُهمان -بضم السين- جمع سهم ولم ينج من هذه الجيهات إلا أهل الحديث المحض الذين تبعوا القرآن والرسول، وعضوا على سنته بالنواجذ والحمد لله على الإسلام والسنة.

(١) الجبر والإرجاء والتعطيل هي أصول الجهمية، وقد تفرقت تلك الضلالات على أكثر الفرق التي جاءت بعد الجهمية، مع أن فرقة المعتزلة كانت قبل الجهمية،لا أنها أخذت عنها التعطيل، وكذلك الأشاعرة أكثر أصولهم جهمية، ويرى شيخنا الراجحي أن أكثر أصول الجهمية ذكرها الرازي في كتابه أساس التقديس الذي نقضه شيخ الإسلام في كتابه بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، بل إن الفلاسفة أخذوا بعض أصولهم من الجهمية والمعتزلة، وكل هؤلاء الذين ذكرناهم نفاة للصفات معطلة تبعًا للجهمية، وقد صح عن كثيرين من السلف تسمية كل من ينفي الصفات جهميًّا، وذكر شيخ الإسلام في أكثر من موضع من كتابه أن المعتزلة مخانيث الجهمية، والأشاعرة مخانيث المعتزلة.
انظر: درء التعارض (٥/ ١٧٥) (٤/ ٢١٨)، مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٦)، (١١/ ٢٢٨) (١٥/ ٢٢١) (١٧/ ٣٠٠)، الحسنة والسيئة لابن تيمية (ص١٠٤)، الكافية الشافية (٢/ ٦١٩).

فصل

في جواب الرب تبارك وتعالى يوم القيامة إذا سئل المعطل والمثبت عن قول كل واحد منهما

وسل المعطل ما تقول إذا أتى ... فئتان عند الله تختصمان
إحداهما حكمت على معبودها ... بعقولها وبفكرة الأذهان
سمته معقولًا وقالت إنه ... أولى من المنصوص بالبرهان
والنص قطعًا لا يفيد فنحن ... أولنا وفوضنا لنا قولان
قالت وقلنا فيك لست بداخل ... فينا ولست بخارج الأكوان
والعرش أخليناه منك فلست فو ... ق العرش لست بقابل لمكان
وكذاك لست بقائل القرآن بل ... قد قاله بشر عظيم الشان
ونسبته حقًّا إليك بنسبة ... التشريف تعظيمًا لذي القرآن
وكذاك قلنا لست تنزل في الدجى ... إن النزول صفات ذي الجثمان
وكذاك قلنا لست ذا وجه ولا ... سمع ولا بصر فكيف يدان
وكذاك قلنا لا ترى في هذه ... الدنيا ولا يوم المعاد الثاني
وكذاك قلنا ما لفعلك حكمة ... من أجلها خصصته بزمان
ما ثم غير مشيئة قد رجحت ... مثلا على مثل بلا رجحان
لكن منا من يقول بحكمةٍ ... ليست بوصف قام بالرحمن
هذا وقلنا ما اقتضته عقولنا ... وعقول أشياخ ذوي عرفان
قالوا لنا لا تأخذوا بظواهر ... الوحيين تنسلخوا من الإيمان

بل فكروا بعقولكم إن شئتم ... أو فاقبلوا آراء عقل فلان
فلأجل هذا لم نحكم لفظ ... آثار ولا خبر ولا قرآن
إذ كل تلك أدلة لفظية ... معزولة عن مقتضى البرهان(١)

(١) الشارح أدرج شرح هذا الفصل في الذي بعده مختصرًا، فأحببنا التفصيل فيه فنقول:
قوله: «وسل المعطلة...» إلخ يصور لنا الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الأبيات الجميلة مشهدًا من مشاهد يوم القيامة حين يجمع الله تعالى المتخاصمين فيه ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.
يقول الناظم لقارئ هذا النظم:
سل هذا المعطل حينما تجتمع عند الله تعالى فئتان إحداهما: فئة التعطيل التي كذبت على ربها، وزعمت أن أدلة العقل مقدمة على النقل؛ لأن أدلة النقل ظواهر مظنونة،يتطرق إليها الاحتمال، أما أدلة العقل فهي العمدة لأنها أدلة قاطعة، ولهذا إذا تعارضت الظواهر النقلية مع القواطع العقليه فلا بد أن تؤول الظواهر النقلية أو تفوض، فإن غاية ماينتهي إليه هؤلاء إما التأويل أو التفويض، فبماذا يجيب هؤلاء المعطلة عن هذه الأمور؟وبماذا يجيب هؤلاء يوم القيامة أمام ربهم عن قولهم عنه بأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وأنه ليس فوق عرشه، بل العرش خال منه، وأنه لا يجوز عليه المكان لأنه من خصائص الأجسام، وأنه ليس هو المتكلم بالقرآن، إذ لا يجوز عليه الحرف والصوت،بل إن نسبة القرآن ليست نسبة صفة إلى موصوف؛لأن القرآن مخلوق، بل نسبته إلى الله تعالى إنما هي نسبة تعظيم وتشريف كما يقال: بيت الله وناقة الله.
وكيف يجيب هؤلاء أيضًا: أنه لا ينزل إلى السماء الدنيا -مع صحة الحديث بذلك- لأن النزول من صفات الأجسام، وبأنه ليس له وجه ولا سمع ولا بصر، ومن باب أولى أن لا تكون له يدان، وبأن رؤيته بالأبصار مستحيلة في الدنيا والآخرة، إذ لا جهة له ولا مكان كذلك، فلا تمكن رؤيته، وكذلك كيف يجيب هؤلاء: عن قولهم بأنه ليس لأفعاله حكمة من أجلها خلق الخلق، وقد ذهبت الجبرية الجهمية والأشاعرة إلى أن أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض والغايات، بل إنه سبحانه يفعل بمحض المشيئة والإرادة، وأفعاله لا تتوقف على الحكم، ليس إلا مجرد مشيئة ترجح أحد المتساويين بلا مرجح.
أما المعتزلة فيثبتون الحكمة لا على أنها صفة لله تعالى،بل هي مخلوقة منفصلة عنه مرجعها إلى الإحسان.
ويجيب هؤلاء المعطلة عن كل ما ذكر: بأننا إنما حكمنا عقولنا في ذلك، وكذلك ما أخذناه عن شيوخنا الذين كنا نظن فيهم التحقيق والعرفان، وقد كانوا يحذروننا من الأخذ بظواهر النصوص، ويرون أن ذلك كفر وخروج عن الإيمان؛ لأن ظواهر تلك النصوص لا تدل إلا على التجسيم والتشبيه وغير ذلك مما هو تنقص للباري بزعمهم. =

= والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إنما انتقل هنا إلى أسلوب الوعظ استنادًا للآية: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ فقد حاول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الانتقال مع المعطلة النفاة بكل أسلوب، فإن بعضهم ينقاد بالحكمة وبعضهم بالوعظ وبعضهم بالجدال بالتي هي أحسن، وهذا يبين لنا كدعاة ومصلحين ألا نيأس من دعوة أهل الباطل، بل ندعوهم إلى الحق بكل أسلوب لايخالف الشرع وليس فيه تنازل عن الثوابت؛ لأن أهل الباطل منهم المعاند ومنهم الجاهل، ومنهم أصحاب الهوى، فلكلٍّ ما يناسبه.

انظر: درء التعارض (١/ ٢٠١)، وأساس التقديس للرازي (ص٨٧-٨٩) ط. مؤسسة الكتب الثقافية، وأصول الدين للبغدادي (ص٩٦)، ومقالات الإسلاميين (١/ ٢٩٠)، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص٢٢٨)، والأربعين للرازي (١/ ٣٥٠)، وشرح النونية لخليل هراس (١/ ٤١٣)، والكافية الشافية (٢/ ٦٢٠).

فصل

والآخـــــرون أتـــوا بمــا قــد قــالــه من غـير تحـريـف ولا كتمان
قــالــوا تـلـقـيـنـا عـقـيـدتـنـا عن الـوحـيـين بـالأخـبـار والـقـرآن
فالحكم مـا حكمـا بـه لا رأي أهل الإخـتـلاف وظـن ذي الحسبان
آراؤهـــم أحـــداث هـــذا الـديـن نا قـضـة لأصـل طـهـارة الإيـمـان
آراؤهـــم ريـح المقـاعـد أيـن تلك الـريـح مـن روح ومـن ريحـان
قــالـوا وأنــت رقـيـبـنـا وشهيدنا من فـوق عـرشـك يـا عظيم الشان
إنــا أبـيـنـا أن نـديـن ببـدعـةٍ وضـلالـة أو إفـك ذي بـهـتـان
لـكـن بمـا قـد قـلـتـه أو قـالـه مـن قـد أتـانـا عنـك بـالـفـرقـان
وكـذاك فـارقـنـاهـم حـين احتياج الـنـاس لـلأنـصـار والأعــوان
كـيـلا نـصـير مـصـيرهـم في يومنا هــذا ونـطـمـع مـنـك بـالـغـفـران
فـمـن الـذي مـنـا أحـق بأمنه فـاختر لنفسك يـا أخـا العرفان
لا بـد أن نـلـقـاه نحـن وأنـتـم في موقف الـعـرض العظيم الشان
وهـنـاك يـسـألـنـا جمـيـعًـا ربـنـا ولـديـه قطعـا نحـن مختصمان
فـنـقـول قـلـت كـذا وقـال نبينا أيـضـا كـذا فـإمـامـنـا الـوحـيـان
فـافـعـل بـنـا مـا أنـت أهـل بـعـد ذا نحـن الـعـبـيـد وأنـت ذو الإحـسـان
أفـتـقـدرون عـلـى جـواب مـثـل ذا أم تـعـدلـون إلى جـواب ثـان
مـا فـيـه قـال الله قـال رسـولـه بـل فـيـه قـلـنـا مـثـل قـول فـلان
وهـو الـذي ادت إلـيـه عقولنا لمـا وزنـا الـوحـي بـالمـيـزان

إن كان ذلكم الجواب مخلصًا فامضوا عليه يا ذوي العرفان

تا لله ما بعد البيان لمنصف إلا العناد ومركب الخذلان

حاصل كلام الناظم في هذين (ع/ ٢/ ٦٢ب) الفصلين أنه يحكي جواب المعطل والمثبت عن قول كل واحد منهما إذا سألهما الرب تعالى يوم القيامة.

ومعنى ما ذكره أن المعطل يقول لربه إذا سأله يوم القيامة: يا رب إني حكمت عليك بالعقل والفكرة وهذا أولى من المنصوص.

وقلت: إنك لست بداخل العالم ولا خارجه، وإنك لست فوق العرش، وإنك لست بقائل القرآن، بل هو عبارة أو حكاية عبر بها رسولك البشري وهو -محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن المعنى النفسي، وإن نسبته إليك نسبة تشريف كما يقال بيت الله، وكذاك قلنا لست تنزل في الدجى لأن النزول من صفات الأجسام. وكذا قلنا لا وجه لك ولا سمع ولا بصر ولا يدان، وكذا قلنا إنك لا ترى في الآخرة وكذا قلنا ما لفعلك حكمة.

وليس ثم غير مشيئة قد رجحت مثلًا على مثل، ومع ذلك فمنا من يقول: الحكمة ليست تقوم بالرحمن سبحانه؛ لأن ذلك يستلزم قيام الحوادث به تعالى.

وقلنا ما اقتضته عقولنا وعقول أشياخنا، وهم قد قالوا:لا تأخذوا بظواهر الوحيين، بل فكروا بعقولكم أو فاقبلوا رأي فلان وفلان. قالوا: فلأجل هذا لم نحكم لفظ آثار ولا قرآن لأنها أدلة لفظية لا تفيد اليقين.

وأما الآخرون، وهم المثبتة فإنهم أتوا بما قد قاله الله ورسوله من غير تحريف ولا كتمان. وقالوا:تلقينا عقيدتنا عن الوحيين، والحكم عندنا ما حكما به لا رأي أهل الاختلاف والظنون الفاسدة.

قالوا: لا بد أن نلقاه نحن وأنتم في موقف العرض، وهناك يسألنا جميعًا ربنا فنقول: قلت كذا وقال نبينا كذا، فافعل بنا ما أنت أهل له، فنحن عبيدك وأنت ذو الإحسان.

أفتقدرون أيها المعطلة على مثل هذا الجواب، أم تجيبون بجواب ليس فيه قال الله قال رسوله،بل تقولون: قولنا مثل قول فلان، وهذا هو الذي أدت إليه عقولنا فإن كان هذا الجواب مخلصًا لكم فامضوا عليه والله الموفق (ع/ ٢/ ٤٦ب).

فصل

في تحميل أهل الإثبات للمعطلين شهادة تؤدى عند رب العالمين

[يا أيها الباغي على أتباعه ... بالظلم والبهتان والعدوان

قد حملوك شهادة فاشهد بها ... إن كنت مقبولا لدى الرحمن

واشهد عليهم إن سألت بأنهم ... قالوا إله العرش والأكوان

فوق السماوات العلى حقًّا على ... العرش استوى سبحان ذي السلطان

والأمر ينزل منه ثم يسير في ... الأقطار سبحان العظيم الشان

وإليه يصعد ما يشاء بأمره ... من طيبات القول والشكران

وإليه قد صعد الرسول وقبله ... عيسى بن مريم كاسر الصلبان

وكذلك الأملاك تصعد دائمًا ... من ههنا حقًّا إلى الديان

وكذاك روح العبد بعد مماتها ... ترقى إليه وهو ذو إيمان

واشهد عليهم أنه سبحانه ... متكلم بالوحي والقرآن

سمع الأمين كلامه منه وأداه ... إلى المبعوث بالفرقان

هو قول رب العالمين حقيقة ... لفظًا ومعنى ليس يفترقان

واشهد عليهم أنه سبحانه ... قد كلم المولود من عمران

سمع ابن عمران الرسول كلامه ... منه إليه مسمع الآذان

واشهد عليهم أنهم قالوا ... بأن الله ناجاه بلا كتمان

واشهد عليهم أنهم قالوا ... بأن الله نادى قبله الأبوان

واشهد عليهم أنهم قالوا بأن ... الله يسمع صوته الثقلان

والله قال بنفسه لرسوله إني أنا الله العظيم الشان
والله قال بنفسه لرسوله إذهب إلى فرعون ذي الطغيان
والله قال بنفسه حم مع طه ومع يس قول بيان
واشهد عليهم أنهم وصفوا الإله بكل ما قد جاء في القرآن
وبكل ما قال الرسول حقيقة من غير تحريف ولا عدوان
واشهد عليهم أن قول نبيهم وكلام رب العرش ذا التبيان
نص يفيد لديهم علم اليقين إفادة المعلوم بالبرهان
واشهد عليهم أنهم قد قابلوا التعطيل والتمثيل بالنكران][1]
إن المعطل والممثل ما هما متيقنين عبادة الرحمن
ذا عابد المعدوم لا سبحانه أبدًا وهذا عابد الأوثان
واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الأسماء والأوصاف للديان
وكذلك الأحكام أحكام الصفا ت وهذه الأركان للإيمان
قالوا عليم وهو ذو علم ويعلم غاية الإسرار والإعلان[2]
وكذا بصير وهو ذو بصر ويبـ ـصر كل مرئي وذي الأكوان
وكذا سميع وهو ذو سمع ويسـ ـمع كل مسموع من الأكوان
متكلم وله كلام وصفه ويكلم المخصوص بالرضوان
وهو القوي بقوة هي وصفه وعليك يقدر يا أخا السلطان
وهو المريد له الإرادة هكذا أبدًا يريد صنائع الإحسان

(١) من أول هذا الفصل إلى هنا سقط من (ع) واستدركناه من (د).
(٢) قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «أثبت الاسم والحكم والأثر، فالعليم إثبات الاسم، وذو علم هو إثبات الحكم، ويعلم غاية السر والإعلان، هو إثبات الأثر» اهـ.

حاصل كلام الناظم في هذه الأبيات أن المثبتة قد حملوا المعطلة شهادة تؤدي عند ربهم سبحانه بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

وذلك كعلو الله تعالى على خلقه ونزول الأوامر منه سبحانه، وصعود الكلم الطيب إليه ومعراج الرسول إليه، ورفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الله، وكذا صعود الملائكة إليه دائما، وكذا روح المصدق بعد الممات تصعد إليه.

وأنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن، وأن الأمين جبريل سمع كلامه وأداه إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه قول رب العالمين حقيقة، لفظه ومعناه.

واشهد عليهم أيها المعطل أنه سبحانه كلم المولود من عمران، وهو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن الله ناداه وناجاه.

وكذا اشهد عليهم أنهم قالوا: بأن الله نادى قبله الأبوين آدم وحواء، واشهد عليهم أنهم قالوا: بأن الله ينادي خلقه يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب.

واشهد عليهم أنهم قالوا: إن الله سبحانه قال بنفسه: حم وطه ويس، وأنهم وصفوه سبحانه بكل ما قد جاء في القرآن، وبكل ما قال الرسول من غير تحريف ولا عدوان.

واشهد عليهم أن كلام الله ورسوله عندهم نص يفيد علم اليقين، واشهد عليهم أنهم أنكروا التعطيل والتمثيل، وأن المعطل والممثل غير متيقنين عبادة الرحمن عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن المعطل يعبد عدمًا والممثل يعبد صنمًا، تعالى الله وتقدس.

واشهد عليهم أيها المعطل أنهم قد أثبتوا أسماء الرب تعالى وصفاته المقدسة وكذا أثبتوا أحكام الصفات[1] (ع/٢/١٦٥)، وأنه سبحانه عليم بعلم، ويعلم السر وأخفى.

وكذا أثبتوا أنه سبحانه بصير وذو بصر ويبصر كل شيء، وكذا أثبتوا أنه سبحانه سميع وذو سمع ويسمع كل مسموع، وأنه سبحانه متكلم، وله كلام ويكلم من شاء سبحانه.

وكذا أثبتوا له سبحانه القوة بقوة هي وصفه، وهو على كل شيء قدير وأثبتوا أنه تعالى مريد وله الإرادة ويريد سبحانه.

۞۞۞

قال الناظم:

والوصف معنى قائم بالذات وال	**أسماء إعلام له بوزان**
أسماؤه دلت على أوصافه	**مشتقة منها اشتقاق معان**
وصفاته دلت على أسمائه	**والفعل مرتبط به الأمران**
والحكم نسبتها إلى متعلقا	**تِ تقتضي آثارها ببيان**
ولربما يعني به الأخبار عن	**آثارها يعني به أمران**

---

(١) المقصود بأحكام الصفات: أن أسماء الله تعالى ذوات معاني وأوصاف، فكل اسم يدل على صفة، وكل صفة تدل على ما يقوم بها كاسم الله السميع والبصير والعليم والقدير والمريد، فهذه أسماء تدل على صفة السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة، وهذه الصفات المشتقة من الأسماء لها أحكام تقوم بها، وهي أن صفة السمع تدل على أن الله يسمع وصفة البصر تدل على أن الله يبصر وصفة القدرة تدل على أن الله يقدر وصفة الإرادة تدل على أن الله يريد.
وهذه تسمي صفات الأفعال، وهي متعلقة بقدرته ومشيئته.
انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٨) (١/ ٤٠).

والفعل إعطاء الإرادة حكمها ... مع قدرة الفعال والإمكان

فإذا انتفت أوصافه سبحانه ... فجميع هذا بين البطلان

أي أن صفاته سبحانه معان قائمة بذاته والأسماء أعلام والأسماء تدل على الصفات وهي مشتقة منها وصفاته دلت على أسمائه.

وتوضيح ذلك: أنه لما اتصف سبحانه بالعلم، اشتق له منه اسم العليم، ولما اتصف سبحانه بالرحمة اشتق له منها اسم الرحمن(١).

وهكذا قوله:

والحكم نسبتها إلى متعلقا ... ت تقتضي آثارها ببيان

يعني أن أحكام الصفات تنسب إلى متعلقات تقتضي آثارها، وذلك أن نقول هو سبحانه عليم ويعلم كل شيء، بصير ويبصر كل شيء سميع ويسمع كل شيء كما تقدم في الأبيات.

قوله:

فإذا انتفت أوصافه سبحانه ... . إلخ

أي إذا انتفت صفاته سبحانه؛ فجميع هذا باطل بغير شك، وأهل الإثبات يثبتون جميع ذلك خلافًا للمعطلة القائلين: بأنه سبحانه عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، بصير بلا بصر ونحو ذلك.

۞۞۞

---

(١) في هذا الكلام نظر، ولعله سبق قلم من الناسخ، فإن الله لم يزل متصفًا بصفات الكمال ولا يزال، فكما أن الله ليس لوجوده بدايه فكذا صفاته، لأن الصفات تابعه لموصوفها، ولعل العبارة هكذا: «... لما كان الله متصفًا بالعلم» ثم وجدت في هامش (ع) تعليقًا للشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان على تلك العبارة حيث يقول: «قوله: لما اتصف الله بالعلم فيه ما فيه، لأنه سبحانه وبحمده لم يزل متصفًا بصفات الكمال».

قال الناظم:

واشهد عليهم انهم قالوا ... بهذا كله جهرًا بلا كتمان

واشهد عليهم انهم براء من ... تأويل كل محرف شيطان

واشهد عليهم انهم يتأولو ... ن حقيقة التأويل في القرآن

هم في الحقيقة أهل تأويل الذي ... يعني به لا قائل الهذيان

واشهد عليهم أن تأويلاتهم ... صرف عن المرجوح للرجحان

أي واشهد عليهم أيها المعطل (ع/٢/٦٦ب) أنهم يتأولون، ولكن لا بالمعنى المصطلح عليه عند كثير من المتأخرين الذين تكلموا في الفقه وأصوله: «وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به»[(١)].

فهذا القسم من التأويل باطل عند المثبتة، والتأويل الذي يثبتونه هو بمعنى التفسير[(٢)].

وهذا معنى قول الناظم:

هم في الحقيقة أهل تأويل الذي ... يعني به.............................. إلخ

---

(١) صرف اللفظ عن ظاهره بهذا المعنى، إذا كان الصارف دليل صحيح، لا شيء فيه؛ لأنه في الجمع بين النصوص، لكن توسع فيه المتأخرون فصارو يصفون الدليل الراجح لمعارض عقلي، فبدأوا بنصوص الصفات التي زعموا أنها ظواهر كفرية يجب الاشتغال بتأويلها على سبيل التبرع، وسبب هذا الانحراف، هو قلة تعظيم النصوص، فجميع المعطلة بفرقها المختلفة لا يعظمون النصوص الشرعية، وهذا التعريف الذي فتح بابًا كبير للمعطلة لم يكن معروفًا عند السلف.
قال شيخ الإسلام عن هذا النوع من التأويل كما في مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٠١): «لم يكن بعد عرف في عهد الصحابه ولا التابعين ولا الأئمة ولا كان التكلم بهذا الاصطلاح معروفًا في القرون الثلاثة، بل ولا علمت أحدًا منهم خص التأويل بهذا...». وانظر: تقويم النظر لأبي شجاع محمد بن علي الدهان (١/ ٩٤)، روضة الناظر لابن قدامة (١/ ١٧٨)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٥٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٤٩)، درر التعارض (٥/ ٢٢٤، ٣٨٢)

وذلك كما يقول ابن جرير[١] وأمثاله من المفسرين ومجاهد إمام المفسرين، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي والبخاري وغيرهما، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد معرفة تفسيره[٢].

۞۞۞

قال الناظم:

واشهد عليهم أنهم حملوا النصو	**ص على الحقيقة لا المجاز الثاني**
إلا إذا ما اضطرهم لمجازها	**المضطر من حس ومن برهان**
فهناك عصمتها أباحته بغير	**تجانف للإثم والعدوان[٣]**

حاصل ما نتكلم به في هذه الأبيات أن نذكر كلام العلماء في المجاز وثبوته أو نفيه[٤]، ثم نتكلم على معنى الأبيات الثلاثة بما يسره الله تعالى.

---

(١) انظر مثلًا (٢/ ١٨١) من جامع البيان للطبري.

(٢) هذا على القول الثاني، وهو عدم الوقف على «إلا الله»، وقد سبق الكلام عنه.

(٣) يعني أن نصوص الكتاب والسنة معصومة من الخطأ، يجوز اللجوء إلى المجاز في حال الضرورة، كما في المضطر للميتة. انظر: الكافية الشافية (٢/ ٦٣٠).

(٤) المجاز: هو اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما، كتسمية الشجاع أسدًا، والمجاز إنما هو اصطلاح حادث، ركبه ودعمه واستغله أهل البدع من أهل الكلام؛ لتحريف نصوص الصفات خصوصًا، وكل ما لم تستسغه عقولهم من نصوص الشرع عمومًا.
ولم يكن يعرف قبل ذلك في القرون الثلاثة المفضلة، ولم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين ولا الأئمة المشهورين ولا أئمة اللغة، وإنما ظهر في أواخر المائة الثالثة واشتهر في المائة الرابعة.
وقد اختلف العلماء فيه على ثلاثة أقوال مشهورة:
الأول: أن المجاز واقع في اللغة والقرآن، وهو قول جمهور العلماء.
الثاني: إنكار المجاز مطلقًا في اللغة والقرآن، وهو قول أبي إسحاق الإسفراييني وابن تيمية وابن القيم والشنقيطي.
الثالث: إنكار المجاز وحده دون القرآن. =

فنقـــول:

قال الشيخ علاء الدين المـرداوي[١] في كتاب التحرير في أصول الفقه[٢] «الأربعة وغيرهم: المجاز واقع، وخالف الأستاذ والشيخ وغيرهما وردوه إلى المتواطئ وعلى الأول ليس المجاز بأغلب في الأصح.

= وقد نصر كُلٌّ منهم قوله بأدلة كثيرة، غير أنه بعد النظر في أدلة كل فريق اتضح ترجيح قول من قال بعدم وقوع المجاز مطلقًا لا في القرآن ولا في اللغة لاعتبارات كثيرة منها:

١- أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز، ليس تقسيمًا عقليًا ولا شرعيًا ولا لغويًا. أما العقل فلأن العقل لا مدخل له في دلالة اللفظ وتخصيصه للمعنى المدلول عليه، أما الشرع: فإنه لم يرد بهذا التقسيم ولا دل عليه ولا أشار إليه، أما اللغة: فلأن أهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغتها لا إلى حقيقة ولا مجاز.

٢- أن العرب لم تستعمل ألفاظًا مطلقة، بل مقيده بقيود وقرائن، وعليه فكل لفظ مع قيده يكون حقيقة في الدلالة على معناه في هذا السياق المعين، مثل رأيت أسدًا على جواده، ورأيت أسدًا يزأر، فكلمة أسد حقيقة في الجملة الأولى، وحقيقة في الجملة الثانية، ومن فرق فعليه الدليل ولا دليل.

٣- أن المجاز يخل بالفهم إذا لم تقترن به قرينة، وإن اقترنت به قرينه كان تطويلًا بلا فائدة، وعدولًا عن الحقيقة القريبة المختصرة من غير حاجة، وهذا يبعد عن أهل الحكمة والبلاغة، ولهم ردود كثيرة وأجوبه يطول ذكرها.

انظر: فواتح الرحموت (١/ ٢١١)، المجاز في اللغة والقرآن الكريم (١/ ٦٠٢)، الإيمان لابن تيمية (٧/ ٨٨-١١٥)، ضمن مجموع الفتاوى، المختصر لابن اللحام (ص٤٥)، البرهان للزركشي (٢/ ٢٢٥)، الحقيقة والمجاز لابن تيمية (٢٠/ ٤٦٢ ضمن مجموع الفتاوى)، منع جواز المجاز للشنقيطي، ضمن أضواء البيان (١٠/ ٨). موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة للدكتور سليمان الغصن (١/ ٤٢٣-٤٧٧).

(١) التحبير شرح التحرير للمرداوي (٢/ ٤٥٧) وانظر: التقرير والتحبير لابن أمير الحاج (٢/ ٢٠) ط. دار الفكر، الإبهاج لعلي بن عبد الكافي السبكي (١/ ٢٩٦)، شرح التلويح على التوضيح (١/ ١٦١) ط. دار الكتب العلمية، شرح الكوكب المنير لابن النجار (١/ ١٩١)، غاية السؤل لزكريا الأنصاري (١/ ٧٩)، إرشاد الفحول للشوكاني (ص٥١).

(٢) في (د) «الرب».

وهو في القرآن عند أحمد وأكثر أصحابه والأكثر، وعنه لا، اختاره ابن حامد[١] والتميمي[٢] والخرزي[٣] وغيرهم[٤].

وقيل: ولا في الحديث أيضًا» انتهى كلامه.

---

(١) شيخ الحنابلة وفقيههم أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي ابن مروان البغدادي الورَّاق مصنف كتاب الجامع في عشرين مجلدًا في الاختلاف.
روى عن أبي بكر النجاد وأبي بكر الشافعي وابن سلم الخُتَّلي.
وعنه أبو علي الأهوازي وأبو طالب العشاري والقاضي أبو يعلى وتفقه عليه، وكان يتقوت من النسخ ويكثر الحج، وهو أكبر تلامذة أبي بكر غلام الخلال. مات سنة (٤٠٣هـ).
انظر: السير (١٧/ ٢٠٣).

(٢) عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي البغدادي الحنبلي الإمام الفقيه رئيس الحنابلة أبو الفضل كان صدوقًا. مات سنة (٤١٠هـ) انظر: تاريخ بغداد (١١/ ١٤)، والسير (١٧/ ٢٧٣).

(٣) هكذا في النسختين، ولم أجد من ينتسب إلى هذه النسبة من أصحاب أحمد، ويغلب على الظن أنها تحرفت عن الجزري أبو الحسن، ويؤيد هذا أنه قد حكى عنه القاضي أبو الحسين في الطبقات أنه لا يرى المجاز في القرآن.
وهو أبو الحسن الجزري البغدادي، كان له قدم في المناظرة، وكانت له حلقة بجامع القصر، صحب أبا علي النجاد، وأخذ عنه أبو طاهر بن الغباري، ولم يذكر له سنة وفاة.
انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢/ ١٤٣).

(٤) ذكر الرواية الأولى القاضي قال: نص أحمد على أن المجاز في القرآن، والرواية الثانية: ليس في القرآن منه شيء، حكاها الفخر إسماعيل، واختارها ابن حامد، حكى ذلك ابن النجار في شرح الكوكب (١/ ١٩٢).
والصحيح أن قول أحمد في تعليقه على قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ بقوله: «فهذا مجاز اللغة، يقول الرجل للرجل: إنا سنجري عليك رزقك...» إلخ، لم يرد بالمجاز هنا ما ليس بحقيقه، ولا ما لا يصح نفيه، بل مقصوده أن ذلك مما يجوز في اللغة؛ لأنه قال بعد ذلك: «فهذا مما يجوز في اللغة...» إلخ. وقد علمت أن المجاز بمعناه الاصطلاحي لم يكن معروفًا في القرون المفضلة، وإنما كانوا يطلقون المجاز ويقصدون ما يقصده أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه «مجاز القرآن» من أساليب القرآن البلاغية. انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٨٩)، موقف المتكلمين للغصن (١/ ٤٤٨-٤٤٩).

ومعنى كلامه أن الأئمة الأربعة وغيرهم ذهبوا إلى وقوع المجاز(١)، وخالف في ذلك الأستاذ: يعني الشيخ أبا إسحق الاسفراييني الشافعي، والشيخ:يعني به شيخ الإسلام رحمهما الله تعالى.

وكلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ معروف في كتاب الإيمان(٢)، وهو أنه اختار نفي المجاز في الكتاب والسنة ولغة العرب.

والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الموضع اختار في المسألة تفصيلًا، وهو أن النصوص تحمل على الحقيقة إلا عند الاضطرار إلى المجاز فتصرف إليه.

وقد قال في كلام له(٣): «المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص وإنما يدخل في الظاهر المحتمل له وكون اللفظ نصًّا يعرف بشيئين:

أحدهما: عدم احتماله لغير معناه وضعًا.

والثاني: ما اطرد استعماله على طريقة واحدة في جميع موارده؛ فإنه نص في معناه لا يقبل تأويلًا ولا مجازًا، وإن قدر تطرق ذلك إلى بعض أفراده صار بمنزلة خبر التواتر لا يتطرق احتمال الكذب إليه، وإن تطرق إلى واحد بمفرده.

وهذه قاعدة نافعة تدل على خطأ كثير من التأويلات (ع/٢/٦٧أ) للسمعيات التي اطرد استعمالها في ظاهرها.

وتأويلها والحالة هذه غلط؛ فإن التأويل إنما يكون لظاهر قد ورد شاذًا مخالفًا لغيره من السمعيات، فيحتاج إلى تأويله ليوافقها، وأما إذا اطردت كلها على وتيرة واحدة صارت بمنزلة النص وأقوى وتأويلها ممتنع» انتهى كلامه.

(١) المجاز بمعناه الاصطلاحي لم يكن معروفًا في زمن الأئمة الأربعة، وإنما جاء بعدهم، والذي وقع في كلامهم هو المجاز اللغوي، كما بينا ذلك عن أحمد.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٨٧) وما بعدها، والإيمان لابن تيمية (ص٧٣) وما بعدها.

(٣) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٠).

وهذا الذي ذكره، قد ذكره غيره من العلماء، وهو أنهم قالوا: إن الأدلة إذا تكاثرت، ودلت على معنىً ثم ورد دليل واحد يخالف تلك الأدلة، وجب الأخذ بتلك الأدلة، وتأويل ذلك الدليل الواحد حتى يوافقها[1].

وقد رأيت شيخ الإسلام أثبت المجاز في بعض كلامه!

قال في الفتيا الدمشقية: «واعلم أن من لم يحكم دلالات اللفظ، ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ تارة يكون بالوضع اللغوي أو العرفي أو الشرعي، إما في الألفاظ المفردة، وإما في المركبة، وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من التركيب الذي يتغير به دلالته في نفسه، وتارة بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعلها مجازًا!!

وتارة بما يدل عليه حال المتكلم والمخاطب والمتكلم فيه، وسياق الكلام الذي يعين أحد محتملات اللفظ،أو يبين أن المراد به هو مجازه إلى غير ذلك من الأسباب التي تعطي اللفظ صفة الظهور، وإلا فقد يُتَخَبَّطُ في هذه المواضع.

نعم إذا لم يقترن باللفظ قط شيء من القرائن المتصلة،تبين مراد المتكلم،بل علم مراده بدليل آخر لفظي منفصل،فهنا أريد به خلاف الظاهر كالعموم المخصوص بدليل منفصل.

إلى أن قال: إن الألفاظ نوعان:

أحدهما: ما معناه مفرد كلفظ الأسد والحمار والبحر والكلب، فهذا إذا قيل أسد الله وأسد رسوله أو قيل للبليد حمار أو قيل للعالم أو السخي أو الجواد من الخيل بحرًا أوقيل للأسد كلب فهذا مجاز[2]، ثم إن اقترنت به قرينة تبين المراد،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣/ ١٨١).

(٢) هذا موضع الشاهد من كلامه، وسيأتي الجواب عنه.

كقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لفرس أبي طلحة: **«إن وجدناه لبحرًا»**(١)، وقوله: **«إن خالدًا سيف من سيوف الله سله الله على المشركين»**(٢).

وقوله لعثمان: **«إن الله مقمصك قميصًا»**(٣).

وقول ابن عباس: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن استلمه وصافحه فكأنما بايع ربه أو كما قال»(٤) ونحو ذلك، فهنا اللفظ فيه تجوز....» اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها (٢/ ٧٩١) باب من استعار من الناس الفرس، ومسلم في كتاب الفضائل (٤/ ١٨٠٣) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال- واللفظ للبخاري-: «كان فزع بالمدينة، فاستعار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرسًا لأبي طلحة يقال له المندوب فركب، فلما رجع قال: ما رأينا من شيء، وإنا وجدناه لبحرًا». وبحرًا: أي واسع الجري؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع صوتًا بالمدينة، وفزع الناس، فتقلد سيفه واستعار خيلًا لأبي طلحة للذهاب إلى جهة الصوت، وكانت خيل أبي طلحة بطيئة المشي، فأصبحت تجري لما ركبها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذهب إلى جهة الحدث، فلم يجد شيئًا، فرجع إلى الناس وهو يقول لهم: لن تراعوا. وموضع الشاهد تسميته للخيل السريعة بحرًا، والله أعلم. انظر: النهاية لابن الأثير(١/ ٩٩-١٠٠)، فتح الباري لابن حجر(٥/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٨٧)، وأحمد (١/ ٨)، وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ١٤٣)، والضياء في المختارة (١/ ١٣٢) وغيرهم، قال في مجمع الزوائد (٩/ ٣٤٩): «رواه أبو يعلى ولم يسم الصحابي ورجال أبي يعلى رجال الصحيح».

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٠٦)، والطبراني (٥/ ١٩٢)، والسنة لابن أبي عاصم (٢/ ٥٦٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٦): «رواه الطبراني في الأوسط وفيه السري ابن عاصم وهو ضعيف».

(٤) رواه الأرزقي في أخبار مكة (١/ ٣٢٥) ط. دار خضر: بلفظ: «الركن يمين الله تعالى في الأرض يصافح الله بها خلقه، والذي نفس ابن عباس بيده ما من مسلم يسأل الله تعالى عنده شيئًا إلا أعطاه إياه».

قال الحافظ في المطالب العالية (٦/ ٤٣٢): «موقوف صحيح الإسناد» وزاد تلميذه السخاوي في المقاصد الحسنة بقوله: «وله شواهد». وقال شيخ الإسلام في درء التعارض (٥/ ٢٣٩): «هو معروف من كلام ابن عباس وروى مرفوعًا وفي رفعه نظر».

وقد ظن بعض المعطلة أن مثل هذا الأثر يحتاج الى تأويل، وقد غلطوا في ذلك، فإن من تدبره علم أن اللفظ صريح في أن الحجر ليس هو من صفات الله إذ قال (.... يمين الله في الأرض) فتقييده =

إلى آخر كلامه.

فهذا ظاهر في إثبات المجاز، والله أعلم.

وأما الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ فقد رأيت في كلامه في النظم، وفي كلامه الذي نقلناه عنه [ما يدل على إثبات المجاز][1] ولكنه، قد بالغ في كتاب الصواعق المرسلة في أبطال المجاز، واستدل لذلك بنحو خمسين وجهًا، ورد على ابن جني[2] كلامه في المجاز من أوجه كثيرة، والله أعلم[3] (ع/٢/٦٨ب).

❁❁❁

=بالأرض يدل على أنه ليس هو يده، ولم يطلق فيقول: (.... يمين الله!)، وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم اللفظ المطلق، ويوضح ذلك آخر الأثر وهو قوله: (... فمن صافحه وقبله، فكأنما صافح الله وقبل يمينه) ومعلوم أن المشبه غير المشبه به، وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلًا، وقد ذكر الغزالي في الإحياء عن بعض الحنبلية أن أحمد لم يتأول إلا ثلاثة أشياء: (الحجر الأسود يمين الله في الأرض)، و(قلوب العباد بين أصبعين)، وحديث: «إني أجد نفسي الرحمن من جهة اليمن».

قال شيخ الإسلام: «فهذه الحكاية كذب على أحمد لم ينقلها أحد عنه بإسناد، ولا يعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه، وهذا الحنبلي الذي ذكر أبو حامد مجهول لا يعرف لا علمه مما قال ولا صدقه فيما قال». انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٨) (٦/ ٣٩٧)، درء التعارض (٣/ ٣٨٤).

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، صاحب التصانيف، له سر الصناعة واللمع والخصائص وغيرها. مات سنة (٣٩٢هـ). انظر: السير (١٧/ ١٧).

(٣) كأن المؤلف توقف ولم يجزم بشيء، والذي يظهر لي والله أعلم أن رأيهما استقر على تحريم المجاز، ويمكن أن يجاب عما نقل عنهما من إثبات المجاز بأجوبة:

١. أن يقدم ما فصلا فيه من ذكر الأدلة الصريحة الصحيحة من الشرع واللغة والعقل على بطلان المجاز على ما أجملا فيه القول، فإن العالم إذا كان له قولين في المسألة ولم يعرف المتأخر من قوليه، يقدم ما فصل فيه وبيَّن على ما أجمل فيه ولم يبين ويحكى عنه. فابن تيمية ألف في نفي المجاز رسالته المشهورة، وابن القيم أبطل المجاز بأكثر من خمسين وجهًا كما ذكر المؤلف. =

قال الناظم:

واشهد عليهم أنهم لا يكفرو[١] نكم بما قلتم من الكفران
إذ أنتم أهل الجهالة عندهم لستم أولي كفر ولا إيمان
لا تعرفون حقيقة الكفران بل لا تعرفون حقيقة الإيمان
إلا إذا عاندتم ورددتم قول الرسول لأجل قول فلان
فهناك أنتم أكفر الثقلين من إنس وجن ساكني النيران

يأتي الكلام في مسألة التكفير إن شاء الله تعالى في الفصل[٢] الذي أوله ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن.

۞۞۞

قال الناظم:

واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الـ أقدار واردة من الرحمن
واشهد عليهم أن حجة ربهم قامت عليهم وهو ذو غفران
واشهد عليهم أنهم هم فاعلو ن حقيقة الطاعات والعصيان

= ٢. الذي اتضح لي من خلال النظر في النقلين السابقين أنهما لم يثبتا المجاز بإطلاق وإنما الذي يظهر من كلامهما أنه واقع في اللغة على أن تبقى للنصوص الشرعية حرمتها، ولعل هذا كان في بداية الأمر ثم استقر رأيهما على عدم وقوع المجاز مطلقًا.

٣. أن ابن تيمية ذكر بأن المجاز ربما يكون من وضع المعتزلة، وتلميذه ابن القيم يذكر أنه من وضع المعتزلة والجهمية لأجل نفي الصفات. وكتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مليئة بإثبات الصفات الإلهية على ما يليق بالله، والرد على الجهمية والمعتزلة فكيف ينسب إليهما المجاز؟

٤. أن كل من ذكر من الأصوليين مسألة المجاز نقل عن ابن تيمية عدم وقوعه مطلقًا مما يدل على أنه آخر ما استقر عليه رأيه، والله أعلم.

(١) في هامش (ع) بخط المؤلف «بلغ قراءة على المؤالف».

(٢) تحرفت في (ع): «فصل» والمثبت من (د).

والجبر عندهم محالٌ هكذا ... نفي القضاء فبئست الرأيان
واشهد عليهم أن إيمان الورى ... قولٌ وفعلٌ ثم عقد جنان
ويزيد بالطاعات قطعًا هكذا ... بالضد يمسي وهو ذو نقصان
والله ما إيمان عاصينا ... كإيمان الأمين منزل القرآن
كلا ولا إيمان مؤمننا ... كإيمان الرسول معلم الإيمان
واشهد عليهم أنهم لم يخلدوا ... أهل الكبائر في حميم آن
بل يخرجون بإذنه بشفاعة ... ويدونها لمساكن بجنان
واشهد عليهم أن ربهم يرى ... يوم المعاد كما يرى القمران
واشهد عليهم أن أصحاب الرسول ... خيار خلق الله من إنسان
حاشا النبيين الكرام فإنهم ... خير البرية خيرة الرحمن
وخيارهم خلفاؤه من بعده ... وخيارهم حقًّا هما العمران
والسابقون الأولون أحق ... بالتقديم ممن بعدهم ببيان
كل بحسب السبق أفضل رتبةٍ ... من لاحق والفضل للمنان

قد تكلمنا على أكثر مضمون هذه الأبيات في (ع/٢/١٦٩) غضون هذا الشرح، وأما مسألة خلق أفعال العباد ومسألة الإيمان، وأنه قول وعمل ونية يزيد وينقص، فنبسط الكلام عليها بعض البسط؛ لأنها من الأصول الكبار لأهل السنة والجماعة فنقول:

قوله:

واشهد عليهم انهم هم فاعلو ... ن حقيقة الطاعات............... إلخ

أي أن أهل الإثبات أهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر خيره وشره والإيمان بالقدر على درجتين[1] كل درجة تتضمن شيئين:

---

(١) انظر: الواسطية لابن تيمية (ص١٦٢- مع شرح الفوزان).

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق.

فأول ما خلق القلم فقال: اكتب فقال: ما أكتب، فقال: اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢].

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلًا، فقد كتب في اللوح المحفوظ، فإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح بعث إليه ملك فيأمر بأربع كلمات فيقال:اكتب رزقة وأجله وعمله وشقي أو سعيد. وأما:

الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله تعالى؛ لا يكون في ملكه ما لا يريده سبحانه، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله سبحانه خالقه ولا خالق غيره ولا رب سواه.

وقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم.

والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي، وللعباد قدرة على أعمالهم وإرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية؛ الذين سماهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مجوس هذه الأمة»[١].

ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى يسلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجونه عن أفعال الله [وأحكامه]، وحكمها ومصالحها (ع/ ٢/ ٧٠ب).

قوله:

والجبر عندهم محال .... إلخ

اعلم أن أئمة السلف رحمة الله عليهم أنكروا الجبر. قال الخلال في كتاب السنة[٢]: «الرد على القدرية وقولهم: إن الله أجبر العباد على المعاصي.... ثم روي

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة (٤/ ٢٢٢)، والحاكم من طريقه (١/ ١٥٩)، عن موسى بن إسماعيل عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر بلفظ «القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم».

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر». والحديث روي من طرق كثيرة، ورواه عدد من الصحابة منهم ابن عمر وعائشة وجابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع (٢/ ٨١٨).

قال الخطابي: «إنما سموا مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين: النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلمة». وانظر: شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٤).

(٢) السنة للخلال (٣/ ٥٤٩).

عن عمر بن عثمان عن بقية بن الوليد[١] قال سألت الزبيدي[٢] والأوزاعي عن الجبر، فقال الزبيدي: «أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل، ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ما أحب».

وقال الأوزاعي: «ما أعرف للجبر أصلًا من القرآن ولا السنة، فأهاب أن أقول ذلك، ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما وضعت هذا مخافة أن يرتاب رجل من أهل الجماعة والتصديق».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى[٣]: «فهذان الجوابان اللذان ذكرهما هذان الإمامان في عصر تابعي التابعين من أحسن الأجوبة.

أما الزبيدي: محمد بن الوليد صاحب الزهري، فإنه قال: أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل، فنفى الجبر؛ وذلك لأن الجبر المعروف في اللغة: هو إلزام الإنسان بخلاف رضاه[٤]، كما يقول الفقهاء في باب النكاح: هل تجبر المرأة

---

(١) بقية بن الوليد بن صائد بن كعب بن حريز الحميري الكلاعي ثم التميمي، وهو ثقة إذا حدث عن المعروفين، وإذا حدث عن المجهولين حاد عن أسمائهم إلى كناهم وعن كناهم إلى أسمائهم، قال في التقريب: «صدوق كثير التدليس عن الضعفاء». انظر: السير (٨/ ٥١٨)، والتقريب (ص١٧٤).

(٢) محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي - بالزاي والموحدة - أبو هزيل الحمصي القاضي. قال في التقريب (ص٩٠٥): «ثقة ثبت من كبار أصحاب الزهري، من السابقة، مات سنة ست أو سبع أو تسع وأربعين. وانظر: السير (٢/ ١٣٧).

(٣) انظر: درء التعارض (١/ ٦٧).

(٤) انظر: العين للخليل (٦/ ١١٥).

على النكاح أو لا تجبر[1]، وإذا عضلها الولي ماذا تصنع[2]؟.

فيعنون بجبرها: إنكاحها بدون رضاها واختيارها، ويعنون بعضلها: منعها مما ترضاه وتختاره، فقال: الله أعظم من أن يجبر أو يعضل؛ لأن الله سبحانه قادر على أن يجعل العبد مختارًا راضيًا لما يفعله، ومبغضًا وكارهًا لما يتركه، كما هو الواقع، فلا يكون العبد مجبورًا على ما يحبه ويرضاه ويريده، وهي أفعاله الاختيارية، ولا يكون معضولا عما يتركه فيبغضه ويكرهه أو لا يريده، وهي تروكه الاختيارية.

---

(١) لا تجبر المرأة على النكاح على الصحيح، لأن رضاها معتبر، فإن أجبرت لم يصح النكاح، وقاسوه على البيع، لأن البيع عقد بين طرفين اشرط فيه التراضي كما قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾، فإذا كان التراضي شرطًا في البيع مع أنه تمليك، فكذلك النكاح، وقد دلت الأحاديث الكثيرة على اعتبار رضى الزوجة كما في قوله ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تسأمر، ولا البكر حتى تستأذن قالوا: يا رسول الله: وكيف إذنها قال: أن تسكت».
وإذا زوجت المرأة بغير رضاها فإن العقد باطل، لأنه عقد محرم فلا يمكن تصحيحه، وهذا مذهب الشافعية والحنابلة والحنفية، وهو رواية عن أحمد: أن العقد موقوف على إجازه المرأة، فإن إجازته، وإلا فلها الفسخ.
لكنهم فرقوا بين الصغيرة والكبيرة فقالوا: يجوز للأب أن يزوج ابنته الصغيرة بدون رضاها وإذنها، لأن الغالب على الأب أن يكون معه شفقة وحنو على ابنته، فلا يقدم على تزويج ابنته الصغيرة إلا لمصلحة ظاهرة يراها ولو بغير رضاها، لأن الغالب على الصغير عدم الإدارك ومعرفة المصالح، وهذا الحكم مستثنى من الحكم السابق، وهو عدم الإجبار للعلة التي ذكرناها، ومع هذا فهذا ليس على إطلاقه، فقد يزوج غير الكفؤ لأجل المال، والكلام في هذا طويل الذيل.
راجع: كشاف القناع (٥/ ٥٢)، الإنصاف (٨/ ٥٠- ٥٢)، الفروع لابن مفلح (٥/ ١٢٤)، مجموع الفتاوى (٣٢/ ٣٩-٤٠)، حاشية الروض (٦/ ٢٥٥)، الدرر المبتكرات (٣/ ٢٨٣-٢٨٦).

(٢) عضل الولي لموليته هو أن يمنعها الزواج مطلقًا أو الزواج بكفء، تقدم لها. فمن منع ابنته من الزواج من كفء تقدم لها ورضيت، فهو عاضل يفسق إن تكرر منه ذلك، وتسقط ولايته عنها، ويزوجها وليها الأبعد، لأن الأقرب صار كالمعدوم، فإن لم يوجد زوجها القاضي.
انظر: حاشية الروض (٦/ ٢٧٠).

وأما الأوزاعي: فإنه منع من إطلاق هذا اللفظ، وإن عنى به هذا المعنى حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة،فيفضي إلى إطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل، وذلك لا يسوغ، وإن قيل: إنه يراد به معنى صحيح(١).

قال الخلال: «أنا أبو بكر المروذي قال سمعت بعض المشيخة يقول سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول أنكر سفيان الثوري جبر وقال الله جبل العباد(٢).

وقال المروذي: أظنه أراد قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأشج عبد القيس(٣) -يعني قوله الذي في صحيح مسلم: **«إن فيك لخلتين يحبهما الله الحلم والأناة فقال أخلقين تخلقت بهما أو خلقين جبلت عليهما فقال بل خلقين جبلت عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله»**(٤).

ولهذا احتج البخاري وغيره على خلق أفعال العباد (ع/ ٢/ ١٧١أ) بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج:١٩-٢١]، فأخبر أنه خلق على هذه الصفة(٥). واحتج غيره بقول الخليل: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ

---

(١) العبارة في الأصل هكذا «فإن قيل: إنه يراد...» إلخ، بالفاء وظاهرها أنها جملة ناقصة تحتاج إلى جواب، كأنها جملة مستأنفة لإيراد إشكال جديد، وليس كذلك، والمثبت من درء التعارض، ومجموع الفتاوى، والفتاوى الكبرى بالواو «وإن قيل..»، فيكون الكلام تابع لما قبله، ومعنى الجملة هنا: أن الأوزاعي منع من إطلاق لفظ الجبر حتى لو أريد به معنًا صحيحًا، فالعبارة صحيحة لا سقط فيها.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٠-٦٤٥، ٨/ ١٠٤).

(٣) اختلفت أقوال الأئمة في اسمه، لكن الصحيح المشهور أنه المنذر بن عائذ بن المنذر العصري، أشج عبد القيس، صحابي نزل البصرة ومات بها. انظر: شرح النووي على مسلم (١/ ١٨٩)، السير (٢/ ١٣٨)، التقريب (ص٩٧١).

(٤) لم أجده بهذا اللفظ في مسلم، وإنما ذكره بهذا اللفظ ابن تيمية في الدرء (١/ ٢٥٥) ومنهاج السنة (٣/ ٣٦)، والحديث أخرجه مسلم في كتاب الايمان (١/ ٤٨) بمعناه، ورواه غير مسلم.

(٥) خلق أفعال العباد (٢/ ١٠٧- ١١٢)، لكنه ذكر حديث الأشج دون الآية. وانظر: البرهان للزركشي (٤/ ١٣٤)، البحر المحيط له أيضًا (٢/ ٧٨)، طريق الهجرتين للناظم (ص١٨٥).

ﵟٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيﵞ، وقوله: ﵟرَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَﵞ [البقرة:١٢٨].

وجواب الأوزاعي أقوم من جواب الزبيدي؛ لأن الزبيدي نفى الجبر، والأوزاعي منع إطلاقه، إذ هذا اللفظ قد يحتمل معنى صحيحًا فنفيه قد يقتضي نفي الحق والباطل.

كما ذكر الخلال ما ذكره عبد الله بن أحمد في كتاب السنة فقال: «ثنا محمد بن بكار[1] ثنا أبو معشر[2] ثنا محمد بن كعب[3] قال: «إنما سمي الجبار لأنه يجبر الخلق على ما أراد»[4]. فإذا امتنع من إطلاق اللفظ المجمل المشتبه زال المحذور وكان أحسن من نفيه، وإن كان ظاهرًا في المعنى الفاسد خشية أن يظن أنه ينفي المعنين جميعًا.

وهكذا يقال في نفي الطاقة عن المأمور، فإن إثبات الجبر في المحظور نظير سلب الطاقة في المأمور، وهكذا كان يقول الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة.

قال الخلال: «أنبا الميموني[5] قال سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل يناظر

---

(١) هو محمد بن بكار البغدادي الرصافي أبو عبد الله مولى بني هاشم، محدث حافظ صدوق مات سنة (٢٣٨هـ). السير (١١/ ١١٢-١١٣).

(٢) نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر المدني مولى بني هاشم، ضعيف، أسن واختلط من السادسه مات سنة (١٧٠هـ). تهذيب الكمال (١/ ٢٦٩)، تقريب التهذيب (ص٩٩٨).

(٣) تحرفت في (ع) و(د) إلى «ابن محمد بن كعب» وهو محمد بن كعب بن سليم القرظي أبو حمزه المدني، ثقة عالم، من الثالثة، ووهم من قال: أنه ولد في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مات سنة (٢٠هـ) وقيل: قبل ذلك. التقريب (ص٨٩٢).

(٤) أخرجه الخلال في السنة له (٣/ ٥٤٩) وإسناده ضعيف لحال أبي معشر.

(٥) عبد الملك بن عبد الحميد بن مهران الميموني الرقي أبو الحسن، من أصحاب أحمد وروى عنه مسائل، وكان أحمد يكرمه ويقدمه على غيره مات سنة (٢٧٨هـ) بدير العاقول.
انظر: هداية الأريب الأمجد لمعرفه أصحاب الرواية عن أحمد للشيخ سليمان بن حمدان (ص١٦٥).

خالد بن خراش[1] -يعني في القدر- فذكروا رجلاً فقال أبو عبد الله: «إنما كره من هذا أن تقول: أجبر الله»[2].

وقال: «أنبأ المروذي قلت لأبي عبد الله: رجل يقول: إن الله أجبر العباد فقال: هكذا لا نقول وأنكر هذا وقال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل:٩٣].

قال: «أنبأ المروذي قال كتب إلى عبد الوهاب[3] في أمر حسن بن خلف العكبري![4]، وقال إنه تنزه عن ميراث أبيه، فقال: رجل قدري قال إن الله لم يجبر العباد على المعاصي فرد عليه أحمد بن رجاء![5] فقال: إن الله جبر العباد على ما

---

(١) خالد بن خراش ابن عجلان أبو الهيثم المهلبي مولاهم البصري، قال أبو حاتم: صدوق، وقال الساجي: فيه ضعف، وقال الذهبي: أبلغ ما نقموا عليه أنه ينفرد بأحاديث عن حماد بن زيد، وهذا لا يدل على لينه، فإنه لازمه مدة، وقال في التقريب: صدوق يخطئ. مات سنة (٢٢٣هـ).
انظر: السير (١٠/ ٤٨٨).
أما مناظرته لأحمد في القدر هنا، فالمقصود مذاكرة أحمد في القدر، لا أنه أنه قدري كما يدل عليه ظاهر اللفظ، فكل من ضعفه فإنما هو من جهة حفظه لا من جهة مخالفته في القدر.
انظر: السير (١٠/ ٤٨٨).

(٢) أخرجه الخلال في السنة (٣/ ٥٤٩) وإسناده صحيح.
وفي هذه القصة كراهة الإمام أحمد أن يقول الرجل: جبر الله العباد، مع أن المعنى صحيح، لكن كره ذلك؛ لئلا يلتبس من قال ذلك بمذهب الجهمية القائلين: إن الله جبر العباد على ما يعملون من طاعة ومعصية، والعبد إنما هو كالريشه في مهب الريح، وعطلوا لأجل ذلك الشرائع والأوامر والنواهي، ويبين ذلك الأثر الآتي.
وانظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٤٤-٤٤٥)، السنة للخلال (٣/ ٥٥٠ - تعليق).

(٣) عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع البغدادي أبو الحسن. كبير الشأن ومن خواص الإمام أحمد اثنى عليه الامام أحمد ووثقه النسائي وقال الحافظ في التقريب: «ثقه في الحادية عشر» مات سنة (٢٥١هـ). السير (١٢/ ٣٢٣)، التقريب (ص٦٣٣).

(٤) لم أجد من ذكره.

(٥) لم أجد من ذكره.

أراد،أراد بذلك إثبات القدر، فوضع أحمد بن علي![1] كتابًا يحتج فيه، فأدخلته على أبي عبد الله فأخبرته بالقصة.

فقال: ويضع كتابًا!! وأنكر عليهما جميعًا على ابن رجاء حين قال:جبر العباد وعلى القدري حين قال: لم يجبر، وأنكر على أحمد بن علي وَضْعَهُ الكتاب واحتجاجه، وأمر بهجرانه لوضعه الكتاب.

وقال لي: يجب على بن رجاء أن يستغفر ربه لما قال: جبر العباد.فقلت لأبي عبد الله: فما الجواب في هذه المسألة قال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل:٩٣].

قال المروذي في هذه المسألة: إنه سمع أبا عبد الله لما أنكر على الذي قال: لم يجبر وعلى من رد عليه جبر فقال أبو عبد الله: كلما ابتدع رجل بدعة اتسع الناس في جوابها.

وقال: يستغفر ربه الذي رد عليهم بمحدثة وأنكر على من رد بشيء من جنس الكلام إذا لم يكن له فيها إمام تقدم.

قال المروذي:فما كان بأسرع من أن قدم أحمد بن علي من عكبر، ومعه مشيخة وكتاب من أهل عكبر، فأدخلت أحمد (ع/ ٢/ ٧٢/ب) بن علي على أبي عبد الله فقال: يا أبا عبد الله هو ذا الكتاب إدفعه إلى أبي بكر حتى يقطعه، وأنا أقوم على منبر عبكر وأستغفر الله عَزَّوَجَلَّ.

فقال أبو عبد الله لي: «ينبغي أن يقبلوا منه فرجعوا له» وقد بسطنا الكلام في هذا المقام في غير هذا الموضع »انتهى كلام شيخ الإسلام.

---

(١) لم أجد من ذكره.

قوله:

واشهـد عليهـم أن إيمـان الـورى قول وفعـل........................ إلخ

هذه المسألة من مسائل الأصول الكبار، ومذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان تصديق بالجنان وعمل بالأركان وقول باللسان وأنه يزيد وينقص. وذهب جهم والصالحي والأشعري -في المشهور من قوليه- إلى أن الإيمان هو تصديق القلب(١).

وذهبت المرجئة إلى أن الإيمان هو قول اللسان وتصديق القلب، وذهبت الكرامية(٢) إلى أن الإيمان هو تصديق اللسان فقط.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأم(٣): «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: إن الإيمان قول وعمل ونية لا تجزئ واحدة من الثلاثة إلا بالأخرى»(٤) ....

---

(١) انظر: أصول الدين، للبغداي (ص٢٤٧)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٢) (١/ ٧٤)، والمحلى (١٢/ ٤٣٥) ط. البندري، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٧٥).

(٢) الكرامية: هي إحدى فرق المرجئة، وهم أتباع محمد بن كرام الذي كان يثبت الصفات، إلا أنه ينتهي فيها إلى التشبيه، ويزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأن المنافقين على عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنين على الحقيقة.

كما زعموا أيضًا: أن الكفر بالله هو جحوده وإنكاره باللسان، وهم طوائف عدة: منهم العابدية والإسحاقية والنونية والزرينية والواحدية والهيصية وغيرها.

انظر: الملل والنحل (١/ ٩٩)، وما بعدها، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٠١)، مذاهب الإسلاميين (١/ ٢٢٣).

(٣) بحثت عنه في النسخة المطبوعة من كتاب الأم فلم أجده، وقد نقله عنه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنه (٣/ ٩٥٦) قال: (الشافعي في «كتاب الأم» في باب النية في الصلاة...) إلخ.

(٤) اختلفت عبارات السلف في تفسير الإيمان على أقوال:

١- فتارة يقولون: الإيمان قول وعمل.

=

[وكذلك] قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

ولهذا كان القول إن الإيمان قول وعمل عند أهل السنة من شعائر السنة.

= ٢- وتارة يقولون: قول وعمل ونية.

٣- وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع سنة.

٤- وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

وكل هذا صحيح، فمن قال: قول وعمل، أراد بالقول قول القلب واللسان، وقول القلب هو تصديقه واعترافه، وأما العمل فهم يدخلون فيه عمل القلب والجوارح، وعمل القلب: جميع العبادات القلبية من خضوع وخشوع وخوف وحب وتوكل وإنابة ورجاء وغيرها من أعمال القلوب.

ومن زاد في تعريف (الاعتقاد) رأى أن لفظة القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: قول وعمل ونية، رأى أن القول يتناول الاعتقاد وقول القلب، وأما العمل فقد لا يفهم منه النيه، فزاد ذلك.

ومن زاد اتباع السنة؛ فلأن ذلك كله لا يكون إلا باتباع السنة.

ومن قال قول وعمل لم يرد كل قول وعمل، بل ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال، لكنهم اختصروا العبارة؛ لأن مقصودهم كان هو الرد على المرجئة الذين جعلوا الإيمان (قولًا) فردوا عليهم فقالوا: بل هو قول وعمل.

ولما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان فقال:قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية فهو نفاق وإذا كان قولًا وعملًا ونية بلا سنة فهو بدعة. انظر: مجمع الفتاوى (٧/ ١٧٠-١٧١).

(١) في الأصول الخطية، العبارة هكذا: «وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا كان....» إلخ، وهو خطأ، والمثبت من مجموع الفتاوى وما بين محصورتين منه. ومن قوله «ولهذا...» إلخ من كلام شيخ الإسلام (٧/ ٣٠٦-٣٠٧)

أما قول الإمام أحمد في تعريف الإيمان فقد ذكره الخلال في كتاب السنه له (٣/ ٥٨٢) -وذكر جمع من تلاميذه كلهم- يقولون: «سمع أحمد بن حنبل قال: الإيمان: قول وعمل يزيد وينقص» وإسناده صحيح.

وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيده لشيخنا الدكتور عبد الإله الأحمدي (١/ ٣٦).

وروى أبو عمر الطلمنكي بإسناده المعروف عن موسى بن هارون الحمال[١] قال «أملى علينا إسحاق بن راهويه: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص لا شك أن ذلك كما وصفنا، وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة والآثار العامة المحكمة وآحاد[٢] أحد أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتابعين.

هلم جرًّا على ذلك.

وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد لا يختلفون فيه. وكذلك في عهد الأوزاعي بالشام وسفيان الثوري بالعراق ومالك بن أنس بالحجاز ومعمر باليمن على ما فسرنا وبينا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وقال إسحاق: من ترك الصلاة متعمدًا حتى ذهب وقتها الظهر إلى المغرب والمغرب إلى نصف الليل، فإنه كافرٌ بالله العظيم، يستتاب ثلاثة أيام، فإن لم يرجع وقال: «تَركُهَا لا يكون كفرًا» ضربت عنقه، يعني تركها وقال ذلك[٣].

وأما إذا صلى وقال ذلك فهذه مسألة اجتهاد[٤].

---

(١) تقدم.

(٢) في (ع، د): «وأحد» والمثبت من مجموع الفتاوى.

(٣) يعني إذا لم يصلي وقال: إن تركها لايكون كفرًا.

(٤) يعني إذا صلى وهو يعتقد أن تارك الصلاة لا يكون كافرًا،فهذا لايكفر لأنه يصلي، ويعد رأيه اجتهادًا يثاب عليه أجران إن أصاب، وأجرًا عن أخطأ؛ وقد اختلف أهل العلم في حكم تارك الصلاة، مع العلم أنه لم يكفر أحد منهم صاحبه لمجرد رأيه:

١- فقال مالك والشافعي: يقتل.

٢- وقال مكحول: يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وإليه ذهب حماد بن زيد ووكيع بن الجراح.

٣- وقال أبو حنيفة: لا يقتل ولكن يضرب ويحبس.

٤- وعن الزهري: أنه فاسق، يضرب ضربًا مبرحًا ويسجن.

٥- وقال جماعة من العلماء إن ترك الصلاة حتى يخرج وقتها لغير عذر كفر، وهذا قول النخعي وأيوب السختياني وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية. =

قال: واتبعهم على ما وصفنا من بعدهم من عصرنا هذا أهل العلم إلا من باين الجماعة، واتبع الأهواء المختلفة، فأولئك لا يعبأ الله بهم لما باينوا الجماعة[١].

قوله:

ويـــزيـــد بـــالـــطـــاعـــات قـــطـــعًـــا .... إلخ

أي أن أهل السنة والحديث على أن الإيمان يتفاضل، وجمهورهم يقول يزيد وينقص[٢].

ومنهم من يقول: يزيد ولا ينقص كما روي عن مالك في إحدى الروايتين[٣] ومنهم من يقول: يتفاضل كعبد الله بن المبارك[٤].

= انظر: المغني لابن قدامة (٣/ ٣٥١) ط. دار الفكر، التمهيد لابن عبد البر (٤/ ٢٢٥)، المهذب لأبي إسحاق الشيرازي (١/ ٥١) ط. دار الفكر، مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/ ٤٠)، الصلاة وحكم تاركها لابن القيم (ص٢٩، ٣١، ٤٣، ١٥٠) فتح الوهاب لزكريا الأنصاري (١/ ١٥٤) ط. دار الكتب العلمي، وتحفة الأحوزي (٢/ ٢٧٠).

(١) هذا الأثر ذكره أبو عمر الطلحنكي في كتابه: «الوصول إلى معرفة الأصول» وهو من كتب السنة التي لم تصل إلينا، وقد ذكره شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٧). وقال المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٢٩): قال أبو عبد الله سمعت: إسحاق يقول قد صح عن رسول الله ﷺ أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا: «أن تارك الصلاة عمدًا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر» وهو بمعنى الأثر السابق. وانظر: التمهيد لابن عبد البر (٤/ ٢٢٦).

(٢) قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٦): «وبعضهم عدل عن لفظ الزياده والنقصان إلى لفظ التفاضل فقال: أقول: الإيمان يتفاضل ويتفاوت، ويروى هذا عن ابن المبارك، وكان مقصوده: الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لاريب في ثبوته» انتهى كلامه.

(٣) سيأتي الكلام عن هذه الرواية في موضعها.

(٤) أخرجه عبد الله في السنة (١/ ٣١٦) بإسناد صحيح، ولكنه عدل عن ذلك، وصار يصرح بزيادة الإيمان لكونها منصوصًا عليها في القرآن. =

وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة، ولم يعرف فيه مخالف منهم، فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة عن حماد بن سلمة عن أبي جعفر[(١)] عن جده (ع/٢/٧٣/أ) عمير بن حبيب[(٢)] وهو من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الإيمان يزيد وينقص**» قيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: «**إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا فتلك نقصانه**»[(٣)].

وروى إسماعيل بن عياش عن حريز بن عثمان[(٤)] عن الحارث بن

= قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (لم أجد بدًّا من الإقرار بزيادة الإيمان إزاء كتاب الله)، بل وصرح بالزيادة والنقصان كما في رواية علي بن الحسن بن شقيق عنه، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٦٧٠-٦٧١) وانظر: زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق العباد (ص١٢٤-١٢٥).

(١) عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب بن خماشة الأنصاري الخطمي أبو جعفر المدني، نزيل البصرة. وثقه النسائي وابن معين، وذكر ابن حبان في الثقات. قال في التقريب: صدوق من السادسة. انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٤١٢)، والتقريب (ص٧٥٤).

(٢) عمير بن حبيب بن جماشه الأنصاري ويقال: خباشه، بصري، وهو جد أبي جعفر، وله صحبه، وهو ممن بايع تحت الشجرة مدني، روى عنه ابنه يزيد وابن ابنه أبى جعفر. انظر: الجرح والتعديل (٦/ ٣٧٥)، التقريب (ص٧٥٣).

(٣) إسناده حسن، أخرجه اللالكائي في شرح الإعتقاد (٥/ ٧٧)، وعبد الله في السنة (١/ ٣٣١) وابن سعد في الطبقات (٤/ ٣٨١) وغيرهم بأسانيد عن عماد عن أبى جعفر مرة عن أبيه عن جده، ومرة عن جدة بإسقاط أبيه وعلى الوجه الثاني هو منقطع، فصار الثابت ما رواه حماد عن أبي جعفر عن أبيه عن جده به، فالأثر حسن ووالد أبي جعفر وثقه ابن مهدي بقوله: «كان أبو جعفر وأبوه قوم يتوارثون الصدق بعضهم عن بعض». انظر: تهذيب التهذيب(٣/ ٣٢٨)، زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق العباد (ص١١٦ ـ حاشية).

(٤) (ع، د) «جرير بن عثمان» وهو خط، والمثبت من كتب التراجم والأثار، ولا يوجد في شيوخ إسماعيل بن عياش من اسمه حريز -بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وآخر الزاء- إلا حريز ابن عثمان الرحبي بفتح الراء والحاء المهملة بعدها موحدة، الحمصي ثقة ثبت رمي بالنصب، من الخامسة، مات سنه (١٦٣هـ) ثلاثة وستين وله ثلاث وثمانون سنة. انظر التقريب (ص٢٣١). أما جرير بن عثمان الذي وهم فيه الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ فهو رجل من أهل المدينة، ذكره الكشي في رجال الشيعة من الرواه عن جعفر الصادق. انظر: لسان الميزان (٢/ ١٠٣)، وسيتكرر هذا الوهم في الرواية الثانية، وننبه عليه إن شاء الله تعالى.

مخمر[١] عن أبي الدرداء قال: **«الإيمان يزيد وينقص»**[٢].

وقال أحمد بن حنبل: «ثنا يزيد ثنا حرير[٣] بن عثمان قال: سمعت أشياخنا أو بعض أشياخنا أن أبا الدرداء قال: من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما ينقص منه ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد إيمانه أم ينقص، وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه»[٤].

وروى إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو[٥] عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي[٦] عن أبي هريرة قال: **«الإيمان يزيد وينقص»**[٧].

---

(١) تحرف في (ع، د)، وبعض مصادر السنة المطبوعة إلى «الحارث بن محمد» والتصويب من كتب التراجم، والحارث بن مخمر أبو حبيب القاضي الشامي ولاه عبد الملك القضاء بعمان، يروي عن عدد من الصحابة، قال أحمد بن حنبل: أبو الحبيب القاضي الحارث بن مخمر، شامي ثقة.
انظر: الجرح والتعديل (٣/ ٨٩)، الكنى والأسماء لأحمد بن حنبل (١/ ٤٤١)، الثقات لابن حبان (٤/ ١٣١).

(٢) أخرجه عبد الله في السنة (١/ ٣١٤) وابن بطه في الإبانة (٢/ ٨٤٣) واللالكائي في شرح الاعتقاد (٥/ ٩٤٤) وغيرهم من طريق إسماعيل بن عياش عن حريز بن عثمان عن أبي حبيب الحارث بن مخمر عن أبي الدرداء قال: (.... فذكره). وإسناده حسن لحال إسماعيل بن عياش؛ فإنه صدوق -كما في التقريب- إذا روى عن الشاميين، وإذا روى عن غيرهم خلط، وشيخه في هذا السند شامي ثقة.

(٣) (ع، د): «جرير» وقد سبق التنبيه عليه في الرواية السابقة.

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٤٩) وإسناده ضعيف لجهالة شيخ حريز.

(٥) صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي أبوعمر الحمصي ثقه من الخامسه، مات سنة خمس وخمسين أو بعدها. انظر: التقريب (ص٤٥٤) أشبال.

(٦) عبد الله بن ربيعة الحضرمي، سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم وذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ٢٧)، فيكون على القاعدة التي مشى عليها الحافظ، ولم ينص عليها أنه مقبول حيث يتابع وإلا فلين.

(٧) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٨٤٩)، وابن بطة (٢/ ٨٤٤)، واللالكائي في شرح الاعتقاد (٥/ ٩٤٥).

وقال أحمد بن حنبل: «ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن طلحة[١] عن زبيد[٢] عن زر[٣] قالا: كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيمانًا فيذكرون الله عَزَّوَجَلَّ»[٤].

وقال أبو عبيد في الغريب[٥] في حديث علي: «إن الإيمان يبدو لمظة في القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة».

وروي ذلك عن عثمان بن عبدالله بن عمرو بن هند الجملي عن علي[٦]. قال الأصمعي: اللحظة مثل النكتة أو نحوها»[٧].

وقال أحمد بن حنبل: ثنا وكيع عن شريك عن هلال[٨] عن عبد الله بن

(١) محمد بن طلحة بن مصرف اليامي، كوفي، صدوق له أوهام، وأنكرو سماعه من أبيه لصغره، من السابعه مات سنة سبع وستين انظر: التقريب (ص٨٥٧) أشبال.

(٢) زبيد، بموحدة -مصغر- ابن الحارث بن عبد الكريم بن عمرو اليامي، أبوعبد الرحمن الكوفي، ثقه، مات سنه اثنتين وعشرين أو بعدهما. انظر: التقريب (ص٣٣٤).

(٣) (ع، د): «ذر» وهو تحريف، وزر -بكسر أوله وتشديد الراء- بن حبيش ابن حباشه الأسدي الكوفي أبو مريم، ثقة جليل مخضرم، من الثانية، مات سنة إحدى أو اثنتن أو ثلاث وثمانين وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة. انظر: التقريب (ص٣٣٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٢٦)، وفي الإيمان (ص٢٦)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥/ ٩٤١) وغيرهم. إسناده حسن.

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢/ ١٤٣).

(٦) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ١٥٤) ومن طريقة البيهقي في الشعب (١/ ٧١)، واللالكائي في شرح السنه (٥٠/ ٩٤١)، وأبو القاسم التيمي في الحجه (٢/ ١٥٩) من طريق عبد الله بن هند الجملي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده ضعيف؛ فإن عبدالله بن عمرو لم يثبت سماعه من علي كما في التقريب (ص٥٣١).

(٧) اللمظة: «هي الذوقة، وهوما يلمظ الإنسان أو الدابة شيئًا يسيرًا، أي: يتذوقه، فكذلك القلب يدخله من الإيمان شيء يسير،ثم يتسع فيه ويكثر». انظر: شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٧٠).

(٨) هلال بن حميد أو ابن أبي حميد الجهني مولاهم، أبو الجهم الصيرفي الوزان الكوفي، ثقة من السادسة. انظر: التقريب (ص١٠٢٦).

عكيم[١] قال سمعت ابن مسعود يقول في دعائه: «اللهم زدنا إيمانًا وإيقانًا وفقهًا»[٢].

وروى سفيان الثوري عن جامع بن شداد[٣] عن الأسود بن هلال[٤] قال كان معاذ بن جبل يقول للرجل: «إجلس بنا نؤمن ساعة نذكر الله تعالى»[٥].

وروى أبو اليمان[٦] ثنا صفوان[٧] عن شريح بن عبيد[٨] أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه يقول: «قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر»[٩].

---

(١) عبد الله بن عكيم الجهني، قيل: له صحبة، وقد أسلم بلا ريب في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قيل إنه توفي سنة (٨٨هـ). انظر: السير (٣/ ٥١٠).

(٢) أخرجه عبد الله في السنة له (١/ ٣٦٨)، واللالكائي في شرح الاعتقاد (٥/ ٩٤٢)، وغيرهم، من طريق شريك عن هلال بن حميد عن عبد الله بن عكيم عن ابن مسعود قال: (... فذكره) وإسناده صحيح كما قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٨).

(٣) جامع بن شداد المحاربي، أبو صخرة الكوفي، ثقة من الخامسة، مات سنه سبع، ويقال: ثمان وعشرين. انظر: التقريب (ص١٩٣) أشبال.

(٤) تحرفت في (ع، د) إلى: (سواد بن هلال) والمثبت من كتب التراجم، والأسود بن هلال هو المحاربي، الكوفي، مخضرم، ثقه جليل، من الثانية، مات سنة (٨٤هـ). انظر: التقريب (ص١٤٦).

(٥) أخرجه أبو عبيد في الإيمان (ص٧٢) وابن ابي شيبه في المصنف (١١/ ٢٥-٢٦)، وفي الإيمان (ص٣٥)، وعبد الله في السنة (١/ ٣٦٨) وغيرهم، بإسناد صحيح إلى الأسود بن هلال قال: قال معاذ (.... فذكره). وانظر: الفتح (١/ ٣٦).

(٦) الحكم بن نافع البهراني أبو اليمان الحمصي، مشهور بكنيته، ثقه ثبت، يقال: إن أكثر حديثه عن شعيب مناوله، من العاشرة، مات سنه اثنتين وعشرين. انظر: التقريب (ص٢٦٤).

(٧) صفوان بن عمر بن هرم السكسكي، أبو عمر الحمصي ثقة، من الخامسة، مات سنة (٧٥هـ) أو بعدها. انظر: التقريب (ص٤٥٤).

(٨) شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي الحمصي، ثقه من الثالثه، وكان يرسل كثيرًا، مات بعد المائة. انظر: التقريب (ص٤٣٤).

(٩) أخرجه اللالكائي (٣/ ١٠١٥) بهذا السند، وهو ضعيف، فيه شريح بن عبيد لم يسمع من عبد الله بن رواحه قطعًا، وابن رواحه مات في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. =

وهذه الزيادة قد ذكرها الصحابة، وأثبتوها بعد موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزول القرآن كله.

وصح عن عمار بن ياسر أنه قال: «ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان: الإنصاف من نفسه والإنفاق من الإقتار وبذل السلام للعالم» ذكره البخاري عنه في صحيحه(١).

وقال جندب بن عبد الله(٢) وابن عمر وغيرهما: «تعلمنا الإيمان (ثم) تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا»(٣).

والآثار في هذا كثيرة،رواها المصنفون في هذا الباب عن الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة.

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في التمهيد(٤): «أجمع أهل الفقه والحديث على

= وأخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (١١/ ٤٣)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٩٣)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٤٨) وغيرهم من طرق، لا تخلو من ضعف، وهو حسن بمجموع طرقه إن شاء الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري (١/ ٨٢فتح) تعليقًا ووصله ابن أبي شيبة في الإيمان (ص٤٤)، وعبدالرزاق في المصنف (١٠/ ٣٨٦) والبيهقي في الشعب (١/ ١٩١) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن صله ابن زفر عن عمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. راجع: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢٥).
استفدت هذا من كتاب زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق العباد (ص١١٨).

(٢) جندب بن عبد الله بن سفيان، الإمام أبو عبد الله البجلي العلقمي، صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
انظر: السير (٣/ ١٧٤).

(٣) رواه ابن ماجه (١/ ٢٣- مقدمة) -وما بين الحاصرتين منه-، وعبد الله في السنة (١/ ٣٦٩)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٧٧) وغيرهم من طرق عن حماد بن نجيح عن أبي عمران الجوني عن جندب به. وصححه البوصيري في زوائد ابن ماجه (١/ ١٢)، والألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ١٦)، انظر: السير (٣/ ١٧٤).

(٤) التمهيد (٩/ ٢٣٨).

أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات (ع/٢/٧٤/ب) لا تسمى إيمانًا، قالوا: إنما الإيمان التصديق والإقرار[١]، ومنهم من زاد المعرفة[٢]، وذكر ما احتجوا به».

إلى أن قال: «وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم فقالوا: الإيمان قول وعمل قول باللسان، وهو الإقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة.

قالوا: وكل ما يطاع الله عَزَّوَجَلَّ به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر.

ألا ترى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[٣] الحديث يريد مستكمل الإيمان، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك[٤] بدليل الإجماع

---

(١) لأنهم لما أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان وحصروه في التصديق والإقرار، صار الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص؛ لعدم إمكان حصول الزيادة والنقصان في التصديق لما يقتضيه -في رأيهم- من الشك والريب. انظر: العقيدة النظامية للجوني (ص٣٨٨)، المواقف للإيجي (ص٣٨٨)، شرح العقائد النسفية للتفتازاني (ص١٢٥)، زيادة الايمان ونقصانه لعبد الرزاق البدر (ص٤٣٥).

(٢) انظر: الفقه الأكبر (ص٣٠٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٥٥)، وأصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص٣٥٤-٣٥٨).

(٣) أخرجه البخاري في الحدود (١٢/ ٥٩ ـ فتح).

(٤) قال ابن القيم في الوابل الصيب (ص٦٦): «ليس المراد تقييد نفي الإيمان المطلق عنه حال مباشرته =

على توريث الزاني والسارق والشارب للخمر إذا صلوا إلى القبلة وانتحلوا دعوة الإسلام من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الأحوال واحتجوا على ذلك.

ثم قال: وأكثر أصحاب مالك قالوا: إن الإيمان والإسلام شيء واحد.

قال[١]: وأما قول المعتزلة،فالإيمان عندهم جماع الطاعات، ومن قصر عن شيء منها فهو فاسق لا مؤمن ولا كافر، وهؤلاء هم المحققون بالاعتزال أصحاب المنزلة بين المنزلتين[٢].

إلى أن قال[٣]: وعلى أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الأثر والفقهاء من أهل الفتيا في الأمصار.

وروى ابن القاسم[٤] عن مالك: أن الإيمان يزيد وتوقف في نقصانه[٥].

=تلك الأفعال فقط -بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان-، بل هذا النفي مستمر إلى حين التوبة، وإلا فما دام مُصِرًّا -وإن لم يباشر- فالنفي لاحق به، ولا يزول عنه اسم الذم والأحكام المترتبة على المباشرة إلا بالتوبة النصوح والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم» اهـ. وانظر: الفتح (١٢/ ٦٠).

(١) التمهيد (٩/ ٢٥١).

(٢) ذهبت المعتزلة ومعهم الخوارج إلى أن الإيمان قول وعمل إذا زال بعضه زال كله، فمن ارتكب كبيرة خرج من الإيمان بالكلية، على خلاف بينهم في تسميته كافرًا، فالخوارج قالوا هو كافر، والمعتزلة قالوا: هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، ولهم شبه في ذلك.
انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢٣، ٢٥٧) (١٣/ ٤٨)، شرح العقيدة الأصبهانية (ص١٣٧-١٤٤)، زيادة الإيمان ونقصانه للعباد (ص٣٤٨-٣٥٠).

(٣) التمهيد (٩/ ٢٥٢).

(٤) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي أبو عبد الله البصري الفقيه، صاحب مالك، ثقه من كبار العاشرة، مات سنة (١٩١هـ). التقريب (ص٥٩٥).

(٥) قال القاضي في ترتيب المدارك (٢/ ٤٣): «قال ابن القاسم: كان مالك يقول: الإيمان يزيد، وتوقف عن النقصان، وقال: ذكر الله زيادته في غير موضع فدع الكلام في نقصانه وكُفَّ عنه». =

وروى عنه عبد الرزاق[١] ومعن بن عيسى[٢] وابن نافع[٣] أنه يزيد وينقص وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله.

ثم ذكر حجج المرجئة ثم حجج أهل السنة ورد على الخوارج التكفير بالحدود المذكورة للعصاة في الزنا والسرقة ونحو ذلك وبالموراثة وبحديث عبادة بن الصامت (من أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له)[٤].

وقال: الإيمان مراتب بعضها فوق بعض فليس ناقص الإيمان ككامل الإيمان قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:٢]، إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال:٤]، وكذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده**»[٥] أي حقًّا ومن هذا قوله: «**أكمل المؤمنين إيمانًا**»[٦].

= وهذه الرواية ثابتة عنه، رواها غير ابن القاسم، لكنه عدل عنها إلى القول بزيادة الإيمان ونقصانه. وقد ذكر أهل العلم بعض التعليلات لرواية التوقف في النقصان أصحها أنه وجد لفظ الزيادة في القرآن، ولم يجد ذكر النقص.
قال شيخ الإسلام -كما في مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٦)-: «وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه، لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن ولم يجدوا ذكر النقص، وهذه إحدى الروايتين عن مالك».

(١) كما في السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٤٢) من طريق مسلمة بن شبيب عن عبد الرزاق الصنعاني سمعت معمرًا وسفيان الثوري ومالك بن أنس وابن جريج وسفيان بن عيينه يقولون: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» وإسناده صحيح. انظر: زيادة الإيمان ونقصانه للعباد (ص١٢٨).

(٢) ذكرها ابن عبد الله في التمهيد (٩/ ٢٥٢) ونقلها عنه شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٧/ ٣٣١).

(٣) كما في السنة لعبد الله (١/ ٣١٧) من طريق أبي الحسن سريج بن النعمان قال: «حدثنا عبد الله بن نافع» وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في الإيمان، باب علامة حب الأنصار (١/ ٨١ - فتح).

(٥) أخرجه البخاري في الإيمان (١/ ٦٩). وأحمد (٦/ ٢٧)، وابن حبان (٢/ ٢٦٤) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن حبان (٢/ ٢٢٧) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمه عن أبي هريرة به، =

ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص.

وقوله: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»[(١)] وقوله: «**لا إيمان** (ع/٢/٧٥/أ) **لمن لا أمانة له**»[(٢)] يدل على أن بعض الإيمان أوثق وأكمل من بعض وذكر الحديث الذي رواه الترمذي وغيره «**من أحب لله وأبغض لله**»[(٣)] الحديث.

وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على أن الإيمان قول وعمل ونية وإصابة السنة.

ومن حجج الجهمية على أن الأعمال ليست من الإيمان أنهم قالوا: إن القرآن نفى الإيمان عن غير هؤلاء كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:٢] الآيات، ولم يقل: إن هذه الأعمال من الإيمان.

=وإسناده حسن لحال محمد بن عمر، وهو ابن علقمة الليثي فإنه صدوق له أوهام. انظر: تعليق شعيب على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٢٧).

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (٢/ ١١٠-١١١)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٨٧-٣٨٨)، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٥-٤٦) وغيرهم، من طرق عن ليث بن أبي سليم عن عمرو بن مره عن معاوية ابن سويد بن مقرن عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال -واللفظ للطيالسي-: كنا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «أتدرون أي الإيمان أوثق؟!...» الحديث. وإسناده ضعيف لحال ليث بن أبي سلم. وقد روى مثل هذا عن ابن مسعود وابن عباس ومعاذ وأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأسانيد لا تخلو من ضعف، لكنها ترقى إلى الحسن بمجموع طرقها، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ٣٧٦)، وابن أبي شيبة في الإيمان (ص٥)، وابن أبي يعلى في المسند (٤/ ٣٤٣)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٧٥) وقال: «حديث حسن»، وصححه الألباني في تعليقه على الإيمان لابن أبي شيبة.

(٣) تتمة الحديث: «... فقد استكمل الإيمان» أخرجه أبو داود (٤/ ٢١٩)، وابن أبي الدنيا في الإخوان (ص١٠٢)، والطبراني (٨/ ١٣٤)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٠)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٣٣) من طرق عن القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي عن أبي أمامة به، وحسنه الألباني، وله شاهد من حديث سهل بن معاذ عن أبيه رواه الترمذي (٤/ ٦٧٠)، وأحمد (٣/ ٤٤٠)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٢٨)، وحسنه الألباني أيضًا. ثم قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالحديث بمجموع الطريقين صحيح». انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٥٧).

قالوا: فنحن نقول:من لم يعمل هذه الأعمال لم يكن مؤمنًا؛ لأن انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه(١).

والجواب عن هذا من وجوه(٢):

أحدها: أنهم سلموا أن هذه الأعمال لازمة لإيمان القلب،فإذا انتفت لم يبق في القلب إيمان، وهذا هو المطلوب، وبعد هذا فكونها لازمة أو جزء نزاع لفظي.

والثاني: أن نصوصًا صرحت بأنها جزء كقوله [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أو ست وسبعون شعبة**»(٣).

الثالث: أنكم إن قلتم: بأن من انتفى عنه هذه الأمور فهو كافر خال من كل إيمان، كان قولكم قول الخوارج، وأنتم في طرف، والخوارج في طرف، فكيف توافقونهم في هذه الأمور، ومن هذه الأمور إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج والجهاد، والإجابة إلى حكم الله ورسوله، وغير ذلك مما لا تكفرون تاركه، وإن كفرتموه كان قولكم قول الخوارج.

الرابع: أن قول القائل: إن انتفاء بعض هذه الأعمال، يستلزم أن لا يكون في قلب الإنسان شيء من التصديق، بأن الرب حق قول يعلم فساده بالاضطرار.

الخامس: أن هذا إذا ثبت في هذه ثبت في سائر الواجبات، فيرتفع النزاع المعنوي.

ومن حججهم العقلية أيضًا: أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله، ولهذا لما صنف الفخر الرازي مناقب الإمام الشافعي ذكر قوله في

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص٥٠٢).

(٢) انظر: الإيمان لابن تيمية (ص١٦١).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان (١/ ٦٣)، باب بيان عدد شعب الإيمان، من حديث أبي هريرة.

الإيمان، وقول الشافعي قول الصحابة والتابعين، وقد ذكر الشافعي أنه إجماع الصحابة والتابعين، فاستشكل الرازي قول الشافعي جدًّا؛ لأنه كان قد انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الإيمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة: وهو أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله، لكن هو لم يذكر إلا ظاهر شبهتهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «والجواب عما ذكره هو سهل،فإنه يسلم له أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة، كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون: إن الذنب يقدح في كمال الإيمان، ولهذا نفى الشارع الإيمان عن هؤلاء،فذلك المجموع الذي هو الإيمان، لم يبق مجموعًا مع الذنوب (ع/٢/٧٦/ب) لكن يقولون: بقي بعضه إما أصله وأكثره وأما غير ذلك، فيعود الكلام إلى أنه يذهب بعضه ويبقى بعضه.

ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفرتها من لفظ الزيادة لأنه إذا نقص لزم ذهابه كله عندهم إن كان متعددًا متبعضًا عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة.

وأما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد، فيثبتون واحدًا لا حقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم.

ومن العجب أن الأصل الذي أوقعهم في هذا الاعتقاد: اعتقادهم أنه لا يجتمع في الإنسان بعض الإيمان وبعض الكفر أو ما هو إيمان وما هو كفر، واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن وغيره،فلأجل اعتقادهم هذا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٠٤).

الإجماع وقعوا فيما هو مخالف للإجماع الحقيقي: إجماع السلف الذي ذكر غير واحد من الأئمة، بل وصرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الإيمان» انتهى المقصود من كلامه.

وقد بسط رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام في الإيمان وكلام الناس فيه، وما لهم وعليهم في كتاب الإيمان الكبير(١)، فمن أراد ذلك فليراجعه والله أعلم (ع/ ٢/ ٧٧/ أ).

قوله: «العمران.....» يعني أبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا من باب التغليب كما قالوا سيرة العمرين.

(١) انظر: الإيمان لابن تيمية (ص٢٣٨).

فصل

في عهود المثبين مع رب العالمين

يا ناصر الإسلام والسنن التي　　جاءت عن المبعوث بالفرقان

يا من هو الحق المبين وقوله　　ولقاؤه ورسوله ببيان

اشرح لدينك صدر كل موحد　　شرحًا ينال به ذرى الإيمان

واجعله مؤتما بوحيك لا بما　　قد قاله ذو الإفك والبهتان

وانصر به حزب الهدى واكبت به　　حزب الضلال وشيعة الشيطان

وانعش به من قصده إحياؤه　　واعصمه من كيد امرئ فتان

واضرب[١] بحقك عنق أهل الزيغ والـ　　ـتبديل والتكذيب والطغيان

فوحق نعمتك التي أوليتني　　وجعلت قلبي واعي القرآن[٢]

وكتبت في قلبي متابعة الهدى　　فقرأت فيه أسطر الإيمان

ونشلتني من حب أصحاب الهوى　　بحبائل من محكم الفرقان[٣]

---

(١) في هامش (ع) بغير خط المؤلف: «واصرف».

(٢) علق الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ في نسخته من النونية بما نصه: «هذا قسم بحق النعمة، وحقها الشكر، والشكر عمل من أعمال القلوب واللسان والجوارح، وذلك مخلوق، والمخلوق لا يقسم به لثبوت الأحاديث الصحيحة بالنهي عنه، فتكون هذه زلة من المصنف، وهو غير معصوم، عفا الله عنا وعنه». انظر: الكافية الشافية لابن القيم (٢/ ٦٣٩ - تعليق العريفي ورفاقه).
لكن يرى شيخنا عبدالعزيز الراجحي أن هذا ليس بقسم، قال: «لم يقصد الناظم القسم بغير الله تعالى، لورود الأدلة في النهي عنه، ويجوز السؤال بحق الرحم، كأن تقول: أسألك بحق الرحم الذي بيني وبينك أن تفعل كذا، ولما زاد الناظم الفاء، صار ليس بقسم، لأن حرف القسم لا يسبق ولا يقترن بغيره» اهـ.

(٣) نشل الشيء ينشله نشلًا: أسرع نزعه. لسان العرب (١١/ ٦٦١).

وجعلت شربي المنهل العذب الذي هو رأس ماء الوارد الظمآن[(١)]

وعصمتني من شرب سفل الماء تحت نجاسة الآراء والأذهان

وحفظتني مما ابتليت به الألى حكموا عليك بشرعة البهتان

نبذوا كتابك من وراء ظهورهم وتمسكوا بزخارف الهذيان

وأريتني البدع المضلة كيف يلقيها مزخرفة إلى الإنسان

شيطانه فيظل ينقشها له نقش المشبه صورة بدهان

فيظنها المغرور حقًّا وهي في التحقيق مثل الآل في القيعان

لأجاهدن عداك ما أبقيتني ولأجعلن قتالهم ديداني[(٢)]

ولأفضحنهم على رؤس الملا ولأفرين أديمهم بلسان

ولأكشفن سرائرًا خفيت على ضعفاء خلقك منهم ببيان

ولأتبعنهم إلى حيث انتهوا حتى يقال أبعد عبادان[(٣)]

عبادان بفتح العين وتشديد الباء الموحدة وفيه المثل المعروف ليس وراء عبان قرية[(٤)].

---

(١) قوله: (وجعلت شِربي...) بكسر السين ومعناه: المورد، قاله شيخنا.

(٢) هذا جواب القسم من قوله: (فوحق نعمتك التي أوليتيني....).

(٣) لم يشرح المؤلف تلك الأبيات ونقول: يناجي الناظم ربه بهذه الأبيات الرائعة، ويتوسل بالله تعالى أن ينصر دينه ويشرح صدر كل مؤمن موحد لينال أعلى المقامات، فإن الله تعالى إذا أراد هداية عبده شرح صدره للإسلام والإيمان، فتلقى ما جاء به الرسول ﷺ بقوة، وأقبل على تفهم معاني ما جاء في كلام الله وسنة رسوله ﷺ، وعمل بما يدل عليه ويقتضيه هاديًا مهديًّا، وعاهد ربه بما التزمه من السمع والطاعة على نصر دينه ووحيه، وعلى مجاهدة المبطلين وأصناف المبتدعين بالطرق النقلية والعقلية. انظر: توضيح الكافية الشافية لابن سعدي (ص١٠٣).

(٤) مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٢٥٧) ط. دار المعرفة.

قال في القاموس[١]: «عبادان جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في بحر فارس» انتهى.

۞۞۞

ثـولأرجمـنـهـم بـأعـلام الهـدى	رجـم المـريـد بـثـاقـب الـشـهـبـان
ولأقـعـدن لهـم مـراصـد كيدهم	ولأحـصـرنـهـم بـكـل مـكـان
ولأجـعـلـن لحـومـهـم ودمـاءهـم	في يـوم نـصـرك أعـظـم الـقـربـان
ولأحمـلـن عـلـيـهـم بـعـسـاكـر	لـيـسـت تـفـر إذا الـتـقـى الزحفان
بعساكر الوحيين والفطرات وال	ـمـعـقـول والمـنـقـول بـالإحـسـان
حـتـى يـبـين لمـن لـه عـقـل مـن الـ	اولى بحكم العقل والـبـرهـان
ولأنـصـحـن الله ثـم رسـولـه	وكـتـابـه وشـرائـع الإيمـان
إن شـاء ربي ذا يـكـون بحـولـه	أو لم يـشـأ فـالأمـر لـلـرحمـن

قوله: «.... نقش المشبه صورة بدهان» المشبه: المصور (ع/٢/٧٨/ب) أي كما ينقش المصور الصور المنقوشة في الحيطان بالدهانات من أحمر وأخضر وأصفر ونحو ذلك.

قال في القاموس[٢]: «النقش تلوين الشيء بلونين أو ألوان كالتنقيش» انتهى.

قوله:

....	.... الآل ....

هو السراب.

---

(١) القاموس المحيط (ص٣٧٩).

(٢) القاموس (ص٧٨٤).

قوله:

.... القيعان

قال في القاموس[(١)]: «القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام،جمع قيع وقيعة وقيعان بكسرهن وأقواع وأقوع».

قوله: (ولأفرين.....) قال في القاموس[(٢)]: «فراه يفريه شقه فاسدًا أو صالحًا كفراه وأفراء» انتهى، يقال فلان يفري الفرى أي يعمل العمل البالغ[(٣)].

قوله: (المريد.....) مرد كنصر وكرم مرودًا ومرادة فهو مارد ومريد ومتمرد قاموس[(٤)].

---

(١) القاموس (ص٩٧٨).

(٢) القاموس (ص١٧٠٣).

(٣) انظر: اللسان لابن منظور (١٥/ ١٥٤).

(٤) يقسم الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الأبيات أنه سيجاهد أعداء الله تعالى المارقين عن دينه، الناكبين عن صراطه ما بقي فيه رمق من حياة، وأن يجعل قتالهم ديدنه وعادته، وأن يُظهر للناس عوارهم ويهتك أستارهم، ويكشف ما خفي على الجهال من مخازيهم ويقسم -أيضًا- أنه سيبالغ في طلبهم وتتبع آثارهم إلى حيث بلغوا، وأن يجعل لحومهم ودماءهم التي فراها ومزقها من أعظم القربان إلى الله تعالى.

وأن يكون سلاحه في الحمل عليهم جنودًا لا تعرف الفرار، وهي نصوص الوحيين من الكتاب والسنة، وما تَقَرُّ به الفطرة السليمة التي خلقها الله مستعدة لقبول الحق والإذعان له، وما تهدي إليه العقول بالنظر الصحيح، وما تفيده النقول الثابته. ومقصود الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بهذا القسم الذي ألزم به نفسه أمران: الأول: القرب إلى الله تعالى وعبادته بمجاهدة أهل الباطل، والثاني: لأجل أن يظهر لمن له عقل وتمييز من أولى بالحق المؤيد بالعقل والبرهان: أهل السنة أو مخالفوهم، وبين أنه سينصح لله ما عاش، فيبين العقيدة الصحيحة التي يجب أن يعتقدها العبد في ربه عَزَّوَجَلَّ، ويبين حقوقه تعالى الواجبة على عباده، وكذلك سينصح لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببيان ما يجب على الناس نحوه من توقيره وطاعته ومحبته واتباعه، وما يجب عليهم من معرفة أخلاقه وسيرته وهديه وسنته =

=وسينصح -أيضًا- لكتاب الله -تعالى-، فيبين ما يجب على الناس نحو كلام ربهم، من حسن الاستماع إليه وكمال التعقل والتدبر لآياته، والوقوف عند حدوده وأحكامه، والاتعاظ بمواعظه، والتخلق بآدابه، وسينصح -أيضًا- لشرائع الإسلام والإيمان كلها ببيانه للناس أتم بيان. وقيد كل ذلك بمشيئة الله -تعالى-، فهو الذي إن شاء كان، وإن لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وهذا القسم والنصيحة من الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هو الذي يجب أن يسير عليه كل مسلم، ويتأكد في حق حملة العلم الشرعي، لأنه يتضمن مجالات عديدة من أنواع الجهاد والنصيحة.

فصل

في شهادة أهل الإثبات على أهل التعطيل أنه ليس في السماء إله يعبد ولا لله بيننا كلام ولا في القبر رسول الله(١)

إنا تحملنا الشهادة بالذي — قلتم نؤديها لدى الرحمن
ما عندكم في الأرض قرآن كلا — م الله حقًّا يا أولي العدوان
كلا ولا فوق السماوات العلى — رب يطاع بواجب الشكران
كلا ولا في القبر أيضًا عندكم — من مرسل والله عند لسان
هاتيك عورات ثلاث قد بدت — منكم فغطوها بلا روغان
فالروح عندكم من الأعراض قا — ئمة بجسم الحي كالألوان
وكذا صفات الحي قائمة به — مشروطة بحياة ذي الجثمان
فإذا انتفت تلك الحياة فينتفي — مشروطها بالعقل والبرهان

---

(١) مراد الناظم بهذا الفصل: تحميل أهل الإثبات يوم القيامة عند رب العالمين شهادة يشهدون بها على هؤلاء المعطلة البغاة بما كانوا يقولونه ويعتقدونه في الله تعالى من العقائد الزائغة والكفرية.
مثل: اعتقادهم في هذا القرآن الموجود بيننا بأنه ليس هو كلام الله تعالى، لأن كلام الله -تعالى- ليس بحرف ولا صوت؛ كما تقول الأشاعرة وكذلك قولهم: ليس فوق السماوات رب تجب على العباد طاعته، لأن الوجود في الجهة عندهم من لوازم الأجسام، والله عندهم ليس بفوق ولا تحت. وكذلك يشهدون عليهم بأنهم يقولون: ليس في القبر رسول؛ لأن الصفات القائمة بالحي من علم وقدرة وإرادة وسمع وبصر، تكون مشروطة ببقاء الحياة،لا يعقل قيام تلك الصفات بغير حي، وبذلك لا يوصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندهم بالرسالة، وصارت رسالته بعد موته في حكم العدم؟!.
قال أبو إسماعيل الأنصاري يومًا على المنبر -كما في الذيل لابن رجب (١/ ٤٠٣)-: «أهل البدع تقول: ما في السماء أحد، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم».

ورسالة المبعوث مشروط بها ... كصفاته بالعلم والإيمان

فإذا انتفت تلك الحياة فكل ... مشروط بها عدم لدى الأذهان

أقول:

رأيت في كتاب: «القول المفيد في مدح النظر وذم التقليد» لبعض الشافعية[(١)] ونقلته من خط مصنفه «قال قال ابن حزم في كتاب الملل والنحل عن الشيخ أبي الحسن الأشعري أنه يعتقد إذا حاضت الجارية أو بلغ الغلام ونبت شعر عانته ولم يعرف الله بالدليل والبرهان (ع/٢/٧٩/أ) فكل منهما كافر حلال الدم.

هذا قوله عنه في هذا الكتاب، وهذا القول في غاية البشاعة، وما رأيت هذا في كلام أبي الحسن الأشعري[(٢)]، وقد يكون أبو محمد اطلع على مالم أطلع أنا عليه، فإنه

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أجد هذا الذي حكاه ابن حزم في كتب الأشعري، ولم أجد من نقل عنه هذا القول، إلا أن الأشاعرة كبقية فرق المتكلمين،قد بنوا مذهبهم في إثبات الصانع على مقدمات عقليه وأقيسه جعلوها أصول لدينهم، كاعتمادهم على دليل الأعراض في إثبات وجود الله، وقد ادعوا أن إثبات وجود الله تعالى لا يحصل إلا بالنظر العقلي في الأعراض وملازمتها للأجسام دون الاعتماد على الوحي. وقد أوجبو هذا الاستدلال العقلي على كل أحد، ولما كان الاستدلال العقلي الذي أوجبوه من الأمور التي لا يتمكن من معرفتها كل أحد، ألزموا كل مسلم بتعلم علم المنطق حتى يستطيع إقامة البراهين على وجود الله، ومن لم يتسن له تحصيل ذلك، فهو عاجز عن إثبات وجود ربه.
قال عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري (ت٤٧٨) أحد علماء الأشاعرة الذين درَّسوا بالنظامية في كتاب «الغنية في أصول الدين» (ص٥٥-٥٦): «أول واجب على المكلف القصد إلى النظر الصحيح المؤدي إلى العلم بحدوث العالم وإثبات الصانع وقد أوجب هذا الأشعري، كما نقله عنه أبو جعفر السمناني قال: إيجاب الأشعري النظر في المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال».
وحكاه الجويني عن الأشاعرة كما شامل من (ص٧٩)، والإرشاد له (ص٣)، والتفتازاني في شرح المقاصد (١/ ٤٤-٤٥)، والإيجي في المواقف (ص٣٨)، وإشارات المرام في علم الكلام للبياضي (ص٨٤)، والبيجوري في شرح جوهرة التوحيد (ص٣٨)، وشرحها للصاوي (ص٦١). =

لا يشك أحد في فضيلته، وكثرة علمه، وإنما كان فيه حط على العلماء، وخصوصًا الأشعري، فإنه ذكر عنه أنه كان يعتقد أن الروح عرض، وأن الإنسان إذا مات لم يبق له وجود(١)، وسفه ابن حزم هذا الرأي، وقال: إنه يلزم منه خطأ كثير، وأن سائر الأكابر من الخلق من الأنبياء والأولياء إذا قال أحد صلى الله عليهم وسلم أو رحمهم الله، كان الكلام فاسدًا لا طائل فيه، لأنهم ليسوا موجودين فيكون كل الخلق مجمعين على الباطل.

وهذا الكلام مخالف للكتاب والسنة واستشهد على تزييف هذا القول بآيات من الكتاب العزيز وأحاديث صحيحة من السنة.

وأما آيات الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠]، ولا شك أن أبدانهم موتى مشاهدة بالحس، فالكلام عن أرواحهم قال تعالى عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦]، ولا شك أن أجسادهم غرقى موات، وأكل أكثرهم السمك وفنوا فهو على أرواحهم(٢).

= والحق الذي لا مرية فيه: أن معرفة الله تعالى فطرية ضرورية، لا تحتاج إلى نظر ولااستدلال عقلي إلا لمن فسدت فطرته، أما أول واجب على المكلف فهو التوحيد المستلزم للعباده، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك، فهو أول واجب وآخر واجب، وهو أول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به من الدين.

انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعه مذهبهم في الصفات لعبد القادر محمد عطا صوفي (١/ ٣١٧-٣٢٢)، تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله (ص٦٠-٦٢) ط. وراجع كتاب: «أول واجب على المكلف عبادة الله تعالى» لشيخنا عبد الله الغنيمان، فقد أجاد وأفاد.

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٧٥).

(٢) الذي عليه أهل السنة أن العذاب والنعيم يقع على النفس والبدن، وقد تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن. =

ومتى قال قائل: إن الموات الجماد أو الفاني يدرك أو يحس، كان هذا الكلام سفسطة، ويؤيد ذلك ما ورد في السنة الشريفة من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما وقف على قليب بدر وفيه جثث المشركين: **«يا أبا جهل بن هشام يا عتبة وربيعة ابني شيبة يا فلان يا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعدكم حقًّا»** قالوا: يا رسول الله، أتخاطب الجمادات؟ قال: **«إنهم لأسمع منكم ولكن لا يستطيعون الكلام»**(١).

وليس ذلك إلا لأرواحهم، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض خطبه: **«حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش يقول يا أهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله ومن غير حله فالمهنأة لغيري والتبعة علي فأحذروا ما حل بي»**(٢).

فهذا قول الروح والجسد ميت فوق النعش، فلو كانت الروح عرضًا لعدمت عند عدم الجسم،فإن العرض يبطل ببطلان الحامل له، وهو الجسم، فمن كان يرفرف ويتكلم بذلك الكلام والجسم ميت.

= وهذا الذي حكاه ابن حزم، نقله عنه ابن القيم عند ذكره لأقوال المخالفين: هو قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، يقولون: إن النعيم والعذاب لا يكونا إلا على الروح، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، وهم في هذا قد تأثروا بالفلاسفة المنكرين لمعاد الأبدان؛فإنهم هم أول من قال بذلك، فأخذه عنهم المعتزلة وأهل الكلام، وقالوا: نقر بمعاد الأبدان، لكن لا يكون ذلك في البرزخ.

والصحيح الذي عليه أهل السنة أن كل من مات وهو مستحق للعذاب نال نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر وأكله السمك،فإنه يصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور. انظر: الروح لابن القيم (ص٧٣-٧٤)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٩٦ ـ بتحقيق أحمد شاكر).

(١) صحيح بخاري (٤/ ١٤٦١)، وصحيح ابن حبان (١١/ ٩٩)، ومعتصر المختصر (٢/ ٣٧٣) ط. عالم الكتب، ومسند أحمد، ومسند أبي يعلى (٣/ ٢١).

(٢) أخرجه الشريف السيلقي كما في تحفة المشتاق للسياغي (ص٩).

قال صاحب القول المفيد «أقول ومما يشد كلام ابن حزم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى بالأنبياء ليلة الإسراء[(١)]، فلا يخلو إما أن يكون صلى (ع/٢/٨٠/ب) بأرواحهم أو بأدانهم، لا جائز أن يكون بأبدانهم، فإن الأبدان موتى مدفونين بالأرض، فبقي أن يكون بأرواحهم، وإن كان[(٢)] هناك من يقول: إن الله أحياهم على طريق المعجزة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليهم أجمعين[(٣)].

فنقول: إما أن يكون استمروا أحياءً أو عادوا ثم ماتوا، ولا يجوز القول بموتهم لقوله تعالى عن أهل السعادة: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الدخان:٥٦]، فكيف يمكن أن يموت من وصل بهم [الأمر من] أهل السعادة إلى مرتبة السعادة مرتين، وغيرهم مرة واحدة.

هذا فاسد ولا يصح استمرارهم أحياء، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض**»، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أنا أول الناس بعثًا يوم القيامة**»، فما بقي إلا أن يكون صلى بأرواحهم، والأشعري لا يقول بالأرواح على ما ذكره عنه ابن حزم[(٤)]، وأنها

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١/ ٤٣).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) ظاهر كلام ابن القيم في الروح (ص١١٥) أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى بأرواحهم.
قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «صلى بأرواحهم، والروح تأخذ شكل الجسد، إلا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بروحه وجسده، لأنه لم يمت ورفع بروحه وجسده، فإذا رفع بروحه وجسده فما المانع أن ينزل بروحه وجسده، أما بقية الأنبياء فصلوا معه بأرواحهم فقط، لأنهم قد ماتوا، والميت لا يبعث بجسده وروحه إلا يوم القيامة، هذا هو الراجح والله أعلم». اهـ.

(٤) إنما ذكره الأشعري في المقالات (٢/ ٢٨) ولم ينسبه لأحد، وكأن ابن حزم فهم من ذلك أن الأشعري يتبنى هذا القول، لكنه قد قال به ابن الباقلاني ومن تبعه من الأشعريه كما حكاه عنهم القاضي أبو يعلى في المعتمد في أصوال الدين (ص٩٦)، وابن القيم في الروح (ص١٥٤)، وتكمن خطورة هذا القول في أن من قال بأن الروح عرض وبأنها تفنى بعد مفارقة الجسد: أن من مات الإنسان فلا روح تصعد الى السماء وتعود إلى القبر ولا تقبضها الملائكة ولا تستفتح لها أبواب =

عرض، والعرض يفنى عند فساد الأجسام؛ فإن العرض وجوده بوجود الجسم فإذا فسد الحامل فسد المحمول» انتهى كلامه.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتاب الجيوش الإسلامية: «وهذا القول في النبوة بناء على أصل الجهمية وأفراخهم: أن الروح عرض من أعراض البدن كالحياة، وصفات الحي مشروطة بها، فإذا زالت بالموت تبعها صفاته، فزالت بزوالها.

ونجا متأخروهم من هذا الإلزام وفروا إلى القول بحياة الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ في قبورهم، فجعلوا لهم معادًا يختص بهم قبل المعاد الأكبر، إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت، وقد أشبعنا الكلام على هذه المسألة واستيفاء الحجج لهم وبيان ما في ذلك في كتاب الكافية الشافعية» انتهى.

ونقل الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب في طبقات الحنابلة[(١)] في ترجمة الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي: «أنه قال يومًا على المنبر: «أهل البدع تقول ما في السماء أحد ولا في المصحف قرآن ولا في القبر نبي ثلاث عورات لكم».

ونقل الحافظ ابن رجب[(٢)] في ترجمة الإمام شيخ الإسلام عبدالله ابن محمد الأنصاري الحنبلي[(٣)]: «عن محمد بن طاهر قال: سمعت أحمد بن أميرجه القلانسي![(٤)]

=السماء ولا تنعم ولا تعذب، وإنما ينعم ويعذب الجسد، فإذا شاء الله تنعيمه أو تعذيبه رد إليه الحياة في وقت يريد نعيمه أو عذابه وإلا فلا روح هناك قائمة ألبتة.

وهذا كله مصادم لكثير من الآيات والأحاديث التي تدل على عكس ما يقوله هؤلاء، والله المستعان.

(١) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٣٤٠).

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٤٦).

(٣) عبد الله بن محمد الأنصارى الهروي الحنبلي، أبو أسماعيل المحدث الحافظ، مات سنة (٤٨١هـ). من تصانيفه: منازل السائري. انظر: معجم المؤلفين (٦/ ١٣٣).

(٤) لم أجد من ذكره.

خادم الأنصاري يقول: حضرت مع الشيخ للسلام على الوزير الطوسي[(١)]، وكان أصحابه كلفوه الخروج إليه، وذلك بعد المحنة ورجوعه من بلخ.

فلما دخل عليه أكرمه وأجله، وكان في العسكر أئمة من الفريقين في ذلك اليوم، وقد علموا أنه يحضر، فاتفقوا جميعًا على أن يسألوه عن مسألة بين يدي الوزير، فإن أجاب بما يجيب به بهراة، سقط من عين الوزير، وإن لم يجب سقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه.

فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من أصحاب الشافعي يعرف بالعلوي الدبوسي[(٢)]، فقال: يأذن الشيخ الإمام أن أسأل مسألة، فقال: سل، فقال: لم تلعن فلانًا[(٣)]، فسكت وأطرق الوزير لما علم من جوابه، فلما كان بعد ساعة قال له الوزير: أجبه. فقال: لا أعرف فلانًا[(٤)]، وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء وأن القرآن في المصحف وأن النبي اليوم نبي.

ثم قام وانصرف، فلم يمكن أحدًا أن يتكلم بكلمة من هيبته وصلابته وصولته، فقال الوزير للسائل ومن معه: هذا أردتم كنا نسمع أنه يذكر هذا بهراة فاجتهدتم حتى سمعناه بآذاننا، وما عسى أن أفعل به ثم بعث خلفه وصلة، فلم يقبلها، وخرج من (ع/ ٢/ ٨١/ أ) فوره إلى هراة.

---

(١) الحسن بن على بن إسحاق الطوسي، الوزير الكبير، نظام الملك، كان عاقلًا خبيرًا متدينًا، محتشمًا قُتل صائمًا في رمضان سنة (٤٨٥هـ). انظر: السير (١٩/ ٩٤-٩٦).

(٢) علي بن أبي يعلى بن زيد الحسيني، أبو القاسم الشافعي، تولى التدريس بالنظامية ببغداد. مات سنة (٤٨٢هـ). انظر: المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٥٠) دار صادر، السير (١٩/ ٩١).

(٣) في الذيل: «لم تلعن الأشعري».

(٤) في الذيل: «لا أعرف الأشعري».

قال الناظم[١]:

فصل

في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه يا كثرة الخلقان[٢]

قال في القاموس: «خلق الثوب كنصر وكرم وسمع خلوقه وخلقًا -محركه- البالي للمذكر والمؤنث جمع خلقان».

۞۞۞

قال الرسول بقبره حي كما قد كان فوق الأرض والرجمان[٣]

من فوقه أطباق ذاك الترب و اللبنات قد عرضت على الجدران

لو كان حيًّا في الضريح حياته قبل الممات بغير ما فرقان

ما كان تحت الأرض بل من فوقها والله هذي سنة الرحمن

---

(١) زيادة من (د).

(٢) لما كان يلزم من قال: إن الروح عرض، نَفيُ الرسالةِ والنبوةِ بعد موته؛لانتفاء شرطها وهو الحياة، فرَّ أصحاب هذا القول من هذا اللازم الى القول بحياة النبي ﷺ في قبره كحياته في الدنيا. ويلزمهم فيما فروا إليه من الشنائع نظير ما يلزمهم عندما قالوا: إن الروح عرض- كما سيأتي من كلام الشارح بعد قليل- لكن لا يلزم من قال بحياة الأنبياء في قبورهم أن يكون صاحبه ممن يعتقد أن الروح عرض، فأهل السنة يثبتون حياة الأنبياء في قبورهم حياة برزخية مع قولهم: بأن الروح لا تفنى وتتلاشى بعد مفارقة الجسد.

انظر: اجتماع الجيوش لابن القيم (ص١٨٦-١٨٧)، شرح النونية لهراس (٢/ ٥).

تنبيه: لما رأى الصوفية الخرافيين من الأشاعرة وغيرهم ممن يقول بحياة الأنبياء في قبورهم كحياتهم على الأرض،غلوا في هذا حتى زعم كثير منهم أنه لقي النبي ﷺ يقظه وأنه أمره أو نهاه، ولهم في ذلك خرافات كثيرة. انظر: الحاوي للفتاوي للسيوطي (٢/ ٢٦٩-٢٥٥).

(٣) الرجمان: من الرجم، وهو الحجارة المجموعة على القبور. انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٢٨).

أتــــراه تحــت الأرض حــيـا ثم لا يـفـتـيـهـم بـشـرائـع الإيمـــان
ويــريـــح أمــتـــه مـــن الآراء و الخـلـف العـظـيـم وسـائـر البهتان
أم كـان حـيًا عـاجـزًا عـن نطقه وعـــن الجــــواب لـســائـلٍ لهـفـان
وعن الحـراك فما الحياة اللات قد أثـبـتـمـوهـا أوضـحـوا بـبـيـان

لما ذكر الناظم قول القائلين بأن الروح عرض والعرض لا يقوم بنفسه، بل لا يقوم إلا بغيره كالألوان، أي كما أن الألوان التي هي الأعراض كالحمرة والصفرة والخضرة ونحوها لا تقوم إلا بجسم،فإذا كانت الروح عرضًا لا تقوم (إلا[1]) بغيرها وفارقت الجسم بطلت صفات الجسم، والرسالة صفة للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيلزمهم أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما مات انتفت صفة الرسالة.

فلما رأوا شناعة هذا اللازم فرُّوا إلى القول بأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حي في قبره كحياته على وجه الأرض، وهذا معنى قول الناظم:

ولأجـــل هـــذا رام نـاصـر قولكم تـرقـيـعـه........................[2] إلخ

فاحتج الناظم عليهم بأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو كان حيًّا في الضريح كحياته قبل الممات، فأي حاجة إلى دفنه بل يكون فوق الأرض.

---

(١) زيادة لا بد منها.

(٢) في هامش (ع) بخط مغاير لخط الشارح: «كان على الشارح أن يبين هذا الناصر» اهـ. أقول: ممن نصر هذا القول -أعني القول بحياة الأنبياء في قبورهم كحياتهم في الدنيا- القرطبي في كتاب المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٢٣٣-٢٣٤) وقبله البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص١٧٧) وكتابه الآخر «حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم» (ص٧٧ - بتحقيق الدكتور أحمد عطية الغامدي)، وكذلك السيوطي في الحاوي (١/ ١٤٧-١٥٥).
وكل هؤلاء أشاعرة، قالوا بهذا نصرة للمذهب الأشعري لما رأوا ما يلزم من شناعة قول من قال من متقدمي الأشاعرة بأن الروح عرض.

وهذه سنة الله في الأحياء، وكيف يكون حيًّا تحت الأرض كحياته على وجهها ثم لا يفتي أصحابه بالشرائع ولا يريح أمته من الآراء والاختلافات العظيمة التي حدثت بعده فإن كان عاجزًا عن النطق والجواب والحركة فما الحياة التي اثبتموها.

قوله: «......الرجمان» هو جمع رجم بالتحريك: وهو القبر.

❁❁❁

قال الناظم[1]:

هـذا ولم لا جـاءه أصحابه	يشكون بأس الفاجر الفتان
إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم	حي يشاهدهم شهود عيان
هل جاءكم أثر بأن صحابه	سألوه فتيا وهو في الأكفان
فأجابهم بجواب حي ناطق	فأتوا إذًا بالحق والبرهان
هلا أجابهم جوابًا شافيًا	إن كان حيًا ناطقًا بلسان
هذا وما شدت ركائبه عن	الحجرات للقاصي من البلدان
مع شدة الحرص العظيم له	على إرشادهم بطرائق التبيان
أتراه يشهد رأيهم وخلافهم	ويكون للتبيان ذا كتمان

أي إذا كان حيًّا في قبره كحياته على وجه الأرض، فلِمَ لَمْ يَشْكِ (ع/ ٢/ ٨٢ب) أصحابه إليه بأس الفاجر الفتان، يشير إلى وقعة الحرة لما قاتلهم مسلم بن عقبة المري، وقتل من أهل المدينة من شاء الله واستباح المدينة المنورة ثلاثة أيام، وذلك بأمر الفاجر الفتان يزيد بن معاوية.

---

(١) في هامش (ع) بخط المؤلف (بلغ....).

قوله:

إذ كان ذاك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم.........................إلخ

أي أن هذا دأبهم في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم كانوا يشكون إليه، كما كانوا يشكون إليه إذا نزل بهم القحط وغير ذلك[(١)].

قوله:

هل جاءكم أثر بأن صحابه .... إلخ

أي هل جاءكم أثر بأن أصحابه استفتوه بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأجابهم بجواب حي ناطق وهو عندهم بالحجرة الشريفة، ليس بعيدًا عنهم، بل هم يستفتون عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو عندهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا مع شدة حرصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إرشادهم كما نعته الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة:١٢٨] الآية، فهل يجوز أن يقال: بأنه يشاهد اختلافهم ويكتم التبيان؟ حاشاه من ذلك[(٢)].

۞۞۞

قال الناظم:

إن قلتم سبق البيان صدقتم	قد كان بالتكرار ذا إحسان
هذا وكم من أمر اشكل بعده	أعني على علماء كل زمان
أو ما ترى الفاروق ود بأنه	قد كان منه العهد ذا تبيان
بالجد في ميراثه وكلالةٍ	وببعض أبواب الربى الفتان

(١) المؤلف ذكر الشكوى على وجه العموم، ثم مثَّل بنزول القحط، ثم قال: (.....وغير ذلك) أفادت جميع النوازل، غير ماذكر، والله أعلم.

(٢) هذا مع ورود الوعيد فيمن كتم علمًا، وورود النهي عن تأخير البيان عن وقت الحاجة.

قد قصر الفاروق عند فريقكم   إذ لم يسله وهو في الأكفان

أتراهم يأتون حول ضريحه   لسؤال أمهم أعز حصان[(١)]

ونبيهم حي يشاهدهم ويسـ   ـمعهم ولا يأتي لهم ببيان

أفكان يعجز أن يجيب بقوله   إن كان حيا داخل البنيان

يا قومنا استحيوا من العقلاء   والمبعوث بالقرآن والرحمن

والله لا قدر الرسول عرفتم   كلا ولا للنفس والإنسان

من كان هذا القدر مبلغ علمه   فليستتر بالصمت والكتمان

ولقد أبان الله أن رسوله   ميت كما قد جاء في القرآن

أفجاء أن الله باعثه لنا   في القبر قبل قيامة الأبدان

أثلاث موتات تكون لرسله   ولغيرهم من خلقه موتان

إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرؤ   في الأرض حيًا قط بالبرهان

أفهل يموت الرسل أم يبقوا إذا   مات الورى أم هل لكم قولان

فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجي   ؤوا بالدليل فنحن ذو أذهان

أو لم يقل من قبلكم للرافعي الـ   أصوات حول القبر بالنكران

لا ترفعوا الأصوات حرمة عبده   ميتًا كحرمته لدى الحيوان

قد كان يمكنهم يقولوا إنه   حي فغضوا الصوت بالإحسان

لكنهم بالله أعلم منكم   ورسوله وحقائق الإيمان

ولقد أتوا يومًا إلى العباس يسـ   ـتسقون من قحط وجدب زمان

هذا وبينهم وبين نبيهم   عرض الجدار وحجرة النسوان

فنبيهم حي ويستسقون غير   نبيهم حاشا أولي الإيمان

---

(١) قوله «....أعز حصان»، وصف لأُمِّنَا لعائشة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا، كما سيأتي.

يقول الناظم: إن قلتم سبق (ع/٢/٨٣أ) البيان من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلنا صدقتم، لكن يحسن تكرار البيان لا سيما لما وقعت تلك الحوادث المهمة والبدع المدلهمة، فيرشدهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الصواب، ويريحهم من تلك الفتن الشديدة الالتهاب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكم أشكل بعده من الأمور.

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «ثلاث وددت أني سألت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهن: الجد والكلالة وأبواب من الربا»[١].

فعلى هذا قد قصر الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندكم، فلسان حالكم يقول: قصرت يا عمر هلا سألت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ هو عندك حي فهو يجيبك.

قوله:

أتراهم يأتون حول ضريحه لسؤال أمهم.................... إلخ

أتراهم -بضم التاء- أي أتظنهم يأتون إلى أمهم عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا يسألونها، ونبيهم حي، يشاهدهم (ع/٢/٨٤/ب) ويسمعهم ثم لا يسألونه، ولا يبين لهم ما أشكل عليهم.

هذا محال من أعظم المحالات، ولهذا قال:

يا قومنا استحيوا من العقلاء ....

فإنكم لم تعرفوا قدر الرسول ولا قدر النفس؛ ومن كان هذا مبلغ علمه فالصمت أستر له والكتمان أولى به.

قوله:

ولقد أبان الله أن رسوله .... إلخ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة (١٠/ ٤٨) مع الفتح.

أي أن الله سبحانه قال في القرآن: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠]، فإذا صح وثبت أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات، فهل جاء عنه أن الله باعثه في القبر قبل القيامة.

فإذا قلتم بذلك، فهل يكون للرسل ثلاث موتات ولغيرهم موتتان[١]؟ وذلك أنه عند النفخ في الصور لا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات فإذا كانت الرسل أحياء عند النفخ في الصور، فهل يموتون أم يبقون إذا مات الناس، فتكلموا بالعلم لا بالدعوى.

قوله: «أعز حصان...» بفتح الحاء أي عفيفة[٢]، ومنه أحصنت فرجها وأحصنت المرأة أي تزوجت، وتأتي بمعنى العفة والحرية والإسلام.

قوله:

أو لم يقل من قبلكم للرافعي الأصوات حول القبر بالنكران

إلى آخر الأبيات[٣].

---

(١) (د، ع): «موتتين» والتصحيح من هامش (ع).

(٢) المقصود بهذا البيت عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ونظير هذا البيت ما ذكره القحطاني في نونيته في وصفها حيث يقول:

أكرم بعائشة الرضى من حرة بكر مطهرة الإزار حصان

(٣) يعني أن الله تعالى قد نهى عن رفع الصوت عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ الآية، وأثنى على الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ الآية.

و المؤمن له حرمته حيًّا وميتًا، وقد جاء النهي عن الجلوس على القبور أو المشي عليها، وإذا كان الأمر كذلك، فلا شك أن حرمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم من حرمة كل مؤمن، وقد كان السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ ينهون عن رفع الصوت حول قبره الشريف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لكنهم ما قالوا قط: «إنه حي فلا ترفعوا أصواتكم عنده» لعلمهم أنه قد مات للأدلة الكثيرة الدالة على موت كل نفس.

قوله: «من قبلكم....» بفتح القاف يشير إلى ما رواه القاضي عياض في الشفاء(١) من رواية محمد بن حميد(٢) قال: « ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله ﷺ فقال له: مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قومًا فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢] الآية، وذم قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات:٤] الآية، ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:٣] الآية، وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًّا.

فاستكان لها أبو جعفر..............».

إلى آخر الحكاية.

تنبيـــه:

إنما ذكر الناظم هذه الحكاية في معرض الاحتجاج والإلزام، وإلا فمحمد بن حميد ضعيف(٣).

---

(١) الشفاء للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٢/ ٧٠ـ مع شرح القاري).

(٢) محمد بن حميد بن حيان الرازي حافظ ضعيف وكان ابن معين حسن الرأي فيه من العاشرة.
انظر: التقريب (ص٨٣٩)، وفي كلام الحافظ نظر، بل الذي يظهر من كلام الأئمة أنه يتعمد الكذب وقد نص على هذا عدد من الأئمة، ولا يصح إطلاق الحفظ على من كان ضعيفًا أو كذابًا؛ لأن الثقات هم العدول الضابطون، وإذا خف ضبطه نزل عن درجة الثقة بحسب حاله، ووصفه بالحفظ مع ضعفه، ما لا يفيده شيئًا، بل الأولى إطلاق الضعف على من هذا حاله، مع أنه ليس بحافظ كما نعته الحافظ، فقد ذكر الأئمة أنه ينفرد عن الثقات بالمقلوبات ويركب الإسناد ويحدث بما لم يسمعه، أما من مدحه كأحمد وابن معين، فالذي يظهر أنه كان يُظهر الصدق في بادئ أمره، ثم تغير، وقد أجاب ابن خزيمة عن ثناء أحمد عليه بأنه لم يعرفه، ولو عرفه كما عرفناه ما أثنى عليه أصلًا، وقد قال أبو زرعة: «تركه محمد بن إسماعيل -يعني البخاري- فلما بلغ ذلك البخاري قال: بره لنا قديم» يعني أنه كان ثقة ثم تغير، فالذين مدحوه من الأئمة، كان مدحهم له قبل تغيره، وهذا يعني أنه قد يظهر لبعض المتأخرين ما يخفى على بعض المتقدمين، والله أعلم.

(٣) قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «يجاب عن الحكاية التي ذكرها الشارح ونسبها إلى الناظم بجوابين:
=

وقد أطال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي في الصارم المنكي الكلام على هذه الحكاية وبيان حال محمد بن حميد.

إلى أن قال: «فانظر هذه الحكاية وضعفها وانقطاعها ونكارتها[1] وجهالة بعض رواتها، ومخالفتها لما ثبت عن مالك وغيره من العلماء» انتهى.

قوله:

ولقد أتوا يومًا إلى العباس يستسقون............ إلخ

يشير إلى ما رواه البخاري عن أنس أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استسقى بالعباس وقال:

= الأول: لم يذكر الناظم هذه الحكاية، ولا الإمام مالك، فلا اعتراض على الناظم بذلك؛ لاحتمال أنه يريد غير تلك الحكاية.

الثاني: قول الشارح: «... إنما ذكر الناظم هذه الحكاية في معرض الاحتجاج بها والإلزام، وإلا فمحمد بن حميد ضعيف».

كيف يكون الاحتجاج بحكاية لم تثبت وفي سندها من لا يحتج به؟». اهـ.

وأقول: الحكاية منقطعة؛ فإن محمد بن حميد لم يدرك مالكًا، ولم يخرج من بلده في طلب العلم إلا وهو كبير، ومع هذا ضعفه أكثر أهل الحديث، بل قد كذبه أبو زرعة وابن وارة، وقال صالح بن محمد الأسدي: مارايت أحدًا أجرأ على الله من وأحذق بالكذب منه، وقال يعقوب بن شيبه كثير المناكير، وقال النسائي ليس بثقة وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بالمقلوبات.

الميزان (٣/ ٥٣٠)، والتهذيب (٣/ ٥٤٦).

(١) لأجل أن في الأثر ما لا يمكن أن يصدر مثله عن مالك، فإن في بقية الأثر أن أبا جعفر قال لمالك بعد ذلك: «يا أبا عبد الله: أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ولم تصرف وجهك عنه؟ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى يوم القيامة، واستشفع به فيشفعك الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ الآية».

وقد تعلق كثيرٌ من متأخري القبوريين بهذا الأثر في جواز الاستشفاع بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسؤاله الحوائج والتوسل به، وقد رد عليهم عدد من أئمة الدعوة النجدية في كثير من كتبهم.

انظر: الشفا للقاضي عياض(٢/ ٤١)، اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/ ٣٩٥)، المدخل لابن الحاج(١/ ٢٦٠)، مجلة البحوث الإسلامية (١٧/ ١١٩).

«اللهم أنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبيك فتسقينا وأنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون»[(١)].

أفتراهم يعتقدون حياة نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كحياته على وجه الأرض، ويستسقون بغيره حاشاهم من ذلك (ع/ ٢/ ٨٥أ).

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابه (٣/ ١١٤٣) باب ذكر العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فصل

فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور(١)

فإن احتججتم بالشهيد بأنه ... حي كما قد جاء في القرآن
والرسل أكمل حالة منه بلا ... شك وهذا ظاهر التبيان
فلذاك كانوا بالحياة أحق من ... شهدائنا بالعقل والبرهان
وبأن عقد نكاحه لم ينفسخ ... فنساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هذا لم يحل لغيره ... منهن واحدة مدى الأزمان
أفليس في هذا دليلٌ أنه ... حي لمن كانت له أذنان
أو لم ير المختار موسى قائمًا ... في قبره لصلاة ذي القربان
أفميت يأتي الصلاة وإن ذا ... عين المحال وواضح البطلان
أو لم يقل إني أرد على الذي ... يأتي بتسليم مع الإحسان
أيرد ميت السلام على الذي ... يأتي به هذا من البهتان
هذا وقد جاء الحديث بأنهم ... أحياء في الأجداث ذا تبيان
وبأن أعمال العباد عليه تعـ ... ـرض دائما في جمعة يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي ... قد خص بالفضل العظيم الشان

معنى هذه الأبيات أن القائلين بحياة الرسل في القبور احتجوا بأشياء منها الشهداء، فإنهم أحياء بنص القرآن كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) القائلون بحياة الأنبياء في قبورهم كحياتهم على وجه الأرض احتجوا بخمس حجج لا تخدم خرافاتهم، وستأتي مع الجواب عنها من كلام الناظم والشارح رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

﴿أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] والرسل أكمل من الشهداء بغير شك فهم أحق بالحياة من الشهداء.

واحتجوا -أيضًا- بأن عقد نكاحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينفسخ من أزواجه، وأنهن في عصمته؛ ولهذا لم يحل نكاحهن لغيره[١].

واحتجوا بأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى موسى ليلة المعراج يصلي في قبره[٢]، وبأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرد السلام على المُسَلِّمِينَ عليه كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مسلم يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام**»[٣].

---

(١) كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل (٤/ ١٥١) باب من فضائل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

تنبيه:

وقد تدرج الخرافيون من الصوفيه وغيرهم إلى إثبات الحياة لغير موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالوا بحياة الأولياء والصالحين حياة حقيقية بعد موتهم.

قال السيوطي في الحاوي للفتاوى (٢/ ١٥٤) في تعليقه على هذا الحديث: «أن جماعة من أئمة الشريعة نصوا على أن من كرامة الولي أنه يرى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويجتمع به في اليقظه، ويأخذ عنه ما قسم له من معارف ومواهب، وممن نص على ذلك من أئمة الشافعية الغزالى، والبارزي، والتاج السبكي، والعفيف اليافعي. ومن أئمة المالكية: القرطبي وابن أبي جمرة وابن الحاج في المدخل، وقد حكي عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثًا فقال له الولى: هذا الحديث باطل، فقال الفقيه: ومن أين لك هذا؟ فقال: هذا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقف على رأسك يقول: إنى لم أقل هذا الحديث وكشف للفقيه فرآه؟!»

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٣٧) وأحمد (٢/ ٥٣٧) وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٤٥٣) والطبري في الأوسط (٣/ ٢٦٢) والبيهقي في الشعب (٢/ ٢١٧) وغيرهم من طريق حيوه بن شريح عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة به. وصححه النووي وابن تيمية وابن القيم وابن الملقن والعراقي وابن حجر والسخاوي.

انظر: المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٠٠)، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٧/ ١١٦)، جلاء الأفهام لابن القيم (ص٥٣)، البدر المنير لابن الملقن (٦/ ٢٩٩)، المغني عن حمل الأسفار للعراقي (١/ ٢٨٨)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٤٨)، المقاصد الحسنة للسخاوي (١/ ٥٨٧).

واحتجوا -أيضًا- بالحديث الذي جاء بأنهم أحياء في قبورهم[١]، واحتجوا أيضًا بأن أعمال العباد تعرض عليه في يوم الخميس ويوم الاثنين[٢].

(١) يشير إلى حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الأنبياء في قبورهم يصلون». أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ١٤٧) من طريق يحيى بن أبي بكير عن المستلم بن سعيد عن الحجاج أبي الأسود عن ثابت عن أنس به. وأخرجه البزار من طريق محمد بن عبدالرحمن الحراني عن حماد بن سلمة عن عبد العزيز عن أنس به.وروي من طرق أخرى غير ما ذكرت.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١١): «رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى ثقات».
وقد وهم الذهبي فحكم على هذا الخبر بالنكارة ظنًا منه أن الراوي عن ثابت هو حجاج بن الأسود، وإنما هو حجاج بن أبي زياد الأسود،كما نبه على ذلك ابن حجر في اللسان، ويعرف بـ (زق العسل) وقد وثقه أحمد وابن معين وقال أبو حاتم صالح الحديث وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: لسان الميزان (٢/ ٣٢٤-٣٢٥).

(٢) يشير إلى حديث: «حياتي خير لكم، وموتي خير لكم، أما حياتي فأحدث لكم، أما موتي فتعرض عليَّ أعمالكم عشية الاثنين والخميس، فما كان من عمل صالح حمدت الله عليه وما كان من عمل سيئ استغفرت له».
أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٧٦) من طريق أبي سعيد العدوي عن خراش بن عبد الله عن أنس به.
وهو موضوع مختلق فإن خراس بن عبد الله ساقط عدم، اتهمه ابن حبان بوضع الحديث وقال: لا يحل الاحتجاج به، ولا كتابة حديثه إلا على وجه الاعتبار.
وفيه أيضًا الحسن بن علي بن زكريا العدوي قال الدارقطني: متروك وقال ابن عدي: يضع الحديث وقال ابن حبان: يروي عن شيوخ ولم يرهم، ويضع على من رأى ووصفه الذهبي بالكذاب. انظر ميزان الاعتلال (١/ ٦٥٠)، الكشف الحثيث عمن رمى بوضع الحديث لبرهان الدين الحلبي (ص٩٢-١٠٨).

ثم شرع الناظم في الجواب عن حججهم فقال (ع/ ٢/ ٨٦/ب):

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذاك — حجتنا عليكم وهي ذات بيان
إن الشهيد حياته منصوصة — لا بالقياس القائم الأركان
هذا مع النهي المؤكد أننا — ندعوه ميتًا ذاك في القرآن
ونساؤه حل لنا من بعده — والمال مقسوم على السهمان
هذا وأن الأرض تأكل لحمه — وسباعها مع أمة الديدان
لكنه مع ذاك حي فارح — مستبشر بكرامة الرحمن
فالرسل أولى بالحياة لديه مع — موت الجسوم وهذه الأبدان
وهي الطرية في التراب وأكلها — فهو الحرام عليه بالبرهان
ولبعض أتباع الرسول يكون ذا — أيضًا وقد وجدوه رأي عيان
فانظر إلى قلب الدليل عليهم — حرفًا بحرف ظاهر التبيان

معنى كلام الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أن دليل القائلين بحياة الأنبياء في قبورهم هو حجتنا عليهم(١) ولهذا قال:

(١) هذه قاعدة في الرد على أهل الباطل ذكرها شيخ الإسلام في كثير من كتبه وهي: أن كل دليل يستدل به المبطل على باطله هو دليل عليه لا له، يقول شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٦/ ٢٨٨): «إن جميع مايحتج به المبطل من الأدلة الشرعية والعقليه إنما تدل على الحق لا تدل على قول المبطل، وهذا ظاهر يعرفه كل أحد؛ فإن الدليل الصحيح لا يدل إلا على حق لا يدل على باطل...»، ثم يبين ذلك فيقول: «إن نفس الدليل الذي يحتج به المبطل هو بعينه إذا أعطى حقه وتميز ما فيه من حق وباطل، وبين مايدل عليه، تبين أنه يدل على فساد قول المبطل المحتج به في نفس ما احتج به عليه، وهذا عجيب قد تأملته في ما شاء الله من الأدله السمعية فوجدته كذلك».
انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٩).

فـيـقـال اصــل دلـيـلـكـم في ذاك هو حجتنا عليكم.........................

وهو أن الشهيد ثبتت حياته بالنص وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ [آل عمران:١٦٩].

قوله: «مع النهي المؤكد أننا ندعوه ميتًا....» يعني قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:١٥٤]، فمع ثبوت حياة الشهيد بالنص لا بالقياس فنساؤه حل لنا من بعده بالنكاح وماله مقسوم بالميراث مع هذه الحياة[١] ومع النهي المؤكد عن أن ندعوه ميتا والأرض والسباع والديدان تأكل لحمه ولكنه مع ذلك حي فارح مستبشر بكرامة الله كما في قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٧٠].

فالرسل أولى بالحياة مع موت جسومهم، وهي طرية في التراب، وقد حرَّم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة وليلتها فإن صلاتكم معروضة علي قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي بليت فقال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**[٢].

---

(١) لأن المسلم لا يجوز نكاح امرأته التي في ذمته، ولا تقسيم أمواله بين ورثته وهو حي لم يمت، فنكاح أزواجه وتقسيم ميراثه إذا مات أو استشهد دليل على جريان أحكام الموت عليه، والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٨)، والدارمي في سننه (١/ ٤٤٥)، وأبو داود (١/ ٢٧٥)، وابن ماجه (١/ ٣٤٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ٢١٧) وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث عن أوس بن أبي أوس به، وصححه المندري والنووي والحاكم والذهبي وابن القيم في جلاء الأفهام وغيرهم وله شواهد.

قوله: «ولبعض أتباع الرسول يكون ذا.....» أي أن بعض أتباع الرسول يكون كذلك أي أن الأرض لا تأكل لحمه وقد شوهد ذلك رأي عيان أي رؤي ذلك بعين المشاهدة(١) فانظر كيف قلبنا الدليل عليهم حرفًا بحرف وهذا ظاهر بحمد الله (ع/ ٢/ ٨٧/ أ).

٭٭٭

قال الناظم(٢):

لكن رسول الله خص نساؤه ... بخصيصة عن سائر النسوان
خيرن بين رسوله وسواه فاخـ ... ـترن الرسول لصحة الإيمان
شكر الإله لهن ذاك وربنا ... سبحانه للعبد ذو شكران
قصر الرسول على أولئك رحمة ... منه بهن وشكر ذي الإحسان
وكذاك أيضًا قصرهن عليه معـ ... ـلوم بلا شك ولا حسبان
زوجاته في هذه الدنيا وفي الـ ... أخرى يقينًا واضح البرهان
فلذا حرمن على سواه بعده ... إذ ذاك صون عن فراش ثان
لكن أتين بعدة شرعية ... فيها الحداد وملزم الأوطان

يشير الناظم إلى الجواب عن قولهم إن نساءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينفسخ نكاحهن وأنهن حرمن على غيره.

ووجه ذلك أن الله سبحانه خيرهن بين رسوله وبين من سواه فاخترن الرسول

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٨٨) وقد علل ذلك بأنه: «كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول. وقد شوهد بعضهم بعد مده من دفنه لم يتغير فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة» بتصرف.

(٢) في الهامش (ع): «بلغ...».

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لصحة إيمانهن، فشكر الله لهن ذلك وقصر رسوله عليهن بقوله: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ ﴾ [الأحزاب:٥٢] رحمة منه بهن، وشكرًا لهن.

وكذلك أيضًا قصرهن عليه وهن زوجاته في الدنيا والآخرة، ولذلك حرمن على من سواه(١) بعده، ولكن مع ذلك لما توفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتين بعدة شرعية، والله أعلم.

۞۞۞

قال(٢) الناظم:

هذا ورؤيته الكليم مصليًا	في قبره أثر عظيم الشان
في القلب منه حُسيكُة هل قاله	فالحق ما قد قال ذو البرهان
ولذاك أعرض في الصحيح محمد	عنه على عمد بلا نسيان
والدارقطني الإمام أعله	برواية معلومة التبيان
أنس يقول رأى الكليم مصليًا	في قبره فاعجب لذا الفرقان
فرواه موقوفًا عليه وليس بالـ	ـمرفوع واشوقًا إلى العرفان

(١) ليست هذه هي العلة الوحيدة في تحريم نكاح نسائه من بعده، بل هناك علل أخرى:
١- من ذلك أنهن أمهات المؤمنين في المحبة والتوقير والإعظام والاحترام، فلا يناسب أن يتزوجهن بعده أحد.
٢- ومنها أنه يجب تقديم محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على محبة كل أحد بعد محبة الله تعالى، فمنع الله تعالى كل ذريعه تحول دون هذا المقصود ودون تكميله، ولا شك أن تزوج الرجل لزوجة الرجل من بعده من دواعي نقصان المحبة.
٣- ومن ذلك أن في الزواج بهن من بعده إذاء له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله منع من إيذائه. وهناك حكم كثيرة ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾. انظر: توضيح الكافية الشافية لابن سعدي (ص١٠٦).

(٢) في (ع): «قوله»، والمثبت من (د).

بين السياق إلى السياق تفاوت | لا تَطرِحْهُ فما هما سيان
لكن تقلد مسلما وسواه | ممن صح هذا عنده ببيان
فرواته الأثبات أعلام الهدى | حفاظ هذا الدين في الأزمان
لكن هذا ليس مختصًا به | والله ذو فضل وذو إحسان
فروى ابن حبان الصدوق وغيره | خبرًا صحيحًا عنده ذا شان
(ع/ ٢/ ٨٨/ ب)
فيه صلاة العصر في قبر الذي | قد مات وهو محقق الإيمان
فتمثل الشمس التي قد كان ير | عاها لأجل صلاة ذي القربان
عند الغروب يخاف فوت صلاته | فيقول للملكين هل تدعان
حتى أصلي العصر قبل فواتها | قالا ستفعل ذاك بعد الآن
هذا مع الموت المحقق لا الذي | حكيت لنا بثبوته القولان[(١)]

قوله:

هذا ورؤيته الكليم مصليًا | .... إلخ

أي: وأما احتجاجهم برؤيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يصلي في قبره، ففيه نظر، وذلك أن الإمام الدارقطني أعله بأنه روي موقوفًا على أنس[(٢)]، ولذلك

(١) أي: قولان في ثبوته.
(٢) العلل للدارقطني (٧/ ٢٦٢)، والعلة ليست هي الوقف؛ لأن ما يقوله الصحابي مما لا مجال للرأي فيه، فله حكم الرفع، ولكن العلة أن هذا الحديث يرويه سليمان التيمي عن أنس بن مالك عن أبي هريرة.
وقد اختلف فيه علي سليمان، فقد رواه عمر بن حبيب القاضي وهو ضعيف عن سليمان التيمي عن أنس عن ابي هريرة.
ورواه معتمر ويزيد بن هارون عن سليمان التيمي عن أنس عن بعض أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يسمعه وهو أشبه كما قال الدار قطني، ورواه حماد بن سلمة وغيره عن سليمان التيمي عن أنس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واختلف فيه على حماد فقال: هلال بن العلاء عن الحجاج =

أعرض عنه البخاري فلم يروه في صحيحه. وأما مسلم فرواه موقوفًا، وتفرد به عن البخاري.

وعلى تقدير رفعه فليس مختصًا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ(١)، فقد روى ابن حبان وغيره عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق**

=عن حماد عن سليمان التميمي عن ثابت عن أنس، والصحيح عن حماد عن سليمان التميمي وثابت.

ومع هذا الاختلاف فبين روايتي الرفع الوقف تفاوت لا يمكن أن يطرح، ولذلك قال الناظم:

في القلب منه حسيكه هل قاله ....

(١) هذا الدليل الآتي الذي ذكره الناظم والشارح مما ينقض على القبورين أدلتهم التي ساقوها في اختصاص الأنبياء في قبورهم بحياة لاتختلف عن حياتهم التي على وجه الأرض، وجه ذلك أنه إذا ثبت أن غير الأنبياء من المسلمين تحصل له الصلاة في القبور وقد أجريت عليهم أحكام الموت في الدنيا، دل على أن حياة الأنبياء في قبورهم ليست كحياتهم في الدنيا، وأن صلاتهم في قبورهم ليست من جنس صلاتهم في الدنيا، لأن الصلاة عمل، والميت قد انقطع عنه العمل، فتكون صلاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأنبياء في قصة الإسراء إنما هي بأرواحهم، وكذلك رؤيته لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا يناقض هذا أن الإسراء كان بجسده وروحه،لأنه لم يمت بعد، ولقاءه بأرواحهم في السماوات، وصلاته بهم كانت في الإسراء قبل عروجه إلى السماوات، وقد جمع الله له أرواحهم في الأرض، ثم لما عرج به إلى السماء صعدت تلك الأرواح إلى منازلها، فالتقى بهم هناك، فإذا كانت الروح تتصل بالبدن في بعض الأوقات وتصعد إلى منازلها في أوقات أخرى، فإن هذا من جنسها. والله أعلم.

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ في السلسلة الصحيحة (٢/ ١٩٠): «اعلم أن الحياة التي أثبتها هذا الحديث للأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما هي حياة برزخية ليست من الحياة الدنيا في شيء، ولذلك وجب الإيمان بها دون ضرب الأمثال لها ومحاولة تكيفها وتشبيهها بما هو معروف عندنا في حياتنا الدنيا» اهـ.

ويقال أيضًا: «إن حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته مخالفه لحياته قبل مماته، وذلك أن الحياة البرزخيه غيب من الغيوب ولا يدري حالها إلاالله تعالى، ولكن من الثابت والمعلوم أنها تختلف عن الحياة الدنيوية، ولا تخضع لقوانينها، فالإنسان في الدنيا يأكل ويشرب ويتنفس ويتزوج ويتحرك ويتبرز ويتكلم، ولا أحد يستطيع أن يثبت أن أحدًا بعد الموت حتى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وفي مقدمتهم نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعرض له هذه الأمور بعد موته». انظر: التوسل وأحكامه للألباني (ص٥٦-٦٦).

نعالهم حين يولون عنه قال فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه والزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام ما قبلي مدخل ثم يؤتى عن يساره فيقول الزكاة ما قبلي مدخل ثم يؤتى من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان ما قبلي مدخل.

فيقول له: اجلس فيجلس وقد مثلت له الشمس، وقد أضت[(١)] للغروب فيقول له هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟وما تشهد به عليه فيقول: دعوني حتى أصلي، فيقولون: إنك ستصلي أخبرنا عما نسألك عنه......» الحديث[(٢)] وقد رواه الإمام أحمد في المسند[(٣)].

وقوله:

هـــذا مـــع المـــوت المحـــقـق .... إلخ

أي أن هذا المذكور في هذا الحديث محقق الموت وقد طلب الصلاة وهو في القبر والصلاة في القبر ليست مختصة بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) أي رجعت. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٥٥)، وتحرفت في (د) إلى «أضات» وقد ورد في بعض الألفاظ «دنت» والمعنى: اقتربت الشمس من الغروب.

(٢) أخرجه ابن حبان (٧/ ٣٨١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٣٥)، والطبري في تهذيب الآثار (٢/ ٥٠٦)، والبيهقي في الاعتقاد (ص٢٢١)، وهناد السري في الزهد (١/ ٢٠٤) وغيرهم، من طريق سعيد بن عامر عن محمد بن عمر بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة به.وإسناده حسن لحال محمد بن عمرو فإنه كما في التقريب (ص٨٨٤): «صدوق له أوهام»، وللحديث شاهد عند ابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٨٥) من حديث جابر، لكن فيه سليمان بن مهران الأعمش مدلس وقد عنعن.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٥٨٧) من طريق وكيع عن سفيان عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة، وفي إسناده عبد الله بن إسماعيل السدي الراوي عن أبيه لم أجد من ذكره، وهذه الرواية إن صحت، فإنها تدل على أصل الحديث،ليس فيها موضع الشاهد.

﴿ وقوله: «لا الذي حكيت [لنا بثبوته] القولان...» أي أن صلاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في قبره ليلة المعراج قد روي فيها الحديث وتقدم أن الدارقطني أعله بأنه روي موقوفًا على أنس ولهذا لم يروه البخاري في صحيحه، وأما مسلم فرواه مرفوعًا، فهذا معنى قول الناظم لا الذي حكيت به القولان.

۞۞۞

قال الناظم:

هـذا وثـابـت الـبـنـانـي قـد دعـى ... الـرحمـن دعـوة صـادق الإيـقـان

أن لا يـزال مـصـلـيـا في قـبـره ... إن كـان أعـطـى ذاك مـن إنسان

أي أن ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ قد دعى الله أن يرزقه الصلاة في قبره:

كما قال ابن سعد في الطبقات(١) وابن أبي شيبة في المصنف(٢) والإمام أحمد في الزهد(٣) معًا: «أخبرنا عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني قال «اللهم إن كنت أعطيت (ع/٢/٨٩/أ) أحدًا الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري»(٤).

وروى أبو نعيم(٥) عن يوسف بن عطية قال: سمعت ثابتًا يقول لحميد الطويل: هل بلغك أن أحدًا يصلي في قبره إلا الأنبياء قال لا قال ثابت: «اللهم إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره، فأذن لثابت أن يصلي في قبره!!»(٦).

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٢٣٢) ط. مكتبة العلوم والحكم.

(٢) كما في شرح الصدور بشرح أصول الموتى والقبور للسيوطي (ص١٨٧).

(٣) شرح الصدور للسيوطي (ص١٨٧).

(٤) إسناده صحيح إلى ثابت، أما بقية الأثر الذي في موضع الشاهد فهو ضعيف لجهالة قائله.

(٥) في الحلية (٢/ ٣١٩).

(٦) إسناده ضعيف جدًّا، يوسف بن عطية هو البصري السعدي الصفار أبو سهل. قال البخاري: =

وروى أيضًا[(١)] عن جسر[(٢)] قال: «أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتًا البناني لحده ومعي حميد الطويل فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره وكان يقول في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها فما كان الله ليرد دعاءه»[(٣)].

۞۞۞

قال الناظم:

لكن رؤيته لموسى ليلة الـ ... ـمعراج فوق جميع ذي الأكوان

يرويه أصحاب الصحاح جميعهم ... والقطع موجبه بلا نكران

ولذاك ظن معارضًا لصلاته ... في قبره إذ ليس يجتمعان

وأجيب عنه بأنه أسري به ... ليراه ثم مشاهدًا بعيان

=منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي متروك، وقال ابن حبان: كان ممن يقلب الأسانيد ويلزق المتون الموضوعه بالأسانيد الصحيحة، لا يجوز الاحتجاج به.

انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤).

وقوله: (...فأذن لثابت أن يصلي في قبره) هو من كلام يوسف بن عطية وفيه ما قد علمت، ولأن مثل هذا لا يكون إلا بوحي، والوحي قد انقطع بموت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والله أعلم.

(١) يعني أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣١٩).

(٢) تحرفت في (ع، د) إلى «جبير» ولم أجد في كتب التراجم أحدًا بهذا الاسم غير جسر بن الحسن اليامي أبي عثمان، الكوفي البصري، ولم أر في طبقة تلاميذ ثابت غير جسر هذا فلعله هو.

قال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال الجوزجاني: واهي الحديث وقال النسائي: ضعيف وقال مرة: ليس بثقه وقال ابن عدي: لا أعرف لجسر كثير رواية.

وقال في التقريب (ص١٩٧): «مقبول». وانظر: تهذيب الكمال (٢/ ٢٤٣).

(٣) إسناده ضعيف، لحال جسر بن الحسن وهو ضعيف كما تقدم، وابنه شيبان لا أعرفه، والراوي عنه محمد بن سنان القزاز ضعيف كما في التقريب (ص٨٥١).

فهذه الروايات الثلاث لأسانيد صلاة ثابت البناني في قبره، تقطع شغب الخرافيين، فإنه لم يثبت منها شيء ألبتة، ولله الحمد.

فــرآه ثــم وفي الــضــريــح ولــيــس ذا بــتــنــاقــض إذ أمــكــن الــوقــتــان

أي أن رؤيته موسى ليلة المعراج في السماء يرويه أصحاب الصحاح جميعهم وهو مقطوع بصحته[(١)] ولذلك ظُن معارضًا لصلاته في قبره ولكن أجيب عنه كما قال الناظم بأنه أسري به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليراه هناك ورآه أيضًا في الضريح.

وهذا ليس بتناقض، لأن ذلك ممكن، أي أن رؤيته في السماء وفي القبر ممكنة والله أعلم.

وقد قال الناظم في كتاب الروح[(٢)]: «وقد صح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رأى موسى قائمًا يصلي في قبره ليلة الإسراء، ورآه في السماء السادسة أو السابعة[(٣)]، فالروح كانت هناك، ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه، وتعلق به بحيث يصلي في قبره ويرد سلام من يسلم عليه وهي في الرفيق الأعلى، ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان»[(٤)].

وهذا جمع حسن، والله أعلم.

❁❁❁

---

(١) يشير إلى حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قصة المعراج، وفيه: «... فأتينا على السماء السادسة قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: ومن معك؟ قيل: محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قيل: نعم قيل: فمرحبًا به، نعم المجيء جاء، فأتيت على موسى فسلمت عليه». أخرجه البخاري في بدء الخلق (٢/ ٩١٩-٩٩٣) باب ذكر الملائكة رقم (٣٢٠٧).

(٢) الروح (ص٤٥).

(٣) الإسراء كان أولًا إلى بيت المقدس، فرآه هناك يصلي في قبره- إن صح الخبر- ثم عرج به بعد ذلك إلى السماء السادسه فرآه هناك فسلم عليه، وجواب ابن القيم هذا الذي أورده الشارح هنا، فيه دلالة ظاهرة على أن رؤية نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأخيه موسي عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما كانت لروحه في المكانين.

(٤) وجود الروح في الرفيق الأعلى وفي بدن المقبور في آن واحد يصح في حال الاتصال فقط، لأنها بمثابة الجسد الواحد المتصل بعضه ببعض، أما في حال الانفصال، فلايصح ذلك أبدًا =

قال الناظم:

هــذا ورد نـبـيـنـا لــسـلام من ... يــأتــي بـتـسـلـيـم مــع الإحــســان

مـا ذاك مختصًا بـه أيضًا كما ... قــد قــالــه المـبـعـوث بـالـقـرآن

مــن زار قــبر اخ لـــه فــأتــى ... بـتـسـلـيـم عـلـيـه وهــو ذو إيمـان

رد الإلـــه عـلـيـه حـقًّـا روحــه ... حــتــى يـــرد عـلـيـه رد بـيـان

(ع/ ٢/ ٩٠/ ب)

يشير إلى ما رواه أبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام**»[(١)].

ويجاب عنه بأن ذلك ليس خاصًّا به ﷺ فقد روى أبو عمر ابن عبد البر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**»[(٢)].

تنبيــــه[(٣)]:

اعلم أن القائلين بحياة الأنبياء في القبور أشكل عليهم قوله ﷺ: «**إلا رد الله عليَّ روحي**»[(٤)] وأجابوا عنه بجوابين:

=ولا يتصور، حتى لو قيل: إن شأن الروح غير شأن البدن، لأن ذلك من محالات العقول، والشرع يأتي بحارات العقول لا بمحالات العقول، حتى الأمور الغيبية التي أخبر الله تعالى عنها، كلها من الأمور التي تتحير فيها عقول أولي الألباب، بل إن خالق السماوات والأرض بذاته وصفاته لا يحيط بكنهه أحد من خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ الآية، والله أعلم.

(١) سبق وهو صحيح. فيجب الإيمان به على ظاهره، وهو كما ذكرنا أن تتصل أحيانًا بالبدن في مواطن، وهذا منها.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار (٢/ ١٦٥) من طريق فاطمة بنت الريان المستملي عن الربيع ابن سليمان عن بكير عن الأوزاعي عن عطاء عن عبيد بن عمير عن ابن عباس به.
وصححه عبد الحق الإشبيلي كما في الأحكام الكبري والعراقي وله شواهد.

(٣) الصارم المنكي (ص٢١٣).

(٤) لأن قوله: (... إلا رد الله عليّ روحي) يفيد أن المفارقه قد حصلت، وهو دليل قاطع على الموت =

أحدهما: ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي أن المعنى إلا وقد رد الله علي روحي يعني أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ما مات ودفن رد الله عليه روحه لأجل سلام من يسلم عليه واستمرت في جسده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الجواب الثاني: أنه يحتمل أن يكون ردًّا معنويًّا وأن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة الإلهية والملأ الأعلى عن هذا العالم، فإذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم لتدرك سلام من يسلم عليه، وترد عليه

والجواب أن في كل واحد من الجوابين نظر، أما الأول وهو الذي ذكره البيهقي في الجزء الذي جمعه في حياة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بعد وفاتهم فمضمونه رد روحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته إلى جسده واستمرارها فيه قبل سلام من يسلم عليه وليس هذا المعنى مذكورا في الحديث ولا هو ظاهره، بل هو مخالف لظاهره.

فإن قوله: «إلا رد الله علي روحي» بعد قوله «ما من أحد يسلم علي» يقتضي رد الروح بعد السلام ولا يقتضي استمرارها في الجسد وليعلم أن رد الروح في البدن وعودها إلى الجسد بعد الموت لا يقتضي استمرارها فيه ولا يستلزم حياة أخرى قبل يوم النشور نظير الحياة المعهودة بل إعادة الروح إلى الجسد في البرزخ إعادة برزخية لا تزيل عن الميت اسم الموت.

وقد ثبت في حديث البراء بن عازب الطويل المشهور في عذاب القبر ونعيمه[1]

=الحقيقي، وجوابهم الآتي ضعيف، منشؤه جهلهم بأن للروح تعلق بالبدن في الحياة البرزخية يختلف عنه في الدنيا.

ففي الدنيا يحصل الموت بمجرد مفارقة الروح للجسد، وأيضًا قد دلت الأحاديث على أن الروح لها اتصال بالبدن أحيانًا، ومفارقة أحيانًا، ومع هذا فالميت حي في قبره يعيش بحياة تختلف عن حياته في الدنيا.

(١) سبق تخريجه.

وفي بيان الميت وحاله أن روحه تعاد إلى جسده مع العلم بأنها غير مستمرة فيه وأن هذه الإعادة ليست مستلزمة لإثبات حياة مزيلة لاسم الميت، بل هي نوع حياة برزخية والحياة جنس تحتها أنواع وكذلك الموت، فإثبات بعض أنواع الموت لا ينافي الحياة كما في الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان إذا استيقظ من النوم قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»(١).

وتعلق الروح بالبدن واتصالها به يتنوع أنواعًا: (ع/ ٢/ ٩٢/ ب).

أحدها: تعلقها به في هذا العالم يقظة ومنامًا.

الثاني: تعلقها به في البرزخ والأموات متفاوتون في ذلك، فالذي للرسل والأنبياء أكمل مما للشهداء؛ ولهذا لا تبلى أجسادهم(٢)، والذي للشهداء أكمل مما لغيرهم من المؤمنين الذين ليسوا بشهداء.

والثالث: تعلقها به يوم البعث والنشور في اليوم الآخر، ورد الروح إلى البدن في البرزخ لا يستلزم الحياة المعهودة، ومن زعم استلزامه لها لزمه ارتكاب أمور باطلة مخالفة للحس والشرع والعقل.

وهذا المعنى المذكور في حديث أبي هريرة من رده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السلام على من يسلم عليه قد ورد نحوه في الرجل يمر بقبر أخيه كما تقدم والله أعلم (ع/ ٢/ ٩٣/ أ).

۞۞۞

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات (٤٥/ ١٩٨٦) باب: ما يقول إذا نام برقم (٦٣١٢).

(٢) كما جاء في الحديث: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «هذا تحريم قدري وهناك تحريم شرعي كتحريم الخمر وبقية المحرمات». اهـ.

قال الناظم:

وحديث ذكر حياتهم بقبورهم لما يصح وظاهر النكران
فانظر إلى الإسناد تعرف حاله ان كنت ذا علم بهذا الشان

أما حديث حياة الأنبياء في قبورهم، وهو ما رواه أبو يعلى والبيهقي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**»(١).

وقد أجاب الناظم عنه بأنه غير صحيح، ولكن على تقدير صحته فلا شك أنه لا يراد بهذه الحياة الحقيقية، ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها وبحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الحقيقية إلى تلك الحياة البرزخية(٢) وهذا معنى قول الناظم:

هذا ونحن نقول هم أحياء لكن عندنا كحياة ذي الأبدان(٣)
والترب تحتهم وفوق رؤوسهم وعن الشمائل ثم عن إيمان
مثل الذي قد قلتموه معاذنا بالله من إفك ومن بهتان
بل عند ربهم تعالى مثلما قد قال في الشهداء في القرآن
لكن حياتهم أجل وحالهم أعلى وأكمل عند ذي الإحسان

---

(١) سبق تخريجه، وهو يرتقي للحسن بمجموع طرقه.

(٢) كذا في النسخ الخطية، والكلام فيه سقط أو تحريف، ولعله أراد أن يقول: «وحيث انتفت هذه الحياة الدنيوية، انتقلت لوازمها، وذلك بحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الحقيقية إلى تلك الحياة البرزخية».

(٣) كذا في النسخ الخطية للنونية، ولا إشكال؛ لأن معنى البيت يتضح بالبيتين الآتيين، لأن الناظم يحكي قول أهل البدع الذين يقولون: إن حياة الشهداء والأنبياء هي كحياتهم على وجه الأرض، ورد الناظم بأن ذلك إفك وبهتان. انظر: الكافية الشافية (٢/ ٦٦٤).

قوله:

لكن عندنا كحياة ذي الـ أبدان ....

هذا موصوف صفة، أي مثل الذي قد قلتموه لا نقول بذلك،معاذ الله من ذلك، أي لا نقول كما قلتم: إن حياتهم عندنا كحياتهم على وجه الأرض،نعوذ بالله من إفك ومن بهتان، بل هم أحياء عند الله كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩] لكن حياة أجل وأعلى من حياة الشهداء، والله أعلم(١).

۞۞۞

قال الناظم:

هذا وأما عرض أعمال العبا ... د عليه فهو الحق ذو إمكان
وأتى به أثر فإن صح الحديث ... به فحق ليس ذا نكران
لكن هذا ليس مختصا به ... أيضًا بآثار روين حسان
فعلى أبي الإنسان يعرض سعيه ... وعلى أقاربه مع الإخوان
إن كان سعيًا صالحًا فرحوا به ... واستبشروا يا لذة الفرحان
أو كان سعيًا سيئًا حزنوا ... وقالوا رب راجعه إلى الإحسان
ولذا استعاذ من الصحابة من روى ... هذا الحديث عقيبه بلسان
يا رب إني عائذ من خزية ... أخزي بها عند القريب الداني
ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحة ... المحبو بالغفران والرضوان
لكن هذا ذو اختصاص والذي ... للمصطفى ما يعمل الثقلان(٢)

(١) في هامش (ع): «بلغ قراءته على المؤلف».

(٢) أحاديث عرض أعمال العباد على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثرها باطلة وموضوعة، إلا الحديث الآتي =

يريد ما رواه ابن حبان (ع/ ٢/ ١٩٣) وغيره من حديث أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي**»، قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك[1] وقد أرمت أي بليت فقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[2].

وقد أجاب عنه الناظم: بأن هذا ليس من خصائصه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما روى أحمد وابن مندة عن أنس قال قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن أعمالكم تعرض على**

=وليس لهم فيه حجة. ثم ما الفائدة من عرض الأعمال عليه وهو ليس مسئول عنها، ولا مكلف بإحصائها وكتابتها ولا برفعها إلى الله تعالى؟ فإن لذلك ملائكة موكلين بأعمال العباد، وكيف يعقل أن يسوء الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ويحزن قلبه وينغص عليه ما هو فيه من أنواع النعيم بعرض حصائد الناس من الشرور والمعاصي عليه، أما يكفي ما تحمله في حياته من أنواع المشقات والتضحيات، والحديث الذي فيه عرض الأعمال عليه وأنه يستغفر لأهل المعاصي حديث باطل، وفيه إغراء لأهل المعاصي؛ لأن استغفاره لأحد موجب لمغفرة الله له، فلم يضر أحدًا ما ارتكبه بعد ذلك من الذنوب.

وأيضًا: هو معارض للأحاديث الصحيحة التي فيها «أن أناسًا يذادون عن حوظه، فيقول أصحابي، يقولون: لا تدري ما أحدث بعدك....».

ولو فرض صحة هذا الأثر، فإن عرض الأعمال عليه من شؤون الغيب التي نؤمن بها ولا نعلم كيفيتها مع علمنا يقيًا أنه ليس عرضًا حسيًا يقتضي رؤية أو سماعًا أو غير ذلك مما هو من شؤون الحي.

إنما ذكرت هذا الشرح لأن المؤلف لم يشرح الأبيات، وإنما اكتفى بالجواب عن حديث عرض الأعمال بأنه ليس مختصًا بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وذكر الآثار في ذلك. انظر: شرح النونية لخليل هراس (٢/ ٢٠).

(١) قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «المقصود بالصلاة هي الصلاة على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليست الصلاة ذات الركوع والسجود». اهـ.

(٢) سبق تخريجه وهو صحيح، لكن الشارح ذهب يخصص هذا الحديث بآثار كلها باطله وضعيفه، والذي يظهر لي -والله أعلم- أن الجواب بعدم الاختصاص ضعيف كما هو ظاهر، ولم يثبت من أحاديث عرض الأعمال إلا هذا، وليس فيه حجه للخرافيين.

أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرًا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك»(١).

وروى الحكيم الترمذي وابن أبي الدنيا في كتاب المنامات والبيهقي في شعب الإيمان عن النعمان بن بشيرسمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اتقوا الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم**»(٢).

وروى ابن أبي الدنيا والأصبهاني في الترغيب(٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٣/ ٣٤٠) بهذا اللفظ من طريق الصلت بن دينار عن الحسن عن جابر لا عن أنس، وإسناده ضعيف جدًّا، فيه الصلت بن دينار الأزدي قال في التقريب (ص٤٥٥): «متروك ناصبي».
أما الحديث الذي أشار إليه الشارح فقد رواه أحمد (٣/ ١٦٤) من طريق عبد الرزاق عمن سمع أنسًا، إلا أنه قال في آخره: «... اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا "بدل" اللهم ألهمهم أن يعلموا بطاعتك» وإسناده ضعيف لجهالة من حدث عن أنس.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (ص٦)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٦١)، وابن حاتم في الجرح والتعديل (٩/ ٣٣٦) -في ترجمة السكوني- من طريق أبي إسماعيل السكوني عن مالك أدى عن النعمان بن بشير بلفظ: «ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في إخوانكم من أهل القبور...» الحديث.
وإسناده ضعيف، أبو أسماعيل السكوني ومالك بن أدى مجهولان، كما نص على ذلك أبو حاتم في الجرح والتعديل في ترجمة السكوني (٩/ ٣٣٦). وانظر: المغنى عن حمل الأسفار للعراقي (٢/ ١٢٣٣).

(٣) طبع بتحقيق أيمن شعبان - دار الكتاب العربي.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (٤/ ٧ - ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا)، والثبات عند المهات لابن الجوزي (ص٧٣) من طريق عبد الله بن شعيب عن أبو بكر بن شيبة عن فليح بن إسماعيل عن محمد بن جعفر بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة به. =

قوله:

ولذا استعاذ من الصحابة من روى .... إلخ

روى ابن المبارك والأصبهاني عن أبي الدرداء قال: «إن أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساؤون».

[وكان أبو الدرداء يقول:](١) «اللهم إني اعوذ بك أن أعمل عملا تخزي به عبدالله ابن رواحة»(٢).

ولكن يجاب عن ذلك أيضًا: بأنه مع ذلك لا يجوز أن يطلب منهم شيء، ولا يسألون شيئًا بعد وفاتهم،سواء كان بلفظ استغاثة أو توجه، أو استشفاع أو غير ذلك فجميع ذلك من وظائف الألوهية، فلا يليق جعله لمن يتصف بالعبودية.

ولا ملازمة بين مسألة الحياة، وبين مسألة الاستغاثة.

ومما يقطع به أن أحدًا في زمانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو ممن بعده في القرون الثلاثة المشهود لأهلها بالنجاة والصدق -وهم أعلم منا (ع/٢/٩٤ب) بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب- ما استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على إزالتها إلا الله سبحانه.

= وإسناده ضعيف جدًّا، عبد الله بن شبيب هو الربعي أبو سعيد، إخباري واهٍ في الحديث وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث، وقال فضلك الرازي: يحل ضرب عنقه، وقال ابن حبان: يقلب الأخبار ويسرقها، وأبو بكر الحزامي ضعيف أيضًا.

(١) ما بين معكوفتين ساقط من النسخ، واستدركناه من كتاب المنامات لابن أبي الدنيا.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (٤/ ٩ - ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا) من طريق ابن المبارك عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير أن أبا الدرداء كان يقول: (...فذكره) وإسناده صحيح، لكن متنه منكر، لمصادقته لحديث: «... لا تدري ما أحدثوا بعدك»، وهذا دليل على أن صحة الإسناد لا تكفي في تصحيح الحديث، بل لا أن لا يخلف أصلًا من أصول الدين أو فروعه المعروفة عند عامة أهل العلم بالضرورة.

بل كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الأمور ولم يعبدوا إلا إياه، ولقد جرت عليهم أمور مهمة وشدائد مدلهمة في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد وفاته.

فهل سمعت عن أحد منهم أنه استغاث بسيد المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قالوا: إنا مستغيثون بك يا رسول الله،أم بلغك أنهم لاذوا بقبره الشريف، وهو سيد القبور حين ضاقت منهم الصدور.

كلا لا يمكن لهم ذلك، بل الأمر بعكس ما هنالك، فلقد أثنى الله عليهم ورضي عنهم فقال عز من قائل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩] مبينًا سبحانه أن هذه الاستغاثة هي أخص الدعاء وأجل أحوال الالتجاء.

ففي استغاثة المضطرين بغيره تعالى عند كربتهم تعطيل لتوحيد معاملته الخاصة به.

۞ ۞ ۞

قال الناظم:

هـذي نـهايـات لأقـدام الـورى ... في ذا المقام الضنك صعب الشان
والحـق فيـه ليس تحمـله عقول ... بـني الـزمـان لغلظة الأذهـان
ولجهلهم بـالـروح مـع أحكامها ... وصفـاتـهـا لـلإلـف بـالأبـدان
فـارض الـذي رضي الإلـه لهم به ... أتـريـد تـنـقـض حكمة الـديـان
هـل في عقـولهم بـأن الـروح في ... أعلى الرفيق مقيمة بجنان[1]
وتـرد في أوقـات الـسـلام عليه ... مـن أتبـاعـه في سائر الأزمـان
وكـذاك إن زرت القبـور مسلما ... ردت لهـم أرواحـهـم لـلآن

---

(١) يعني: بالقلب.

فهم يردون السلام عليك ... لكن لست تسمعه بذي الأذان

هذا وأجواف الطيور الخضر مسـ ... ـكنها لدى الجنات والرضوان

من ليس يحمل عقله هذا فلا ... تظلمه واعذره على النكران

للروح شأن غير ذي الأجسام لا ... تهمله شأن الروح أعجب شان

وهو الذي حار الورى فيه فلم ... يعرفه غير الفرد في الأزمان

هذا وأمر فوق ذا لو قلتُه ... بادرتَ بالإنكار والعدوان

فلذاك أمسكتُ العنان ولو أرى ... ذاك الرفيق جريتُ في الميدان

قال الناظم في كتاب الروح[١] له ما نصه: «وأما السلام على أهل القبور وخطابهم، فلا يدل على أن أرواحهم ليست في الجنة، وأنها على أفنية القبور، فهذا سيد ولد آدم عليه الصلاة (ع/ ٢/ ١٩٥أ) والسلام، الذي روحه في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى يسلم عليه عند قبره، ويَرُدُّ سلام المُسَلِمْ عليه.

وقد وافق أبو عمر رَحِمَهُٱللَّهُتَعَالَىٰ على أن أرواح الشهداء في الجنة، ويسلم عليهم عند قبورهم كما يسلم على غيرهم، كما علمنا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن نسلم عليهم وكما كان الصحابة يسلمون على شهداء أحد.

وقد ثبت أن أرواحهم في الجنة تسرح حيث شاءت كما تقدم، ولا يضيق عطنك عن كون الروح في الملأ الأعلى تسرح في الجنة حيث شاءت وتسمع سلام المسلم عليها عند قبرها وتدنو حتى ترد عليه السلام وللروح شأن آخر غير شأن البدن.

وهذا جبريل صلوات الله وسلامه عليه رآه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ له ستمائة جناح منها جناحان قد سد بهما ما بين المشرق والمغرب[٢]، وكان يدنو من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يضع

(١) الروح لابن القيم (ص١٠٢).

(٢) سبق تخريجه.

ركبته ويديه على فخذيه وما أظنك يتسع بطانك أنه كان حينئذ في الملأ الأعلى فوق السماوات حيث هو مستقره وقد دنا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا الدنو فإن التصديق بهذا له قلوب خلقت له وأهلت لمعرفته ومن لم يتسع بطانه لهذا فهو أضيق أن يتسع للإيمان بالتنزل الإلهي إلى سماء الدنيا كل ليلة، وهو فوق سمواته على عرشه(١)، لا يكون فوقه شيء البتة، بل هو العالي على كل شيء، وعلوه من لوازم ذاته.

وكذلك دنوه عشية عرفة من أهل الموقف وكذلك مجيئه يوم القيامة لمحاسبة خلقه وإشراق الأرض بنوره، وكذلك مجيئه إلى الأرض حين دحاها وسواها ومدها وبسطها وهيأها لما يراد منها وكذلك مجيئه إليها قبل يوم القيامة حين يقبض من عليها ولا يبقى أحد كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأصبح ربك يطوف في الأرض وقد خلت عليه البلاد**»(٢) هذا وهو فوق سمواته على عرشه.

۞۞۞

(١) لايلزم ممن آمن بالغيب أن يقيس جبريل على خالق السماوات والأرض، فالله تعالى لايقاس بخلقه، ثم إن العلو ليس من لوازم ذات جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولو صح ذلك لكان جبريل بمنزلة رب العالمين، ولاقائل بذلك؛ فلايصح أن يقال: إن جبريل كان عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو في نفس الوقت في الملأ الأعلى، لأن جبريل وجميع الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ موصوفون بالصعود والنزول، كما دلت عليه النصوص، ونحن نعتقد بأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا ولايخلوا منه العرش، لأن العلو من صفاته الذاتية التي لاتنفك عنه بحال من الأحوال، والله تعالى أعلم.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٨٦)، وابن أبي عاصم في السنة له (١/ ٤٤٠) من طريق دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب العقيلي عن جده عبد الله عن عمه لقيط بن عامر، وفيه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام في الناس خطيبًا فقال: «يا أيها الناس، إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لأسمعكم اليوم....» وذكر الحديث وهو طويل. وإسناده ضعيف لجهالة حال دلهم بن الأسود وجده عبد الله بن حاجب، قال الذهبي: لا يعرفان، ومتنه منكر، لأن الله تعالى يفعل كل ذلك وهو على العرش.

وقوله: «فأصبح ربك يطوف في الأرض وقد خلت عليه البلاد...» إنما هو تفهيم وتقريب إلى أن جميع من في الأرض يموت، وأن الأرض تبقى خالية.

انظر: العاقبة في ذكر الموت لعبد الحق الإشبيلي (ص٢٥٩).

قال الناظم:

هـذا وقـولـي إنـهـا مخـلـوقـة وحـدوثـهـا المـعـلـوم بـالـبرهـان
هـذا وقـولـي إنـهـا لـيـسـت كما قـد قـال أهـل الإفـك والـبـهـتـان
لا داخـل فـيـنـا ولا هـي خـارج عـنـا كـمـا قـالـوه في الـديـان
والله لا الـرحـمـن أثـبـتـم ولا أرواحـكـم يـا مـدعـي الـعـرفـان
عـطـلـتـم الأبـدان مـن أرواحـهـا والـعـرش عـطـلـتـم مـن الـرحـمـن

قوله:

هـذا وقـولـي إنـهـا مخـلـوقـة .... إلخ

هذه المسألة ذكرها الناظم في كتاب الروح، وحاصل كلامه أنه قال[1]: «أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أن روح الإنسان محدثة (ع/٢/٩٦ب) مخلوقة مصنوعة مربوبة[2].

وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث وأن معاد الأبدان واقع، وأن الله تعالى وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له.

وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم -وهم القرون المفضلة- وهم على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها، وأنها مخلوقة،حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم أنها قديمة غير مخلوقة[3]، واحتج لذلك أنها من

---

(١) الروح (ص١٩٧).
(٢) في (ع) «مزبوبه» والمثبت من (د).
(٣) ذكر شيخ الإسلام كما في المجموع (٤/ ٢٢١): (القائلون بأن الروح قديمة صنفان: صنف من الصابئة الفلاسفة، يقولون: هي قديمة أزلية، لكن ليست من ذات الرب. والصنف الآخر: =

أمر الله، وأمر الله غير مخلوق[(١)] وبأن الله أضافها إليه، كما أضاف إليه علمه وكتابه وقدرته وسمعه وبصره ويده[(٢)].

وتوقف آخرون فقالوا: لا نقول مخلوقة ولا غير مخلوقة.

وقد سئل عن ذلك حافظ أصبهان أبو عبد الله بن منده فقال[(٣)]: «أما بعد:

=هم من زنادقة هذه الأمة وضلالها، من المتصوفة والمتكلمة وغيرهم: يزعمون أنها من ذات الله، وهؤلاء أشر قولًا من أولئك، فإنهم جعلوا الآدمي نصفين نصف لا هوت، وهو روحه، ونصف ناسوت وهو جسده، نصفه رب ونصفه عبد.

وقد كفَّر الله النصارى بنحو من هذا القول في المسيح، فكيف بمن يعم ذلك في كل أحد) اهـ.

وعلى هذا فأصل ضلال الصوفية في قولهم بالحلول والاتحاد بين العبد والرب يرجع الى ضلالهم في أصل الروح والله أعلم.

(١) كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ ﴾ حيث زعم هؤلاء الزنادقة أن أمر الله في الآية غير مخلوق، والروح من أمر الله، فالروح غير مخلوقة.

واستدلالهم باطل؛ لأن الأمر في القرآن قد يأتي بمعنى المأمور، وقد يأتي بمعنى المصدر، وهو هنا بمعنى المأمور نظير قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي يحفظونه بأمر الله تعالى، وكذلك في قوله: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ ﴾ أي بأمر ربي.

ومما يرجح أن الأمر هنا بمعنى المأمور لا المصدر، هو إضافة الروح إليه وهي عين قائمة بنفسها تذهب وتجيء وتنعم وتعذب.

قال ابن قتيبة: نسب الروح إلى الله تعالى، لأنه بأمره أو لأنه بكلمته. انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٢٧)، فتح الباري (١٣/ ٤٤٣).

(٢) لا يلزم من إضافتها إلى الله تعالى أن تكون بذلك مخلوقه، لأن المضافات نوعان: صفات لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع، فهذه إضافة صفة الى موصوف بها. والثاني: صفات أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافتها إضافة مخلوق الى خالقه، لكن هذا النوع من الإضافة يقتضي تخصيصًا وتشريفًا.

انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٦٤-٥٦٥).

(٣) كما في تسلية أهل المصائب لمحمد بن محمد المنبجي (ص٢١٧) ط. دار الكتب العلمية، وقد صنف أبو عبد الله بن مندة كتابًا كبيرًا في «الروح والنفس» وذكر فيه من الأحاديث والآثار شيئًا كثيرًا؛ ولأجل أن الكتاب لانعلم عنه شيئًا أحلنا على هذا الكتاب الذي نقل أقواله منه.

فإن سائلًا سأل عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام أنفس الخلق وأبدانهم، وذكر أن أقوامًا تكلموا في الروح، وزعموا أنها غير مخلوقة، وخص بعضهم منها روح القدس[١] وأنها من ذات الله.

قال: وأنا أذكر أقاويل متقدميهم، وأبين ما يخالف أقاويلهم من الكتاب والأثر وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم، وأوضح خطأ المتكلم في الروح بغير علم، وأن كلامهم يوافق قول جهم بن صفوان وأصحابه.

فذكر أن الناس اختلفوا في معرفة الأرواح ومحلها من النفس فقال بعضهم: الأرواح كلها مخلوقة.

قال: وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر، واحتجت بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»**.

رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

ورواه البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٣]، ورواه الطبراني من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤].

وروي أيضًا من حديث سلمان الفارسي وعبد الله بن عباس وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عنبسة[٥] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة.

---

(١) تصحفت في (د، ع) إلى «أرواح القدس»، والمثبت من كتاب «الروح».

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٩٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٣١) برقم (٢٦٣٨)، وأبو داود (٤/ ٢٦٠) برقم (٤٨٣٤).

(٣) البخاري (٣/ ١٢١٣) برقم (٣١٥٨).

(٤) الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٣٠).

(٥) عبد الله بن عنبسة عن ابن عباس وعنه عبد الله بن عنام قال الذهبي: «لا يكاد يعرف». انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٤٦٩).

وقال بعضهم: الأرواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق[١] واحتجت بقول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥].

وقال بعضهم: الأرواح نور من نور الله تعالى وحياة من حياته[٢].

واحتجوا بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله خلق خلقه من ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره**». وتمام الحديث: «**فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل**».

رواه الإمام أحمد والحاكم والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (ع/ ٢/ ١٩٧أ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه[٤]: «تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ابن آدم ما تأولته النصارى في روح عيسى، وما تأوله قوم من أن الروح[٥] انفصل من ذات الله تعالى وتقدست أسماؤه فصار في المؤمن.

---

(١) عمدة القاري (١٩/ ٣٣).

(٢) وقيل: هي روحانية خلقت من الملكوت، فإذا صفت رجعت إلى الملكوت، وهو عالم الخلد، وقيل: الروح روحان: روح اللاهونية وروح الناسونية، وقيل: الروح نورية وروحانية وملكوتية إذا كانت صافية، وقيل: الروح لاهوتية والنفس أرضية طينية نارية، وقيل: الروح استنشاق الهواء وقالت المعتزلة: إنها عرض، وقال ابن الراوندي: إنها جسم لطيف يسكن البدن، وقيل الأرواح على صور الخلق لها أيد وأرجل وسمع وبصر. انظر: عمدة القاري (١٩/ ٣٣)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/ ١٣٨).

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص٣٠٢) من طريق المبارك عن الأوزاعي عن ربيعه بن يزيد الدمشقي عن ابن الديلمي، وإسناده حسن، وقد روي من طرق عديدة يرتقي بها إلى الصحيح. انظر: السنه لابن أبي عاصم (١/ ١٨٦ ـ تعليق المحقق).

(٤) كما في تسلية أهل المصائب (ص٢١٨).

(٥) يعني: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَعَبَدَ صنف من النصارى عيسى ومريم جميعًا؛ لأن عيسى عندهم روح من الله، فصار في مريم، فهو غير مخلوق عندهم.

وقال صِنْفٌ من الزنادقة وصنف من الروافض: إن روح آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مثل ذلك أنه غير مخلوق، وتأولوا قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩]، وقوله: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة:٩]، فزعموا أن روح آدم ليس بمخلوق كما تأول من قال: إن النور من الرب غير مخلوق.

قالوا: ثم صار بعد آدم في الوصي بعده، ثم هو في كل نبي ووصي، إلى أن صار في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم في ابنية الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم في كل وصي وإمام فيه، يعلم الإمام كل شيء لا يحتاج أن يتعلم من أحد.

وقال: ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح في آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة، الله خلقها وأنشأها وكونها وأخبر عنها، ثم أضافها إلى نفسه، كما أضاف إليه سائر خلقه قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف وكذلك أبو محمد ابن قتيبة».

قال الناظم في كتاب الروح[٢]: «قد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢١٦).
(٢) انظر: كتاب الروح (ص١٤٥).

العلماء والمشايخ وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة وصنف الحافظ أبو عبدالله بن منده في ذلك كتابًا كبيرًا[١] وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي[٢] وغيره، والشيخ أبو سعيد الخراز[٣] وأبو يعقوب النهرجوري[٤]، والقاضي أبو يعلى.

وقد نص على ذلك الأئمة الكبار، واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكيف بروح غيره كما ذكره الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما كتبه في محبسه في الرد على الزنادقة والجهمية»[٥] انتهى.

قوله:

هذا وقولي إنها ليست كما ... قد قال أهل الإفك والبهتان
إلخ

قال الناظم في كتاب الروح[٦]: «في المسألة التاسعة عشرة لما سئل عن حقيقة (ع/٢/٩٨ب) الروح وهل هي النفس أو غيرها وذكر مذاهب الناس في ذلك».

قال[٧]: وقالت طائفة ليس النفس جسماً ولا عرضًا وليست في مكان ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا لون ولا بعض ولا هي في العالم ولا خارج

---

(١) هو كتاب «النفس والروح».

(٢) لعله «الرد على ابن قتيبة» فإنه قد تكلم فيه عن القدر والفطرة والروح، ولا أعرف عنه شيئًا.

(٣) أحمد بن عيسى الخراز أبو سعيد، أحد مشاهير الصوفية، له مصنفات مشهورة. مات سنة (٢٨٦هـ). انظر: السير (١٣/ ٤١٩)، الأنساب للسمعاني (٢/ ٣٣٥) ط. دار الفكر.

(٤) إسحاق بن محمد بن أيوب النهرجوري من أئمة الصوفية، صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكي وغيرهم. انظر: طبقات الصوفية لمحمد بن الحسن الازدي (١/ ٢٨٦).

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ٢١٧).

(٦) كتاب الروح لابن القيم (ص٢٣٩).

(٧) الروح (ص٢٣٩).

العالم ولا مجانبة له ولا مباينة وهذا قول المشائين وهو الذي حكاه الأشعري عن أرسطاطاليس.

وزعموا أن تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ولا بالمجاورة ولا بالمساكنة ولا بالاتصال ولا بالمقابلة، وإنما هو التدبير فقط.

واختار هذا المذهب البوشنجي ومحمد بن النعمان الملقب بالمفيد[1] والغزالي، وهو قول ابن سينا وأتباعه وهو أرادإ المذاهب وأبطلها، وأبعدها من الصواب».

ثم ذكر على إبطال هذا المذهب نحو مائة وستة عشر دليلا،ثم أجاب عن أدلة المنازعين بما ليس هذا موضع ذكره والله أعلم.

---

(١) محمد بن النعمان الملقب بالمفيد من فقهاء الشيعة مات سنة (٤١٣هـ). انظر: إضاح المكنون (٣/ ٣٧).

قال الناظم:

فصل

في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل الإسلام وحصونه جيلًا بعد جيل

لا يفزعنك قعاقع وفراقع ... وجعاجع عريت عن البرهان
ما عندهم شيء يهولك غير ذا ... ك المنجنيق مقطع الأركان(1)
وهو الذي يدعونه التركيب مذ ... صوبا على الإثبات منذ زمان
أرأيت هذا المنجنيق فإنهم ... نصبوه تحت معاقل الإيمان
بلغت حجارته الحصون فهدت الشرفات ... واستولت على الجدران
لله كم حصن عليه استولت الـ ... ـكفار من ذا المنجنيق الجاني
والله ما نصبوه حتى عبروا ... قصدًا على الحصن العظيم الشان
ومن البلية أن قوما بين أهل الـ ... ـحصن واطوهم على العدوان
ورموا به معهم وكان مصاب أهل الـ ... ـحصن منهم فوق ذي الكفران
فتركبت من كفرهم ووفاق من ... في الحصن أنواع من الطغيان
وجرت على الإسلام أعظم محنة ... من ذين تقديرًا من الرحمن
والله لولا أن تدارك دينه الـ ... ـرحمن كان كسائر الأديان

---

(١) عجز البيت في (د، ع) هكذا:

ماعندهم شيء يهولك غير ذا ... ك المنجنيق مقطع الأفخاذ والأركان

بزيادة «الأفخاذ» في جميع النسخ الخطية لمتن النونية، وهي زيادة تكسر الوزن، لكن أشار في حاشية أصل النسخة الخطية بوجود نسخة بغير «الأفخاذ»، فاعتمدناها؛ لأنها هي التي تتناسب مع وزن القصيدة، والله أعلم. انظر: الكافية الشافية (٢/ ٦٧٠).

لكن أقام له الإله بفضله يزكا من الأنصار والأعوان

فرموا على ذا المنجنيق صواعقا وحجارة هدته للأركان

(ع/ ٢/ ١٩٩أ)

شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في الجواب عن شبهتهم العظمى التي بها يصولون وعمدتهم الكبرى التي بها يهولون وهي حجة التركيب(١).

قوله: «لا يفزعنك...» فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد الخفيفة.

قوله: «المنجنيق» [آلة ترمي بها الحجارة كالمنجنوق معربة جمع منجنيقات ومجانق ومجانيق وقد جنقوا يجنقون وجنقوا تجنيقًا](٢).

قوله: «معاقل الإسلام...» [جمع معقل وهو الحصن والملجأ أي حصون الإسلام](٣).

۞۞۞

(١) التركيب هو ما يوجب الافتقار المانع من كونه واجبًا بنفسه، أو يقال: المركب مفتقرًا إلى جزئه، وأجزاؤه غيره، والمفتقر إلى غيره لا يكون واجبًا، وهو حجة جهمية، فلسفية، معتزلية. وأصل حجة الجهمية في نفي الصفات والأفعال يستند الى دليل التركيب. أما المعتزلة فحجتهم الكبرى في نفي الصفات هي دليل الاعراض وحدوث الأجسام، لكنهم يستندون إليه أيضًا في نفي صفات الله وأفعاله.

فالواحد في اصطلاح هؤلاء هو: ما لا صفة له، ولا يعلم منه شيء دون شيء.

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عند هؤلاء: لا يتعدد ولا يتبعض لئلا يكون مركبًا. والمركب جسم عند الفلاسفة، وممكن عند المعتزلة. والتبعض من خصائص المركب عند الفلاسفة، والتعدد من خصائص المركب عند المعتزلة.

فلو أثبتنا لله تعالى الصفات لكان متعددًا عند المعتزلة، لأن إثبات الصفات لله تعالى ينافي كونه واحدًا. وكذلك لو أثبتنا الصفات لكان متبعضًا متكثرًا عند الفلاسفة، والتكثر ينافي الوحدة.

انظر: الأصول التي بني عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (٣/ ١٠٣-١٠٥).

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من (ع، د)، واستدركناه من (م).

(٣) ما بين معكوفتين ساقط من (ع، د)، واستدركناه من (م).

فاسألهم ماذا الذي يعنون بالتـ ـركيب فالتركيب ست معان
إحدى معانيه هو التركيب من متباين كتركب الحيوان
من هذه الأعضا كذا أعضاؤه قد ركبت من أربع الأركان
أفلازم ذا للصفات لربنا وعلوه من فوق كل مكان
ولعل جاهلكم يقول مباهتا ذا لازم الإثبات بالبرهان
فالبهت عندكم رخيص سعره حثوا بلا كيل ولا ميزان

هذا هو المعنى الأول من معاني التركيب(١)، فإن الناظم ذكر أن التركيب ستة معان(٢).

وهذا التركيب(٣) كما قال الناظم كتركب الحيوان من هذه الأعضاء وكذلك تركب الأعضاء من الأركان الأربعة، وهي الماء والهواء والتراب والنار، والرب تعالى موصوف بصفاته العلى ولا يلزم هذا التركيب(٤).

---

(١) وهو التركيب من أمور متباينة.

(٢) للتركيب ست معان: أحدها: التركيب من أمور متباينة وهو تركيب الامتزاج، كتركيب الحيوان من أعضائه المختلفة والثاني التركيب من متجاورين يمكن افتراق أحدهما عن الآخر، والثالث: التركيب من أجزاء صغيرة غير قابلة للقسمة، وهو التركيب من الجواهر المفردة، والرابع: التركيب من الهيولى والصورة، والخامس: التركيب من الذات وصفاتها والسادس: التركيب من الماهية التي هي الذات ووجودها. انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ٢٥-٣٣).

(٣) الأول.

(٤) وتتمة شرح الأبيات: ولعل جاهلًا من هؤلاء المعطلة أن يقول على سبيل البهت والمكابرة: أن ذلك التركيب من أمور متغايرة لازمة على إثبات الصفات بالبرهان، فإنها غير الذات قطعًا، لأن الصفة لا تكون عين الموصوف، وكذلك هي متغايرة فيما بينها، فإذا فرض أنها أمور موجودة لزم التركيب من أمور متغايرة. وهذا محض مكابرة، لأن الموصوف بصفات الكمال اللازمة لذاته لا يكون مركبًا من أشياء متباينة كتركيب الحيوان من أجزائه، فإن صفاته ليست غيره، إذ ليس لها وجود خاص بها، بل هي تابعة له في وجوده وقدمه وبقائه، فهي لازمة له لا يعقل وجوده بدونها، =

وقوله: «أفلازم ذا الصفات لربنا...» وهذا استفهام إنكار أي ليس بلازم.

۞۞۞

قال الناظم:

هــذا وثـانـيـهـا فـتـركـيـب الجـوا ... ر وذاك بـيـن اثـنـين يـفـترقـان

كـالجسر والـبـاب الـذي تركيبه ... بجــــواره لمحـلــه مـــن بـان

والأول المـدعـو تـركـيـب امـتـزا ... ج واخــتــلاط وهــو ذو تـبـيـان

أفــلازم ذا مــن ثـبـوت صفاته ... أيـضًـا تـعـالى الله ذو السلطان

هذا هو المعنى الثاني من معاني التركيب وهو تركيب الجوار، كتركيب الباب على الجسر، والأول يسمى تركيب امتزاج.

۞۞۞

قال الناظم:

والـثـالـث الـتـركـيـب مـن متماثل ... يـدعـى الجـواهـر فـردة الأركـان

هذا هو المعنى الثالث من معاني التركيب، وهو التركيب من الجواهر المنفردة[1]، وإثبات ذلك هو قول بعض المتكلمين، وإنكار ذلك هو قول ابن كلاب وأتباعه، وهو قول الهاشمية[2] والنجارية والضرارية وبعض الكرامية، وستأتي الإشارة إلى بطلانه من كلام الناظم (ع/ ٢/ ١٠٠ب).

=ولا يوجد إلا وهو متصف بها من غير افتقار منه إليها، بل هي المفتقرة إليه بكونها قائمة به. انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ٢٥-٢٦).

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٩٢) (٧/ ٢٢١) (١٠/ ٢٩٦)، ومجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٩)، الرد على المنطقيين (١/ ٦٧).

(٢) هم أتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية قالوا بانتقال محمد بن الحنفية إلى رحمة الله ورضوانه، وانتقال الإمامة منه إلى ابنه أبي هاشم، قالوا: فإنه أفضى إليه بأسرار العلوم وأطلعه على مناهج تطبيق الآفاق في الأنفس. =

قال الناظم:

والرابع الجسم المركب من هيو ... لاه وصورته لذي اليونان
فالجسم فهو مركب من ذين عند ... الفيلسوف وذاك ذو بطلان
ومن الجواهر عند أرباب الكلا ... م وذاك أيضًا واضح البطلان

هذا هو المعنى الرابع من معاني التركيب، وهو التركيب من الهيولي والصورة عند الفلاسفة.

❁❁❁

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فالمثبتون الجوهر الفرد الذي ... زعموه أصل الدين والإيمان
قالوا بأن الجسم منه مركب ... ولهم خلاف وهو ذو ألوان
هل يمكن التركيب من جزئين أو ... من أربع أو ستة وثمان
أو ست عشرة قد حكاه الأشعري ... لذي مقالات على التبيان
أفلازم ذا من ثبوت صفاته ... وعلوه سبحان ذي السبحان
والحق أن الجسم ليس مركبًا ... من ذا ولا هذا هما عدمان
والجوهر الفرد الذي قد ... أثبتوه ليس ذا إمكان
لو كان ذلك ثابتًا لزم المحا ... ل لواضح البطلان والبهتان
من أوجه شتى ويعسر نظمها ... جدًّا لأجل صعوبة الأوزان

= قالوا: إن لكل ظاهر باطنًا، ولكل شخص روحًا، ولكل تنزيل تأويلًا، ولكل مثال في هذا العلم حقيقة في ذلك العالم، والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار مجتمع في الشخص الإنساني، وهو العلم استأثر عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ به ابنه محمد بن الحنفية، وهو أفضى بذلك السر إلى ابنه أبي هاشم، وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقًّا، واختلف أتباعه من بعده لمن تكون الإمامة، وانقسموا إلى خمس فرق. انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٩-١٥١).

اتكون خردلة تساوي الطود في الأجزاء في شيء من الأذهان[(١)]

إذ كان كل منهما أجزاؤه لا تنتهي بالعد والحسبان

وإذا وضعت الجوهرين وثالثًا في الوسط وهو الحاجز الوسطان[(٢)]

فلأجله افترقا فلا يتلاقيا حتى يزول إذا فيلتقيان

ما مسه إحداهما منه هو الممسوس للثاني بلا فرقان

هذا محال أو تقولوا غيره فهو انقسام واضح التبيان

شرع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إبطال القول بالجوهر[(٣)] الفرد، مع أن القائلين به من المتكلمين يزعمون أن إثباته هو أصل الدين والإيمان[(٤)].

قال أبو المعالي الجويني[(٥)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وغيره: «اتفق المسلمون على أن الأجسام تتناهى في تجزئتها وانقسامها حتى تصير أفرادًا».

ومع هذا فقد شك هو فيه، وكذلك شك فيه أبو الحسين البصري، وأبو عبد الله الرازي.

---

(١) الدليل الأول على بطلان الجوهر الفرد.

(٢) الدليل الثاني على بطلان الجوهر الفرد.

(٣) الجوهر الفرد عند المتكلمين: هو الجزء الذي لا يتجزء لا كسرًا ولا قطعًا ولا وهمًا ولا فرضًا.
وقد ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه شيء قد بلغ من الصغر والحقارة إلى أنه لا يتميز منه جانب عن جانب، وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن أكثر العقلاء من بني آدم ينكرونه ولا يتصورونه، والذين أثبتوه إنما أثبتوه بطرق خفية طويلة بعيدة.
والمقصود بالجوهر الفرد في العلم الحديث: هو الجزيء المكون من نواة وإلكترون يدور حولها، والذرة أصغر من الجزيء، ولم أجد من علماء الذرة من ذكر بأن الذرة لا يتميز منها جانب عن جانب، سيأتي تفصيل وذلك بعد قليل. انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٢١)، فيض القدير للمناوي (٢/ ٤١٤) ط. المكتبة التجارية الكبرى.

(٤) قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «الذين جعلوه أصل الدين، قالوا: هو قديم مع الله» اهـ.

(٥) انظر: الشامل في أصول الدين (ص٣٦)، ونقله عنه شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٩١)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٨٢).

قال شيخ الإسلام[1] (ع/٢/١٠١): «ومعلوم أن هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين، لا من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من أئمة العلم المشهورين بين المسلمين.

وأول من قال ذلك في الإسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة، وهذا من الكلام الذي ذمه السلف وعابوه، ولكن حاكي هذا الإجماع لما لم يعرف [من][2] أصول الدين إلا ما في كتب الكلام، ولم يجد إلا من يقول بذلك اعتقد هذا إجماع المسلمين والقول بالجوهر الفرد باطل والقول بالهيولي والصورة باطل» انتهى كلامه.

قوله:

هل يمكن التركيب من جزئين .... إلخ

أي أن القائلين بالجوهر الفرد[3] اختلفوا:

هل يمكن تركيب الجسم من جزئين أو أربعة أو ستة أو ثمانية أو ستة عشر على خلاف بينهم حكاه الأشعري في المقالات[4].

وفي العقل والنقل لشيخ الإسلام[5]: «من يثبت الجوهر الفرد ويقول بتماثل الأجسام، وأن ما يحدثه الله تعالى من الحوادث، إنما هو تحويل الجواهر التي هي أجسام، من صفة إلى صفة مع بقاء أعيانها وينكرون الاستحالة[6].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٣١٦).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «الجسم مركب من أجزاء، والأجزاء تسمى الجوهر الفرد، وعند أهل السنة وأكثر العقلاء: الجوهر الفرد لا وجود له، لأن الجسم إذا انقسم لابد أن ينتهي ويفنى، أما على قول المتكلمين فإنه ينقسم إلى أن يصل إلى مرحلةيمتنع فيها عن الانقسام، وهذا غير معقول». اهـ.

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣١٥).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٠٨).

(٦) يعني الفناء، قال في القاموس (ص١٢٧٨): «كل ما تحول أو تغير من الاستواء إلى العوج فقد حال أو استحال» اهـ. =

وجمهور العقلاء وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم، وأن الله تعالى يحدث الأعيان ويبدعها، وإن كان يحيل الجسم الأول إلى جرم[(١)] آخر فلا يقولون: إن جرم النطفة باق في بدن الإنسان ولا جرم النواة باق في النخلة» انتهى كلامه.

= ومعنى كلام شيخ الإسلام: أن هؤلاء الفلاسفة وغيرهم ممن يقول بالجوهر الفرد، وبتماثل الأجسام، ينكرون استحالة الجسم بعد الموت الى التراب، فينكرون الفناء، بل يقولون: إن الجسم يتحول من جسم إلى جسم آخر مع بقاء مادته، فجاء من يقول حديثًا: «إن الأجسام لا تفنى» بناء على نظرية باطلة تقول: «إن المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم» وهي نظرية شيوعية معناها إنكار البعث، والقول بقدم العالم.

وزاد الأمر إشكالًا أننا نحن نعلم ونشاهد في علم الكيمياء: أن بعض المواد إذا أضيفت إلى بعضها بكميات معينة ودقيقة تحت ظروف معينة من الضغط والحرارة تحولت إلى مواد أخرى، وفقدت خواصها الأولى.

وهؤلاء أخطأوا حينما قاسوا الجوامد التي لا توصف بموت ولا حياة بمن وصف بالموت والحياة. فكل إنسان لا بد أن يفنى، فإذا مات أكلته الأرض، ولا يبقى منه شيء إلا عجب الذنب كما جاء في الأحاديث الصحيحة. ومن قال إن جسم الميت بعد تحلله يتحول إلى مادة أخرى غير التراب، فقد صادم النصوص القرآنية الدالة على أن الله (هو الخالق البارئ المصور) وأن ابن آدم إذا مات أكلته الأرض.

وأيضًا: فإن مشركي قريش كانوا ينكرون البعث بعد الموت بعدما يتحول الميت إلى تراب كما حكى الله عنهم قولهم: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾، فالمشركون في الآية الأولى استغربوا أن يكون هناك بعث بعدما يتحولون إلى تراب، وفي الآية الثانية دليل على خلقهم من جديد بعدما تفنى أجسامهم الأولى.

فإن الإبداع والإنشاء، وكذلك الإفناء من خصائص الله تعالى التي لا يؤمن بها إلا ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾. ولما راجت نظرية هؤلاء الماديين: «أن المادة لا تفنى....» حاولوا إرجاع المادة إلى أصلها، فوقفوا عند حلقة مفقودة لا يستطيعون وصلها إلا بالإيمان بالله تعالى وبما جاء من عنده، فإن أصل هذا العالم لايعرف إلا عن طريق الوحي. والله أعلم.

(١) مثل تحول النطفة إلى علقة، وتحول الحبوب إلى ثمار ونبات، وتحول النواة إلى نخلة.

وقول الناظم:

اتكون خردلة تساوي الطود .... إلخ

أي أتكون الخردلة التي في غاية الصغر والحقارة تساوي الجبل العظيم بجامع أن أجزاء كل منهما لا تنتهي بالحد والحسبان هذا في غاية الإحالة.

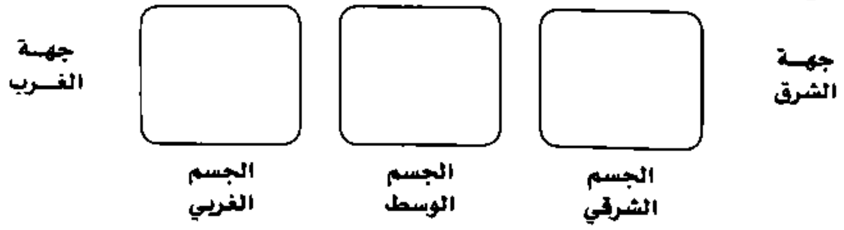
ثم ذكر الناظم دليلًا آخر على بطلان هذا المذهب فقال:

وإذا وضعت الجوهرين وثالثًا .... إلخ

أي إذا فرضنا جزءًا بين جزئين، فإما أن يكون الوسط حاجبًا للطرفين عن التماس أو لا، فعلى الأول يكون للوسط طرفان بأحدهما يماس أحد الجزئين وبالآخر يماس الآخر فلا محالة أن يكون بين جهتيه امتداد قابل للقسمة -ولو وهمًا- وكذا يكون للجزئين الطرفين جهتان: بإحداهما يماس كل من ذينك الجزئين الوسط وبالآخر يكون فارغًا من لقائه فيكونان منقسمين.

وعلى الثاني فأما أن يكون الوسط متداخلًا في أحد الطرفين أوفي كليهما، فلا يحصل منهما حجم، فلا يتألف منهما جسم أو لا يكون بين تلك الأجزاء ترتيب فلا يتصور منهما تركيب[1].

(١) خلاصة ما ذكره المؤلف أن هذا هو الدليل الثاني لنقض قول القائلين بالجوهر الفرد، ويتلخص هذا الدليل على إثبات انقسام الجوهر الفرد، فإذا أثبتنا انقسام الجوهر الفرد بطل قول القائلين به.
وقد ذكر شيخ الإسلام طريقة لإبطال قولهم به تتلخص فيما يلي:
١- أن يكون لدينا ثلاثة أجسام متساوية.
٢- أن نرتب الأجسام الثلاثة خلف بعضها صفًّا واحدًا.
فهنا سيظهر لنا جسم في المنتصف، وجسم يقابله من جهة الشرق، وجسم آخر يقابله من جهة الغرب، على نحو الشكل التالي:



=

وللقائلين بإبطال الجوهر الفرد أدلة أخرى على بطلانه تركناها اختصارًا والله أعلم (ع/٢/١٠٢ب).

۞۞۞

قال الناظم:

والخامس التركيب من ذات مع الـ … أوصـــاف هـــذا بـاصـطـلاح ثـان

سمـوه تـركـيـبـا وذلـك وضعهم … مـا ذاك في عـــرف ولا قــرآن

لـسـنـا نـقـر بـلـفـظـة مـوضـوعـة … بـالاصـطـلاح لـشـيـعـة الـيـونـان

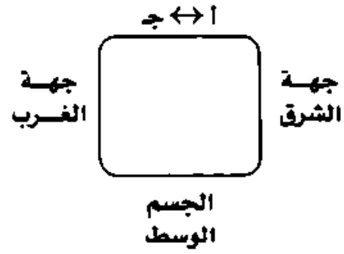
= وعلى هذا نقول: أن الجسم الوسط:

١- إما أن يكون حاجبًا للطرفين عن التماس.

٢- أو لا يكون حاجبًا لهم من أن يتماسا.

فعلى الافتراض الأول لا يكون جسمًا؛ لأن الجسم إذا لم يكن حاجبًا عن الرؤية واللقاء، فليس بجسم، فالجدار مثلًا مانع من رؤية ما وراءه، ومانع أيضًا من الوصول لما وراءه. وهذا ليس موضوعنا.

أما إذا كان الوسط حاجبًا عن الالتقاء والتماس بين الجسمين، فلابد أن يكون بين جهتيه امتدادًا قابلًا للقسمة على نحو الشكل التالي:



فالمسافة من (أ) إلى (ج)، هي امتداد إحدى جهتيه إلى الشرق وإحداهما إلى الغرب، وهذا يدل على أن الجسم الوسط قابل للانقسام لأن له جهتين مختلفتين.

ويزيد المؤلف توضيحا لذلك، فيقول عن الجسمين الآخرين كما قال عن الجسم الوسط، فالجسم الشرقي له جهتان إحداهما تقابل الجسم الوسط، والأخرى تقابل جهة المشرق، فما بين جهتيه قابل للانقسام، وكذلك القول في الجسم الغربي. والله أعلم.

تنبيه: إنما مثلنا بالأجسام بدلًا عن الأجزاء للتقريب إلى الأفهام.

أو مــن تـلـقـى عـنـهـم مــن فرقة ... جـهـمـيـة لـيـسـت بـــذي عــرفـان
مــن وصـفـه سـبـحـانـه بصفاته ... الـعـلـيـا ويــترك مقتضى الـقـرآن
والـعـقـل والـفـطـرات أيـضًـا كلها ... قبل الـفـسـاد ومـقـتـضى البرهان
سموه ما شئتم فليس الشأن في الـ ... أسمـــاء بـالألـقـاب ذات الـشـان
هـل مـن دلـيـل يقتضي إبـطـال ذا ... التركيب مـن عقل ومــن فرقان
والله لــو نـشـرت شـيـوخـكـم لما ... قـــدروا عـلـيـه لـو أتـى الـثـقـلان

هذا هو القسم الخامس من أقسام التركيب عندهم وهو التركيب من ذات وصفات وهذا على اصطلاح اليونان ومن وافقهم من الجهمية، وهو من أظهر الأمور بطلانًا. وسيأتي إبطاله في كلام الناظم.

وقول الناظم:

لـسـنـا نـقـر بـلـفـظـة مـوضـوعـة ... . إلخ

كذا في جميع ما رأينا من النسخ نقر بالقاف من الإقرار، وصواب اللفظة نفر بالفاء أي لسنا نفر بسبب هذا الاصطلاح الذي اصطلحتموه من وصفه سبحانه بصفاته العليا(١).

والجار والمجرور، وهو قوله من وصفه متعلق نفر والله أعلم.

۞۞۞

قال الناظم(٢):

والـسـادس الـتـركـيـب مـن ماهية ... ووجــودهـــا مــا هــا هـنـا شيئان

---

(١) الصواب «نقر» كما في جميع النسخ، وتفسير المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا بعيد، والبيت واضح، ومعناه: لسنا نقر بألفاظ جديدة محدثة، لم ترد في النصوص الشرعية، وإنما وضعها اليونان والرومان، عباد الأصنام والأوثان، ولو كانت اللفظة «نفر»، لجاء بعدها «من» بدل الباء، والله أعلم.

(٢) في هامش (ع) بخط المؤلف «بلغ...».

إلا إذا اختلف اعتبارهما فذا ... في الذهن والثاني ففي الأعيان

فهناك يعقل كون ذا غير لذا ... فعلى اعتبارهما هما غيران

أما إذا اتحدا اعتبارًا كان نفس ... وجودها هو ذاتها لا ثان

من قال شيئًا غير ذا كان الذي ... قد قاله ضرب من الفعلان(١)

هذا وكم خبط هنا قد زال بالتـ ... ـفصيل وهو الأصل في العرفان

هذا هو القسم السادس من أقسام التركيب وهو التركيب من الوجود والماهية.

وحاصل كلام الناظم هنا: أن الوجود والماهية إذا اختلف اعتبارهما، فأخذ أحدهما ذهنيًّا، والآخر خارجيًّا، فالوجود غير الماهية، وإن أخذا ذهنين، فالوجود هو الماهية، وكذا إن أخذا خارجيين فالوجود هو الماهية.

قوله: (ع/ ٢/ ١٠٣أ) «....من الفعلان»(٢) هو بضم الفاء وإسكان العين، يعني كلمة في وزن الفعلان كالبهتان والبطلان ونحوهما، وهذا كما في قول المتنبي في رثاء

---

(١) في هامش (ع) بنسخة: «الغفلان».

(٢) في هامش (ع) علق الشيخ عبد الله العنقري بقوله «قوله: [من الفعلان] هو بضم الفاء وإسكان العين.... إلخ. الصواب: أنه بضم الغين المعجمة وإسكان الفاء. قال في القاموس: هو ضرب من الجنون بعده (كلام غير واضح) والله أعلم». اهـ. كلام العنقري.

وعلى هذا فمعنى البيت أنه ليس في الخارج شيئان: وجود وما هية، بل ليس هناك إلا الشخص الموجود في الخارج، وإنما تعرض زيادة الوجود للماهية في الذهن؛ لأن الذهن يستطيع تصور الماهية معراة من الوجود، ثم يضيف إليها الوجود، فلا يجوز عند جميع العقلاء أن يتصور أن وجود المعين في الخارج يختلف عن ذاته وما هيته، ومن اعتقد هذا فقد قال بضرب من الجنون فإن مثل هذا لا يسمى تركيبًا، وتركيب الأشخاص من الماهية والوجود في الخارج باطل، لأن الفصل بين الماهية ووجودها من عمل الذهن. انظر: منهاج السنة (٢/ ٥٨٧-٥٨٨) الأصول التى بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (٣/ ١٧١)، شرح النونية لهراس (٢/ ٣٢).

أخت سيف الدولة ابن حمدان واسمها خولة(١):

كأن فعلة لم تملأ مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب(٢)

وذلك أن المتنبي لم يصرح باسمها استعظامًا لكونها ملكة، بل كنى عن اسمها بفعلة، فلفظ فعلة حكمها حكم موزونها؛ ممتنع من الصرف للعلمية والتأنيث، فكذا فعلة ممتنع.

قال ابن جني: كنى بفعلة عن اسمها واسمها خولة(٣).

۞۞۞

قال الناظم:

وابن الخطيب وحزبه من بعده لم يهتدوا لمواقع الفرقان
بل خبطوا نقلًا وبحثًا أوجبًا شكًّا لكل ملدد حيران
هل ذات رب العالمين وجوده أم غيره فهما إذا شيئان
فيكون تركيبًا محالًا ذاك إن قلنا به فيصير ذا إمكان
وإذا نفينا ذاك صار وجوده كالمطلق الموجود في الأذهان
وحكوا أقاويلًا ثلاثًا ذينك القولين إطلاقًا بلا فرقان
والثالث التفريق بين الواجب الـ أعلى وبين وجود ذي الإمكان
وسطوا عليها كلها بالنقض والـ إبطال والتشكيك للإنسان(٤)

قوله: «ابن الخطيب....» يعني الفخر الرازي، وهو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، العلامة سلطان المتكلمين، صاحب التصانيف،

---

(١) لم أعرفها.
(٢) ديوان المتنبي (١/ ٣٠٣) مع شرحه لعلي بن أحمد الواحدي النسابوري.
(٣) انظر: خزانة الأدب للبغدادي (٦/ ٤٠٩).
(٤) الصواب «بالإنسان»؛ لأن التشكيك يتعدى بحرف الجر الباء، ولا يتعدى بالألف.

أبو عبد الله القرشي البكري التميمي الطبرستاني الأصل ثم الرازي ابن خطيبها المفسر إمام وقته في العلوم العقلية، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى[(١)]: «الفخر ابن الخطيب صاحب التصانيف رأس في الذكاء والعقليات، ولكنه عري من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من أصول الدين؛ تورث حيرة.

وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان[(٢)]، مثل ما ذكرنا عن الذهبي في شأنه، وزاد «أنه كان يقول مع تبحره في الأصول: «من التزم دين العجائز فهو الفائز» وكان يعاب بإيراد الشبه الشديدة ويقصر في حلها حتى قال بعض المغاربة يورد الشبهة نقدًا ويحلها نسيئة[(٣)].

وقد ذكره ابن دحية فمدح وذم[(٤)]، ذكره أبو شامة فحكى عنه أشياء

---

(١) في ميزان الاعتدال (٣/ ٣٤٠).

(٢) لسان الميزان (٥/ ٤٣٠).

(٣) من قوله: (و هو محمد بن عمر...) إلى هنا ساقط من (د).

(٤) الحافظ أبي الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن دحية الظاهري الكلبي الأندلسي البلنسي -نسبة إلى بلنسية مدينة في شرق الأندلس- سافر إلى مصر واستوطن بها إلى أن مات، وله مؤلفات عدة منها: التنوير، والآيات البينات، والحسام الهندي، والمطرب من أشعار العرب، والعلم المشهور، ووهج الجمر في تحريم الخمر، والمستوفى في أسماء المصطفى، إلا أنه لم يكن موثوقًا في نقله، وجرب عليه الكذب.

وقال الحافظ الضياء: لم يعجبني حاله، كان كثير الوقيعة في الأئمة.

وقال الحافظ ابن حجر: «متهم في نقله مع أنه من أوعية العلم...، وفي تواليفه أشياء تنقم عليه؛ من تصحيح وتضعيف»، مات سنة (٦٣٠هـ).

انظر: المغني في الضعفاء للذهبي (٢/ ٤٦٣) ط. إدارة إحياء التراث الإسلامي، والسير (٢٢/ ٣٨٩-٣٩٥)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ٤٢٠)، ووفيات الأعيان (٣/ ٤٤٨-٤٥٠)، والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٩٥)، لسان الميزان (٥/ ١٦٣).

رديئة[١] وذكر النجم الطوفي في الأكسير في علم التفسير[٢] ما ملخصه: «ما رأيت في التفاسير أجمع لغالب علم التفسير من القرطبي ومن تفسير الإمام فخر الدين إلا أنه كثير العيوب فحدثني شرف الدين النصيبي![٣] عن شيخه سراج الدين السرمساجي المغربي![٤]».

أنه صنف كتاب المأخذ[٥] في مجلدين بين فيهما مافي تفسير الفخر من الزيف والبهرج.

وكان ينقم عليه كثيرًا ويقول: «يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهن».

قال الطوفي: «ولعمري إن هذا دأبه في كتبه الكلامية، حتى اتهمه بعض الناس، ولكنه خلاف ظاهر حاله؛ لأنه لو كان اختار قولًا أو مذهبًا ما كان عنده من يخاف منه حتى يستتر عنه، ولعل سببه أنه كان يستفرغ قواه في تقرير دليل الخصم فإذا انتهى إلى تقرير دليل نفسه لا يبقى عنده شيء من القوى، ولا شك أن القوى النفسانية تابعة للقوى البدنية».

---

(١) منها أنه كان يقول: قال محمد التازي يعني العربي، يريد به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقول عن نفسه: قال محمد الرازي، والتازي كلمة كان العجم يطلقونها على العرب، فقالها الرازي في حق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

انظر: ذيل الروضتين (ص٦٨).

(٢) الإكسير في علم التفسير (ص٢٦).

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) لم أقف عليه.

وقد صرح في مقدمة نهاية العقول[١]: «أنه يقرر مذهب خصمه تقريرًا لو أراد خصمه أن يقرره لم يقدر على الزيادة على ذلك».

وذكر ابن خليل السكوني في كتاب الرد على الكشاف[٢]: «أن الإمام الرازي ابن الخطيب قال في كتبه في الأصول: إن مذهب الجبر هو المذهب الصحيح».

وقال في التفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤] كلامًا يدل على أن مذهب الجبر هو الحق حيث قال[٣]: «وقد دللنا بالبراهين العقلية على صحة أن الأمر كذلك» أي العبد مجبور نعوذ بالله من أمثال ذلك.

وقال بصحة بقاء الأعراض[٤]، وبنفي صفات الله الحقيقية[٥]، وزعم أنها مجرد نسب وإضافات كقول الفلاسفة، وسلك طريق أرسطو في دليل التمانع.

ونقل عن تلميذه التاج الأرموي أنه نظر في كلامه فهجره أهل مصر وهموا به فاستتر، ونقل عنه أنه قال عندي كذا وكذا مائة شبهة على القول بحدوث العالم[٦] ومنه ما قاله شيخه ابن الخطيب في آخر الأربعين[٧]: «والمتكلم يستدل على القدم بوجوب تأخر الفعل والفيلسوف يستدل على قدمه باستحالة تعطل الفاعل عن أفعاله».

---

(١) انظر: لسان الميزان (٥/ ٤٣٤)

(٢) يسمى كتاب «التميز لما أودعه الزمخشري من الاعتزاليات في الكتاب العزيز».

(٣) انظر: تفسير الرازي (٥/ ٤٧٢).

(٤) انظر الأربعين للرازي (ص١٥)، محصل أفكار المتقدمين له (ص٣٣٧).

(٥) احتج بتماثل الأجسام على نفي الصفات الخبرية. انظر: الأربعين (ص٤٠) بل مال إلى مذهب المعتزلة في نفي الصفات. انظر: المباحث الشرقية (٢/ ٤٩٠).

(٦) انظر: المباحث الشرقية (١/ ٤٨٧) (١/ ٥١١).

(٧) الأربعين (ص٣٢٧) ط. مكتبة الكليات الأزهرية.

وقد صرح في مقدمة نهاية العقول[١]: «أنه يقرر مذهب خصمه تقريرًا لو أراد خصمه أن يقرره لم يقدر على الزيادة على ذلك».

وذكر ابن خليل السكوني في كتاب الرد على الكشاف[٢]: «أن الإمام الرازي ابن الخطيب قال في كتبه في الأصول: إن مذهب الجبر هو المذهب الصحيح».

وقال في التفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤] كلامًا يدل على أن مذهب الجبر هو الحق حيث قال[٣]: «وقد دللنا بالبراهين العقلية على صحة أن الأمر كذلك» أي العبد مجبور نعوذ بالله من أمثال ذلك.

وقال بصحة بقاء الأعراض[٤]، وبنفي صفات الله الحقيقية[٥]، وزعم أنها مجرد نسب وإضافات كقول الفلاسفة، وسلك طريق أرسطو في دليل التمانع.

ونقل عن تلميذه التاج الأرموي أنه نظر في كلامه فهجره أهل مصر وهموا به فاستتر، ونقل عنه أنه قال عندي كذا وكذا مائة شبهة على القول بحدوث العالم[٦] ومنه ما قاله شيخه ابن الخطيب في آخر الأربعين[٧]: «والمتكلم يستدل على القدم بوجوب تأخر الفعل والفيلسوف يستدل على قدمه باستحالة تعطل الفاعل عن أفعاله».

---

(١) انظر: لسان الميزان (٥/ ٤٣٤)

(٢) يسمى كتاب «التميز لما أودعه الزمخشري من الاعتزاليات في الكتاب العزيز».

(٣) انظر: تفسير الرازي (٥/ ٤٧٢).

(٤) انظر الأربعين للرازي (ص١٥)، محصل أفكار المتقدمين له (ص٣٣٧).

(٥) احتج بتماثل الأجسام على نفي الصفات الخبرية. انظر: الأربعين (ص٤٠) بل مال إلى مذهب المعتزلة في نفي الصفات. انظر: المباحث الشرقية (٢/ ٤٩٠).

(٦) انظر: المباحث الشرقية (١/ ٤٨٧) (١/ ٥١١).

(٧) الأربعين (ص٣٢٧) ط. مكتبة الكليات الأزهرية.

ثم أسند عن ابن الطباخ![1] أن الفخر كان شيعيًا يقدم محبة أهل البيت كمحبة الشيعة[2] حتى قال في بعض تصانيفه: «وكان علي شجاعًا بخلاف غيره».

وعاب عليه تسميته لتفسيره مفاتيح الغيب ولمختصره في المنطق الآيات البينات[3] وتقريره لتلاميذه في وصفه بأنه الإمام المجتبى أستاذ الدنيا أفضل العالم فخر بني آدم، حجة الله على الخلق،صدر صدور العرب والعجم». هذا آخر كلامه.

وقد مات الفخر سنة ست وستمائة بمدينة هراة وأوصى بوصية تدل على أنه حسن اعتقاده انتهى عبارة اللسان.

ومما قال فيه إن له: «كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم» سحر صريح فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى.

قلت: ولد في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقيل سنة ثلاث، واشتغل أولًا على والده ضياء الدين عمر، وهو من تلامذة البغوي على الكمال السمناني' والمجد الجيلي صاحب محمد بن يحيى.

وأتقن علومًا كثيرة، وبرز فيها وساد وقصده الطلبة من سائر البلاد، وصنف في فنون كثيرة وكان له مجلس كبير في الوعظ يحضره الخاص والعام ويلحق فيه حال ووجد.

---

(١) لم أعرفه.

(٢) نقله أحمد بن يوسف الفهري في فهرسة اللبلي (ص١٢٩).

وقال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «الفخر الرازي كان أشعريًا، ثم تجاوز الأشعرية فصار جهميًا، وقد سمى شيخ الإسلام رده على كتابه أساس التقديس «بيان تلبيس الجهمية». اهـ.

(٣) لم أقف عليه.

وجرت بينه وبين جماعة من الكرامية مخاصمات، وفتن وأوذي بسببهم، وكان ينال منهم في مجلسه، وينالون منه، وكان إذا ركب مشى حوله نحو ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم.

وقيل كان يحفظ الشامل لإمام الحرمين في الكلام، وندم على دخوله في الكلام.

وروي عنه أنه قال[1]: «لقد أختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلًا، ولا تشفي عليلًا، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن أقرأ في التنزيه: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، واقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، واقرأ في أن الكل من عند الله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٨].

ثم قال: وأقول من صميم القلب ومن داخل الروح: إني مقر بأن كل ما هو الأفضل الأعظم الأجل فهو لك، وكل ما هو عيب أو نقص فأنت منزه عنه.

وكانت وفاته بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة.

قال أبو شامة: «وبلغني أنه خلف من الذهب ثمانين ألف دينار سوى الدواب والعقار وغير ذلك، ومن تصانيفه التفسير الكبير لم يتمه في اثني عشر مجلدًا كبارًا أسماه مفاتيح الغيب، وكتاب المحصول والمنتخب، وكتاب الأربعين، ونهاية العقول، والتبيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان،المباحث العمادية في

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٤٦).

المطالب المعادية، تأسيس التقديس في تأويل الصفات، إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار، المعالم في أصول الدين، المعالم في أصول الفقه، شرح أسماء الله الحسنى، شرح الإشارات، الملخص في الفلسفة.

ويقال: إنه شرح نصف الوجيز للغزالي، وشرح سقط الزند للمعري، وله طريقة في الخلاف، وشرح كليات القانون، وصنف في مناقب الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى غير ذلك، ورزق السعادة في مصنفاته حتى انتشرت في الآفاق، وأقبل الناس على الاشتغال بها[١].

وذلك أن الفخر الرازي وأتباعه حكوا للناس في وجود الرب تعالى ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الوجود مقول بالاشتراك اللفظي فقط.

والثاني: أن وجود الواجب زائد على ماهيته[٢].

والثالث: أنه وجود مطلق ليس له حقيقة غير الوجود المشروط بسلب كل ماهية ثبوتية[٣].

---

(١) ما بين معكوفتين من (م).

(٢) قال شيخنا: «إن أريد بالماهية وجود في الخارج وماهية في العدم، فهما مختلفتان، وإن أريد أن أحدهما في الذهن والآخر في الخارج، فالوجود غير الماهية». اهـ.

(٣) الوجود المطلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول: الوجود المطلق بشرط الإطلاق وضابطه: مالم يقيد بوصف ولا يميز بنعت والثاني: الوجود المطلق بشرط السلب وهو الموجود بسلب الأمور الثبوتية دون العدمية عنه كسلب الحياة والعلم والقدرة، أو سلب الثبوتية والعدمية مثل أن يكون موجودًا حيًّا لا حيًّا وقادرًا لا قادرًا وعالمًا والثالث: الوجود المطلق بلا شرط، وهذا يعنون به الكلي والطبيعي المطابق لكل موجود، وهذا لا يكون إلا في الأذهان.
انظر: الأصول التي بني عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (٣/ ١٦٥-١٦٨).

قال شيخ الإسلام[(١)]: «فيقال لهم الأقوال الثلاثة باطلة، والقول الحق ليس واحدًا من الثلاثة، وإنما أصل الغلط هو توهمهم أنا إذا قلنا: إن الوجود ينقسم إلى واجب وممكن؛ لزم أن يكون في الخارج وجود هو نفسه في الواجب، وهو نفسه في الممكن[(٢)].

وهذا غلط، فليس في الخارج بين الموجودين شيء هو نفسه فيهما، ولكن لفظ الوجود، ومعناه الذي في الذهن، والخط الذي يدل على اللفظ: يتناول الموجودين ويعمهما، يشتركان فيه.

فشمول معنى الوجود الذي في الذهن لهما،كشمول لفظ الوجود والخط الذي يكتب به هذا اللفظ لهما (ع/ ٢/ ١٠٤ب)، فهما مشتركان في هذا، فأما نفس ما يوجد في الخارج فإنما يشتبهان فيه من بعض الوجوه، فأما أن تكون نفس هذا وصفته فيها شيء من ذات هذا وصفته،فهذا مما يعلم فساده كل من تصوره.

ومن توقف فيه فلعدم تصوره له.

وحينئذ فالقول في اسم الوجود كالقول في اسم الذات والعين والماهية والنفس والحقيقة وكما أن الحقيقة تنقسم إلى حقيقة واجبة وحقيقة ممكنة، وكذلك لفظ الماهية ولفظ الذات ونحو ذلك فكذلك لفظ الوجود.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٩٢).

(٢) يقصد أنهم قالوا: إننا لو قلنا واجب الوجود موجود، وممكن الوجود موجود فقد جعلنا لهما وجودًا مشتركًا. وهذا خطأ، لأن الاتفاق في الاسم العام المطلق لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتخصيص، فإذا قلنا: الخالق موجود والمخلوق موجود، فلا يلزم من اتفاقهما في اسم الوجود أن يكون الخالق هو المخلوق. انظر: منهاج السنة (٢/ ٥٨٩)، شرح الرسالة التدمرية للشيخ محمد الخميس (ص١٠٥).

فإذا قلنا إن الحقيقة أو الماهية تنقسم إلى واجبة وممكنة، لم يلزم أن تكون ماهية الواجب فيها شيء من ماهية الممكن، فكذلك إذا قيل: الوجود ينقسم إلى واجب وممكن، لم يلزم أن يكون الوجود الواجب فيه شيء من وجود غيره، بل ليس فيه وجود مطلق ولا ماهية مطلقة بل ماهيته هي حقيقته وهي وجوده.

وإذا كان المخلوق المعين: وجوده الذي في الخارج، هو نفس ذاته وحقيقته وماهيته التي في الخارج، ليس في الخارج شيئان، فالخالق تعالى أولى أن تكون حقيقته هي وجوده الثابت الذي لا يشركه فيه أحد، وهو نفس ماهيته التي هي حقيقته الثابته في نفس الأمر.

ولو قدر أن الوجود المشترك بين الواجب والممكن موجود فيهما في الخارج وأن الحيوانية المشتركة هي بعينها في الناطق والأعجم؛ كأن يميز أحدهما عن الآخر بوجود خاص، كما يتميز الإنسان بحيوانية تخصه وكما أن السواد والبياض إذا اشتركا في مسمى اللون تميز أحدهما بلونه الخاص عن الآخر.

وهؤلا الضالون يجعلون الواحد اثنين والاثنين واحدًا، فيجعلون هذه الصفة هي هذه الصفة، ويجعلون الصفة هي الموصوف، فيجعلون الاثنين واحدًا كما قالوا: إن العلم هو القدرة، وهو الإرادة والعلم هو العالم، ويجعلون الواحد اثنين، كما يجعلون الشيء المعين الذي هو هذا الإنسان، هو عدة جواهر: إنسان وحيوان وناطق وحساس ومتحرك بالإرادة.

ويجعلون كلًّا من هذه الجواهر غير الآخر، ومعلوم أنه جوهر واحد له صفات متعددة، وكما يفرقون بين المادة والصورة ويجعلونهما جوهرين عقليين قائمين بأنفسهما، وإنما المعقول هو قيام الصفات بالموصوفات، والأعراض بالجواهر

كالصورة الصناعية: مثل صورة الخاتم والدرهم والسرير والثوب؛ فإنه عرض قائم بجوهر هو الفضة والخشب والغزل وكذلك الاتصال (ع/ ٢/ ١٠٥أ) والانفصال قائمان بمحل هو الجسم.

وهكذا يجعلون الصورة الذهنية ثابتة في الخارج كقولهم في المجردات المفارقات للمادة[١]، وليس معهم ما يثبت أنه مفارق لا النفس الناطقة إذا فارقت البدن بالموت.

والمجردات: هي الكليات التي تجردها النفس[٢] من الأعيان المشخصة فيرجع الأمر إلى النفس وما يقوم بها، ويجعلون الموجود في الخارج هو الموجود في الذهن، كما يجعلون الوجود الواجب هو الوجود المطلق.

فهذه الأمور من أصول ضلالهم حيث جعلوا الواحد متعددًا، والمتعدد واحدًا، وجعلوا ما في الذهن في الخارج، و جعلوا ما في الخارج في الذهن، ولزم من ذلك أن يجعلوا الثابت منتفيًا والمنتفي ثابتًا، فهذه الأمور من أجناس ضلالهم، وهذا كله مبسوط في غيرهذا الموضع» انتهى كلامه.

۞۞۞

قال الناظم:

حتى أتى من أرض أمدًا آخرًا ... ثورٌ كبير بل حقير الشان

---

(١) يعني: أن كل ما لم يثبت ولا يتصور إلا في الذهن يجعلونه ثابتًا في الخارج، وهذا قول من يؤمن بالمثل الأفلاطونية التي هي ضرب من الخيال، وقولهم في المجردات المفارقات للمادة مثل كلمة «إنسان»، فهذه لا تعني أحدًا ولا يقصد بها أحدًا إلا عند الإضافة والتخصيص، وليس في الكلام سقط كما قد يتوهم، والله أعلم.

(٢) يقصد بالنفس الناطقة: الإنسان.

قال الصواب الوقف في ذا كله | والشك فيه ظاهر التبيان
هذا قصارى بحثه وعلومه | ان شك في الله العظيم الشان

الآمدي هو أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن سالم الثعلبي، سيف الدين ولد بآمد سنة (٥٥٠هـ) هجري[١]، قرأ على مشايخ بلده القراءات، وحفظ كتابًا على مذهب أحمد بن حنبل، وبقي على ذلك مدة فكان في أول اشتغاله حنبلي المذهب، [ثم] انتقل إلى مذهب الشافعي، ثم رحل إلى العراق، وأقام في الطلب مدة ببغداد، وحصل علم الجدل والخلاف والمناظرة، ثم انتقل إلى الشام، واشتغل بفنون المعقول وحفظ منه الكثير، وتمهر فيه ولم يكن في زمانه أحفظ منه لهذه العلوم، وصنف في أصول الدين، والمنطق والحكمة والخلاف، وكل تصانيفه مفيدة[٢] وكان قد أخذ علوم الأوائل من نصارى الكرخ ويهودها، فاتهم لذلك في عقيدته، ففر إلى مصر خوفًا من الفقهاء سنة ٥٩٢ هجري، وناظر بها وحاضر، وأظهر تصانيف في علوم الأوائل، ثم تعصبوا عليه فخرج من القاهرة مستخفيًا، ثم استوطن حماة أو دمشق وتولى بها التدريس.

ومات فيها سنة (٦٣١ هـ) هجري[٣].

ومن مصنفاته: الماهر في علوم الأوائل والأواخر خمس مجلدات، وكتاب إبكار الأفكار في أصول الدين أربع مجلدات، وكتاب دقائق الحقائق في الفلسفة، قد دفن في سفح قاسيون، وكانت ولادته سنة (٥٥١ هـ) هجري.

---

(١) (د): (٥٥٥هـ).
(٢) في هذا نظر، يتبين بما بعده.
(٣) في (د) بعد الرقم: «ستمائة وواحد وثلاثين».

والآمدي نسبة إلى آمد وهي مدينة كبيرة في ديار بكر مجاورة لبلاد الروم[(١)].

قوله: (آخرا.....) هو بكسر الخاء، أي آخر الأمر، أي أن الآمدي توقف في هذه المسألة، ولم أطلع أنا على كلامه في هذه المسألة، والله أعلم[(٢)].

(١) علق العنقري بقوله هنا «تنبيه: الآمدى هذا غير أبي الحسن الآمدي الفقيه الحنبلي المتوفى سنة (٤٦٥هـ)، فليعلم الفرق، وإنما نبهت عليه لموافقته للآمدي المذكور في الاسم والكنية، والله أعلم».

(٢) قال الآمدي في أبكار الأفكار (١/ ٥١): «المسألة الثانية من النوع الأول، وهي أن وجود واجب الوجود هل هو نفس ذاته أو هو زائد على ذاته...» فحكى في ذلك حجج الفريقين، ثم قال: «....و إن كانت حجة المذهب الأول ـ وهم القائلون أن الوجود هو الماهية أشبه، وعسى أن يكون عند غيري تحقيق أحد الطرفين» انتهى.

وكأنه يرجح بهذا القول رأى القائلين هو نفس الماهية، لكنه لم يجزم بشيء لعدم وجود أدلة كافية في ذلك.

قال الناظم:

فصل
في أحكام هذه التراكيب الستة

فالأولان حقيقة التركيب لا ... تعدوهما في اللفظ والأذهان

وكذلك الأعيان أيضًا إنما ... التركيب فيها ذانك النوعان

أي الأولان اللذان هما تركيب الامتزاج والاختلاط، وتركيب الجوار، أي أن التركيب حقيقة في هذين النوعين[1].

۞۞۞

قال الناظم:

والأوسطان هما اللذان تنازع ... العقلاء في تركيب ذي الجثمان

ولهم أقاويل ثلاث قد ... حكيناها وبيناها أتم بيان

أي التركيب من الجواهر المنفردة، ومن المادة والصورة[2].

۞۞۞

والآخران هما اللذان عليهما ... دارت رحى الحرب التي تريان[3]

---

(١) وجميع الأعيان الخارجية إنما يرجع التركيب فيها إلى هذين النوعين.
انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ٣٤).

(٢) هذان النوعان تنازع الفلاسفة والمتكلمون في تركب الجسم منهما: فذهب المتكلمون إلى أن الجسم يتركب من الجواهر المفردة، وذهب الفلاسفة إلى الجسم يتركب من المادة والصورة.
وذهب النظام إلى أن الجسم يتركب من أجزاء غير متناهية. انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ٣٤).

(٣) يقصد أن التركيب من الذات والصفات أو من الماهية ووجودها هي التي دارت بسببها الحرب بين أهل السنة المثبتين للصفات، والنفاة المعطلة الذين نفوها بحجة أن إثباتها يلزم منه التركيب.
انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ٣٤).

أنتم جعلتم وصفه سبحانه بعلوه من فوق ذي الأكوان
وصفاته العليا التي ثبتت له بالنقل والمعقول ذي البرهان
من جملة التركيب ثم نفيتم مضمونها من غير ما برهان
فجعلتم المرقاة للتعطيل هذا الإصطلاح وذا من العدوان
لكن إذا قيل اصطلاح حادث لا حجر في هذا على إنسان
فنقول نفيكم بهذا الاصطلاح صفاته هو أبطل البطلان
وكذاك نفيكم به لعلوه فوق السماء وفوق كل مكان
وكذاك نفيكم به لكلامه بالوحي كالتوراة والقرآن
وكذاك نفيكم لرؤيتنا له يوم المعاد كما يرى القمران
وكذاك نفيكم لسائر ما أتى في النقل من وصف بغير معان
كالوجه واليد والأصابع والذي أبدًا يسوؤكم بلا كتمان
ويودكم لو لم يقله ربنا ورسوله المبعوث بالبرهان
ويودكم والله لما قاله أن ليس يدخل مسمع الإنسان
قام الدليل على استناد الكون أجـ ـمعه إلى خلاقه الرحمن
ما قام قط على انتفاء صفاته وعلوه من فوق ذي الأكوان
هو واحد في وصفه وعلوه ما للورى رب سواه ثان
فلأي معنى تجحدون علوه وصفاته بالفشر والهذيان
هذا وما المحذور إلا إن يقا ل مع الإله لنا إله ثان
أو أن يعطل عن صفات كماله هذان محذوران محظوران
أما إذا ما قيل رب واحد أوصافه أربت على الحسبان
وهو القديم فلم يزل بصفاته متوحدًا بل دائم الإحسان

أي لا محذور في إثبات صفات (ع/٢/١٠٦ب) الكمال لله سبحانه، وأنه واحد لم يزل بصفاته إلهًا واحدًا، وإنما المحذور أن يجعل مع الله إله آخر، أو تعطل صفات كماله فهذان كما قال الناظم محذوران محظوران.

❁❁❁

قال الناظم:

فبأي برهان نفيتم ذا وقلتم ليس هذا قط في الإمكان
فلئن زعمتم أنه نقص فذا بهت فما في ذاك من نقصان
النقص في أمرين سلب كماله أو شركه بالواحد الرحمن
أيكون[1] أوصاف الكمال نقيصة في أي عقل ذاك أم قرآن
إن الكمال بكثرة الأوصاف لا في سلبها ذا واضح البرهان
ما النقص غير السلب حسب وكل نقص أصله سلب وهذا واضح التبيان
فالجهل سلب العلم وهو والظلم سلب العدل والإحسان
متنقص الرحمن سالب وصفه حقا تعالى الله عن نقصان
وكذا الثناء عليه ذكر صفاته والحمد والتمجيد كل أوان
ولذاك أعلم خلقه أدراهم بصفاته من جاء بالقرآن
وله صفات ليس يحصيها سوا ه من ملائكة ولا إنسان
ولذاك يثني في القيامة ساجدًا لما يراه المصطفى بعيان
بثناء حمد لم يكن في هذه الدنيا ليحصيه مدى الأزمان
وثناؤه بصفاته لا بالسلوب كما يقول العادم العرفان

---

(١) (د) أتكون.

حاصل هذه الأبيات (ع/٢/١٠٧أ) أنكم أيها المعطلة لماذا نفيتم الصفات؟ فإن زعمتم أنها نقص(١)، فهذا كذب وبهت، وإنما النقص في أمرين: إما سلب الكمال،أو إثبات شريك لله تعالى، وأما أوصاف الكمال فحاشا أن تكون نقصًا.

والكمال بكثرة الأوصاف لا في سلبها؛إذ السلب المحض لا كمال فيه إلا إذا تضمن تنزيهًا عن نقص، كما في سلب النوم والسنة واللغوب والطعم عنه، تعالى وتقدس(٢).

۞۞۞

(١) الدافع لنفي الصفات عند المعطلة النفاة من المتكلمين وغيرهم: هو أنهم نفوا الصفات لأن في إثبات الصفات تجسيمًا والله ليس بجسم، وفي الإثبات إحداثًا لأننا إذا أثبتنا لله الصفات الفعلية فإنا نصفه بالإحداث فيكون محدثًا، وهذا محال في حق الله تعالى، لأن كل مخلوق محدث، والله ليس بمحدث، وكذلك مما دفعهم إلى نفي الصفات أنهم قالوا: إن في إثبات الصفات تركيبًا والله تعالى ليس بمركب، لأن المركب هو الذي يتجزأ ويتبعض ويتعدد وتفتقر أجزاؤه إلى بعضها، والله ليس كذلك، لأنه تعالى واحد، وإثبات الصفات يجعله مركبًا، وهو يتنافى مع كونه واحدًا، فلا يجوز إثباته.

(٢) ذكر شيخ الإسلا م أن الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي، فالإثبات كإخباره أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك.

وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتًا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال، كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ الآية، فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيومية وقوله: ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ أي: لا يكرثه ولا يثقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها.

وإذا تأملت أمثال ذلك في القرآن وجدت أن كل نفي لا يستلزم ثبوتًا؛ هو مما لم يصف الله تعالى به نفسه، فالذين لا يصفونه إلا بالنفي (السلوب) لم يثبتوا إلهًا محمودًا ولا موجودًا.

انظر: التدمرية (ص٥٧) بتصرف.

قال الناظم:

والعقل دل على انتهاء الكون ... أجمعه إلى رب عظيم الشأن
وثبوت أوصاف الكمال لذاته ... لا يقتضي إبطال ذا البرهان
والكون يشهد أن خالقه تعا ... لى ذو الكمال ودائم السلطان
وكذاك يشهد أنه سبحانه ... فوق الوجود وفوق كل مكان
وكذاك يشهد أنه سبحانه ... المعبود لا شيء من الأكوان
وكذاك يشهد أنه سبحانه ... ذو حكمة في غاية الإتقان
وكذاك يشهد أنه سبحانه ذو قدرة ... حي عليم دائم الإحسان
وكذاك يشهد أنه الفعال ... حقًّا كل يوم ربنا في شان
وكذاك يشهد أنه المختار في ... أفعاله حقًّا بلا نكران
وكذاك يشهد أنه الحي الذي ... ما للممات عليه من سلطان
وكذاك يشهد أنه القيوم قام ... بنفسه ومقيم ذي الأكوان
وكذاك يشهد أنه ذو ... رحمة وإرادة ومحبة وحنان
وكذاك يشهد أنه سبحانه ... متكلم بالوحي والقرآن
وكذاك يشهد أنه سبحانه ... الخلاق باعث هذه الأبدان
لا تجعلوه شاهدًا بالزور و ... التعطيل تلك شهادة البطلان
وإذا تأملت الوجود رأيته ... إن لم تكن من زمرة العميان
بشهادة الإثبات حقًّا قائم ... لله لا بشهادة النكران
وكذاك رسل الله شاهدة به ... أيضًا فسل عنهم عليم زمان
وكذاك كتب الله شاهدة به ... أيضًا فهذا محكم القرآن
وكذلك الفطر التي ما غيرت ... عن أصل خلقتها بأمر ثان

وكذا العقول المستنيرات التي ... فيها مصابيح الهدى الرباني

أترون أنا تاركو ذا كله ... لشهادة الجهمي واليوناني

هذي الشهود فإن طلبتم شاهدًا ... من غيرها سيقوم بعد زمان

إذ ينجلي هذا الغبار فيظهر ... الحق المبين مشاهدًا بعيان

هذه الأبيات واضحة بحمد الله[1].

❁❁❁

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فإذا نفيتم ذا وقلتم إنه ... ملزوم تركيب فمن يلحاني

إن قلت لا عقل ولا سمع لكم ... وصرخت فيما بينكم بأذان

هل يُجْعل[2] الملزوم عين اللازم ... المنفي هذا بين البطلان

فالشيء ليس لنفسه ينفي لدى ... عقل سليم يا ذوو العرفان

قلتم نفينا وصفه وعلوه ... من خشية التركيب والإمكان

لو كان موصوفا لكان مركبًا ... فالوصف والتركيب متحدان

---

(١) لم يشرح المؤلف هذه الأبيات لوضوحها عنده ونقول في شرحها: بأن العقل دل على أن الكون كله يعود إلى الله تعالى ابتداءًا وانتهاءًا، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾. وأيضًا: هو مستند في وجوده إلى الله تعالى، ولا يمكن أن يُحدِث وجوده بنفسه، لأنه ممكن، والممكن يفتقر إلى من يوجده، فإذا عرفنا أن وجود الكون دليل على وجود الله تعالى، وأنه هو الموجد له سبحانه، فليس في إثبات صفات الله تعالى ما يناقض دلالة العقل على شهادة الكون بوجود الله تعالى، بل على العكس؛ فإن جميع الموجودات تشهد بأن باريها وفاطرها متصف بصفات الكمال، بل تشهد له بالقهر والتدبير والعزة والسلطان، وبأنه العلي فوق جميع خلقه، فلا يجوز أن يحصره أو يحيط به شيء منها، وكذلك تشهد له بكمال الحكمة والإتقان بما اشتملت عليه من غايات ومقاصد، كما تشهد له بتمام القدرة التي لا تعجز عن شيء من الممكنات، وإذا تأملت الوجود كله وجدته خير شاهد على صفات كماله تعالى وتقدس. انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ٣٨-٤١).

(٢) بضم أوله على أنه مبني للمجهول.

أو كان فوق العرش كان مركبًا ... فالفوق والتركيب متفقان

فنفيتم التركيب بالتركيب مع ... تغيير إحدى اللفظتين بثان

بل صورة البرهان أصبح شكلها ... شكلًا عقيمًا ليس ذا برهان

لو كان موصوفًا لكان كذاك ... موصوفًا وهذا حاصل البرهان

فإذا جعلتم لفظة التركيب ... بالمعنى الصحيح أمارة البطلان

جئنا إلى المعنى فخلصناه ... منها واطرحناها اطراح مهان

هي لفظة مقبوحة بدعية ... مذمومة منا بكل لسان

واللفظ بالتوحيد نجعله مكا ... ن اللفظ بالتركيب في التبيان

واللفظ بالتوحيد أولى بالصفات ... وبالعلو لمن له أذنان

هذا هو التوحيد عند الرسل لا ... أصحاب جهم شيعة الكفران

أي أن الفلاسفة والجهمية (ع/٢/١٠٩أ) يقولون إن إثبات الصفات يلزم منه التركيب(١).

قال الناظم: فإذا نفيتم الصفات وقلتم: إنه ملزوم التركيب، فكيف تجعلون الملزوم الذي هو إثبات الصفات عين اللازم الذي هو إثبات الصفات !!

فصار المعنى: إثبات الصفات يستلزم إثبات الصفات، فيجب نفيه فهم على هذا نفوا التركيب بالتركيب، فإذا نفوا التركيب بكونه تركيبًا ففيه، إبطال الشيء بنفسه، وهو محال؛ فإن الشيء لا ينفيه عينه(٢).

---

(١) سبق أن ذكرنا أن التركيب حجة جهمية فلسفية معتزلية، فهم يستندون على نفي الصفات بحجة بالتركيب، ويقولون إن إثبات الصفات يتنافي مع توحيده، ويقتضي كونه مركبًا.
انظر: الأصول التي بني عليها المبتدعه مذهبهم في الصفات (٣/ ١٠٥).

(٢) معنى كلام الشارح أنهم سموا الصفات تركيبًا، وجعلوا إثباتها مع الذات يستلزم تركيبًا لأن فيه تبعضًا أو تجزئًا أو تعددًا، وهذا التبعض أو التجزء أو التعدد يخالف كونه واحدًا فيجب نفيه، =

قال الناظم:

بل صورة البرهان أصبح شكلها شكلا عقيما ليس ذا برهان

وحاصل ما أبطلوا به إثبات الصفات بأن المعنى لو كان موصوفًا لكان موصوفًا.

فتأمل قوله:

فإذا جعلتم لفظة التركيب .... إلخ

أي إذا جعلتم لفظة التركيب إمارة البطلان؛ خلصنا المعنى الصحيح منها واطرحنا تلك اللفظة، وهي لفظة التركيب؛ لأنها لفظة مقبوحة بدعية مذمومة، وأبدلنا مكانها التوحيد؛ لأنه أولى بالصفات وبالعلو، وهذا هو التوحيد عند الرسل وأتباعهم، لا أصحاب جهم شيعة الكفران، والله أعلم.

=فصار الملزوم الذي هو إثبات الصفات،يلزم منه اللازم الذي هو إثبات الصفات، فصار كلامهم يدور على أصلين فاسدين هما:

الأول: أن إبطال الشيء يكون بنفسه، وهو محال لأن الشيء لا يبطل إلا بأمر خارج عنه.

الثاني: أن اللازم هو نفس الملزوم، وهو خطأ فاحش في القواعد العقلية التي يتبجحون بها ويزعمون أنهم أعلم الناس بالمعقولات.

ويمكن توضيح ذلك بما يلي:

إثبات الصفات يؤدي إلى التركيب **(مقدمة أولى)**

والصفات تركيب **(مقدمة ثانية)**

النتيجة: أن التركيب يؤدي إلى التركيب. لذا يجب نفي التركيب بحجة أنه يؤدي إلى التركيب.

فهذا هو نفي التركيب بالتركيب.

انظر: الصواعق للناظم (٣/ ٩٤٥)، الكافيه الشافية (٢/ ٦٨٨ ـ ط. عالم الفوائد).

قال الناظم:

فصل
في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المعطلين

فاسمع إذًا أنواعه هي خمسة ... قد حُصلت أقسامُها ببيان

توحيد أتباع ابن سينا وهو ... منسوب لأرسطو من اليونان

ما للإله لديهم ماهية غير ... الوجود المطلق الوجدان

مسلوب أوصاف الكمال جميعها ... لكن وجود حسب ليس بفان(١)

ما أن له ذات سوى نفس الوجو ... د المطلق المسلوب كل معان

فلذاك لاسمع ولابصر ولا ... علم ولاقول من الرحمن

وكذاك قالوا ليس ثم مشيئته ... وإرادة لوجود ذي الأكوان

بل تلك لازمة له بالذات لم ... تنفك عنه قط في الأزمان

ما اختار شيئًا قط يفعله ولا ... هذا له أبدًا بذي إمكان

وبنوا على هذا استحالة خرق ذا ... الأفلاك يوم قيامة الأبدان

---

(١) يعني أن الفلاسفة قالوا: إن وجود الله تعالى هو الوجود المطلق، والوجود المطلق لا يكون إلا في الأذهان، لأن ما لا يتميز باسم ولا وصف لا وجود له في الحقيقة، كما سيأتي في نقل المؤلف عن الناظم من كتاب الصواعق.

لكن قوله: (..........ليس بفان)، فيه إشكال؛ لأنه يتعارض مع قولهم بمطلق الوجود. وقد استشكل شيخنا هذا البيت، ورجح أن كلمة (ليس) في هذا البيت لعلها زائدة، ولم يجزم؛ لعدم الوقوف على نسخة خطية بذلك، فيكون البيت بعد التأمل لعله هكذا:

مسلوب أوصاف الكمال جميعها ... لكن وجوده وجود حسب فان

والله أعلم بالصواب.

وكذاك قالوا ليس يعلم قط شيئًا ما من الموجود في الأعيان
لا يعلم الأفلاك كم أعدادها وكذا النجوم وذانك القمران
بل ليس يسمع صوت كل مصوت كلا وليس يراه رأي عيان
بل ليس يعلم حالة الإنسان تفصيلا من الطاعات والعصيان
كلا ولا علم له بتساقط الأوراق أو بمنابت الأغصان
علما على التفصيل هذا عندهم عين المحال ولازم الإمكان
بل نفس آدم عندهم عين المحال ولم يكن في سالف الأزمان
ما زال نوع الناس موجودًا ولا يفنى كذاك الدهر والملوان
هذا هو التوحيد عند فريقهم مثل ابن سينا والنصير الثاني
قالوا وألجأنا إلى ذا خشية التركيب والتجسيم ذي البطلان
ولذاك قلنا ماله سمع ولا بصر ولا علم فكيف يدان
وكذاك قلنا ليس فوق العرش إلا المستحيل وليس ذا إمكان
جسم على جسم كلا الجسمين محدود يكون كلاهما صنوان
فبذاك حقًّا صرحوا في كتبهم وهم الفحول أئمة الكفران
ليسوا مخانيث الوجود فلا إلى الكفران ينحازوا ولا الإيمان
والشرك عندهم ثبوت الذات والأوصاف إذ يبقى هناك اثنان
غير الوجود فصار ثم ثلاثة فلذا نفينا اثنين بالبرهان
نفي الوجود فلا يضاف إليه شيء غيره فيصير ذا إمكان

قال الناظم في الصواعق[1] في بيان (ع/٢/١١١أ) توحيد الفلاسفة «هو إنكار ماهية الرب الزائد على وجوده، وإنكار صفات كماله، وأنه لا سمع له ولا بصر

(١) انظر: مختصر الصواعق (١/ ٢٧٠-٢٧٧).

ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة ولا كلام ولا وجه ولا يدين، وليس فيه معنيان يتميز أحدهما عن الآخر البتة.

قالوا: لأنه لو كان كذلك؛لكان مركبا وكان جسما[١] مؤلفًا، ولم يكن واحدًا من كل وجه، فجعلوه من جنس الجوهر الفرد الذي لا يحس ولا يرى ولا يتميز منه جانب عن جانب، بل الجوهر الفرد يمكن وجوده، وهذا الواحد الذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده[٢].

وقالوا: لو كان له صفة أو كلام أو مشيئة أو علم أو حياة أو قدرة أو سمع أو بصر؛ لم يكن واحدًا وكان مركبًا مؤلفًا، فسموا أعظم التعطيل بأحسن الأسماء وهو التوحيد، وسموا أصح الأشياء وأحقها بالثبوت وهو صفات الرب بأقبح الأسماء وهو التركيب والتأليف وفتولد من بين هذه التسمية الصحيحة للمعنى الباطل جحد حقائق أسماء الرب وصفاته، بل وجحد ماهيته وذاته، وتكذيب رسله.

---

(١) لأنهم يقولون: إن التركيب من خصائص الممكنات،فواجب الوجود -عندهم- يجب أن يكون بسيطًا، وليس بمركب.
يقول ابن سينا: «فصل في بساطة الواجب» ثم يسترسل بعد ذلك في إثبات أن الواجب غير مركب.
ومن دلائل بساطته عندهم ـ أنه واحد متقدس عن التجزيء، والتبعض، والتركيب، والتأليف.
وهذه لا تكون إلا لجسم والله ليس بجسم.
انظر: النجاة لابن سينا (ص٢٢٧-٢٢٨)، الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات لعبد القادر صوفي (٣/ ١١٤-١١٥).

(٢) لما قالوا: إن الله تعالى ليس بمركب، لزمهم القول ببساطته فالتزموه، لأن البسيط يقابل المركب، وإذا جعلوه من جنس الجوهر الفرد -كما هنا- فهو يتناقض مع نفي الجسمية عندهم؛ لأن الجوهر الفرد جسم وإن كان بسيطًا، لكنه يتناقض مع قولهم ببساطة الواجب، ففروا من القول بوجوبه إلى القول باستحالته فصاروا يقولون: إن الله موجود بشرط الإطلاق وهو الذي لا يتقيد بصفه ولا تمييز، تعالى الله عن قولهم.

ونشأ من نشأ على اصطلاحهم، مع إعراضه عن استفادة الهدى والحق من الوحي، فلم يعرف سوى الباطل الذي اصطلحوا عليه، فجعلوه أصلًا لدينه، فلما رأى ما جاءت به الرسل يعارضه قال إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل »انتهى كلامه.

قوله:

بـل نـفـس آدم عـنـدهـم عـين الـ ـمحال ....

أي أن نوع الإنسان لم يزل ولا يزال،فلا بداية له ولا نهاية،فلم يوجد آدم فضلًا عن أن يكون النوع الإنساني نسلًا له.

قوله:

والـشـرك عـنـدهـم ثـبـوت الـذ ات والأوصاف...................... إلخ

أي أنهم يقولون: إذا أثبتنا ذاتًا وصفاتًا ووجودًا لزم التركيب، فلهذا نفينا اثنين بالبرهان، فيبقى الوجود فقط، فوجود الرب عندهم وجود مطلق، كما تقدم ذلك في كلام الناظم، والله أعلم.

فصل

في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الإلحاد

هذا وثانيها فتوحيد ابن سبـ ـعين وشيعته أولي البهتان
كل اتحادي خبيث عنده معبوده موطوؤه الحقان
توحيدهم إن الإله هو الوجو د المطلق المثبوت في الأعيان(١)
هو عينها لا غيرها ما هاهنا رب وعبد كيف يفترقان
لكن وهم العبد ثم خياله في ذي المظاهر دائما يلجان
فلذاك حكمهما عليه نافذ فابن الطبيعة ظاهر النقصان
فإذا تجرد علمه(٢) عن حسه وخياله بل ثم تجريدان
تجريده عن عقله أيضًا فإن العقل لا يدنيه من ذا الشان
بل يخرق الحجب الكثيفة كلها وهما وحسا ثم عقلًا وان
فالوهم منه وحسه وخياله والعلم والمعقول في الأذهان
حجب على ذا الشأن فاخرقها والا كنت محجوبا عن العرفان
هذا وأكثفها حجاب الحس والمـ ـعقول ذانك صاحب الفرقان
فهناك صرت موحدًا حقًا ترى هذا الوجود حقيقة الديان
والشرك عندهم فتنويع الوجو د وقولنا إن الوجود اثنان

---

(١) قال شيخنا: «تشترك الصوفية مع الفلاسفة في التوحيد، فكل منهما يزعم أن التوحيد اعتقاد أن الله هو الوجود المطلق» اهـ. ومعنى ذلك أن وجود الرب عند الفلاسفة وجود وهمي؛ لأن الموجود بشرط الإطلاق لا وجود له إلا في الذهن، أما وجوده عند زنادقة الصوفية القائلين بوحدة الوجود فهو وجود حسي؛ لأن كل ما في هذا الكون هو الله، تعالى قولهم علوًا كبيرًا.

(٢) في هامش (ع): «عقله».

واحتج يومًا بالكتاب عليهم   شخص فقالوا الشرك في القرآن
لكنما التوحيد عند القائلين   بالاتحاد فهم أولو العرفان
رب وعبد كيف ذاك وإنما الـ   ـموجود فرد ماله من ثان

هذا هو النوع الثاني من أنواع (ع/٢/١١٢ب) التوحيد للملحدين، وهو توحيد الوجودية القائلين بوحدة الوجود لعنهم الله تعالى، وقد بينا مذاهبهم عند ذكر ركبهم في أول هذا النظم.

ونشير إلى ذلك هنا بعض الإشارة:

فالتوحيد عندهم كما قال الناظم: أن الإله هو الوجود المطلق المبثوث.

في الأعيان، وأنه عينها لا غيرها[1]، وأنه ليس ثم عبد ورب، بل الرب هو

(١) هذا هو المعروف عند خواص الصوفية بوحدة الوجود وهو الغاية القصوى في التوحيد.
قال ابن عربي في فصوص الحكم (ص١٩٢): «فالعارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء».
وقال في تفسيره (١/ ٤٣): «... (فأينما تولوا) أي: أي جهة تتوجهون من الظاهر والباطن ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي ذات الله المتجلية بجميع صفاته».
وقال الغزالي في كتاب الإحياء (٤/ ٢٤٥) ط. دار المعرفة، في باب التوحيد -بعد أن قسم التوحيد إلى أربع مراتب-: «المرتبة الرابعة: أن لا يرى في الوجود إلا واحدًا، وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد، لأنه من حيث لا يرى إلا واحدًا فلا يرى نفسه أيضًا، وإذا لم يرنفسه لكونه مستغرقًا بالتوحيد كان فانيًا عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق».
وقول الشارح -حكاية عنهم-: «... إن الإله هو الوجود المطلق» يشبه قول الفلاسفة: «إن الله موجود بشرط الإطلاق»، وليس كذلك في نفس الأمر، ذلك أن أهل النظر من الفلاسفة وغيرهم يقسمون الوجود الى واجب وممكن؛لأنهم يعتقدون أن الممكن وهو وجود المخلوقات عرض زائل، أما الصوفية فليس عندهم هذا التقسيم؛ لأن الوجود عندهم هو «ما به تتحقق حقيقة كل موجود وحقيقة كل موجود عندهم هي الله تعالى».
انظر: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام للقاشاني (ص٤٦٥).

العبد والعبد هو الرب، كما قال صاحب الفتوحات المكية في أولها[1]:

الرب حق والعبد حق ... يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت ... أو قلت رب أنى يكلف

قالوا: ولكن الوهم والخيال يلجآن دائمًا في المظاهر، فإذا تجرد الإنسان عن العلم والعقل والحس والوهم والخيال حصل له هذا العرفان، وأكثفها حجاب الحس والمعقول، فإذا خرق هذه الحجب صار موحدًا حقًّا؛ يرى هذا الوجود حقيقة الديان، تعالى الله عن إفك الزائغين والملحدين علوًّا كبيرًا[2].

---

(١) المعرفة لابن عربي (ص٧٨).
وذكر أشعارًا كثيرة في هذا المعنى في كتابه «الرسالة الوجودية».
فقد قال في (ص٤٢):

ظننت ظنونًا بأنك أنت ... وما أن تكون ولا قط كنت
فإن أنت أنت فإنك رب ... وثاني اثنين دع ما ظننت
فلا فرق بين وجوديكما ... فما بان عنك ولا عنه بنت

إلخ وهي طويلة.
وقال في موضع آخر من نفس الكتاب (ص٤٤):

عرفت الرب بالرب ... بلا شك ولا ريب
فذاتي ذاته حقًّا ... بلا نقص ولا عيب
ولا غيران بينهما ... فنفسي مظهر الغيب... إلخ

ذكرتُ تلك الأبيات لكشف أمره، وليتضح عند كل من يعظمه أنه زنديق كافر بالله العظيم.

(٢) قال ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٤٩): «.... عند أرباب هذا الكشف أن كل الخلق عنه في حجاب، وعندهم أن العلم والعقل والحال حجب عليه، وأن خطاب الخلق إنما يكون على لسان الحجاب وأنهم لا يفهمون لغة ما وراء الحجاب من المعنى المحجوب، فلذلك تمتنع الإشارة إليه والعبارة عنه، فإن الإشارة والعبارة إنما يتعلقان بالمحسوس.
وهذا أمر وراء الحس والعقل، وحاصل هذا الإلهام أنه ترتفع معه الوسائط وتضمحل وتعدم، قال شيخنا: «الوهم والحس والخيال والعقل والعلم حجب، فاختراقها يعني إلغائها، وإلغائها معناه الجنون، فالعبد عندهم لا يصل إلى المعرفة إلا إذا ألغى عقله» اهـ. =

قوله:

واحتج يومًا بالكتاب عليهم .... إلخ

الذي قال هذا الكلام هو العفيف التلمساني(١) لعنه الله تعالى:

فقد ذكر شيخ الإسلام والذهبي وغيرهما عنه: أنه لما قرأ عليه الفصوص قيل له: القرآن يخالف فصوصكم، فقال: القرآن (ع/٢/١١٣أ) كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا، فقيل له: فما بال نكاح البنت والأخت والأم حرام، فقال: هو عندنا حلال، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام فقلنا: حرام عليكم(٢).

نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

والشرك عند هؤلاء هو تنويع الوجود، وأن يقال الوجود اثنان(٣).

= وهذا هو حال الصوفية، فإنهم أخف الناس عقولًا وأقلهم علمًا. وإذا غاب الإنسان عن الحس فقد وصل إلى أنوار التوحيد، وهذا لا يكون إلا بالسكر.

يقول أبو الغيث ابن جميل اليمني الصوفي: «إن الحس والمحسوس حجاب عن الله....؟!».

انظر: مرآة الجنان (٤/ ٩٤) ط. دار الكتاب الإسلامي.

(١) سبقت ترجمته وكلامه.

(٢) انظر: بغية المرتاد (ص٤٩١)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٣٩).

(٣) ومعنى هذا: أن الوجود عندهم واحد، فإذا قلت: عبد ورب فأنت مشرك؛ والموحد هو الذي لايفرق بين الوجودين: العبد والرب، بمعنى أن التوحيد الذي عليه أهل السنة هو شرك عندهم، والشرك الذي عليه أهل الأوثان هو التوحيد، وكل من عُبد من دون الله وهو راضٍ فهو الموحد عندهم والكامل؛ لأنه عرف الحقيقة، حتى وإن كان مرتدًّا عند أهل السنة، وهؤلاء هم أكفر أهل الأرض، نعوذ بالله من موجبات غضبه.

فصل

في النوع الثالث من أنواع التوحيد لأهل الإلحاد(١)

هذا وثالثها هو التوحيد عنـ ـد الجهم تعطيل بلا إيمان
نفي الصفات مع العلو كذاك نفـ ـي كلامه بالوحي والقرآن
فالعرش ليس عليه شيء بتة لكنه خلو من الرحمن
ما فوقه رب يطاع ولا عليـ ـه للورى من خالق رحمن
بل حظ عرش الرب عند فريقهم منه كحظ الأسفل التحتاني
فهو المعطل عن نعوت كماله وعن الكلام وعن جميع معان
وانظر إلى ما قد حكينا عنه في مبدا القصيد حكاية التبيان
هذا هو التوحيد عند فريقهم تلو الفحول مقدمي البهتان
والشرك عندهم فإثبات الصفا ت لربنا ونهاية الكفران
إن كان شركٌ ذا وكل الرسل قد جاؤوا به يا خيبة الإنسان

وقد تقدم شرح مذهبهم وأتباعه في الصفات والعلو والقرآن مما أغنى عن إعادته في أول هذا النظم.

---

(١) في هامش (ع) بخط المؤلف «بلغ قراءة على يد مؤلفه».

فصل
في النوع الرابع من أنواعه

هذا ورابعها فتوحيد لدى جبريهم هو غاية العرفان
العبد ميت ماله فعل ولـ ـكن ما ترى هو فعل ذي السلطان
والله فاعل فعلنا من طاعة ومن الفسوق وسائر العصيان
هي فعل رب العالمين حقيقة ليست بفعل قط للإنسان
فالعبد ميت وهو مجبور على أفعاله كالميت في الأكفان
وهو الملوم على فعال إلهه فيه وداخل جاحم النيران
يا ويحة المسكين مظلوم يرى في صورة العبد الظلوم الجاني
لكن نقول بأنه هو ظالم في نفسه أدبًا مع الرحمن
هذا هو التوحيد عند فريقهم من كل جبري خبيث جنان
والكل عند غلاتهم طاعاتنا ما ثم في التحقيق من عصيان
والشرك عندهم اعتقادك فاعلا غير الإله المالك الديان
فانظر إلى التوحيد عند القوم ما فيه من الإشراك والكفران
ما عندهم والله شيء غيره هاتيك كتبهم بكل مكان
أترى أبا جهل وشيعته رأوا من خالق ثان لذي الأكوان
ام كلهم جمعًا اقروا انه هو وحده الخلاق للانسان
فإذا ادعيتم ان هذا غاية التـ ـوحيد صار الشرك ذا بطلان
فالناس كلهم أقروا أنه هو وحده الخلاق ليس اثنان
إلا المجوس فإنهم قالوا بأن الشر خالقه إله ثان

وقد تقدم الكلام في ذلك أول (ع/ ٢/ ١١٤ب) هذا الشرح بما أغنى عن الإعادة.

فصل
في توحيد الأنبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين

فاسمع إذا توحيد رسل الله ... ثم اجعله داخل كفة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر أيها ... أولى لدى الميزان بالرجحان[1]
توحيدهم نوعان قولي وفعـ ... ـلي كلا نوعيه ذو برهان
فالأول القولي ذو نوعين أيـ ... ـضًا في كتاب الله موجودان
إحداهما سلب وذا نوعان أيـ ... ـضًا فيه مذكوران
سلب النقائص والعيوب جميعها ... عنه هما نوعان معقولان
سلب لمتصل ومنفصل هما ... نوعان معروفان أما الثاني

شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين وذكر أنه نوعان: قولي وفعلي[2].

---

(١) معنى هذين البيتين: أن الشيء يعرف بضده، والحق يتضح ويبين بمعرفة الباطل، فإنك إذا وازنت بميزان العقل الحقيقي والفطرة الأولى التي لم تتغير، والقواطع الدالة على الحقائق بين توحيد الأنبياء والمرسلين وتوحيد غيرهم، وجدت بينهما من الفروق ما لا يخفى على من له أدنى مسكة عقل، وكيف يوزن توحيد المعطلين والملحدين، المشتمل على مسبة رب العالمين ووصفه بكل صفه ناقصة، ونفي حقائق أوصافه الكاملة والافتراء عليه وعلى رسله وكتبه، وجعل المخلوق الناقص من جميع الوجوه بمنزلة الرب، بتوحيد الأنبياء والمرسلين المشتمل على تعظيم رب العالمين وتقديسه والثناء عليه بأكمل الثناء ووصفه بكل صفة كمال وتنزيهه عن التمثيل والتشبيه.
انظر: التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين لابن سعدي (ص١٣-١٤).

(٢) **توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى قسمين:**
أحدهما: التوحيد الفعلي، وهو إفراد الله بالمحبة والذل وسائر العبادات والقربات وهو المعبر =

ثم ذكر أن القولي نوعان[١] أيضًا في القرآن:

أحدهما: سلب[٢]، وهو نوعان أيضًا سلب النقائص والعيوب[٣]، وهو نوعان أيضًا:

أحدهما: سلب النقائص والعيوب المتصلة[٤].

والثاني: سلب النقائص والعيوب المنفصلة[٥] وأشار بقوله:

أما الثاني إلى سلب النقائص والعيوب المنفصلة فقال:

سلب الشريك مع الظهير مع الشـ ـفيع بدون إذن المالك الديان[٦]

=عنه بتوحيد العبادة وبتوحيد الألوهية، وسمي توحيدًا فعليًّا، لأنه يتضمن أفعال القلوب والجوارح.

والثاني: التوحيد القولي المشتمل على أقوال القلوب وهو اعترافها واعتقادها، وعلى أقوال اللسان، والثناء على الله به، وهذا النوع هو توحيد الأسماء والصفات الذي يدخل في توحيد الربوبية.

وهذان النوعان من التوحيد يسميان بالتوحيد العلمي الخبري، ولكل واحد من ذينك النوعين أدلة وبراهين عقلية ونقلية. انظر: التوضيح المبين (ص١٤).

(١) **التوحيد القولي في كتاب الله تعالى على نوعين:**
أحدهما: نفي النقائص عن الله تعالى. **والثاني:** إثبات صفات الكمال له تعالى.
انظر: التوضيح المبين (ص١٥).

(٢) مراده بالسلب هنا: نفي النقائص والعيوب عن الله تعالى، وقد بدأ بالسلب وهو النفي لإثبات كمال ضده، لأن النفي وسيلة ومقصود لغيره، وإلا فإن النفي المحض ليس فيه مدح ولا كمال.

(٣) قال شيخنا: «النقائص مثل نقص العلم والقدرة والحكمة وغيرها. والعيوب مثل الصمم والنوم والسنة والحاجة وغيرها» اهـ.

(٤) وضابطه: نفي ما يناقض ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
انظر: التوضيح المبين (ص١٥).

(٥) وضابطه: تنزيه رب العالمين أن يشاركه أحد من الخلق في خصائصه التى لا تكون لغيره وذلك كنفي الشريك لله تعالى. انظر: التوضيح المبين (ص١٥).

(٦) **هناك من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:**
١. توحيد الربوبية. =

وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣] (ع/ ٢/ ١١٥أ).

قال الناظم:

وكذاك سلب الزوج والولد الذي	**نسبوا إليه عابدو الصلبان**
وكذاك نفي الكُفء أيضًا والولي	**لنا سوى الرحمن ذي الغفران[1]**

أي ومن العيوب المنفصلة سلب الزوج عنه تعالى والولد أما نفي الزوج والولد ففي قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام:١٠١]، ونفي الولد كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠] الآية، وقال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤]، وأما نفي الولي ففي قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ ﴾ [الشورى:٩] الآية.

قوله: (نسبوذا إليه)[2].

❁❁❁

= ٢. توحيد الألوهية.

٣. توحيد الأسماء والصفات.

و لا تعارض بين من جعله قسمين كما فعل الناظم والشارح، ومن قسمه الى ثلاثة أقسام؛ لأن الأنواع الثلاثة داخلة في كلا التقسمين.

انظر: الكافيه الشافيه (٣/ ٦٩٨).

(١) قال شيخنا: «المقصود بـ (الكف): الكفؤ» اهـ.

(٢) كذا في (د، ع)، وقد شرحها في الكلام السابق.

ثم أشار الناظم إلى سلب النقائص والعيوب المتصلة بقوله:

والأول التنزيه للرحمن عن	**وصف العيوب وكل ذي نقصان**
كالموت والإعياء والتعب الذي	**ينفي اقتدار الخالق المنان**
والنوم والسنة التي هي أصله	**وعزوب شيء عنه في الأكوان**
وكذلك العبث الذي تنفيه حك	**ـمته وحمد الله ذي الإتقان**
وكذاك ترك الخلق إهمالاً سدى	**لا يبعثون إلى معاد ثان**
كلا ولا أمر ولا نهي علي	**ـهم من إله قادر ديان**
وكذاك ظلم عباده وهو الغني	**فما له والظلم للإنسان**
وكذاك غفلته تعالى وهو علا	**م الغيوب فظاهر البطلان**
وكذلك النسيان جل إلهنا	**لا يعتريه قط من نسيان**
وكذاك حاجته إلى طعم ورز	**ق وهو رزاق بلا حسبان**

قوله: «وكذلك النسيان........»، وذلك ظاهر في كتاب الله تعالى(١)، أما سلب الموت ففي قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨] الآية، وأما [نفي](٢) الإعياء والتعب ففي قوله: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر:٣٥] وهو التعب والإعياء.

وأما [نفي](٣) النوم والسنة ففي قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والعبث كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وأما [نفي](٤) ترك الخلق هملاً ففي قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ

---

(١) كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

ﵟٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًىﵞ [القيامة:٣٦]، وأما نفي الظلم ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [يونس:٤٤] الآية، وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ﴾ [النساء:٤٠] الآية، وأما نفي النسيان والغفلة ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴾ [مريم:٦٤]، وأما نفي (ع/٢/١١٦ب) الطعم ففي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ ﴾ [الأنعام:١٤]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

۞ ۞ ۞

ثم أشار الناظم إلى النوع الثاني من نوعي السلب فقال:

هذا وثاني نوعي السلب الذي ... هو أول الأنواع في الأوزان

أي في قوله في أول الفصل إحداهما: سلب وذا نوعان،فذكر الأول وهو سلب النقائص والعيوب. ثم ذكر الثاني بقوله

هذا وثاني نوعي السلب .... إلخ

۞ ۞ ۞

تنزيه أوصاف الكمال له عن التـ ... ـشبيه والتمثيل والنكران

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا ... إن المشبه عابد الأوثان

كلا ولا نخليه من أوصافه ... إن المعطل عابد البهتان

من مثل الله العظيم بخلقه ... فهو النسيب لمشرك نصراني

او عطل الرحمن من أوصافه ... فهو الكفور وليس ذا إيمان

هذا هو الثاني من نوعي السلب: وهو تنزيه صفات الرب تعالى التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله عن التشبيه والتمثيل وعن التحريف والتعطيل، بل تثبت إثباتًا بلا تشبيه وينزه تنزيهًا بلا تعطيل.

كما قال نعيم ابن حماد الخزاعي: «من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه رسوله به تشبيهًا»[١].

قوله:

.. .. فهو النسيب إلخ

قال في القاموس[٢]: «النسب والنسبة بالكسر القرابة والمناسبة المشاكلة» والمراد هنا المشاكلة[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) القاموس (ص١٧٦).

(٣) المشاكلة: هي الموافقة، ومعنى البيت: أن من مثل الله تعالى وشبهه بخلقه فهو موافق للنصاري؛ وذلك لأن النصارى شبهوا المخلوق بالخالق فجعلو المسيح ابن الله، ووصفوه بصفات الربوبية، وهذا يسمى شرك تعطيل.
وهؤلاء المعطلة عكسوا فشبهوا الخالق بالمخلوق، ذلك أنهم نفوا صفات الله تعالى بناءً على إثبات الصفات لله فيه مشابهة للمخلوقات فشبهوا أولًا وعطلوا ثانيًا، وهذا يسمى شرك تمثيل.
انظر: الكافية الشافية (٣/ ٧٠١)، لسان العرب (٧/ ١٧٦).

قال الناظم:

فصل

في النوع الثاني من النوع الأول وهو الثبوت أي من نوعي التوحيد القولي الذي ذكره أول الفصل

هذا ومن توحيدهم إثبات أو ... صاف الكمال لربنا الرحمن
كعلوه سبحانه فوق السماوات ... العلى بل فوق كل مكان
فهو العلي بذاته سبحانه ... إذ يستحيل خلاف ذا ببيان
وهو الذي حقًّا على العرش استوى ... قد قام بالتدبير للأكوان
حي مريد قادر متكلم ... ذو رحمة وإرادة وحنان
هو أول هو آخر هو ظاهر ... هو باطن هي أربع بوزان
ما قبله شيء كذا ما بعده ... شيء تعالى الله ذو السلطان
ما فوقه شيء كذا ما دونه ... شيء وذا تفسير ذي البرهان
فانظر إلى تفسيره بتدبر ... وتبصر وتعقل لمعان
وانظر إلى ما فيه من أنواع معـ ... ـرفة لخالقنا العظيم الشان
وهو العلي فكل أنواع العلو ... فثابتة له بلا نكران

تقدم الكلام على معاني هذه الأبيات.

❁❁❁

قال الناظم:

وهو العظيم بكل معنى يوجب التـ ... ـعظيم لا يحصيه من إنسان
وهو الجليل فكل أوصاف الجلا ... ل له محققة بلا بطلان

وهو الجميل على الحقيقة كيف لا ... وجمال سائر هذه الأكوان

من بعض آثار الجميل فربها ... أولى وأجدر عند ذي العرفان

فجماله بالذات والأوصاف والـ ... أفعال والأسماء بالبرهان

ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في هذه الفصول (ع/٢/١١٧أ) كثيرًا من أسماء الرب سبحانه، وقد أفرد العلماء للكلام على معانيها مصنفات مفرده:

ككتاب الكلام على أسماء الله الحسنى للناظم(١)، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للشيخ أبي عبد الله القرطبي(٢)، الإمام أبي حامد الغزالي(٣)، وشرح الأسماء الحسني للحليمي!(٤)، وشرح أسماء الله الحسنى لأبي الحكم ابن برجان(٥)، وشرح أسماء الله الحسنى للحافظ أبي بكر (ع/٢/١١٨ب) البيهقي(٦)، وغيرهم(٧).

۞۞۞

(١) ذكره ابن رجب في الذيل (٢/ ٤٥٠)، والداودي في طبقات المفسرين (٢/ ٩٣)، وابن عماد في الشذوات (٦/ ١٧٠).
وقد دعا ابن القيم ربه أن يعينه ويوفقه لشرح الأسماء الحسنى كما في بدائع الفوائد (١/ ١٧٠).

(٢) مطبوع.

(٣) وسماه «المقصد الأسنى في شرح خواص الأسماء الحسنى». انظر: كشف الظنون (٢/ ١٠٣٣).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٣١).

(٦) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٣٢).

(٧) كمحمد بن أبي القاسم البقالي والأزهري صاحب التهذيب، والأقليشي والبرسلي، ومحمد بن محمد النسفي، والبيضاوي وسماه «منتهى المنى في شرح الأسماء الحسنى»، وتقي الدين الحصني، وأحمد بن علي الرازي الجصاص، والخطابي، وعلي بن شهاب الحمداني، وشرف الدين اليزدي، والخطيب الوزيري وسماه «المنهل العذب في شرح أسماء الرب»، وأحمد بن علب البوني وسماه «سوابغ النعم وسوابق الكرم»، وله شرح آخر، وأبي مدين المغربي، وعبدالله بن أبي بكر الموصلي، وعبيدالله السمرقندي، وعبدالعزيز بن أحمد الديري، ومحمد بن بهاء الدين، وولي الدين المنفلوطي، وصدر الدين محمد بن اسحاق القونوي وهو صوفي خبيث، وعفيف الدين التلمساني =

لا شـيء يشبـه ذاتـه وصفـاتـه سبحانه عن إفك ذي البهتان

وهو المجيد صفاته أوصاف تعـ ـظيم فشأن الوصف أعظم شان

وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان

ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان

والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والداني

وهو البصير يرى دبيب النملة السـ ـوداء تحت الصخر والصوان

ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عروق بياضها بعيان

ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان

وهو العليم أحاط علمًا بالذي في الكون من سر ومن إعلان

وبكل شيء علمه سبحانه فهو المحيط وليس ذا نسيان

وكذاك يعلم ما يكون غدًا وما قد كان والموجود في ذا الآن(١)

وكذاك أمر لم يكن لو كان كيـ ـف يكون ذا إمكان(٢)

=الصوفي الزنديق، وعبدالقادر بن محمد المعروف بـ «قصيب البان»، ونور الدين الإيجي، ومحمد ابن عمر الرازي صاحب أساس التقديس، وسماه «لوامع البينات في شرح أسماء الله - تعالى - والصفات»، والقشيري صاحب الرسالة له شرح بعنوان «التحبير»، والكافيجي، والبروسي، وغيرهم. انظر: كشف الظنون (٢/ ١٠٣١-١٠٣٥).

(١) يعني يعلم الماضي والحاضر والمستقبل وما لم يكن.

(٢) معنى الأبيات: أن من صفات الله تعالى المجيد، والمجيد هو الشريف، كثير الخير، وفسره الناظم بما ينبئ عن عظمة الصفات وسعتها، وأن كل وصف من أوصافه سبحانه عظيم.

وقوله: (وهو السميع يرى ويسمع كل ما....) إلخ. يعني أن الله تعالى يسمع جميع الأصوات، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، فالسر عنده علانية والبعيد عنده قريب، وسمعه سبحانه حاضر عند كل صوت منها، لا تشتبه عليه، لا يختلط بعضها ببعض.

والله تعالى مدرك لجميع المرئيات من أشخاص وألوان مهما لطفت أو بعدت، فلا يؤثر على رؤيته بعد المسافات والأقطار، ولا تحول دونها الحواجز والأستار، فهو الذي يسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، بل يرى مسالك الغذاء في عروقها الدقيقة =

فصل

وهو الحميد فكل حمد واقع ... أو كان مفروضًا مدى الأزمان

ملأ الوجود جميعه ونظيره ... من غير ما عد ولا حسبان

هو أهله سبحانه وبحمده ... كل المحامد وصف ذي الإحسان

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في بدائع الفوائد[1]: «تنبيهات الأول ما يجري صفة أو خبرًا على الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أقسام[2]:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات كقولك ذات ووجود وشيء.

الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية كالعليم والقدير والسميع والبصير

الثالث: (ع/٢/١١٩أ) ما يرجع إلى أفعاله نحو الخالق والرازق.

الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتًا إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس السلام.

الخامس: ما دل على جملة أوصاف عديدة، لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معان نحو المجيد العظيم الصمد؛ فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا فإنه موضوع للسعة والكثرة

=الضئيلة، وسريان الماء في أغصان الأشجار والنبات، ويرى خيانات الأعين وهي اختلاس النظر إلى محاسن النساء، ويرى تقلب الأجفان، وهو حركتها بين الإطباق والتفتيح، والمقصود أن بصره سبحانه محيط بجميع الأشياء.

انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ٧٢)، شرح النونية للشيخ محمد العثيمين (٣/ ٣٤٦).

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦٦).

(٢) هذه الأقسام الستة التي سيذكرها الناظم، هي الصفات الثبوتية، المتضمنة للمدح والكمال.

والزيادة، ومنه قولهم: في كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار[١] وأمجد الناقة علفا[٢]، ومنه رب العرش المجيد لسعة العرش وعظمته، والعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال وكذلك الصمد.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما، نحو الغني العفو القدير الحميد المجيد ونحو ذلك فإن الغني من صفات الكمال والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما، وكذلك نظائرها.

وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى إلا أن تكون متضمنة لثبوت[٣]: كالأحد المتضمن لسلامته من كل نقص وبراءته من كل ما يضاد كماله، وكذلك الإخبار عنه بالسلوب إنما هو لتضمنها ثبوتًا كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] فإنه متضمن لكمال حياته وقيوميته.

وكذلك قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، متضمن لكمال قدرته، وكذلك قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس:٦١] متضمن لكمال علمه.

---

(١) العفار -بفتح العين- شجر يتخذ منه الزند، ومثله المرخ، وهما شجرتان خضراوتان، يقطع منهما غصنين مثل السواكين، وهما خضراوان، يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ وهو الذكر، على العفار وهو الأنثى، فتقدح النار بإذن الله تعالى. وقيل: العفار هو الأعلى وهو الزند، والمرخ الزندة وهو الأسفل. وقولهم: استمجد: أي ذهب مجد كل منهما بصاحبة، لأن النار إذا انقدحت احترق كل من الزندين ولم يبق منهما شيء.
انظر: المحيط في اللغة (٢/ ٣٠)، المخصص لابن سيده (٣/ ١٦٥)، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس (ص٢٤٧)، مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٧٥) ط. دار المعرفة، المحيط الأعظم (٢/ ١١٨).
(٢) أي ملأ بطونها علفًا، وأشبعها. انظر: لسان العرب (٣/ ٣٩٦).
(٣) يعني: مدح.

ونظائر ذلك.

الثاني: يجب أن يعلم أنها يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء والموجود والقائم بنفسه؛ فإن هذا يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العلى(١).

الثالث: أسماؤه الحسنى أعلام وأوصاف فالوصف فيها لا ينافي العلمية وهذا بخلاف أوصاف العباد(٢).

ثم إن الاسم من أسمائه له دلالات: دلالة على الذات والصفة بالمطابقة ودلالة على إحداهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم.

ولأسمائه الحسنى اعتباران: أحدهما: من حيث الذات والثاني من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة» انتهى كلامه وهو كلام نفيس جدًّا آثرت نقله لنفاسته.

---

(١) وقد وصف الله نفسه بالمكر في مقابل مكر الماكرين، ووصف نفسه يخادع المخادعين، وغيرها، ولا يجوز اشتقاق اسم لله تعالى منها، لأنها من باب الإخبار، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء، فليس كل ماورد في القرآن من الصفات يصح تسميته به، والله أعلم.

(٢) فإن الوصف فيها قد يتنافى مع الاسم، كقولهم: رجل صالح وهو فاسد.

قال الناظم:

فصل

وهو المكلم عبده موسى بتكـ ... ـليم الخطاب وقبله الأبوان

كلماته جلت عن الإحصاء والتـ ... ـعداد بل عن حصر ذي الحسبان

لو أن أشجار البلاد جميعها الـ ... أقلام تكتبها بكل بنان

والبحر تلقى فيه سبعة أبحر ... لكتابة الكلمات كل زمان

نفدت ولم تنفد بها كلماته ... ليس الكلام من الإله بفان

وهو القدير وليس يعجزه إذا ... ما رام شيئًا قط ذو سلطان

وهو القوي له القوى جمعًا تعا ... لى رب ذي الأكوان

وهو الغني بذاته فغناه ذا ... تي له كالجود والإحسان

وهو العزيز فلن يرام جنابه ... أنى يرام جناب ذي السلطان

وهو العزيز القاهر الغلاب لم ... يغلبه شيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفه ... فالعز حينئذ ثلاث معان

وهي التي كملت له سبحانه ... من كل وجه عادم النقصان

قد شرح الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ جميع هذه (ع/ ٢/ ١٢٠ب) الأبيات في نفس النظم بما هو واضح(١).

---

(١) ذكر الناظم في هذه الأبيات أن الله متكلم إذا شاء كيف شاء، ولم يزل ولا يزال موصوفًا بالكلام، وهو الذي يتكلم بالكلام القدري الذي يُوجِد به الأشياء كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، ويتكلم بكلامه الشرعي الديني الذي منه الكتب التى أنزلها الله على رسله، فهو الذي يتكلم بها حقًا، ونزل بها جبريل من عنده صدقًا، ليست بمخلوقه، بل هي من جملة صفاته تعالى.

وتكليمه لعباده نوعان: نوع بلا واسطه، كما كلم موسى بن عمران في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾.
وكما كلم الأبوين آدم وحواء ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾، وكما نادى محمدًا ﷺ حين أسرى به، وكما يخاطب الله أهل المواقف، وأهل الجنة في الجنة حين يرونه ويكلمهم ويكلمونه.
أما الغنى المذكور في الأبيات، فيدل عليه قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، فهو تعالى الغنى الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، والاعتبارات لكماله وكمال صفاته، وغناه من لوازم ذاته، لا يحتاج إلى أحد من خلقه، بل الخلق كلهم فقراء الى الله تعالى، محتاجون إليه في جميع أمورهم، لا يستغنون عن إحسانه وكرمه.
و من كمال غناه أن خزائن السموات والأرض بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأنفاس وأن يديه سحَّاء الليل والنهار.
ومن كمال غناه أن يدعو عباده إلى سؤاله ويعدهم بالإجابة، ويؤتيهم من كل ما سألوه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].
ومن كمال غناه أنه لو اجتمع أهل السموات والأرض، وأول الخلق وآخرهم، وإنسهم وجنهم في صعيد واحد، فسأله كل واحد منهم ما بلغت أمنيته، ما نقص ذلك من ملكه شيئًا.
ومن كمال غناه وسعة عطاياه ما يبسطه على أهل دار كرامته من اللذات المتتابعات والشهوات المتواصلات، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو الغنى بذاته المغني لعباده.
ومن غناه أنه لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا ولا معاونًا، قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَـٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس:٦٨].
وقوله: (و هو العزيز فلن يرام جنابه....) إلخ. أعلم أن اسم الله العزيز له ثلاثة معانٍ:
الأول: العزيز بمعنى الممتنع الذي لا يرام جنابه لعظمة سلطانه وجليل كبريائه كما جاء في الحديث القدسي: (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني...)
الثاني: أن العزيز بمعنى القاهر لكل شيء، الذي قهر جميع الأشياء، فما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلا يتحرك متحرك إلا بإذنه ولا يسكن ساكن إلا بمشيئته، فما شاء كان، ومالم يشأ لم يكن، فهو الذي قهر كل شيء، وذل له كل حي، ونفذت إرادته في كل شيء.

قال الناظم:

وهو الحكيم وذاك من أوصافه ... نوعان أيضًا ما هما عدمان
حكم وأحكام فكل منهما ... نوعان أيضًا ثابتا البرهان
والحكم شرعي وكوني ولا ... يتلازمان وما هما سيان
بل ذاك يوجد دون هذا مفردًا ... والعكس أيضًا ثم يجتمعان
لن يخلو المربوب من إحداهما ... أو منهما بل ليس ينتفيان
لكنما الشرعي محبوب له ... أبدًا ولن يخلو من الأكوان
هو أمره الديني جاءت رسله ... بقيامه في سائر الأزمان
لكنما الكوني فهو قضاؤه ... في خلقه بالعدل والإحسان
هو كله حق وعدل ذو رضى ... والشأن في المقضي كل الشان
فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط الـ ... ـمقضي حين يكون بالعصيان
فالله يرضى بالقضاء ويسخط الـ ... ـمقضي ما الأمران متحدان
فقضاؤه صفة به قامت وما الـ ... ـمقضي إلا صنعة الإنسان
والكون محبوب ومبغوض له ... وكلاهما بمشيئة الرحمن
هذا البيان يزيل لبسًا طالما ... هلكت عليه الناس كل زمان
ويحل ما قد عقدوا بأصولهم ... وبحوثهم فافهمه فهم بيان
من وافق الكوني وافق سخطه ... إذلم يوافق طاعة الديان[1]
فلذاك لا يعدوه ذم أو فوا ... ت الحمد مع أجر ومع رضوان
وموافق الديني لا يعدوه أجـ ... ـر بل له عند الصواب اثنان

(١) (د): «أولم» وأفاد شيخنا أن «إذا» بمعنى «حين» وعليه فيكون معنى البيت: أن العاصي استحق سخط الله تعالى حين لم يوافق الحكم الشرعي، بل وافق الحكم الكوني.

حاصل ما ذكره الناظم (ع/٢/١٢١أ) في هذه الأبيات أن الحكيم من أوصافه سبحانه، وأن ذاك نوعان:

أحدهما: حكم والثاني: أحكام، ثم ذكر أن الحكم شرعي وكوني[(١)] وأنهما لا يتلازمان[(٢)] وهذا لا يتمشى على أصول من يجعل محبة الرب ورضاه ومشيئته واحدة؛ فإن من قال كل ما شاءه الله تعالى وقضاه فقد أحبه ورضيه لا يحسن منه ولا عنده هذا التفصيل كما لا يخفى[(٣)].

---

(١) فتصير الأقسام أربعة: حكم قدري كوني، وحكم شرعي ديني، وحِكمة في خلقه، وحكمة في أمره، قال شيخنا «وبعضهم يقسمها إلى حكم كوني وحكم قدري وحكم جزائي» أ.هـ. فالحكم القدري الكوني متعلق بربوبيته وخلقه، والحكم الديني الشرعي متعلق بألوهيته وشرعه، وهو كما أخبر الله سبحانه: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ فالخلق قضاؤه وقدره وفعله، والأمر شرعه ودينه فهو الذي خلق وشرع وأمر، وأحكامه جاريه على خلقه قدرًا وشرعًا. لا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري. أما حكمه الشرعي الديني فيخرج عنه الكفار والفجار بعصيانهم إياه. وانظر: شفاء العليل (ص٥٩٩).

(٢) يعني أن الله قد يقدر ما لايأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ويقدره، ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم، وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر، وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي فيما أمر وشرعه ولم يفعله المأمور. وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي. انظر شفاء العليل (ص٥٩٩).

(٣) اختلف الناس في الإرادة: هل تستلزم الرضا والمحبه؟ على قولين:

الأول: وهو قول المعتزله والجهمية وأغلب الأشاعرة: أن الإرادة تستلزم الرضا والمحبة ثم اختلفوا: فقالت المعتزلة القدرية: قد علم بالكتاب والسنة أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح، ولا يحب الفساد، ولا يحب الكفر والمعاصي، لأجل هذا لزم أن تكون المعاصي ليست مقدرة له ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه.

قالوا: ولما كنا مأمورين بالرضا بالقضاء ومأمورين بسخط مثل هذه الأفعال وبغضها وكراهيتها فهي إذن ليست واقعة بقضاء الله تعالى؛ لأن الرضا بالقضاء متلازمان، كما أن المحبة والمشيئة متلازمان. =

وأيضًا هذا إنما يصح عند من جعل القضاء غير المقضي والفعل غير المفعول وهو مذهب السلف، وأما من لم يفرق بينهما فكيف يصح هذا عنده.

قال الناظم في شرح منازل السائرين[(١)]: «إنما نشأ الإشكال من جعلهم المشيئة نفس المحبة ثم زادوه[(٢)] بجعلهم الفعل نفس المفعول والقضاء عين المقضي، فنشأ من ذلك إلزامهم بكونه تعالى راضيًا محبًّا لذلك والتزام رضاهم به، والذي يكشف هذه الغمة وينجي من هذه الورطة: التفريق بين ما فرق الله بينه، وهو المشيئة والمحبة، فليسا واحدًا، ولا هما متلازمان، بل قد يشاء ما لا يحبه ويحب ما لا يشاء كونه:

فالأول: كمشيئته وجود إبليس وجنوده ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بغضه لبعضه.

= ومعنى هذا أن الأفعال المستقبحه التى يكرهها الله تعالى ولا يرضاها ليست مخلوقة لله، بل هي من خلق فاعلها ومباشرها وهو العبد. وهذا مبني على قولهم بتعليل أفعال الله وقولهم بالتحسين والتقبيح العقليين.

وقالت الجهمية الجبرية ومن معهم من الأشاعرة: قد علم بالكتاب والسنة أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما في هذا الكون فهو بمشيئة الله وقدرته وهو خالقه. وعلى هذا فالكون كله قضاؤه وقدره وطاعته ومعاصيه وخيره وشره محبوب لله تعالى، لأن الله تعالى مريد له وخالقه؟!

فهؤلاء -أعنى المعتزلة والأشاعرة- اتفقوا على أن الإرادة والمحبة متلازمتان، لكنهم اختلفوا في إضافة الافعال القبيحه الى مراد الله تعالى كما بينا.

والقول الثاني: قول أهل السنة: أن الإرادة لا تستلزم الرضا والمحبة، بل بينهما فرق، وقد دل القرآن والسنة والفطرة والعقل كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وقال: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التى ربما يكون في سردها طول يخل بالمقصود. انظر: الاحتجاج بالقدر لابن تيمية (ص٨٠-٨١) ط. المكتب الاسلامي، المغنى في أبواب العدل والتوحيد (٦/ ٥١ - القسم الثاني)، الإنصاف للباقلاني (ص٤٤-٤٥)، لباب العقول (ص٢٨٧)، الإرشاد للجويني (ص٢٣٩).

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٠٠).

(٢) في الأصل «زاده» بلفظ المفردة، وكتب المؤلف بخطه في الهامش «زادوه» موافقة لما في مدارج السالكين وهو ما يدل عليه سياق الكلام.

والثاني: كمحبته[١] إيمان الكفار وطاعات الفجار وعدل الظالمين وتوبة الفاسقين ولو شاء ذلك لوجد كله فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فإذا تقرر هذا الأصل أن الفعل غير المفعول والقضاء غير المقضي، وأن الله جل شأنه لم يأمر عباده بالرضى بكل ما خلقه وشاءه: زالت[٢] الشبهات، وانحلت الإشكالات.

إذا عرف هذا فالرضى بالقضاء الديني الشرعي واجب، وهو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، فيجب على العبد أن يكون راضيًا به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، فأقسم الله أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله، ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه (ع/٢/١٢٢ب) ويسلموا لحكمه، وهذا حقيقة الرضى بحكمه، فالتحكيم في مقام الإسلام وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان.

ومتى خالطت القلب بشاشة الإيمان، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين وحيي[٣] بروح الوحي، وتمهدت طبيعته، وانقلبت النفس الأمَّارة مطمئنةً راضية وادعة، وتلقى الإسلام بصدر منشرح، فقد رضي كل الرضى بهذا القضاء المحبوب لله ورسوله» انتهى.

---

(١) (د): «كمحبته».

(٢) في الأصل: «وقد زالت» وهي مقحمة من الناسخ، ومقصود ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أن الشبهات والإشكالات إنما نشأت من جعل الفعل هو المفعول والقضاء غير المقضي، فإذا فرقنا بينهما انحلت تلك الإشكالات، وانكشفت تلك الشبهات.

(٣) في الأصل «حفى» والتصويب من (د).

وقد أحببت أن أذكر هنا الأبيات التي أظهرها بعض الزنادقة على لسان بعض أهل الذمة، وبعض جواب شيخ الإسلام عنها، وقد ذكرها الحافظ محمد بن عبد الهادي في مناقب الشيخ(١)، وذكرها ابن السبكي في طبقاته(٢).

قال ابن السبكي في ترجمة الشيخ علاء الدين الباجي(٣): «ولما ظهر السؤال الذي أظهره بعض المعتزلة(٤)، وكتم اسمه وجعله على لسان بعض أهل الذمة وهو:

أيا علماء الدين ذمي دينكم	تحير دلوه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم	ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
دعاني وسد الباب عني فهل إلى	دخولي سبيل بينوا لي قضيتي
قضا بضلالي ثم قال ارض بالقضا	فما أنا(٥) راض بالذي فيه شقوتي

(١) انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي (ص٣٩٩) وقال قبل إيراد الأبيات الآتيه: «بسم الله الرحمن الرحيم صورة فتيا قدمت في مجلس تقي الدين رضي الله، فأجاب بهذا الجواب، وهو» تقدير القدير»، ثم قال: السؤال، فذكر الأبيات الآتية.

(٢) الطبقات الكبرى لابن السبكي (١٠/ ٣٥٣).

(٣) علي بن محمد بن عبد الرحمن بن الخطاب الباجي أبي العلاء. إمام الشافعية في زمانه، أصولي فقيه، مات سنة (٧١٤هـ). طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ٣٣٩).

(٤) محمد بن أبي بكر السكاكيني -من المعتزلة القائلين بإنكار القدر- قاله على لسان ذمي خوفًا من السيف أو التشنيع كما ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة (٣/ ٢٤٩).
وقد ذكر السبكي في طبقاته (١٠/ ٣٥٣) بأن الذي أظهره هو بعض المعتزلة، ولم يذكر اسمه، ثم ذكر اسمًا آخر -بصيغة التمريض- بأن الناظم هو «ابن البققي» الذي ثُبِّتَ عليه أقوال تدل على زندقته، وقتل بسيف الشرع في ولاية الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد.
ولا شك أن القائل هو ابن السكاكيني لا ابن البققي؛ لأن السكاكيني جمع بين الرفض والاعتزال وفقد اشتغل في حداثة سنه بصناعة السكاكين عند شيخين رافضيين، فأفسداه، حتى صار رافضيًا جلدًا. انظر: الوافي بالوفيات (٢/ ١٩٢).

(٥) (د، ع): «فها أنا» وهو تحريف؛ لأنه يسقط وجه الاعتراض على القدر الذي نظمت لأجله =

فإن كنت بالمقضي يا قوم راضيًا فربي لا يرضى بشؤم شكيتي
وهل لي رضى ما ليس يرضاه سيدي وقد حرت دلوني على كشف حيرتي
إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة فهل أنا عاص في اتباع المشيئة
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين علتي(١)

=هذه القصيدة، وما أثبته من الفتاوى والعقود الدرية، وهو الذي يتمشى مع مذهب المعتزلة الذي فيه الاعتراض على الله تعالى -كما تدل عليه هذه العبارة- بناء على قولهم بوجوب الأصلح على الله تعالى- تعالى الله عن قولهم.

(١) (د، ع): «حجتي» وهو خطأ؛ لأن المحتار ليس له حجة؛ والمثبت من العقود، وحاصل تلك الأبيات أن هذا المعترض على مذهب « الجبرية القائلين: إن العبد مجبور مقهور على جميع أقواله وأفعاله، وأنه لا قدرة له على شيء منها بل هي -عندهم- واقعه بغير اختياره».
وهذا القول باطل بالكتاب والسنة، وباطل بالعقل والحس.
وهذا المشبه على المسلمين المشكك لهم يبنى شبهته على مذهب «الجبرية» الذي يتبرأ منه جميع المسلمين من جميع الطوائف سوى الجهمية من الجبرية فهو يقول: إذا كان الله قضى عليَّ بالكفر، وقدر عليَّ أن لا أكون مسلمًا، أو قدر عليَّ المعاصي وأن لا أكون طائعًا، فكيف لي الخلاص من الكفر والمعاصي، وكيف أتمكن من الإيمان والطاعة بعدما قضى عليَّ بالكفر والمعصية؟ فهل أكون معذورًا إذا تجرأت على الكفر والفسوق والعصيان، وأنا لا حيله لي في الانفكاك عنها؟ وكيف أجمع بين الرضا بالقضاء وبين الرضا بالمقضي، من الكفر والمعاصي؛ فإن الله لا يرضى بالكفر والفسوق والعصيان فكيف قدرها علي، وهو لا يرضاها!!
والجواب من وجوه:
الأول: أن جميع طوائف المسلمين سوى الجبرية يعترفون بأن جميع الأشياء كلها بقضاء الله وقدره، لا تخرج عن مشيئة الله وإرادته، وأن جميع أفعال العباد من طاعات ومعاصٍ واقعة بإرادتهم وقدرتهم، وأنهم لم يجبروا عليها، بل هم فعلوها بما خلق الله لهم من القدرة والإرادة، فاستحق الطائعون المدح والثواب، واستحق الآخرون الذم والعقاب.
الثاني: أنه لا عذر للعصاة إذا احتجوا بالقدر على معاصيهم؛لأن الله تعالى لم يجبر أحدًا منهم على خلاف مراده واختياره، فإن الله أعطاهم المكنة والقدرة على كل ما يريدون، وهم بزيغهم وانحرافهم اختاروا الشر ففعلوه، مع أن الله هيأ لهم كل سبب يصرف عن المعصية، وأراهم سبيل الرشد فتركوه وسبيل الغي فسلكوه. =

قال أجاب الشيخ علاء الدين الباجي الشافعي فقال:

ايا عالمًا أبدى دلائل حيرة	يروم اهتداءً من أهيل[1] فضيلة
لقد سرني أن كنت للحق طالبا	عسى نفحة للحق من سحب رحمة
فبالحق نيل الحق فالجأ ببابه	كأهل النهى واترك حبائل حيلة
قضى الله قِدْمًا بالضلالة والهدى	بقدرة فعال بأحكم حكمة
إذا العقل بل تحسينه بعض خلقه	وليس على الخلاق حكم الخليقة
وأفعالنا من خلقه كذواتنا	وما فيهما خلق لنا بالحقيقة
ولكنه أجرى على الخلق خلقه	دليل على تلك الأمور القديمة
عرفنا به أهل السعادة والشقا	كما شاءه فينا بمحض المشيئة
لباس أثواب جعلن أمارة	على حالتي حب وسخط لرؤية[2]
تصاريفه فينا تصاريف مالك	سما عن سؤال الكيف والسببية
أمات وأحيى ثم صار معافيا	وقبح تحسين العقول الضعيفة
فكن راضيا نفس القضاء ولا تكن	بمقضي كفر راضيا ذا خطيئة
وتكليفنا بالأمر والنهي قاطع	بأعذارنا في يوم بعث البرية

= الثالث: أن العباد جميعًا مؤمنهم وكافرهم يفرقون بين أفعالهم التي يجبرون عليها، وأفعالهم التي يكرهون عليها، ويدل على ذلك أن كل عبد من عباد الله يحب ما ينفعه فيسلك كل طريق يؤدي إليه، ويكره ما يضره فيسلك كل طريق يبعده عنه، ولا يتحقق ذلك إلا بقدرة من العبد وإرادة، فمتى اجتمعا وجدت الأقوال والأفعال، والله تعالى خلق لكل عبد من عباده قدره وإرادة بها يفعل ويترك.

وهذا كله معلوم من الدين بالضروره، كما أنه معلوم بضرورة الحس. وإنكار هذا مكابرة وعناد.

انظر: الدرة البهية شرح القصيدة التائية لابن سعدي (ص٩-١٣) ط. أضواء السلف.

(١) (د): «أهل».

(٢) تحرفت في (ع): «لزؤية».

فعبر بسد أو بفتح وعد عن ضلالة تشكيك بأوضح حجة
وقد بان وجه الأمر والنهي واضحًا ولا شك فيه بل ولا وهم شبهة(١)

قلت: هذا الجواب مبني (ع/ ٢/ ١٢٣أ) على إنكار التحسين والتقبيح العقليين، كما هو مذهب الأشاعرة ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم(٢).

(١) ذكرها السبكي في طبقاته (١٠/ ٢٥٣-٢٥٤) في ترجمة الباجي، ثم قال معقبًا: «هذا الجواب هو حاصل كلام أهل السنة وخلاصته: أن الواجب، الرضا بالتقدير لا بالمقدور، وكل تقدير يرضى به لكونه من قبل الحق، ثم الرضا بالمقدور ينقسم الى ما يجب الرضا به كالإيمان، وإلى ما يحرم الرضا به، ويكون الرضا به كفرًا كالكفر إلى غير ذلك» انتهى.
قال ابن القيم في الرد على ذلك: «هذا جواب جيد، لو لم يعودوا على أنفسهم بالنقض والإبطال، فإنهم قالوا: الفعل غير المفعول فالقضاء عندهم نفس المقضي» وذكر كلامًا طويلًا حاصله: أن أجوبة الأشعرية ناقصة؛ لأنهم يقولون بالكسب الذي لا حقيقة له، وبأن الفعل هو المفعول، فلو أثبتوا للعبد فعلًا غير المفعول، لكانت أجوبتهم سديدة مقبولة في هذا الباب.
ثم قال السبكي بعد إيراد تلك الأبيات: «وقد أخذ أهل العصر هذا الجواب فنظموه على طبقاتهم في النظم، والكل مشتركون في جواب واحد»، ثم أورد تائبة شيخ الإسلام وسيأتي جوابه، ثم أورد جواب الأديب ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر البغدادي في أبيات من نظمه ومنها:
وإن الرضا غير القضاء فلا تكن تنازع فيما شاءه من مشيئة
ثم أورد جواب شمس الدين ابن اللبان في أبيات طويلة ومنها:
وقد جعل الله الحكيم لعبده اخت عليه ليمضي فيه حكم المشية
ويسره من بعد هذا لما قضى ولُبس جميل الصبر عند المصيبة
وقطع لسان الاعتراض ونفي لم ومعناه تسليم لحكم المشيئة
وأما رضانا بالقضاء فواجب بارًا لأسباب الرضا والقطيعة
وكونك ترضى بالشقاء شقاوة لأنك لا تدري القضاء بأيه
فالبيت الأخير يهدم ما قبله، ثم أورد أبياتًا لعلاء الدين القونوي أولها:
حمدت إلهي قبل كل مقالة وصليت تعظيمًا لخير البرية
وجميع أجوبة هؤلاء الأشاعرة ـ عدا الثاني ـ لا تخلو من ضعف وتناقض، وكيف يبين مثل هذا من قال بالجبر وسماه كسبًا تمويهًا. انظر: شفاء العليل (ص٥٩٥).
(٢) مذهب الأشاعرة أن العقل لا يدل على حسن شيء ولا على قبحه قبل ورود الشرع، وفي حكم =

وأجاب شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فقال(١):

سؤالك يا هذا سؤال معاند ... تخاصم رب العرش باري البرية
وهذا سؤال خاصم الملأ العلى ... قديمًا به إبليس أصل البلية
وأصل ضلال الخلق من كل فرقةٍ ... هو الخوض في فعل الإله بعلة
فإن جميع الكون أوجب فعله ... مشيئة رب العرش باري الخليقة

=التكليف، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب السمع، قالوا: لو عكس الشرع، فحسن ما قبحه، وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعًا.

ويلزم على قولهم هذا، لوازم باطلة منها جواز ظهور المعجزة على يد الكذاب، وجواز نسبة الكذب إلى أصدق الصادقين، وأنه لا يقبح منه، وأنه لا فرق في نفس الأمر بين المصلحة والمفسدة، ولا فرق بين السجود للرحمن والسجود للشيطان، بل لا فرق بين الشرك والتوحيد، فلو حسن الشرع الشرك لكان حسنًا وهلم جرًّا...؟

ولا شك أن مثل تلك الأقوال لو عرضت على عاقل لم تتلوث فطرته لأنكرها أشد الإنكار؛ لأن ظهور الفوارق في مثل هذه الأمور مركوزة في فطر الناس وهو مما اتفق عليه العقلاء.

وهنا يجب التنبيه إلى أن الأشاعرة قالوا بالتحسين والتقبيح الشرعي فقط؛ لأنهم يميلون الى الجبر، كما صرح بذلك الرازي الذي أثبت أن العبد مجبور على فعله القبيح، فلا يكون شيء من أفعال العباد قبيحًا؟! وهذا الجواب ما ارتضاه الشارح، لأن المعترض جبري، فالرد على الجبر لا يكون بمثله والله أعلم.

انظر: الإرشاد للجويني (ص٢٥٨)، نهاية الإقدام (ص٣٧٠)، شرح المقاصد (٤/ ٢٨٢) ط. دار المعارف النعمانية، رسالة في الاحتجاج بالقدر لابن تيمية (٨/ ٣٠٩) ضمن مجموع الفتاوى، مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٦٢)، موقف ابن تمية من الأشاعرة (٣/ ١٣٢٠) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة للدكتور سليمان الغصن (١/ ٣١٨).

(١) كما في مجموع الفتاوى (٨/ ٢٤٦)، والعقود الدرية (ص٢)، وذكر ابن حجر في الدرر (١/ ٩٤) -في ترجمة الشيخ- فذكر طرفًا من أبيات السكاكيني ثم قال: «فوقف عليها ابن تيمية فثنى إحدى رجليه على الأخرى وأجاب في مجلس قبل أن يقوم بمائة وتسعة بيتًا...»، وهذا يبطل زعم السبكي بأن ابن تيمية أخذ الجواب من أبي العلاء الباجي؛ لأن الباجي أشعري يقول بالكسب الذي معناه الجبر كما صرح به عدد من كبارهم، ولأن تلك الأبيات التي ذكرها السبكي عن الباجي مبينة على إنكار التحسين والتقبيح العقليين، وهذا عين الجبر الذي يتبناه الأشاعرة.

وذات إلـه الخلـق واجبـة بما — لهـا مـن صفـات واجبـات قديمة
فقولك لِم قد شاء مثل سؤال من — يقول فلِم قد كان في الأزلية
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه — وتحريمه قد جاء في كل شرعة
وفي الكون تخصيص كثير يدل من — لـه نـوع عقـل أنـه بـإرادة
وإصـداره عن واحد بعد واحد — أو القول بالتجويز رمية حيرة
ولا ريب في تعليق كل مسبب — بما قبله من علة موجبية
بل الشأن في الأسباب أسباب ما ترى — وإصدارها عن حكم محض المشيئة
وقولك لم شاء الإله هو الذي — أزل عقول الخلق في قعر حفرة
فإن المجوس القائلين بخالق — لنفع ورب مبدع للمضرة
سؤالهمُ عن علة الشر أوقعت — أوائلهم في شبهة المثنوية
وإن ملاحيد الفلاسفة الألى — يقولون بالفعل القديم بعلة
بغوا علة للكون بعد انعدامه — فلم يجدوا ذا كم فضلوا بضلة
وإن مبادي الشر في كل أمة — ذوي ملة[1] ميمونة نبوية
بخوضهمُ في ذاكمو صار شركهم — وجاء دروس البينات لفترة
ويكفيك نقضا أن ما قد سألته — من العذر مردود لدى كل فطرة
وهبك كففت اللوم عن كل كافر — وكل غوي خارج عن محجة
فيلزمك الإعراض عن كل ظالم — من الناس في نفس ومال وحرمة
فلا تغضبن يومًا على سافك دمًا — ولا سارق مالا لصاحب فاقة
ولا شاتم عرضا مصونا وإن علا — ولا ناكح فرجا على وجه غية
ولا قاطع للناس نهج سبيلهم — ولا مفسد في الأرض من كل وجهة

---

(١) في هامش (ع): «صوابه: سوى أمه».

ولا شاهد بالزور إفكًا وفرية ولا قاذف للمحصنات بريبة
ولا مهلك للحرث والنسل عامدًا ولا حاكم للعالمين برشوة
وكف لسان اللوم عن كل مفسد ولا تأخذنْ ذا جرمة بعقوبة
وسهل سبيل الكاذبين تعمدًا على ربهم من كل جاء بفرية
وهل في عقول الناس أو في طباعهم قبول لقول النذل ما وجه حيلتي
كأكل سم أوجب الموت أكله وكل بتقدير لرب البرية
فكفرك يا هذا كسم أكلته وتعذيب نار مثل جرعة غصة
ألست ترى في هذه الدار من جنى يعاقب إما بالقضا أو بشرعة
ولا عذر للجاني بتقدير خالق كذلك في الأخرى بلا مثنوية
فإن كنت ترجو أن تجاب بما عسى ينجيك من نار الإله العظيمة
فدونك رب العرش فاقصده ضارعًا مريدا لأن يهديك نحو الحقيقة
وذلل قياد النفس للحق واسمعن ولا تعص من يدعوا لأقوم رفقة
وما بان من حق فلا تتركنه[1] ولا تعرضن عن فكرة مستقيمةِ
وأما رضانا بالقضاء فإنما أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة
كسقم وفقر ثم ذل وغربة وما كان مؤذ بدون جريمة
وأما الأفاعيل التي كرهت لنا فلا ترتضي مسخوطة لمشيئة[2]
وقد قال قوم من أولي العلم لا رضـ ـى بفعل المعاصي والذنوب الكريهة
وقال فريق نرتضي بقضائه ولا نرتضي المقضي لأقبح خلة
وقال فريق نرتضي بإضافة إليه وما فينا فنلقى بسخطه

---

(١) (د): «تفكرنه».
(٢) (د): «فلاهن تأتي في رضاها بطاعة».

فنرضى من الوجه الذي هو خلقه ونسخط من وجه اكتساب بحيلة(١)

وأطال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، وهو جواب (ع/٢/١٢٥أ) في غاية النفاسة والوفاء بالمقصود تركنا نقل جميعه اختصارًا.

---

(١) خلاصة ما ذكره شيخ الإسلام: أنه إذا اعترض علينا جبرى بأنه يجب الرضا بقضاء الله تعالى، والمعاصي من قضاء الله تعالى فلذلك أربعة أجوبة:

الأول: أن الذي أُمِرْنا أن نرضى به المصائب دون المعائب، فإذا أُصِبْنَا بمرض أو فقر أو نحوهما - من حصول مكروه، أو فقد محبوب، فيجب علينا الصبر على ذلك. واختلف في وجوب الرضا، والصحيح استحبابه؛ لأنه لم يثبت ورود الأمر به على وجه الوجوب، ولتعذره على أكثر النفوس،لأن الصبر: حبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والأعضاء عن عملها بمقتضى السخط، من نتف الشعر، وشق الجيوب، وحثو التراب على الرؤوس ونحوها. وذلك واجب، مقدور لكل أحد، أما الرضا -الذي هو طمأنينة القلب عند المصيبة، وأن لا يكون فيه تمني أنها ما كانت- فهذا صعب جدًّا على أكثر الخلق، فلهذا لم يوجبه الله ولا رسوله، وإنما هو من الدرجات العالية، وهو مأمور به أمر استحباب، أما الرضا بالذنوب والمصائب، فلم نؤمر بالرضا بها، ولم يأت نص صحيح أو ضعيف في الأمر بها؟!

الثاني: ما قاله طائفة من أهل العلم: إن الله لم يرض لنا أن نكفر أو نعصي، فعلينا أن نوافق ربنا في رضاه وسخطه. قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر:٧].

فالدين: موافقة ربنا في كراهة الكفر والفسوق والعصيان، مع تركها، وموافقته في محبة الشكر والإيمان والطاعة لنا مع فعلها.

الثالث: أن القضاء غير المقضي، فنرضى بالقضاء؛ لأنه فعل الله تعالى. أما المقضي الذي هو فعل العبد فينقسم إلى أقسام كثيرة منها:

١- الإيمان والطاعة: فعلينا الرضا بها.

٢- الكفر والمعصية: فهذه لا يحل لنا الرضا بها، بل علينا أن نكرهها، ونفعل الأسباب التي ترفعها، من التوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية، وإقامة الحد والتعزيز على من فعلها.

٣- المباحات: فهذه مستوية الطرفين.

٤- أن الشر والمعاصي تختلف إضافتها، فهي من الله تعالى: خلقًا وتقديرًا وتدبيرًا، وهي من العبد فعلًا وتركًا، فحيث أضيفت إلى الله تعالى -قضاءًا وقدرًا- نرضى بها من هذا الوجه، وحيث أضيفت إلى العبد، نسخطها، ونسعى بإزالتها حسب مقدورنا.

انظر: الدرة البهية شرح القصيدة التائية لابن سعدي (ص٦٩-٧١).

قول الناظم:

هــذا الــبــيــان يــزيــل لــبسًــا طالما هلكت عليه الناس................ إلخ

أي إن هذا الذي ذكره في هذه المسألة يزيل جميع الإشكالات فيها.

قوله:

مــن وافــق الــكــونــي وافــق سخطه إذ لم يــوافــق طــاعــة الــديــان

أي من وافق الحكم القدري الكوني وافق سخطه، إذ لم يوافق الحكم الديني الشرعي، فذاك لا يعدو من وافق الحكم الكوني ذم أو فوات الحمد والأجر، وأما من وافق الحكم الديني الشرعي، فلا يعدوه أجر إن خطأ أو أجران إن أصاب، والله أعلم[1].

(١) في هامش (ع) بخط المؤلف: «بلغ قراءة على يد مؤلفه عف الله عنه».

قال الناظم:

فصل

والحكمة العليا على نوعين أيـ ـضًا حصلا بقواطع البرهان
إحداهما في خلقه سبحانه نوعان أيضًا ليس يفترقان
إحكام هذا الخلق إذ إيجاده في غاية الإحكام والإتقان
وصدوره من أجل غايات له وله عليها حمد كل لسان
والحكمة الأخرى فحكمة شرعه أيضا وفيها ذانك الوصفان
غاياتها اللاتي حمدن وكونها في غاية الإتقان والإحسان(١)

---

(١) المؤلف في كلامه الآتي لم يشرح هذه الأبيات، وإنما تكلم عن نوع واحد من الحكمة وهو أن خلقه من فعله وأفعاله كلها في غاية الحكمة وهو منزه فيها عن العبث.

ومعنى الأبيات: أن اسم الله الحكيم يدل على أن لله الحكمة التامة في خلقه وأمره، وحكمته عليا لا يشبهها شيء.

أما حكمته في خلقه فهي على نوعين:

الأول: أنه أحكم جميع ما خلقه وأتقنه بأحسن خلق وأتم نظام، لم يخلق شيئًا عبثًا، وليس ذلك شيئًا معيبًا كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص:٢٧]، وقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة:٧]، وقال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك:٣]، ليس فيه خللٌ ولا نقصٌ، بل جميع العالم على أتم نظام وأكمل خلق وأحسنه.

الثاني: من أنواع الحكمة في الخلق: أنها مخلوقه لغايه، ومقصوده بها مقصود عظيم، فهو خلقها ليستدل بها العباد على ماالله من صفات الكمال وما له من جميل الفعال، فهذه غايات يحمد عليها، لتضمنها ظهور آثار أسمائه وصفاته ومعرفة العباد لها، وأيضًا خلق السموات والأرض وما بينهما ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وخلق الله المكلفين ليعرفوه ويعبدوه ويطيعوه لأجل أن يجازيهم بأعمالهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢].

=

قال شيخ الإسلام[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان، والأكثرون على التعليل والحكمة.

وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل، لهم فيه أيضًا قولان. وهل يتسلسل الحكم أو لا يتسلسل أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي فيه أقوال.

قال: احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة:٣٢]، وقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ [الحشر:٧]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة:١٤٣] ونظائرها، ولأنه تعالى حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

والإجماع واقع على اشتمال الأفعال على الحكم والمصالح، جوازًا عند أهل السنة ووجوبًا عند المعتزلة، فيفعل ما يريد بحكمته.

= أما حكمته في شرعه المشتملة على أوامره ونواهيه فهي على نوعين -أيضًا-:

الأول: أنها في غاية الإحكام والإتقان، ذلك أن القاعدة العامة: هي أن الأوامر والنواهي تبع المصالح والمنافع فعلًا وتركًا، فكل أمر مشتمل على المصلحة الخاصة أو المصلحة الراجحة فإنه مأمور به، وكل أمر مشتمل على مفسدة خالصة أو راجحة فإنه منهي عنه، ويدل على هذا قوله تعالى في وصف نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾.

والنوع الثاني من أنواع حكمته في شرعه: أن الله أمر ونهى وشرع الشرع ليبتلي عباده، المطيع منهم والعاصي والصادق والكاذب، وليقوم سوق الجهاد والعبادات التى يحبها ويرضاها ولتتنور القلوب بمعرفته والألسنة بذكره، والأعضاء بطاعته، وليثيب المطيعين من فضله وكرمه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وليتم عليهم فضله وإحسانه الى غير ذلك من الغايات. انظر: التوضيح المبين (ص٧٢-٧٧).

(١) انظر: منهاج السنة (٢/ ٣١٣).

والنافون للحكمة والعلة احتجوا (ع/٢/١٢٦ب) أنه يلزم من قدم العلة قدم المعلول، وهو محال، ومن حدوثها افتقارها إلى علة أخرى، وأنه يلزم التسلسل.

وقد أجلب الناظم وأطنب في كتابه شرح منازل السائرين[(١)] ومفتاح دار السعادة وغيرهما فمما احتج به في مفتاح دار السعادة[(٢)] قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية:٢١]، فدل على أن هذا حكم بشيء قبيح يتنزه الله عنه،فأنكره من جهة قبحه في نفسه لا من جهة كونه أنه لا يكون.

ومن هذا إنكاره سبحانه على من جوز أن يترك عباده سدىً؛ لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم، وأن هذا الحسبان باطلٌ، والله متعال عنه؛ لمنافاته لحكمته فقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة:٣٦]، فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه وأنه لا يليق أن ينسب ذلك إلى أحكم الحاكمين.

ومثله قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦]، فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا الحسبان، وأنه متعال عنه، فلا يليق به لقبحه ومنافاته الحكمة...».

ثم إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسط القول في ذلك بسطًا كثيرًا لا يحتمله هذا الموضع والله أعلم.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٤٣)، (١/ ٢٨٠)، (٣/ ٤٩٨).

(٢) انظر: مفتاح السعادة (٢/ ١٢).

قال الناظم:

فصل

وهو الحيي فليس يفضح عبده ... عند التجاهر منه بالعصيان

لكنه يلقي عليه ستره ... فهو الستير وصاحب الغفران

وهو الحليم فلا يعاجل عبده ... بعقوبة ليتوب من عصيان

وهو العفو فعفوه وسع الورى ... لولاه غار الأرض بالسكان

وهو الصبور على أذى[(١)] أعدائه ... شتموه بل نسبوه للبهتان[(٢)]

---

(١) قال شيخنا: «لا يلزم من الأذى الضرر بالنسبة لله تعالى» اهـ.

(٢) ومعنى الأبيات: أن الله تعالى موصوف بالحياء كما في الحديث «إن الله يستحي من عبده إذا مد يديه إليه أن يردهما صفرًا» وحياؤه تعالى وصف يليق به ليس كحياء المخلوقين الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم، بل ترك ما لا يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه، فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه، ويستعين بنعمة الله على معاصيه، والله تعالى مع كمال غناه وتمام قدرته يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما ييسر له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفوا عنه ويغفر. ومن صفاته الحلم، فهو الحليم الكامل الذي وسع حلمه أهل الكفر والفسوق والعصيان حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة رجاء أن يتوبوا ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم، فإن الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى أمهالهم، ومن صفاته العفو، فهو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا بما يوجب العفو عنهم من الاستغفار والتوبة والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفو يحب العفو، ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه من السعي في مرضاته مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع غفر له جميع جرمه.

ومن أسمائه الحسنى «الصبور» وهو مبالغة من الصابر، ومعنى الصبر حبس النفس على ما تكره، وضده الجزع. والصبر في حق الله تعالى قريب من الحلم، يعني أنه تعالى يصبر على أعدائه؛ فلا يعالجهم بالعقوبة، لكمال حلمه تعالى، لأن الصبر لا يكون إلا بالحلم، فلا صبر إلا بحلم، =

قالوا له ولد وليس يعيدنا شتما وتكذيبا من الإنسان
هذا وذاك بسمعه وبعلمه لو شاء عاجلهم بكل هوان
لكن يعافيهم ويرزقهم وهم يؤذونه بالشرك والكفران

=ولا حلم بغير صبر، وقد فسره بعضهم بالحلم. قال خليل هراس: «وهو في حق الله تعالى، معناه حلمه على أعدائه مع ارتكابهم ما يوجب غضبه..» إلخ.
أقول: هذا تأويل لا يصح، بل الصبر مرتبط بالحلم، والحلم مرتبط بالصبر، فلا يصبر على أذى أعدائه إلا الحليم. والله أعلم. انظر: شرح النونية للعثيمين (٣/ ٣٨٤).

فصل

وهو الرقيب على الخواطر واللوا	حظ كيف بالأفعال بالأركان
وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيـ	ـل بحفظهم من كل أمر عان
وهو اللطيف بعبده ولعبده	واللطف في أوصافه نوعان
إدراك أسرار الأمور بخبرة	واللطف عند مواقع الإحسان
فيريك عزته ويبدي لطفه	والعبد في الغفلات عن ذا الشان

قوله:

وهو اللطيف .... إلخ

فسر الناظم اللطف في أوصافه سبحانه بنوعين من اللطف:

أحدهما: إدراك أسرار الأمور بخبرة[١].

والثاني: اللطف عند مواقع الإحسان[٢].

وهذا معنى قول من فسر اللطيف بأنه هو الذي يوصل إليك إربك[٣] في

---

(١) معناه أن الله تعالى خبير ومدرك للأسرار الأمور وخفايا الصدور ومغيبات الأمور، وما لطف ودق من كل شيء.
وهذا النوع يرجع إلى إحاطة علمه بالمعلومات، وعلمه الخاص في الأمور الخفية، يلزم منه علمه بجليات الأمور. انظر: التوضيح المبين (ص٩٦).

(٢) بمعنى: لطفه بعبده ووليه الذي يريد أن يتم عليه إحسانه، ويشمله بكرمه، ويرقيه إلى المنازل العالية فييسره لليسرى ويجنبه العسرى، ويمتحنه بأنواع المحن التى تشق عليه ويكرهها وهي عين صلاحه، والطريق الى سعادته، كما امتحن أنبياءه بأذى قومهم وبالجهاد في سبيله، وكثيرًا ما يمتحن أولياءه بما يكرهون لينيلهم ما يحبون. انظر: التوضيح المبين (ص٩٦-٩٧).

(٣) أي: حاجتك. لسان العرب (١/ ١٠٩).

رفق[١]. وقيل: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية[٢].

(١) أساس البلاغة (ص٤٠٩)، لسان العرب (١٢/ ٢٨٣) ـ ماده لطف.

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص١٣٨)، النهاية لابن الأثير (لطف) (٤/ ٢٥١).

فصل

وهو الرفيق يحب أهل الرفق بل ... يعطيهم بالرفق فوق أمان

وهو القريب وقربه المختص بالد ... اعي وعابده على الإيمان

وهو المجيب يقول من يدعو أجبـ ... ـه أنا المجيب لكل من ناداني

وهو المجيب لدعوة المضطر إذ ... يدعوه في سر وفي إعلان

وهو الجواد فجوده عم الوجو ... د جميعه بالفضل والإحسان

وهو الجواد فلا يخيب سائلًا ... ولو أنه من أمة الكفران[(١)]

وهو المغيث لكل مخلوقاته ... وكذا يجيب اغاثة اللهفان

قوله:

وهو القريب وقربه المختص بالد ... اعي وعابده على الإيمان

يعني أن القرب المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ الآية [البقرة:١٨٦]: أن هذا القرب مختص بالداعي، فهو سبحانه قريب ممن دعاه.

كما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال: **«يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمًا[(٢)] ولا غائبًا إنما تدعون سميعًا قريبًا إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»**[(٣)].

---

(١) سورة المؤمنون: آية ١١٥.

(٢) (ع، د): «أصم» وهو خطأ.

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٧٦) باب استحباب خفض الصوت بالذكر برقم (٢٧٠٤).

وكذلك قول صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود:٦١]، فقوله: ﴿قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ مقرون بالتوبة والاستغفار، أراد قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه، كما أنه رحيم ودود، وقد قرن القريب بالمجيب، ومعلوم أنه لا يقال إنه مجيب لكل موجود وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه(١).

---

(١) لم يشرح المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من الأبيات السابقة إلا القريب وسنشرح مالم يشرحه المؤلف على وجه الإجمال فنقول:

قوله: (وهو الرفيق يحب أهل الرفق....) إلخ، يشير إلى حديث عائشة عند البخاري، وفيه: (... إن الله رفيق يحب أهل الرفق)، ومن محبته لهم أنه يعطيهم من فضله وإحسانه ما لا يعطي غيرهم، ولهذا (ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه). والله تعالى أيضًا رفيق في أفعاله، خلق السموات والأرض في ستة أيام مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة، وكذلك الآدميون والحيوانات وأنواع الأشجار والنباتات يخلقها الله بالتدريج شيئًا فشيئًا، حتى تتم وتكبر، وهذا من رفقه وحكمته التي فيها من الفوائد والمنافع مالا يدخل تحت حصر.

أما قوله: (وهو القريب وقربه المختص....) إلخ، فالقريب من أسمائه قسمان: قرب عام وقرب خاص، فالقرب العام: إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

والقرب الخاص: قربه من الداعين والعابدين والمحبين، وهو قرب يقتضي النصرة والمحبة والتأييد والإجابة والقبول والإثابة أما قوله: (وهو المجيب يقول من يدعو....) إلخ، جعل الناظم للمجيب معنيين: عام وخاص.

فالعام: هو إجابته تعالى لكل من دعاه سواء كان دعاء عبادة أم دعاء مسألة. كما قال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠]، ولا يدل مجرد الإجابة على حسن حال الداعي الذي أجيبت دعوته، حتى يأتي ما يدل على ذلك.

فهذه الإجابة العامة تكون للداعين مهما كانوا أو أين كانوا وعلى أي حال كانوا، كما وعدهم بهذا الحق، فقد يدعو الكافر بحصول رزق أو دفع عدو أو خروج من مشقة فيستجيب له، ولا أعظم من إبليس الذي سأل ربه النظره، فأنظره الله الى يوم يبعثون، ويستدل بهذا النوع على كرم البارى وسعه جوده وحلمه.

اما الإجابه الخاصة: فيدخل فيها المنقادين لشرع الله تعالى، وكذلك المضطرين ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين وقوى تعلقهم بالله تعالى، وكذلك دعوة المظلوم والصائم والوالد على ولده أو له، ولإجابة الدعاء أسباب ليس هذا موضع الكلام عنها. =

= وقوله: (وهو الجواد فجوده عم الوجود...) إلخ، يعني: أن جوده تعالى عام لجميع المخلوقات، قد عمها وشملها وملأها من فضله وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة.
وأصل الجود: التسمع بالشيء وكثرة العطاء، والجواد هو الفرس الذريع السريع، وجمعه جياد، والجواد يطلق على السخي، يقال: جاء بماله يجود جودًا -بالضم- فهو جواد.
والجواد في الشرع: هو كثير العطايا، والله موصوف بجوده المطلق الذي عمَّ جميع الكائنات. وهذا جوده تعالى العام.
أما الجود الخاص: ما خصَّ به إجابة السائلين بلسان الحال أو المقال من بر وفاجر ومسلم وكافر، حسبما تقتضيه حكمته ـ سبحانه ـ وهو أجود الأجودين والجود كله له، وأحب ما إليه أن يجود على عباده ويوسعهم فضلا ويغمرهم إحسانًا وجودًا.
ومن جوده الواسع: ما أعده الله لأوليائه من في دار النعيم، ومن جوده: حلمه على العاصين وستره على المخالفين وصبره على المحاربين له ولرسله وعفوه عن الذنوب.
وجوده لا يخلو منه مخلوق، ويتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب ما منَّ به عليهم من الأسباب المقتضية لجوده وكرمه.
وقوله: (وهو المغيث لكل مخلوقاته...) إلخ، فالمغيث يتعلق بالشدائد والمشقات، فهو المغيث لجميع المخلوقات عندما تتعسر أمورها، وتقع في الشدائد والكربات من إطعام جائعهم، وكسوة عاريهم، وتخليص مكروبهم، وكشف الضر عنهم، وإنزال الغيث عليهم في وقت الضرورة إليه، ومن ذلك إغاثته للمهلوف في حال لهفته وشدة اضطراره، فإن من استغاث الله تعالى أغاثه. انظر: التوضيح المبين (ص٩٨-١٠٦).

فصل

وهو الودود يحبهم ويحبه ... أحبابه والفضل للمنان
(ع/ ٢/ ١٢٨أ)
وهو الذي جعل المحبة في قلو ... بهم وجازاهم بحب ثان
هذا هو الإحسان حقًا لا ... معاوضة ولا لتوقع الشكران
لكن يحب شكورهم وشكورهم ... لا لاحتياج منه للشكران
وهو الشكور فلن يضيع سعيهم ... لكن يضاعفه بلا حسبان
ما للعباد عليه حق واجب ... هو أوجب الأجر العظيم الشان
كلا ولا عمل لديه ضائع ... إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... فبفضله والحمد للمنان[1]

قوله:

وهو الودود ....

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج:١٤]، أي بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين، لا يفضحهم بها، بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه[2].

---

(١) الصدر الأول للأبيات الثلاثة مقتبس من قول الشاعر:

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع

انظر: التذكرة في الوعظ لابن الجوزي (ص٥٩)، مدارج السالكين (٢/ ٣٣٩) ولم ينسباه لأحد.

(٢) في هامش (ع): «بالغ المغفرة وبالغ المحبة.... هذا فيه نظر؟».

قال مجاهد: «الواد لأوليائه»(١) فهو فعول بمعنى فاعل (٢).

وقال ابن زيد: «معنى الودود: الرحيم»(٣).

وقيل: الودود بمعنى المودود، أي يوده عباده الصالحون ويحبونه كذا قال الأزهري(٤). قال: ويجوز أن يكون فعولاً بمعنى فاعل، أي يكون محبًّا لهم.

قال: وكلتا الصفتين مدح لأنه جل ذكره إن أحب عباده المطيعين، فهو فضل منه، وإن أحبه عباده العارفون فَلِمَا تقرر عندهم من كريم إحسان(٥) ه.

قال ابن عباس: «الودود: الحبيب»(٦).

قوله:

يحب شكورهم ....إلخ

الأول بفتح الشين، اسم فاعل من شكر يشكر شكرًا فهو شكور، والثاني بضم الشين مصدر(٧).

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٢/ ١٩٦) وانظر: تفسير الشوكاني (٥/ ٤٢٣).

(٢) اختلف في تفسير «الودود»: هل هو على وزن فعول بمعنى فاعل أو على وزن فعول بمعنى مفعول، والصحيح أنه يعم النوعين، فهو الودود الذي يود عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين، وهو المودود لأولياءه وعباده المتقين، بل لا شيء أود إليهم منه ولا تعلو محبة الله محبة، لا في أصلها ولا في متعلقاتها ولا في كيفيتها. انظر: التوضيح المبين (ص١٠٧-١٠٨).

(٣) انظر: جامع البيان (١٣/ ٥٢٩).

(٤) أصله من كلام ابن الأثير كما نقله في تاج العروس (٥/ ٣٠٥)، ويجب التنبيه على أن الزبيدي صاحب «التاج» يوثق بنقله، لا يوثق بتعقيبه في كل ما يتعلق بالأسماء والصفات؛ لأنه أشعري مأوول.

(٥) انظر: تفسير الشوكاني (٥/ ٤١٤).

(٦) أخرجه البخاري -معلقًا- في كتاب التوحيد (١٣/ ٤٠٣-فتح) باب: (وكان عرشه على الماء).

(٧) الشكر في اللغة: الثناء على الإنسان بمعروف يوليكه، ويقال حقيقة الشكر: الرضا باليسر، والشكر من الله تعالى المجازاة والثناء الجميل، وقد جاء اسم الشكور وصفًا للرب ووصفًا للعبد كما قال =

=تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾ [الإسراء:٣]، وقال عن نفسه سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ [فاطر:٣٠].

والشكر من العبد: هو مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، فيثني على المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته، ويعتقد أنه موليها. وهذا هو العبد الشكور، وسمي شكورًا لأنه كثير الشكر.

والشكور: اسم من أسماء الله تعالى، ورد في القرآن في أربعة مواضع، مقرونًا ثلاثة منها بالغفور، وفي أربعة مواضع مقروناً بالحليم كما قال تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾، وغيرها، وجاء بلفظ شاكر كما في قوله: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾، ومعناه أنه شكور للحسنات يضاعفها وهو -سبحانه- يشكر لهم نعمًا هو أعطاهم إياها وجعلها لهم.

ومن شكره لعباده مغفرته لهم، وهو الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويعطي الجزيل من النعم، ويرضى باليسير من الشكر، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها الى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، ويلقي له الشكر بين عباده، ويشكر بفعله، فإذا ترك شيئًا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل شيئًا رد عليه أضعافًا مضاعفة.

وشكر الله -تعالى- ليس كشكر المخلوقين، فمن ذلك أن المخلوق يشكر من أحسن إليه، والله -سبحانه- يشكر لنا إحساننا إلى أنفسنا.

انظر: الحجة في بيان الحجه (١/ ١٤٤)، اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص٨٧-٩٠)، شأن الدعاء (ص٦٦)، تيسير الكريم المنان (٥/ ٤٩١)، الحق الواضح المبين (ص١١٠)، شرح أسماء الله تعالى الحسنى للدكتورة حصة الصغير (ص١٥٣-١٥٥).

فصل

وهو الغفور فلو أتى بقرابها ... من غير شرك بل من العصيان
لأتاه بالغفران ملء قرابها ... سبحانه هو واسع الغفران
وكذلك التواب من أوصافه ... والتوب في أوصافه نوعان
إذن بتوبة عبده وقبولها ... بعد المتاب بمنة المنان

يشير إلى الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه(١) عن أنس قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»(٢).

---

(١) الذي في سنن الترمذي، كتاب الدعوات (٥/ ٥١٢) قوله بعد إيراده: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» هذا لفظه.
والحديث ضعيف تفرد به كثير بن فائد البصري، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ في التقريب: «مقبول» ولم يتابعه أحد، وله شاهد عند الطبراني في الكبير (١٢/ ١٩) بنفس اللفظ من حديث ابن عباس، لكن في إسناده إبراهيم بن اسحاق الصيني، وقيس ابن الربيع تكلم فيهما وله شواهد أخرى كثيرة. انظر مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٦).

(٢) المؤلف لم يشرح جميع الأبيات إلا بذكر هذا الحديث فقط، ونقول:
قوله: (وهو الغفور، فلو أتى...) إلخ، يعني أن الله تعالى الموصوف بالمغفرة للذنوب والجرائم، فلو أتى العبد بقراب الأرض خطايا وهو لا يشرك بالله شيئًا، لاقاه الله تعالى بقرابها -أي بملئها- مغفرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] هذا مع عدم التوبة، أما مع التوبة، فإن الله -تعالى- يمحو بها الذنوب الكبار والصغار، والشرك فما دونه كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]. وأصل المغفرة من الغفر: وهو الستر والتغطية، ومعناها في الشرع أن الله يستر ذنوب =

=عباده ويغطيهم بستره، فلا يطلع على ذنوبهم غيره، وهو المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، لأنه سبحانه إذا سترها فقد صفح عنها وتجاوز، فمغفرته تعالى وسعت كل شيء، والعباد لا يزالون يذنبون والله يتجاوز عنهم ويحب العفو عنهم، وهو وإن كان واسع المغفرة إلا أنه قد جعل لمغفرته أسبابًا تنال بها، لأنها من أعظم المطالب، وذلك كالتوبة والاستغفار والإيمان والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، ومغفره ما يصدر منهم، وحسن الظن بالله تعالى، وغير ذلك مما جعله مقربًا لمغفرته كما قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢].

فصل

وهو الإله السيد الصمد الذي صمدت إليه الخلق بالإذعان
الكامل الأوصاف من كل الوجو ه كماله ما فيه من نقصان

قال شيخ الإسلام في مسألة حسن إرادة الله تعالى[١]: «روينا من طريق غير واحد كعثمان بن سعيد الدارمي وأبي جعفر الطبري والبيهقي وغيرهم في تفسير علي ابن أبي طلحة[٢] عن ابن عباس (ع/٢/١٢٩أ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢]، قال[٣]: (السيد الذي كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحليم الذي قد كمل في حلمه، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله عَزَّوَجَلَّ، هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفاء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار»[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٤٩).

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ١٥٦) ط. مكتبة السوادي، وأبو الشيخ في العظمة (١/ ٢٨٣)، وغيرهم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من قوله، وإسناده ضعيف، لأجل أن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ولم يلقه؛ لكنه رواه عن مجاهد، ومجاهد ثقة، وقد أخذ التفسير عن ابن عباس، وعلى تفسيره يعتمد الطبري وابن أبي حاتم، والأثر ثابت عن غيره من السلف، وغاية مايقال: إنه دلس عن ثقة، والتدليس عن الثقة لايضر، ولو ضعَّفناه لرددنا روايات كثير من كبارالأئمة الذين وصفوا بالتدليس، كما ذكر الحافظ في تعريف أهل التقديس، وهذ يبين لنا أن قواعد المحدثين ليست دائمًا في اطراد، وقد يكون للقرائن دورًا كبيرًا في تغيير بعض الأحكام عند المحدثين. والأثر قد صححه ابن حجر والألباني، والله أعلم.

(٤) هذا معنى اسمه «الصمد» ويدخل فيه كل ما فسر به الصمد، فهو الصمد الذي تصمد إليه جميع =

وكـذلـك الـقـهـار مـن أوصـافـه ... فـالخـلـق مـقـهـورون بالسلطان

لـو لم يـكـن حـيًا عـزيـزًا قـادرًا ... مـا كـان مـن قـهـر ولا سلطان

وكـذلـك الجـبـار مـن أوصـافـه ... والجـبـر في أوصـافـه قـسـمـان

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ... ذا كـسـرة فـالجـبر مـنـه دان

والـثـاني جـبر الـقـهـر بـالـعـز الذي ... لا يـنـبـغـي لـسـواه مـن إنـسـان

ولـه مـسـمـىً ثـالـث وهـو العلو ... فـلـيـس يـدنـو مـنـه مـن إنـسـان

مـن قـولهـم جـبـارة لـلـنـخـلـة الـ ... ـعـلـيـا الـتي فـاتـت لـكـل بـنـان(١)

=المخلوقات بالذل والحاجة والافتقار، ويقصده العالم العلوى والسفلي في حوائجه ومهماته، لا يستغني أحد عنه طرفة عين، وأصل الصمد في اللغة: القصد، صمده قصده واعتمده، ويقال: فلان مصمد وصمد: إذا كان سيدًا يقصد إليه في الأمور، وجاء في معنى الصمد عدة أقوال: منها أنه ليس بأجوف ولا يأكل ولا يشرب، وقيل: الذي لم يخرج منه شيء، وقيل: الذي لم يلد ولم يولد، وهو الباقي بعد خلقه -أي الدائم-، وقيل: السيد الذي انتهى سؤدده، وقيل: السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر، وقيل: الصمد الذي صمد إليه كل شيء.

وهذه المعاني هي صفات ربنا عَزَّوَجَلَّ، فالصمد من الأسماء التي تجمع أوصافًا عديدة لا تختص بصفة معينة، وقد اجتمعت فيه صفات السؤدد.

وفسر الصمد -أيضًا- بأنه: المقصود إليه في الرغائب، المستغاث به عند المصائب، وهو المستغني عن كل أحد، المحتاج إليه كل أحد، وهو الذي لا عيب فيه، وهو الذي لا يوصف بصفته أحد وقيل غير ذلك. انظر: تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية (ص٣٥-٦٠)، تفسير أسماء الله للزجاجي (ص٥٨)، مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٣٨-٢٤١)، النهاية لابن الأثير (٣/ ٥٢) (صمد)، شرح أسماء الله تعالى الحسنى للدكتورة حصة الصغير (ص١٦٢).

(١) لم يشرح المؤلف البيتين الأولين في معنى القهار.

فنقول: قوله: (وكذلك القهار من أوصافه....) إلخ، القهار هو الذي قهر الأشياء، وانقادت لعظمته ومشيئته المخلوقات كلها، فلا يحدث حادث إلا بمشيئة الله، ولا يسكن ساكن إلا بإرادته، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا المعنى العام.

وأصل القهر في اللغة: بمعنى الغلبة والعلو والأخذ من فوق.

ومعناه في الشرع: هو القاهر فوق خلقه بقدرته عليهم. =

قوله:

.... **والجبر في أوصافه قسمان**

ذكر للجبر معنين في أوصاف الرب سبحانه: أحدهما:

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ....إلخ

ومنه الحديث: «**أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي**»[1].

والثاني: جبر القهر بالعز الذي لا ينبغي لسواه سبحانه.

= وهو المذلل المستعبد خلقه العالي عليهم. ومن القواعد التي ذكرها أهل العلم: أن من صفة كل قاهر شيئًا أن يكون مستعليًا عليه، والعلو الحسي من أنواع القهر بالنظر الى أن من معاني القهر في اللغة: العلو، والأخذ من فوق، فهذا إشارة الى العلو الحسي.

وفي هذا رد على المعطلة نفاه العلو، الذين صرفوا الآيات والأحاديث الدالة علة العلو الحسي إلى العلو المعنوي وقالوا: إن علوه تعالى إنما هو علو قدر وقهر.

ونقول ردًّا عليهم: أما علو القهر ففيه ما قد علمت من الدلالة الواضحة على العلو الحسي.

أما علو القدر فكتب المعطلة ومقالاتهم وقوانينهم تدل دلالة واضحة على أنهم لم يقدروا الله حق قدره، وهو سبحانه يحيي خلقه إذا شاء، ويميتهم إذا شاء، ويفقرهم إذا شاء، ويغنيهم إذا شاء، ويمرضهم إذا شاء، ويصحهم إذا شاء، لا يقدر أحد منهم إذا حكم عليه أن يزيل ما حكم الله به أو أن يرد تدبيره أو يخرج من تقديره، فقد خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، قهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمته وكبريائه وعلوه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه، وتحت حكمه وقهره.

والقهار من أسماء الله تعالى، وهو مستلزم لكمال حياته وكمال عزته وكمال قدرته؛ لأنه محال أن يكون قاهرًا لكل شيء وهو غير حي ولا عزيز ولا قادر.

انظر: معجم مقاييس اللغة (قهر) (٥/ ٣٥)، اللسان (قهر) (٦/ ٣٧٩٤)، التوحيد لابن منده (٢/ ١٦٩)، النهاية لابن الأثير (٤/ ١٢٩)، أسماء الله للزجاجي (ص٣٨) الحجة في بيان الحجة (١/ ١٥٠)، تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٠) التوضيح المبين لابن سعدي (ص١١٩-١٢٠)، شرح أسماء الله تعالى الحسنى للدكتورة حصة الصغير (ص٢٠٤).

(١) لا أصل له. انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (ص١١٨) ط. دار الأمانة - مؤسسة الرسالة.

قوله:

ولـه مسمى ثالث وهو العلو ....

والمعنى أنه لا يدنو منه إنسان، ومنه قولهم: جبارة، للنخلة العليا المرتفعة، والله أعلم(١).

(١) أصل الجبر في اللغة مأخوذ من العظمة والعلو والاستقامة، والجبار الذي طال رفات اليد.
ومعناه في الشرع: هو الذي لا تناله الأيدي، ولا يجري في ملكه غير ما أراد.
وقيل في الجبار: هو المصلح أمور خلقه فيما فيه صلاحهم، ويدخل في هذا: أنه سبحانه إذا أراد شيئًا كان كما أراد، ولم يمتنع عليه، وقد أحدث كل شيء من عدم.
وللجبار ثلاثة معان ساقها المؤلف باختصار شديد:
الأول: سمى جبارًا؛ لأنه يجبر القلوب المنكسره من أجله -كما في الحديث الذي ساقه المؤلف- ويعين الفقير، وييسر على المعسر كل عسير، ويجبر المصاب بتثبيته وتوفيقيه للصبر، وإعاضته على ذلك أكمل الأجر، ويجبر قلوب الخاضعين لعظمته وكبريائه، ويجبر قلوب المحبين بما يفيض عليها من أنواع كراماته وصنوف مسراته، فالقلب المنكسر لربه جبره من أقرب الأشياء، ولهذا كان دعاء المظلوم والمضطر والمريض والمسافر ونحوهم مجابًا للكسرة التي في قلوبهم، ومن هذا قول الداعي «اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني» فإن الجبر معناه جبر الشيء المنكسر بإصلاحه وتقويمه وإزالة كسره.
الثاني: من معاني الجبار أنه القهار لكل شيء، الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، بحيث لا يمنعه شيء.
الثالث: من معاني الجبار أنه العالي على خلقه الذي من عظمته وكبريائه قد باين مخلوقاته، وعلا عليها، فليس يدانيه أحد لكمال رفعته وجلاله. وهذا المعنى -كما قال المؤلف- مأخوذ من قول العرب للنخلة المرتفعة: نخلة جبارة، ومعنى هذا أن من معاني الجبار: العالي على خلقه علوًا حسيًا.
انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٥٠١، ٥٠٢)، اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص٢٤٠)، تفسير أسماء الله للزجاجي (ص٣٥)، التوحيد لابن منده (٢/ ٧٤)، النهاية لابن الاثير (١/ ٢٣٥)، الحق الواضح المبين (ص١٢٠)، تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٤٨٧)، شأن الدعاء (ص٤٨).

فصل

وهو الحسيب كفاية وحماية ... والحسب كافي العبد كل أوان

وهو الرشيد فقوله وفعاله ... رشد وربك مرشد الحيران

وكلاهما حق فهذا وصفه ... والفعل للإرشاد ذاك الثاني

والعدل من أوصافه في فعله ... ومقاله والحكم بالميزان

فعلى الصراط المستقيم إلهنا ... قولًا وفعلًا ذاك في القرآن

تقدم الكلام (ع/ ٢/ ١٣٠ب) على قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] في أوائل هذا النظم(١).

---

(١) لم يشرح المؤلف هذه الأبيات فنقول:

قوله: (وهو الحسيب...) معناه الكافي لعبده جميع المكاره وهو كافي المتوكلين والكافي عن الشهود كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾.

وأصل الحسيب في اللغة بمعنى: الكفايه فالحسيب هو الكافي.

وفسر الحسيب: بأنه الحفيظ الذي يحفظ على العباد أعمالهم من خير وشر، ثم ينبئهم بها، ويحاسبهم عليها، ويعرفهم بمقادير أعمالهم ومراتبها في الخير والشر ويجازيهم عليها، قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾.

وهو الكافي، وكفايته عامه، وخاصة:

فالعامة: كفايته -سبحانه- للعباد جميع ما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم من حصول المنافع ودفع المضار.

والخاصة: كفايته لعبده التقي المتوكل عليه كفايه يصلح بها دينه ودنياه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وبقدر متابعة العبد لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهرًا وباطنًا، وقيامه بعبوديه الله تعالى تكون الكفاية والعزة والنصرة.

والله تعالى هو أسرع الحاسبين، فحين يرد العباد إليه فيحاسبهم لا يشق عليه ذلك، فهو سبحانه يعلم عددهم وأعمالهم وآجالهم وجميع أمورهم، وقد أحصاها وعلم مقاديرها ومبالغها.

قوله: (وهو الرشيد فقوله وفعاله....) إلخ الُرشد والَرشاد والَرشد: نقيض الغي والضلال، يقال: رشد الرجل وأرشده الله: هداه.

ومعناه في الشرع: الذي قوله رشد، وأفعال رشد. الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم أي هداهم ودلهم عليها.

وقيل: هو الذي تنساق تدابيراته إلى غاياتها سبيل السداد، من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدد، فهو -سبحانه- الحكيم ذو الرشد والاستقامة في تدبيره، وإصابته في أفعاله، وهو الذي أرشد أولياءه خاصة الى الجنة وطرق الثواب.

والله تعالى يسمى رشيدًا؛ لأن قوله رشد وأفعاله رشدًا، وكذلك هو المرشد لكل حيران وتائه وضال إلى الصراط المستقيم بيانًا وتوفيقًا. وكلا المعنيين حق؛ فإن كون أفعاله وأقواله رشد لا ينافي كونه مرشدًا للحائرين وهادٍ للضالين.

و أقواله قدرية وشرعية:

أما القدرية فهي التي يوجد بها الأشياء ويدبر ما شاء، مشتملة على الحكمة التامة التى يحمد عليها أتم الحمد وأكمله.

أما أقواله الشرعية الدينية فهي التي تكلم بها في كتبه على ألسن رسله، المشتمله على الصدق التام في الإخبار والعدل التام في الأمر والنهى، فلا أصدق من الله قيلًا، ولا أحسن منه حديثًا، وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا، صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي، وهي أعظم ما يرشد به العباد، بل لا وصول إلى الرشاد بغيرها، فمن لم يسترشد بها فليس برشيد، وبها يحصل الرشد العلمي وهو بيان الحقائق والهدى والضلال، والأحكام الشرعية، وبها يحصل الرشد العملي، فإنها تزكي النفوس، وتطهر القلوب، وتدعو إلى صالح الأعمال، وأحسن الأخلاق، وتحث على الأفعال الجميلة، وترهب عن الأفعال الرذيلة، فمن استرشد بها فهو المهتدي، ومن لم يسترشد بها فهو الغاوي.

وقوله: (والعدل من أوصافه في فعله...) العدل في اللغة: الاستواء، والعدل بين الناس: المرضي قوله وحكمه، وهو المستوي الطريقة. والعدل نقيض الجور.

والعدل في الشرع: هو الذي لا يحكم إلا بالحق، ولا يقول إلا الحق ولا يفعل إلا الحق. يعني أن الله تعالى حكم عدل في وصفه وفي فعله وفي قوله وفي حكمه بالقسط، والله تعالى لا يجور في الحكم، فهو الذي يحكم بين عباده فيما اختلفوا فيه، ومن عدله أنه لا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمِّل وزر أحد على أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، لا يدع صاحب حق إلا أوصل إليه حقه، وهو العدل في تدبيره وتقديره.

وقد أمر الله تعالى عباده بإقامة العدل كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾، وقد اتفقت الشرائع كلها على الأمر بالعدل والنهي عن الظلم.

فصل

هذا ومن أوصافه القدوس ذو التـ ـنزيه بالتعظيم للرحمن
وهو السلام على الحقيقة سالم من كل تمثيل ومن نقصان
والبر في أوصافه سبحانه هو كثرة الخيرات والإحسان
صدرت عن البر الذي هو وصفه فالبر حينئذ له نوعان
وصف وفعل فهو بر محسن مولي الجميل ودائم الإحسان
وكذلك الوهاب من أسمائه فانظر مواهبه مدى الأزمان
أهل السماوات العلى والأرض عن تلك المواهب ليس ينفكان
وكذلك الفتاح من أسمائه والفتح في أوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلهنا والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح بذين كليهما عدلًا واحسانا من الرحمن
وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله نوعان أيضًا ذان معروفان
رزق القلوب العلم والإيمان والر زق المعد لهذه الأبدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا رزاقه والفضل للمنان
والثاني سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري سوقه بوزان
هذا يكون من الحلال كما يكو ن من الحرام كلاهما رزقان
والله رازقه بهذا الاعتبا ر وليس بالإطلاق دون بيان

ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ **في هذه الأبيات أن الرزق نوعان:**

[**النوع الأول**]: رزق القلوب العلم والإيمان على يد عبده ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والنوع الثاني: الرزق المعد للأبدان والله تعالى هو رازقه لكنه يساق إلى الاعضاء، ويكون من الحلال والحرام، والله رازقه بهذا الاعتبار.

وهذه المسألة قد اختلف فيها(١): فقيل إن الحرام رزق، وكل يستوفي رزقه حلالًا كان أو حرامًا؛ لحصول التغذي بها جميعًا غير أن العبد يستحق الذم والعقاب على أكل الحرام خلافًا للمعتزلة؛ فإنهم قالوا: الحرام ليس برزق(٢) وفسروه تارة بمملوك يأكله المالك وتارة بما لا يمنع عن الانتفاع به وذلك لا يكون إلا حلالًا.

فيلزمهم على التفسير الأول: أن ما يأكله الدواب ليس برزق، مع ظاهر قوله تعالى: ﴿مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦] (ع/٢/١٣١أ)، فيكون مصادمًا للقرآن؛ لأنه يقتضي أن تكون كل دابة مرزوقة ولا ينفعهم زعمهم أن تسمية ما يأكله الدواب رزقًا مبني على تشبيهه بما هو مملوك الإنسان فيأكله فيكون لفظ الرزق

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٢٢).

(٢) قول المؤلف حكاية عن المعتزلة: (......إن الحرام ليس برزق).

هذا مبني على أصلهم الفاسدة بأن العبد هو الذي خلق فعل نفسه، لأن الله تعالى لا يخلق الشر ولا يقضي به، إذ لو خلقه وعذبهم عليه لعُد ذلك جورًا!! والله تعالى عادل لا يجور، ويلزمهم على أصلهم الفاسد: أن يقع في ملك الله تعالى ما لا يريد، فإذا أراد الله شيئًا ولم يرده العبد، وقع مراد العبد، يعني أن إرادة العبد تغلب إرادة الله تعالى!!، ولازم هذا المذهب الفاسد وصف الرب تعالى بالعجز، تعالى الله عن ذلك.

وهذا الذي ذكره المؤلف، حكاه القرطبي في تفسيره (١/ ١٧٧) عن المعتزلة وذكر أنهم قالوا: إن الله لا يرزق الحرام، وإنما يرزق الحلال!! والقاعدة عند أهل السنة أن كل ما صح الانتفاع به حلالًا أو حرامًا فهو رزق. انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٢١).

مجازًا عما تأكله الدواب، فلا يلزم أن تكون كل دابة مرزوقة حقيقة؛ لأنا نقول هذا التأويل مخالف لظاهر القرآن.

وهو خلاف المتعارف في اللغة، فلا يصح ارتكابه من غير ضرورة،ثم إن تفسيرهم الرزق بذلك ليس بمطرد ولا منعكس؛ لدخول ملك الله تعالى.

وخروج رزق الدواب والعبيد والإماء يلزمهم أيضًا على الوجهين: أن من أكل الحرام طول عمره،لم يرزقه الله تعالى أصلًا، وهو خلاف الإجماع الحاصل من الأمة قبل ظهور المعتزلة: أن لا رازق إلا الله، وإن استحق العبد اللوم والذم على أكل الحرام، والإضافة إلى الله تعالى معتبرة في مفهوم الرزق، وكل أحد مستوف رزق نفسه حلالًا كان أو حرامًا(١).

ولا يتصور أن لا يأكل الإنسان رزقه أو يأكل غير رزقه لأن ما قدر الله تعالى غذاء لشخص يجب أن يأكله ويمتنع أن يأكله غيره والله أعلم(٢).

---

(١) المعتزلة ومن نحى نحوهم: لما قرروا أن الله لايخلق الشر، جرهم ذلك إلى نفي الإرادة الكونية، ونفوا أن الله تعالى أراد وقوع الشر كونًا كأكل الحرام والزنا والكفر وغيرها من أنواع الشرور؛ فلم يقرِّوا أنه لايقع في ملك الله تعالى إلا ما يريد، كما عليه أهل السنة، ولم يعتقدوا بأن لله تعالى إرادة كونية وشرعية، وأن الكونية يقع فيها ما يحب وما لا يحب، وظنوا أن كل ما لا يحبه الله تعالى، فإنه لايقع منه، حتى لو وقع من العبد فلاينسب إلى الله تعالى خلقًا وتقديرًا، لأنه لا يخلق الشر أصلًا، والله تعالى أعلم.

(٢) لم يشرح المؤلف أول الأبيات -كما هو ظاهر- ونقول:

قوله: (هذا ومن أوصافه القدوس....) إلخ، يعني أن من أسماءه القدوس وهو المنزه المعظم عن كل سوء، وقيل: هو المبارك الطاهر الذي تعالى عن كل دنس؛ لأن أصل القدس في اللغة: بمعنى الطهر، وتقدس أي تطهر.

وقيل: تقدسه الملائكة الكرام، وهو سبحانه الممدوح بالفضائل والمحاسن.

وهو سبحانه منزه عن الأضداد والأنداد والصاحبة والولد، الموصوف بالكمال، بل المنزه عن العيوب والنقائض كلها، كما أنه نزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال. =

= وعلى هذا فضابط التنزيه امران:
أحدهما: أنه الكامل المنزه عن مماثلة أحد من المخلوقات، فليس كمثله شيء في جميع نعوته، لكمال أوصافه.
والثاني: أنه منزه عن كل عيب ونقصان.
وقوله: (و البر في أوصافه سبحانه....) إلخ، البر في اللغة يطلق على أمور منها الصدق والطاعة والعطف وفعل كل خير من أي نوع كان.
والبر في نسبته إلى الله تعالى نوعان:
أحدهما: أنه البر الرحيم الذي اتصف بالجود والكرم وكثرة الخيرات، وأصناف البر الذي لا تنتهي له.
والثاني: أن البر: أي المحسن الذي أنعم على عباده بأصناف النعم، ودفع عنهم جميع النقم، فما بالعباد من بر وإحسان وخير وسرور في دينهم ودنياهم إلا من الله، وبر الأبرار الذي استحقوا به دخول الجنة من لطفه بهم وتوفيقه إياهم.
فمعنى البر: المتصف بالرحمة العظيمة، الذي والى خلقه آثارها، وأسدى عليهم من جوده ما به استقامت أحوالهم وتمت أمورهم.
قال ابن عباس: البر هو اللطيف وقال الحسن: هو المحسن إلى عباده لا ينقطع بره وإحسانه، ومن بره بعباده إمهاله العاصي لا يؤاخذه قبل أن يتوب، إذا سبق في علمه أنه سيتوب وسيصلح من حاله.
وقوله: (وكذلك الوهاب من أسمائه...) إلخ، والوهاب مأخوذمن الهبة، وهي تمليك الشيء بلا مثل أي بلا قيمة ولا ثمن.
ومعناه في الشرع: أنه المنعم على العباد، وسمي وهابًا لأنه مستمر الإحسان متواتر الفضل، لم يزل ولا يزال محسنًا متفضلًا، وأتم الهبات كثير الخيرات جزيل العطايا، لا يخلو مخلوق عن رحمته وإحسانه طرفة عين.
ولا يستحق أن يسمى وهابًا إلا من تصرفت مواهبة في أنواع العطايا، والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالًا أو نوالًا في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم ولا ولدًا لعقيم ولا هدى لضال، ولا عافية لذي بلاء، والله يملك ذلك كله.
وقوله: (و كذلك الفتاح من أسماءه....) إلخ.
ومعنى الفتاح: القاضي العليم بين خلقه؛ لأنه لا تخفى عليه خافيه، ولا يحتاج الى شهود تعرِّفه المحق من المبطل، وهو الحاكم بين عباده؛ لأن الله أوضح الحق وبينه ودحض الباطل وأبطله، والله تعالى هو الذي يفتح المنغلق على عباده من أمورهم دينًا ودنيا، وكذلك هو الذي يفتح أبواب =

=الرزق والرحمة لعباده، ويفتح قلوبهم وعيون بصائرهم ليبصروا الحق ويعقلوا عن الله تعالى، وهو سبحانه الناصر لعباده كما قال تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾.

قال ابن سعدي: من أسماءه الحسنى «الفتاح» وذلك على قسمين:

أحدهما: الفتاح بحكمه الديني وحكمه الجزائي.

والثاني: الفتاح بحكمه القدري، فأما فتحه بحكمه الديني: فهو شرعه على ألسنة رسله ما به تقوم أحوال المكلفين، وتستقيم أحوالهم الدينيه والدنيويه ويعرفهم كل ما يحتاجون إليه.

وأما فتحه القدري فهو ما يفتحه على عباده من خير وشر، ونفع وضر، وعطاء ومنع قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ ﴾ الآيات، فهذا في فتح الخير، وقال في فتح الشر على من تعرض له ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾، واستفتاحهم طلبهم أن يحل بهم ما وعدهم الله على لسان رسوله، وقال تعالى في فتحه بين أنبيائه ومن خالفهم ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ ﴾ أي حين ينزل بهم العذاب الذي توعدوا به.

فالرب هو الفتاح الذي انفرد بالعطاء والمنع، وهو الذي يفتح للعباد خزائن جوده وكرمه، فيعطي من يشاء ويمنع من يشاء.

انظر: التوضيح المبين (ص١١٩/ ١٣١)، شرح أسماء الله تعالى الحسنى لحصة الصغير (ص٧٢، ٧٣، ١٨٨، ١٨٩، ٢٨٠، ٢٨١).

فصل

هذا ومن أوصافه القيوم والـ ـقيوم في أوصافه أمران
إحداهما القيوم قام بنفسه والكون قام به هما الأمران
فالأول استغناؤه عن غيره والفقر من كل إليه الثاني
والوصف بالقيوم ذو شأن عظيم هـ ـكذا موصوفه أيضًا عظيم الشان
والحي يتلوه فأوصاف الكما ل هما لأفق سمائها قطبان
فالحي والقيوم لن تتخلف الـ اوصاف أصلاً عنهما ببيان
هو قابض هو باسط هو خافظ هو رافع بالعدل والميزان
وهو المعز لأهل طاعته وذا عز حقيقي بلا بطلان
وهو المذل لمن يشاء بذلة الدا رين ذل شقا وذل هوان
هو مانع معط فهذا فضله والمنع عين العدل للمنان
يعطي برحمته ويمنع من يشا ء بحكمة والله ذو سلطان

قوله:

.... والقيوم في أوصافه أمران إلخ

أي: إن القيوم هو الذي قام بنفسه، وقام به الكون، فالأول: هو استغناؤه عن غيره (ع/ ٢/ ١٣٢ب)، والثاني: افتقار كل شيء إليه(١).

قال المفسرون: القيوم القائم على كل نفس بما كسبت(٢).

(١) انظر: التوضيح المبين (ص١٣٤). ومعنى هذا: أنه لما قام بنفسه استغنى عن غيره، ولما قام به الكون صار كل شيء مفتقر إليه.
(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٧١).

وقيل: القائم بذاته المقيم لغيره(١).

وقيل: القائم بتدبير خلقه وحفظه(٢).

وقيل: هو الذي لا ينام(٣).

وقيل: الذي لا بديل له(٤).

وقرأ جماعة «القيام» بالألف وروي ذلك عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٥).

والحي يتلوه القيوم فهما كما قال الناظم: «لأفق سمائها......» أي الصفات قطبان، فالصفات لا تتخلف عنهما(٦)، كما مثل به من قوله:

هو قابض هو باسط هو خافض .... إلخ(٧)

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٣٢٩)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٧١).

(٢) قال الزجاج: القائم بتدبير أمر الخلق. انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٠٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٤/ ٢٦٩).

(٤) حكاه ابن الأنباري عن الكلبي.
انظر: الزاهر هي معاني كلمات الناس لابن الأنباري (ص٩٠).

(٥) روي ذلك عن ابن مسعود والأعمش والنخعي، وقرأ علقمة: «القيم».
انظر: تفسير السمعاني (١/ ٢٥٧)، المحرر الوجير (١/ ٣٤٠)، زاد المسير (١/ ٣٠٢).

(٦) قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٩١): «فعلى هذين الاسمين -الحي القيوم- مدار الأسماء كلها، وإليها ترجع معانيها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة.
واما القيوم: فهو متضمن كمال غناه، وكمال قدرته؛ فإنه القائم بنفسه فلا يحتاج الى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام».

(٧) هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا يجوز أن يفرد أحدها عن قرينه، ولا يثنى على الله عَزَّوَجَلَّ بواحد منها إلا مقرونًا بمقابله، فلا يجوز أن ينفرد القابض عن الباسط، ولا الخافض عن الرافع، ولا المذل عن المعز، ولا المانع عن المعطي؛ لأن الكمال المطلق إنما يحصل بمجموع الوصفين. =

قوله: (هو قابض هو باسط....) إلخ يعني أنه القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، الباسط للأرزاق والرحمة والنفوس، وهو الخافض لأقوام، الرافع لآخرين، وذلك كله عدل من الله، وحكمه يحمد عليه أتم الحمد وأكمله، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾، وقال: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، فقبضه نعمه في حق عباده المؤمنين، لأنه يمنعهم به من البغي والظلم والعدوان.

وإذا كان الله تعالى هو القابض الباسط الخافض الرافع قدرًا وقضاء، فلا يمنع أن تكون هذه الأمور بأسباب من العباد، متى قاموا بها حصلت لهم، وهذا هو الواقع، فإن الأسباب محل حكمته وسنته الجارية التي لا تبدل ولا تغير، وأعظم أنواع الرفعة هو رفعه لأوليائه إلى أعلى عليين، وهذا محال أن يدرك بدون الأعمال الصالحة كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾، فجعل استحقاقهم لأعلى مكانه بسبب برهم وإيمانهم، فكل قبض وبسط وخفض ورفع قدري أو ديني فإنه من الله تعالى؛ لانفراده بالتدبير، وهذه من أنواع التدبير التي يصرفها بحسب حكمته وحمده.

أما قوله: (و هو المعز لأهل طاعته وذا...) إلخ. يعنى أن الله تعالى هو المعز لمن شاء، المذل من يشاء، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾، والعز الحقيقي الذي هو عز ظاهر وباطن؛ إنما يكون بالقيام بطاعة الله تعالى، واتباع رسله، والذل الحقيقي إنما يكون بعدم القيام بطاعة الله، فإنه وإن وجد مع أهل المعاصي عز ظاهر وأبهةُ دنيويه فإن ذلك محشو بالذل والهوان، فقد يشعر به صاحبه، وقد تغلبه دنياه وسكر المعصية فلا يشعر بذلك، نعوذ بالله من ذلك، أبى الله إلا أن يذل من عصاه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾، فالعاصى له الذل والشقاء في الآخره، كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾، أما أهل العلم والإيمان فلهم العز والسعادة في الدنيا والآخرة، وكلما أزداد العبد تذللًا ومسكنه بين يدي الله تعالى زاده الله عزًا في الدنيا والآخرة وسعادة العبد ورفعته مرهونه بالتذلل بين يدي الله تعالى.

أما قوله: (هو مانع معط فهذا فضله... ذو سلطان)، ومعنى البيتين أن الله تعالى المنفرد بالعطاء والمنع، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فإن أعطى فبمحض فضله وإحسانه، لا بسبب من العبد ولا بتقدم وساطه، وإن منح فبمحض عدله وحكمته، ومن أعظم عطائه عطاء الهدى والأمن والتوفيق للأعمال الصالحة وليست بحول من العبد وقوته، بل بتوفيق الله ومنه ولطفه، يضعها في المحل القابل لها الذي تصلح به، ويمنعها من المحل الذي لا يليق بها ولا تصلح به ولا تزكو عليه، وليس منعه لعبده من التوفيق منعًا ممن ليس له بأهل، كما قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

انظر: التوضيح المبين (ص١٣٥-١٣٨)، شرح النونية لهراس (٢/ ١١٣).

فصل

والنور من أسمائه أيضًا ومن … أوصافه سبحان ذي البرهان

قال ابن مسعود كلامًا قد حكا … ه الدارمي عنه بلا نكران

ما عنده ليل يكون ولانها … ر قلت تحت الفلك يوجد ذان

نور السماوات العلى من نوره … والأرض كيف النجم والقمران

من نور وجه الرب جل جلاله … وكذا حكاه الحافظ الطبراني

فبه استنار العرش والكرسي مع … سبع الطباق وسائر الأكوان

قال عبد الله بن مسعود: «ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السماوات والأرض من نور وجهه»(١).

۞۞۞

وكتابه نور كذلك شرعه … نور كذا المبعوث بالفرقان

---

(١) أخرجه الطبراني (٩/ ١٧٩) من طريق حماد بن سلمة عن أبي عبدالسلام عن عبدالله بن مكرز عن ابن مسعود قال: (...فذكره).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٥): «رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو عبدالسلام قال أبو حاتم: مجهول، وقد ذكره ابن حيان في الثقات، وعبدالله بن مكرز -أو عبيد الله على الشك- لم أر من ذكره» كذا قال.

وهو وهم، وإنما هو أيوب بن عبدالله بن مكرز الفهري، كما أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢١٧) من طريق الحاكم عن شيخة أبي العباس الأصم عن محمد بن إسحاق الضاغاني عن روح بن عبادة عن حماد بن سلمة عن الزبير أبي عبدالسلام عن أيوب به.

ورواه أبوداود في الزهد (ص١٧٠) من طريق موسى إسماعيل عن حماد به. وإسناده ضعيف، أبو عبدالسلام هو الزبير بن جوانشير، ذكره أبو حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وذكره ابن حبان في الثقات ولا يعتد به، أما شيخه أيوب فروايته عن ابن مسعود مرسلة، وإنما ذكرت هذه الطرق لأبين الوهم الذي وقع في الإسناد.

وكذلك الإيمان في قلب الفتى — نور على نور مع القرآن

وحجابه نور فلو كشف الحجا — ب لأحرق السبحات للاكوان

تقدم حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل النهار حجابه النور**(١) **لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره**» رواه مسلم(٢).

۞۞۞

وإذا أتى للفصل يشرق نوره — في الأرض يوم قيامة الأبدان

قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر:٦٩]، فأخبر أن الأرض يوم القيامة تشرق بنوره وهو نوره الذي نوره، فإنه سبحانه يأتي لفصل القضاء بين عباده، وينصب كرسيه بالأرض، فإذا جاء الله تعالى أشرقت الأرض وحق لها أن تشرق بنوره، وعند المعطلة لا يأتي ولا يجيء ولا له نور تشرق له الأرض، كذا أفاده الناظم في كتاب الصواعق(٣).

وكذاك دار الرب جنات العلى — نور تلألأ ليس ذا بطلان(٤)

---

(١) قال شيخنا: «الحجاب: نور مخلوق، وهو غير وصفه» اهـ.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٦٢) باب في قوله تعالى: حجابه النور.

(٣) انظر: مختصر الصواعق (٣/ ١٠٣٧).

(٤) يشير إلى حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه: «ألا مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانه تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة...» الحديث.
أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٤٨) من طريق محمد بن مهاجر الأنصاري عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى عن كريب مولى ابن عباس قال حدثني أسامة ابن زيد قال: «فذكره»، وإسناده ضعيف لحال الضحاك المعافري قال كما في التقريب (ص٤٥٩): «مقبول». =

والـنـور ذو نـوعـين مخـلـوق ووصـ ـف مـاهـمـا والله مـتـحـدان
(ع/ ٢/ ١٣٣أ)

وكـذلـك المخـلـوق ذو نـوعـين محـ ـسوس ومـعـقـول هـمـا شيئان[1]

احـذر تـزل فـتـحـت رجـلـك هـوة كـم قـد هـوى فيها عـلى الأزمـان

مـن عـابـد بـالجـهـل زلـت رجله فهوى إلى قعر الحضيض الداني

لاحـت لـه أنـوار آثـار الـعـبا دة ظـنـهـا الأنـوار لـلـرحمـن

فـأتـى بـكـل مـصـيـبـة وبـلـيـة ماشئـت مـن شـطـح ومـن هذيان

وكـذا الحـلـولي الـذي هـو خدنه من هـاهـنـا حـقًّا هـمـا أخـوان[2]

ويقابل الرجلين ذو التعطيل والحـ ـجب الـكـثـيـفـة مـاهـمـا سـيـان

= لكن أخرجه ابن أبي عاصم في الجهاد (١/ ١٢٨) والرامهرمزي في الأمثال (ص١٤٥) ط. مؤسسة الكتب الثقافية، والطبراني في الكبير (١/ ١٢٦) وأبو نعيم في صفة الجنة (ص٢٤-٢٥) من طرق عن الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر عن سليمان بن موسى عن عريب عن أسامة بن زيد به، ولم يذكروا الضحاك.

والكلام في هذا الحديث طويل. لأن أصحاب الوليد بن مسلم اختلفوا عليه فيه، فرواه بعضهم عن الوليد بن مسلم عن الضحاك به.

ورواه بعضهم عن الوليد بن مسلم بن محمد بن مهاجر به ولكن الطريقين متساويان في القوة، ولم يترجح عندي شيء. وانظر: كتاب الجهاد لابن أبي عاصم (١/ ١٢٨- ١٣٢) تعليق المحقق.

(١) أي أن النور نوعان: نور هو وصف لله ونور هو للمخلوق، أما الأول فقد تكلم عنه الشارح فيما يأتي من كلامه. وأما الثاني فينقسم الى محسوس ومعقول، فالمحسوس الذي يدرك بالحواس ويرى عيانا، فهو نور الحجاب ونور الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الأنوار التي تدخل في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ أما المعقول الذي لا يدرك بالحس، فهو نور الإيمان وشواهد الإيقان ونور المعرفة وحقائق الذكر ونور المحبة. انظر: التوضيح المبين (ص١٤١).

(٢) أي: ونظير هذا المتعبد، ذلك الحلولي الذي اعتقد حلول الله تعالى في بعض الأشخاص كدعوى النصارى حلوله تعالى في عيسى ابن مريم ودعوى غلاة الرافضة حلوله في بعض أهل البيت ودعوى كثير من المتصوفة حلوله العام والخاص، فكل هذا انحراف وكفر وزندقة.

فجهلة المتعبدة والحلولية إنما حصل لهم هذا الانحراف من جهة الغلو.

انظر: التوضيح المبين (ص١٤٣- ١٤٤). =

= تنبيه: ذكر الشيخ خليل هراس (٢/ ١١٨) «أن الشيخ السعدي قد تابع المؤلف الناظم في القول بأن أهل الاغترار والجهل حين تلوح في قلوبهم أنوار وآثار العبادة تحملهم على الشطح والهذيان بكلمات تفهم منها الوحده.. !!».

قال: «وهذه الغفلة من الشيخين غفر الله لهما وإسراف في حسن الظن بهؤلاء الصوفيه قبحهم الله، فإنهم لم يعبدوا الله عبادة صحيحة حتى تظهر عليهم أنوارها، فإن شرط العبادة الصحيحة معرفة المعبود المعرفه الحقة.. ولو كانوا قد عرفوه حق معرفته لهدتهم هذه المعرفه الى سبيل الرشاد، ولما وقعوا عند ظهور أنواره لهم في بوائق الكفر والإلحاد.. » إلى آخر كلامه.

والجواب عن هذا من وجوه:

الأول: لو أن الشيخ خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرأ الأبيات الثلاثه وتمعن فيها، وربط بعضها ببعض لاندفع عنه الإشكال، وهي قوله:

احذر تزل فتحت رجلك هوة	كم قد هوى فيها على الأزمان
من عابد بالجهل زلت رجله	فهوى إلى قعر الحضيض الداني
لاحت له آثار انوار العباده	..................................الخ

فالناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قيد هؤلاء الذين لاحت لهم أنوار العبادة بأنهم عباد جهلة، وقد أُتُوا من جهلهم، ولهذا قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمتعبد إن لم يصحبه العلم والتمييز بين النور المخلوق وغيره طرق باب الاتحاد ولابد... » فهذا الكلام واضح في المقصود.

الثاني: أن الشيخ بين أن الإنحراف الذي حصل لجهلة المتعبدة والحلولية إنما هو من جهة الغلو، والإنسان اذا حصل له الغلو في العبادات الشرعية حصل له الانحراف.

ثالثًا: معاذ الله أن يُحَسِنَ ابن القيم وابن سعدي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ ظنهما في هؤلاء الزنادقة الملاحدة، فإن من حقق التوحيد لله تعالى بأنواعه الثلاثة، وعرف الله حق معرفته بأسمائه وصفاته، وعبد الله بصدق وإخلاص، قذف الله في قلبه نورًا وفرقانًا يفرق به بين الحق والباطل كما قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾.

وهذان الشيخان قد حصل لهما من العلم بذلك ماهو معروف مشهور عند كل أحد، ولهما جهود عظيمه في الرد على الصوفية والقبوريين وغيرهم مما لا ينكره إلا معاند. ويكفي أن هذه القصيده المباركة قد حوت من أصول التوحيد، والرد على أهل الشرك والتنديد ما لا ينكره إلا مكابر عنيد.

وإثبات ذلك أشهر من أن يستدل عليه، وقد ذكر الناظم في أول هذه النونية حال أولئك المتصوفه، ووصفهم بأبيات كثيرة، مما يدل على ذمهم وقبحهم وخبثهم وكفر غلاتهم وزندقتهم ومما قال في ذلك: =

ذا في كثافة طبعه وظلامه والنور ... وبظلمة التعطيل هذا الثاني
محجوب فلا هذا ولا ... هذا له من ظلمة يريان

[قوله:

احذر تزل فتحت رجلك هوة ... . إلخ

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شرح منازل السائرين[1] -في شرح الدرجة الثالثة من منزلة العطش على قول صاحب المنازل: (ولا يعرج دونها على انتظار........) بعد كلام سبق «ولا سبيل لأحد قط في الدنيا إلى مشاهدة الحق، وإنما وصوله إلى شواهد الحق، ومن زعم غير هذا فلغلبة الوهم عليه، وحسن ظنه بترهات القوم وخيالاتهم.

ولله در الشبلي[2] حيث سئل عن المشاهدة فقال: (من أين لنا مشاهدة الحق،

=

فأتى فريق ثم قال وجدته ... هذا الوجود بعينه وعيان
ماثم موجود سواه وإنما ... غلط اللسان فقال موجودان
فهو السماء بعينها ونجومها ... وكذلك الأفلاك والقمران

إلى آخرها طويلة..

وقد عراهم فيها وكشف فيها أكاذيبهم وتلاعبهم بالدين.

وكذلك الشيخ ابن سعدي كشف عما ذكره الناظم من حال هؤلاء وشرح أبيات الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلام نفيس، يقطع القول بـأنهما قد أحسنا ظنهما بهؤلاء الزنادقه من الصوفية.

وكان الشيخ محمد خليل هراس قد اعتمد في شرحه للنونية على أكثر ما ذكره ابن سعدي في توضيح الكافية الشافية، ومن أحسن الظن بالمعتزلة والأشاعرة اتهم بفساد توحيده، فكيف بهؤلاء الزنادقة، وفي هذا الكلام نسف لجهود هذين الإمامين في التوحيد -شعر الهراس أو لم يشعر- فليت الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يتفوه بهذا الكلام الذي يعلم بطلانه صغار طلبة العلم فضلا عمن عرف قدرهما وفضلهما على هذه الأمة - رحم الله الجميع -.

(١) مدارج السالكين (٣/ ٦٦).

(٢) دلف بن جحدر، وقيل: جعفر بن يونس الشبلي، الخراساني الأصل، البغدادي المولد والمنشأ، من مشاهير الصوفية. مات سنة (٣٣٠هـ). انظر: السير (١٥/ ٣٦٧)، وفيات الأعيان (٢/ ٢٧٥-٢٧٦).

لنا شاهد الحق). هذا وهو صاحب الشطحات المعروفة، وهذا من أحسن كلامه وأبينه، وأراد بشاهد الحق: ما يغلب على القلوب الصادقة العارفة الصافية من ذكره ومحبته وإجلاله وتعظيمه ووقاره، بحيث يكون ذلك حاضرًا فيها مشهودًا لها، غير غائب عنها، ومن أشار إلى غير ذلك فمغرور مخدوع، وغايته أن يكون في حقارة صدقه وضعف تمييزه وعلمه.

ولا ريب أن القلوب تشاهد أنوارًا بحسب استعدادها، تقوى تارة، وتضعف أخرى، ولكن تلك: أنوار الأعمال والإيمان، والمعارف، وصفاء البواطن والأسرار، لا أنها نور الذات المقدسة؛ فإن الجبل لم يثبت لليسير من ذلك النور حتى تدكدك، وخر الكليم صعقًا مع عدم تجليه له فما الظن بغيره.

فإياك ثم إياك وترهات القوم وخيالاتهم وأوهامهم؛ فإنها عند العارفين أعظم من حجاب النفس وأحكامها، فإن المحجوب بنفسه معترف بأنه في ذلك الحجاب، وصاحب هذه الخيالات والأوهام يرى أن الحقيقة قد تجلت له أنوارها، ولم يحصل ذلك لموسى بن عمران كليم الرحمن.

فحجاب هؤلاء أغلظ بلا شك من حجاب أولئك، ولا يقر لنا بهذا إلا عارف، قد أشرق في باطنه نور السنة المحمدية،فرأى ما للناس فيه، وما أعز ذلك في الدنيا وما أغربه بين الخلق وبالله المستعان» انتهى كلامه.

وقوله هوة قال في القاموس(١) «الهوة كقوة ما انهبط من الأرض أو الوهدة

---

(١) القاموس (ص٧٣٥).

الغامضة منها كالهوانة كرمانة»[1] انتهى[2]].

قوله:

والنـــور ذو نـــوعـــين...... .... إلخ

قال الناظم في الصواعق المرسلة[3]: «قد ورد النص بتسمية الرب نورًا، وبأن له نورًا مضافًا إليه، وبأنه نور السماوات والأرض، وبأن حجابه نور.

فهذه أربعة أنواع:

فالأول: يقال عليه سبحانه بالإطلاق فإنه النور الهادي[4].

والثاني: يضاف إليه كما يضاف إليه حياته وسمعه وبصره وعزته وقدرته وعلمه، وتارة يضاف إلى وجهه، وتارة يضاف إلى ذاته:

فالأول: كقوله: «أعوذ بنور وجهك»[5] وقوله: «نور السماوات والأرض من نور وجهه»[6].

---

(١) معنى هذا البيت: أن الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ حذر أن تزل قدم السالك في حفرة تهوي بصاحبها أسفل سافلين، والسبب في ذلك أن العابد الجاهل تظهر له آثار أنوار العبادة في عبادته -والعبادة لها نور يقوى بحسب المعرفه، وقوة المحبة لله تعالى ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكثرة الذكر الذي يتواطأ عليه القلب واللسان وبحسب مايقوم بالقلب من حقائق العبادات-، فإذا ظهرت له آثار أنوارها ظنها نور الذات المقدسة، فحصل منه من الغلو الذي يجعل لنفسه منزلة ليست له، بل ربما جعل لها خصائص الألوهية، فأهل التصوف ومن أغتر بهم لم يفرقوا بين نور الصفات الإلهية، وبين أنوار الإيمان والمعارف، فإنهم تعبدوا من غير فرقان وعلم، فضلوا وأضلوا.

انظر: التوضيح المبين (ص١٤٣)، شرح النونية لهراس (٢/ ١١٧).

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من (ع، د) واستدركناه من (م).

(٣) مختصر الصواعق (٣/ ١٠٣٨).

(٤) قال شيخنا: «لم نجد نورًا يضاف إليه بإطلاق» اهـ. ومعناه: أن النور لم يثبت أنه من أسماء الله تعالى. وانظر: «شرح أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة» للدكتورة حصة الصغير (ص٢٦٠).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

والثاني: كقوله: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر:٦٩]، وقول ابن عباس: «ذاك نوره الذي إذا تجلى به».

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عبد الله بن عمرو: «**إن الله خلق خلقه في ظلمة**[١] **ثم ألقى عليهم من نوره**» الحديث.

والثالث: وهو إضافة نوره إلى السماوات والأرض كقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥].

الرابع: كقوله: «حجابه النور...»[٢]، فهذا النور المضاف إليه يجيء على أحد الوجوه الأربعة، والنور الذي احتجب به سمي نورًا ونارًا كما وقع التردد في لفظه في الحديث الصحيح حديث أبي موسى الأشعري وهو قوله: «حجابه النور أوالنار...»؛ فإن هذه النار هي نور، وهي التي كلم الله كليمه موسى[٣] منها، وهي نار صافية لها إشراق بلا إحراق.

فالأقسام ثلاثة:

إشراق بلا إحراق: كنور القمر.

وإحراق بلا إشراق: وهي نار جهنم؛ فإنها سوداء محرقة لا تضيء[٤].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) هذا الذي جزم به الناظم، حكاه الطبري في تفسيره (٩/ ٤٩٦) عن ابن عباس والحسن البصري وقتادة وغيرهم قالوا في قوله تعالى: ﴿ نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾، النار: هي نوره تعالى.
وقال آخرون: معناه النار لا النور، وهو قول سعيد بن جبير.

(٤) في (ع): «تظيء» والمثبت من (د).

وإشراق بإحراق: وهي هذه النار المضيئة، وكذلك نور الشمس له الإشراق والإحراق، فهذا في الأنوار المشهودة المخلوقة، وحجاب الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى نور وهو نار.

وهذه الأنواع كلها حقيقة بحسب مراتبها، فنور وجهه حقيقة لا مجاز، وإذا كان نور مخلوقاته كالشمس والقمر والنار حقيقة، فكيف يكون نوره الذي نسبة الأنوار المخلوقة إليه أقل من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشمس، فكيف لا يكون هذا النور حقيقة» انتهى كلامه.

فصل

وهو المقدم والمؤخر فذانك الصـ ـفتان للأفعال تابعتان

وهما صفات الذات أيضًا إذ هما بالذات لا بالغير قائمتان[1]

ولذاك قد غلط المقسم حين ظن صفاته نوعين مختلفان

إن لم يرد هذا ولكن قد أرا د قيامها بالفعل ذي الإمكان

والفعل والمفعول شيء واحد عند المقسم ماهما شيئان

فلذاك وصف الفعل ليس لديه إلا نسبة عدمية ببيان

فجميع أسماء الفعال لديه لي ست قط ثابتة ذوات معان

موجودة لكن أمور كلها نسب ترى عدمية الوجدان

هذا هو التعطيل للأفعال كالتـ ـعطيل للأوصاف بالميزان

فالحق أن الوصف ليس بمورد التـ ـقسيم هذا مقتضى البرهان

بل مورد التقسيم ما قد قام بالذ ات التي للواحد الرحمن

فهما إذا نوعان أوصاف وأفـ ـعال فهذي قسمة التبيان

كالوصف بالأفعال يستدعي قيا م الفعل بالموصوف بالبرهان

كالوصف بالمعنى سوى الأفعال ما إن بين ذينك قط من فرقان

ومن العجائب أنهم ردوا على من أثبت الأسماء دون معان

(١) معنى البيتين: أن الله تعالى هو المقدم لمن يشاء من خلقه، المؤخر له. والتقديم والتأخير نوعان: كوني قدري، وديني شرعي. فالتقديم والتأخير الكوني القدري متعلق بقدرته وحكمته، والتقديم والتأخير الديني الشرعي متعلق برحمته وقدرته وحكمته. انظر: التوضيح المبين (ص١٤٦-١٤٧).

قامت بمن هي وصفه هذا محا ... ل غير معقول لذي الأذهان
وأتو إلى الأوصاف باسم الفعل قا ... لوا لم تقم بالواحد الديان
فانظر إليهم أبطلوا الأصل الذي ... ردوا به أقوالهم بوزان
إن كان هذا ممكنا فكذاك قو ... ل خصومكم أيضًا فذو إمكان
والوصف بالتقديم والتأخير كو ... ني وديني هما نوعان
وكلاهما أمر حقيقي ونسبي ولا ... يخفى المثال على أولي الأذهان
والله قدر ذاك أجمعه بإحـ ... ـكام وإتقان من الرحمن

قوله: «ولذلك قد غلط المقسم...» أي إن الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والأشعرية قالوا: إن الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم، ولنزد ذلك أيضاحًا فنقول:

قال النسفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقائده المشهورة(١): «والتكوين صفة لله أزلية وهو تكوينه للعالم، وكل جزء من أجزائه وهو غير المكون عندنا....».

قال شارحها المحقق سعد الدين التفتازاني(٢): «(التكوين) هوالمعنى المعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والإيجاد والإحداث والاختراع ونحو ذلك، ويفسر بإخراج المعدوم من العدم إلى الوجود (صفة لله تعالى)؛ لإطباق العقل والنقل على أنه خالق للعالم مكوِّن له، وامتناع إطلاق اسم المشتق على الشيء من غير أن يكون مأخذ الاشتقاق وصفًا قائمًا به (أزلية) لوجوه:

الأول: أن يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى.

(١) عقائد النسفي (ص٩٥ - بشرح التفتازاني) ط. دار البيروتي.
(٢) انظر: شرح عقائد النسفي للتفتازاني (ص٩٥).

الثاني: أنه وصف ذاته في كلامه الأزلي بأنه الخالق، فلو لم يكن في الأزل خالقًا للزم الكذب أو العدول إلى المجاز، أي الخالق فيما يستقبل أو القادر على الخلق، من غير تعذر الحقيقة.

على أنه لو جاز إطلاق الخالق عليه بمعنى (القادر) لجاز إطلاق كل ما يقدر عليه من الأعراض.

الثالث: أنه لو كان حادثا، فإما بتكوين آخر، فيلزم التسلسل وهو محال، ويلزم منه استحالة تكوُّن مع أنه مشاهد، وإما بدونه فيستغني الحادِث عن المحدِث والإحداث، وفيه تعطيل الصانع.

الرابع: أنه لو حدث، لحدث إما في ذاته تعالى، فيصير محلًا للحوادث، أو في غيره -كما ذهب إليه أبو الهذيل من أن تكوين كل جسم قائم به- فيكون كل جسم خالقًا ومكوِّنًا لنفسه، ولا خفاء في استحالته.

ومبني هذه الأدلة أن التكوين صفة حقيقية كالعلم والقدرة».

قال: «والمحققون من المتكلمين على أنه من الإضافات والاعتبارات العقلية مثل كون الصانع تعالى وتقدس قبل (ع/٢/١٣٧أ) كل شيء ومعه وبعده، ومذكورًا بألسنتنا ومعبودًا لنا ومميتًا ومحييًا ونحو ذلك».

قال: «والحاصل في الأزل هو مبدأ التخليق والترزيق والإماتة والإحياء وغير ذلك، ولا دليل على كونه صفة أخرى سوى القدرة والإرادة، وإن كانت نسبتها إلى وجود المكوَّن وعدمه على السواء، لكن مع انضمام الإرادة بتخصيص أحد الجانبين».

قال: «ولما استدل القائلون بحدوث التكوين بأنه لا يتصور بدون المكوَّن كالضرب بدون المضروب، فلو كان قديمًا لزم قدم المكوَّنات وهو محال. أشار النسفي إلى الجواب بقوله: (وهو) أي التكوين (تكوينه للعالم ولكل من أجزائه) لا في الأزل بل (لوقت وجوده) على حسب علمه وإرادته.

فالتكوين باق أزلًا وأبدًا والمكوَّن حادث بحدوث التعلق،كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها لكون تعلقاتها حادثة.

وهذا تحقيق ما يقال: إن وجود العالم إن لم يتعلق بذات الله تعالى، أو صفة من صفاته، لزم تعطيل الصانع، واستغناء الحوادث عن الموجِد وهو محال، وإن تعلق:فإما أن يستلزم ذلك قدم ما يتعلق وجوده به، فيلزم قدم العالم وهو باطل، أو لا، فليكن التكوين -أيضًا قديمًا مع حدوث المكوَّن المتعلق به، وما يقال بأن القول بتعلق وجود المكون بالتكوين قول بحدوثه،إذ القديم ما لا يتعلق وجوده بالغير، والحادث ما يتعلق به فمنظور فيه[1]؛ لأن هذا معنى القديم والحادث بالذات، على ما يقول به الفلاسفة.

وأما عند المتكلمين، فالحادث ما لوجوده بداية، أي يكون مسبوقًا بالعدم، والقديم بخلافه، ومجرد تعلق وجوده بالغير لا يستلزم حدوثه بهذا المعنى؛ لجواز أن يكون محتاجًا إلى الغير، صادرًا عنه دائمًا بدوامه،كما ذهب إليه الفلاسفة فيما ادعوا قدمه من الممكنات كالهيولى مثلًا.

---

(١) في شرح العقائد النسفية: «ففيه نظر».

نعم إذا أثبتنا صدور العالم عن الصانع بالاختيار دون الإيجاب، بدليل لا يتوقف على حدوث العالم؛ كان القول بتعلق وجوده بتكوين الله تعالى قولًا بحدوثه.

ومن هنا يقال: إن التنصيص على كل جزء من أجزاء العالم، إشارة إلى الرد على من زعم قدم بعض الأجزاء كالهيولى، وإلا فهم إنما يقولون بقدمها، بمعنى عدم المسبوقية بالعدم، لا بمعنى عدم تكونه بالغير.

والحاصل أنا لا نسلم أنه لا يتصور التكوين بدون المكوِّن، وإن وازنه معه وزان الضرب مع المضروب؛ فإن الضرب صفة إضافية لا يتصور بدون المضافين، أعني (ع/٢/١٣٨ب) الضارب والمضروب، وقد بينا أن التكوين صفة حقيقية هي مبدأ الإضافة التي هي إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود لا عينها، حتى لو كانت عينها على ما وقع في عبارة بعض المشايخ، لكان القول بتحققها بدون المكوَّن مكابرة وإنكارًا للضرورة.

فلا يندفع بما يقال: من أن الضرب مستحيل البقاء، فلا بد لتعلقه بالمفعول، ووصول الألم إليه من وجود المفعول معه؛ إذ لو تأخر لانعدم (كذا قيل وهذا بالنسبة لفعل المخلوق وهو)[1] بخلاف فعل الباري فإنه أزلي الدوام يبقى إلى وقت وجود المفعول.

(فالتكوين غير المكوَّن عندنا)؛ لأن الفعل يغاير المفعول بالضرورة، كالضرب مع المضروب والأكل مع المأكول، ولأنه لو كان نفس المكوَّن لزم أن يكون المكوِّن مكوَّنًا مخلوقًا بنفسه[2] ضرورة أنه مكوِّن بالتكوين الذي هو عينه فيكون قديماً مستغنيًا عن الصانع وهو محال.

---

(١) ما بين حاصرتين ليست في شرح العقائد النسفية.

(٢) هذا هو الرد الأول والإلزام الأول على من يقول من الأشاعرة بأن الفعل هو المفعول، =

وأن لا يكون للخالق تعلق بالعالم سوى أنه أقدم منه[١]، وقادر عليه من غير صنع وتأثير فيه، ضرورة تكونه بنفسه، وهذا لا يوجب كونه خالقًا للعالم، والعالم مخلوقًا، فلا يصح القول: بأنه خالق العالم وصانعه وهذا خلف.

وأن لا يكون الله مكوِّنًا للأشياء[٢] ضرورة أنه لا معنى للمكون إلا من قام به التكوين، والتكوين إذا كان عين المكون لا يكون قائمًا بذات الله تعالى.

وإن يصح القول بأنه خالق سواد هذا الحجر أسود وهذا الحجر خالق السواد إذ لا معنى للخالق والأسود إلا من قام به الخلق والسواد وهما واحد فمحلهما واحد[٣].

هذا كله تنبيه على كون الحكم بتغاير الفعل والمفعول ضروريًّا».

ثم قال السعد التفتازاني: «وهذا يعني إبطال القول بأن الفعل هو المفعول، لا يتم إلا بإثبات أن تكون الأشياء وصدورها عن الباري تعالى، يتوقف على صفة حقيقية قائمة بالذات، مغايرة للقدرة والإرادة».

قال: «والتحقيق أن تعلق القدرة على وفق الإرادة بوجود المقدور لوقت وجوده، إذا نسب للقدرة يسمى إيجابها له، وإذا نسب إلى القادر يسمى الخلق والتكوين، ونحو ذلك.

=فرارًا -بزعمهم- من إثبات الصفات الفعلية التي يلزم من إثباتها -بزعمهم-: القول بحلول الحوادث.

(١) هذا هو الإلزام الثاني.

(٢) هذا هو الإلزام الثالث.

(٣) هذا هوالإلزام الرابع.

فحقيقة كون الذات بحيث تعلقت قدرته بوجود المقدور لوقته، ثم يتحقق بحسب خصوصيات المقدورات خصوصيات الأفعال كالترزيق والتصوير والإحياء والإماتة وغير ذلك إلى ما لا نهاية له».

قال: «وأما كون كل من ذلك صفة (ع/ ٢/ ١٣٩أ) حقيقية أزلية فمما تفرد به بعض علماء ما وراء النهر، وفيه تكثير للقدماء جدًّا وإن لم تكن متغايرة».

قال: «والأقرب ما ذهب إليه المحققون منهم وهو أن مرجع الكل إلى التكوين، فإنه إن تعلق بالحياة سمي إحياء، وبالموت سمي إماتة، وبالصورة تصويرًا، وبالرزق ترزيقًا إلى غير ذلك، فالكل تكوين، وإنما الخصوص بخصوص التعلقات» انتهى.

قلت[1]: مراده بقوله: «مما تفرد به بعض علماء ما وراء النهر» علماء الكلام[2]، وإلا فهو مذهب السلف كما تقدمت الإشارة إليه وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «شرح العقائد الأصفهانية»[3] «الصواب أن الخلق غير المخلوق. قال: والذين يقولون: (الخلق هو المخلوق) قولهم فاسد.....».

وبين وجه فساده، وذكر من الآيات القرآنية والأخبار النبوية الدالة على هذا الأصل شيئًا كثيرًا مثل: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن:٢٩]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد:٢٨]، وقوله: ﴿تَكۡفُرُواْ

(١) القائل هو المؤلف.

(٢) الأشاعرة.

(٣) انظر: العقيدة الأصفهانية (١/ ٦٧).

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧]، فأخبر أن طاعته سبب لمحبته ورضاه ومعصيته سبب لسخطه وغضبه.

وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]، وجواب الشرط مع الشرط. كالمسبب مع السبب.

وفي الصحيحين عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه قال: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ومن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا ومن اتاني يمشي أتيته هرولة**»[1].

وفي الصحيحين وغيرهما: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن ممن أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فنام تحت شجرة ينتظر الموت فلما استيقظ إذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته**»[2].

وفي الصحيح: «**يضحك الله إلى الرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة**»[3]، وفي الصحاح والسنن والمساند من هذا شيء كثير يتعذر أو يتعسر إحصاؤه وقد ذكر من ذلك شيئًا كثيرًا.

ثم قال: وبهذا الأصل العظيم الذي دلت عليه الكتب المنزلة من الله تعالى القرأن والتوراة والإنجيل، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها، بل وعليه جماهير

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٩٤).
(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٣).
(٣) تقدم تخريجه.

العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف حتى من (ع/٢/١٤٠ب) الفلاسفة يظهر بطلان مذهب القائلين بالقدماء الخمسة» انتهى.

قول الناظم:

فلذاك وصف الفعل ليس إلا نسبة عدمية.................. إلخ

يعني أن القائلين بأن الفعل هو المفعول، عندهم أن صفة الفعل نسبة، والنسب أمور عدمية، فجميع أسماء الفعال عندهم نسب، والنسب أمر عدمي فهذا منهم تعطيل للأفعال كما عطلوا الصفات.

قوله:

والحق أن الوصف ليس بمورد التقسيم ....

أي بل مورد التقسيم ما قام بالذات، وهي أوصاف وأفعال،فالوصف بالأفعال يستدعي قيام الفعل بالموصوف بالبراهين القاطعة عقلًا ونقلًا.

قوله:

ومن العجائب أنهم ردوا على من أثبت الأسماء دون معان

أي ومن العجائب أن الأشاعرة ردوا على المعتزلة في إثباتهم الأسماء دون معانيها، كقولهم قدير بلا قدرة سميع بلا سمع بصير بلا بصر مريد بلا إرادة ونحو ذلك، ثم أتوا إلى الأوصاف باسم الفعل فقالوا: لم يقم بالله تعالى، فأبطلوا الأصل الذي ردوا به على المعتزلة، والله أعلم[1].

---

(١) في هامش (ع) بخط المؤلف «بلغ قراءة على المؤلف عفا الله عنه».

فصل

هـذا ومـن أسمـائـه مـا لـيس يفـ ـرد بـل يـقـال إذا أتـى بـقـران
وهـي الـتي تـدعـى بمـزدوجـاتـهـا أفـرادهـا خـطـر عـلـى الإنـسـان
إذ ذاك مـوهـم نـوع نـقص جـل رب الـعـرش عـن عـيـب وعـن نقصان
كـالمانـع المعطي وكـالـضار الذي هـو نـافـع وكـمـالـه الأمـران
ونظير هـذا القابض المقرون باس م الـبـاسـط الـلـفـظـان مقترنان
وكـذا المعز مـع المـذل وخافض مـع رافـع لـفـظـان مـزدوجـان
وحـديـث إفـراد اسـم منـتـقـم فمو قـوف كـمـا قـد قـال ذو العرفان
مـا جـاء في الـقـرآن غـير مقيد بـالمجـرمـين وجـا بـ(ذو) نـوعـان

قال الناظم في بدائع الفوائد[١] - بعد كلام سبق -: «السادس صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر؛ وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد، المجيد (ع/٢/١٤١أ)، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن.

فإن الغنى صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر،فله ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما، وكذلك الغفور القدير والحميد المجيد والعزيز الحكيم. فتأمله فإنه من أشرف المعارف».

وقال في موضع آخر[٢]: «ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده، بل مقرونًا بمقابله

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦٨).
(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ١٧٧).

كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله، فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع الضار النافع العفو المنتقم المعز المذل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بمقابله؛ لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية، وتدبير الخلق والتصرف فيهم: عطاء ومنعًا ونفعًا وضرًّا وعفوًا وانتقامًا.

وأما أن يثني عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار، فلا يسوغ فهذه الأسماء المزدوجة يجري الاسمان مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد؛ ولذلك لم تجيء مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه، فلو قلت يا مذل يا ضار يا مانع، أو أخبرت بذلك، لم تكن مثنيًا عليه ولا حامدًا حتى تذكر مقابله»، وأما الحديث الذي فيه إفراد اسم المنتقم فهو موقوف كما قال الناظم والله أعلم[1].

---

(١) المنتقم ليس من أسماء الله تعالى، لأن أسماء الله تعالى حسنى ليس فيها شر، وإنما الشر في مفعولاته كقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ فبين أن بطشه شديد وأنه هو الغفور الودود.

ولفظ «الانتقام» إنما جاء في القرآن مقيدًا بالمجرمين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

وجاء بلفظ «ذو الانتقام» في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾.

ولم يرد هذا اللفظ مطلقًا غير مقيد، ولا مفردًا إلا في حديث موقوف لم أقف عليه. لكنه يدخل في باب الإخبار عن الله تعالى، ومايدخل في باب الإخبار أوسع مما يدخل في باب الأسماء، ولا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدًا أن يشتق له منه اسم مطلق والله أعلم.

انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٨٤-٢٨٥)، التوضيح المبين (ص١٥٨)، شرح النونية لهراس (٢/ ١٢٣)، شرح أسماء الله الحسنى لحصة الصغير (ص٢٥٣).

فصل

ودلالــــة الأسمـــــاء أنـــــواع ثلا ... ث كـلـهـا مـعـلـومـة بـبـيـان

دلــت مـطـابـقـة كـذاك تضمنًا ... وكـذا الـتـزامًـا واضـح الـبـرهـان

أمــا مـطـابـقـة الـدلالـة فهي ... أن الاسـم يـفـهـم مـنـه مفهومان

ذات الإلـه وذلـك الـوصـف الـذي ... يـشـتـق مـنـه الاسـم بـالمـيـزان

لـكـن دلالـتـه عـلـى إحـداهـمـا ... بـتـضـمـن فـافـهـمـه فـهـم بـيـان

وكـذا دلالـتـه عـلـى الـصـفـة التي ... مـا اشـتـق مـنـهـا فـالـتـزام دان

وإذا أردت لــذا مــثــالًا بينا ... فـمـثـال ذلـك لـفـظـة الـرحـمـن

ذات الإلـــه ورحمـــة مـدلـولها ... فـهـمـا لهـذا الـلـفـظ مـدلـولان

إحـداهـمـا بـعـض لـذا المـوضـوع فهـ ... ـي تـضـمـن ذا واضـح التبيان

لـكـن وصـف الحـي لازم ذلـك الـ ... ـمـعـنـى لـزوم الـعـلـم للرحمن

فـلـذا دلالـتـه عـلـيـه بـالـتـزام ... بـيـن والحـــق ذو تـبـيـان

شرع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أنواع الدلالات الثلاثة وهي المطابقة والتضمن والالتزام، وذلك مثل ما مثل به الناظم وهو لفظة الرحمن (ع/٢/١٤٢ب) فإنها دلت على الصفة المشتق منها وعلى ذات الرب سبحانه، لكن دلالته على أحداهما بالتضمن، وأما دلالتها على الصفة التي لم يشتق منها اللفظ كالحياة والعلم فهي بالالتزام والله أعلم.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شرح المنازل[1]: «الاسم من أسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما يدل

---

(١) سقطت من النسخ، واستدركناها من مدارج السالكين.

على الذات والصفة التي اشتق منه بالمطابقة؛ فإنه يدل عليه[١] دلالتين آخرين[٢] بالتضمن واللزوم، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم، فإن اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة، وعلى الذات وحدها والسمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم الحي وصفة الحياة بالالتزام» انتهى.

وهذا واضح في بيان كلام الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[٣].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٠).

(٢) في النسخ الخطية «دلالتان آخرتان» والمثبت من مدارج السالكين.

(٣) القاعدة التي ذكرها الناظم والشارح في تقسيم دلاله اللفظ إلى ثلاثة أقسام، ليست خاصة بدلالة الأسماء الحسنى على معانيها، بل هي عامة في جميع الألفاظ بالنسبة لمدلولاتها، وضابط ذلك أن الدلالة نوعان: لفظية وعقلية: فاللفظية إما أن تعطي الألفاظ كل ماتناولته من المعاني والأوصاف، فتسمى دلاله مطابقة، لأن اللفظ طابق المعنى من غير زيادة ولا نقص، وإما أن تعطي الألفاظ بعض ماتناولته من المعاني، فتسمى دلالة تضمن، لأن المعنى بعض اللفظ وأدخل فيه.

أما الدلالة العقلية فهي خاصية العقل والفكر، لعدم دلالة اللفظ بمجرده عليها، وإنما ينظر إلى العقل في ذلك المعنى الذي دل عليه اللفظ، ومايلزمه من المعاني الخارجية، ومايشترط له من الشروط التي لا يتم بدونها، فهذه قاعدة أصوليه تجري في جميع الألفاظ، وتعتبر في كل موضع.

وهذا التقسيم لدلالات الألفاظ الذي جاء به في هذا الموضع هو في الأصل تقسيم المناطقة لدلالات الألفاظ وهو تقسيم صحيح، وإنما جاء به المؤلف هنا للرد على معطلة الأفعال المنكرين لأفعاله الاختيارية وهم الأشاعرة، وللرد أيضًا على المعتزلة المنكرين لصفات الله تعالى.

انظر: التوضيح المبين (ص١٥٩).

فصل

في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين(١)

أسماؤه أوصاف مدح كلها	مشتقة قد حملت لمعان
إياك والإلحاد فيها إنه	كفر معاذ الله من كفران
وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالـ	إشراك والتعطيل والنكران
فالملحدون إذا ثلاث طوائفٍ	فعليهم غضب من الرحمن
المشركون لأنهم سموا بها	أوثانهم قالوا إله ثان
هم شبهوا المخلوق بالخلاق عكـ	ـس مشبه الخلاق بالإنسان
وكذاك أهل الإتحاد فإنهم	إخوانهم من أقرب الإخوان
أعطوا الوجود جميعه أسماءه	إذ كان عين الله ذي السلطان
والمشركون أقل شركًا منهم	هم خصصوا ذا الاسم بالأوثان
ولذاك كانوا أهل شرك عندهم	لو عمموا ما كان من كفران

ذكر الناظم في أول الأبيات أن أسماءه سبحانه أوصاف مدح، فهي أعلام وأوصاف، والوصف فيها لا ينافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة ففاتتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى.

قوله: «مشتقة.......» إلخ أي إذا أطلق الاسم عليه تعالى جاز أن يشتق منه

---

(١) المقصود من هذا الفصل حفظ أسماء الله تعالى و أوصافة عن أن تحرف أو تغير أو ينقص منها شيء، أو يبخس من كمال أوصافه شيء، أو تعطل أو تمثل، والأصل الجامع لهذا كله هو أول بيت ذكره الناظم تحت هذا الفصل. انظر: التوضيح المبين (ص١٧٠).

المصدر، أوالفعل فيخبر عنه فعلًا و مصدرًا، نحو السميع البصير القدير، يطلق عليه منه اسم السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة:١]، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات:٢٣]، هذا إذا كان الفعل متعديًا، فإن كان لازمًا لم يخبر عنه به نحو الحي، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال حي(١).

كذا أفاده الناظم في بدائع الفوائد(٢).

وينبغي أن يعلم أن الأسماء الحسنى لها اعتباران: اعتبار من حيث الأسماء، واعتبار من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة والله أعلم(٣).

قوله:

إيــــاك والإلحـــــاد فـيــهـــا... ....إلخ

اعلم أن الإلحاد في أسمائه سبحانه: هو العدول بها وبجهاتها ومعانيها عن الحق الثابت لها (ع/٢/١٤٣أ)، وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادة لحد، ومنه اللحد، وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل(٤).

---

(١) قال شيخنا: «الفرق بين ذلك أن السمع يدل على صفة ذاتية وفعلية، والحي يدل على صفة ذاتية فقط» اهـ. فلايقال مثلًا: حيِيَ.

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٧٠).

(٣) معنى ذلك: أن الأسماء الحسنى لها أحكام مشتركة من جهة الاشتقاق، ومن جهة العلمية، ومن جهة الحُسْنِ والجمال الذي يشتمل عليه كل اسم، ومن جهة أن جميع تلك الأسماء ترجع إلى الحياة والقيومية، فلو لم يكن سبحانه حيًّا وقيومًا -كما يزعم الملاحدة والنفاة المعطلة من الجهمية وغيرهم- لم ينعت بتلك النعوت الجميلة. وهي -أيضًا- مختلفة من جهة أن كل اسم يدل على معنى يختص به. انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٨٥).

(٤) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٩٧).

قال ابن السكيت[1]: «الملحد المائل عن الحق، المدخل فيه ما ليس منه، ومنه الملتحد وهو مفتعل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف:٢٧]، أي من تعدل إليه وتهرب إليه وتلتجئ إليه وتبتهل إليه غيره، تقول العرب التحد فلان إلى فلان: إذا عدل إليه».

إذا عرف هذا، فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع[2]:

أحدها: أن تسمى الأصنام بها، كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا، وهذا إلحاد حقيقة؛ فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة[3].

قوله:

وكــذاك أهــل الاتحــاد ....إلخ

أي أن أهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود، أعطوا الوجود أسماءه تعالى، والمشركون أقل منهم شركًا؛ لأن المشركين خصصوا العبادة بالأوثان، وهؤلاء عمموا كل شيء بالعبادة.

---

(١) كما نقله عنه ابن منظور في اللسان (١٢/ ٢٤٦).
وابن السكيت: هو يعقوب بن اسحاق بن السِّكِّيت، البغدادي النحوي المؤدِّب، صاحب كتاب «إصلاح المنطق» مات سنة (٢٤٤هـ).
قال ابن خلكان: « السِّكِّيت بكسر السين المهملة والكاف المشددة، وبعدها ياء مثناة من تحتها، ثم تاء مثناة من فوقها، وعرف بذلك، لأنه كان كثير السكوت، طويل الصمت، وكل ما كان على وزن «فعيل» أو «فِعِّليل» فإنه مكسور الأول. انظر: وفيات الأعيان (٦/ ٣٩٥).
(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٩٨).
(٣) لم يذكر المؤلف من أنواع الإلحاد إلا الأول؛ وسترد البقية في الأبيات التالية، والله أعلم.

قالوا: وإنما كانوا مشركين؛ لأنهم خصصوا العبادة ببعض المظاهر، ولو عمموا كل شيء لما كانوا مشركين[(١)] -تعالى الله عن قولهم-:

كما قال في الفصوص[(٢)] -في قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «إنهم لو تركوا عبادتهم لود وسواع ويغوث ويعوق ونسر لجهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء.

ثم قال: فإن للحق في كل معبود وجهًا يعرفه من عرفه ويجهله من جهله فالعالم يعلم من عبد وفي أي صورة يظهر ظهر حتى عبد».

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

والملحد الثاني فذو التعطيل إذ	ينفى حقائقها بلا برهان
ما ثم غير الاسم أوله بما	ينفي الحقيقة نفي ذي بطلان
فالقصد دفع النص عن معنى الحقيـ	ـقة فاجتهد فيه بلفظ بيان
عطل وحرف ثم أول وانفها	واقذف بتجسيم وبالكفران
للمثبتين حقائق الأسماء والـ	أوصاف بالأخبار والقرآن
فإذا هم احتجوا عليك فقل لهم	هذا مجاز وهو وضع ثان
فإذا غلبت عن المجاز فقل لهم	لا يستفاد حقيقة الإيقان
أنى وتلك أدلة لفظية	عزلت عن الإيقان منذ زمان

---

(١) انظر: التوضيح المبين (ص١٧٥).

قال شيخنا: «فالشرك عندهم هو التخصيص» اهـ، فالنصارى واليهود وغيرهم من عباد الأصنام والأوثان، إنما صاروا مشركين لأنهم خصصوا الأصنام بالعبادة، ولو عبدوا كل شيء لكانوا موحدين! نعوذ بالله من الخذلان.

(٢) انظر: فصوص الحكم لابن عربي (ص٦٨-٦٩) مع شرح مصطفى سليمان زادة الحنفي.

فــإذا تــضــافــرت الأدلـــة كــثــرة | وغــلــبــت عــن تــقــريــر ذا ببيان
فـعـلـيـك حـيـنـئـذ بـقـانـون وضـعـ | ـنــاه لــدفــع أدلـــة الــقـــرآن
ولــكــل نــص لــيــس يـقـبـل أن يـؤو | ل بــالمجــاز ولا بمــعــنــى ثــان
قــل عــارض المنقول معقول ومــا الـ | أمـــران عــنــد الــعــقــل يتفقان
مــا ثــم إلا واحـــد مـــن أربـــع | مــتــقــابــلات كــلــهــا بـــوزان
إعـمـال ذيـن أوعـكـسـه أو تلغي المعـ | ـقــول مــا هـــذا بـــذي إمــكــان
العقل أصل النقل وهـو أبـوه إن | تبطله يبطل فــرعــه التحتاني
فـتـعـين الأعـمـال لـلـمـعـقـول والـ | إلغاء للمنقول بالقانون ذي البرهان
إعــمــالــه يــفــضــي إلى إلــغــائــه | فــاهــجــره هــجــر الــتــرك والنسيان
والله لــم نــكــذب عــلــيــهــم إنــنــا | وهــم لــدى الــرحــمــن مختصمان
وهناك يجزي الملحدون ومن نفي الـ | إلحــــاد يجـــزي ثــم بــالــغــفــران
فــاصــبر قــلــيــلًا إنمــا هـي ساعة | يــا مــثــبــت الأوصـــاف للرحمن
فلسوف تجني أجر صبرك حين يجـ | ـني الــغــير وزر الإثــم والــعــدوان
فــالله ســائــلــنــا وســائــلــهــم عــن الـ | إثــبــات والــتــعــطــيــل بــعــد زمــان
فــأعــد حــيــنــئــذ جـــوابًـــا كــافــيًــا | عــنــد الــســؤال يــكــون ذا تبيان

قوله:

والملحد الثاني فذو التعطيل | .... إلخ

هذا إلحاد الطائفة الثانية من الملحدين، وهو إلحاد أهل التعطيل الذين عطلوا الأسماء الحسنى من معانيها، وجحدوا حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معان، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد.

ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به.

وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلًا وشرعًا ولغة وفطرة، وهو مقابل لإلحاد المشركين[١]؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحدٌ في أسمائه.

ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فيهم الغالي والمتوسط والمتلون[٢]، وكل من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله، فقد ألحد في ذلك، فليستقل (ع/ ٢/ ١٤٥أ) أو ليستكثر[٣].

قوله:

فالقصد دفع النص عن معنى الحـ قيقة..............................

أي أن هذا القسم من الملحدين[٤]، قصدهم دفع النص عن معنى الحقيقة بالتحريف، والتعطيل، والنفي، وقذف المثبتة، ونبزهم بالتجسيم ورميهم بالكفر.

ويقولون: إذا احتجتْ المثبتة[٥] عليك بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، فادفعها بضروب من الدفع، مثل دعوى أنها مجاز، فإذا غُلِبْتَ على المجاز فقل: هي أدلة لفظية لا تفيد العلم واليقين.

فإذا تكاثرت الأدلة وتضافرت، فعليك بالقوانين الموضوعة لدفع أدلة القرآن، ولكل نص لا يقبل التأويل، وقل عارض المنقول معقول.

---

(١) وهم أصحاب النوع الأول من الإلحاد الذين عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.
(٢) المتلون هو الأشعري، ويقصد بالمتوسط: المعتزلي، والله أعلم.
(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٩٨).
(٤) وهم المعطلة.
(٥) لأنهم عرفوا أن نصوص الكتاب والسنة مع أهل السنة دون غيرهم من أهل البدع.

وإذا تعارض العقل والنقل، فما ثم إلا واحد من أربع: إما أن نعملها، وإما أن نهملها، وإما أن نعمل النقل ونلغي العقل، وهو غير ممكن؛ لأن العقل أصل النقل والنقل فرعه، فإن أبطلناه أبطلنا النقل؛ لأنا صدقنا النقل به، فإعماله يفضي إلى إلغائه فتعين الإعمال للمعقول، وإلغاء المنقول بالقانون ذي البرهان.

وقد بسط شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ الكلام على هذا أتم بسط، في أول كتاب درء تعارض العقل والنقل، فارجع إليه إن شئت، وكذا العلامة الناظم فإنه بسط ذلك، وأطنب في كتابه الصواعق المرسلة[1].

۞۞۞

قال الناظم:

هـذا وثـالـثـهـم فـنـافـيـهـا ونـا	في مـا تـدل عـلـيـه بـالـبـهـتـان
ذا جـاحـد الـرحـمـن رأسـا لم يقر	بخـالـق أبـدًا ولا رحـمـن
هـذا هـو الإلحـاد فـاحـذره لعـ	ـل الله أن يـنـجـيـك مـن نـيران
وتـفـوز بـالـزلـفـى لـديـه وجـنـة الـ	ـمـأوى مـع الـغـفـران والـرضـوان
لا تـوحـشـنـك غـربـة بـين الـورى	فـالـنـاس كـالأمـوات في الجبان
أو مـاعـلـمـت بـأن أهـل الـسـنـة الـ	ـغـربـاء حـقًّـا عـنـد كـل زمـان
قل لـي متى سلم الـرسـول وصحبه	والـتـابـعـون لهـم عـلـى الإحـسـان
مـن جـاهـل ومـعـانـد ومـنـافـق	ومحـارب بـالـبـغـي والـطـغـيـان
وتـظـن أنـك وارث لهـم ومـا	ذقـت الأذى في نـصـرة الـرحمـن
كـلا ولا جـاهـدت حـق جـهـاده	في الله لا بـيـدٍ ولا بـلـسـان

---

(١) انظر الصواعق المرسلة (٣/ ٧٩٦)، التوضيح المبين (ص١٧٦-١٧٨).

منتك والله المحال النفس فاسـ ـتحدث سوى ذا الرأي والحسبان

لو كنت وارثه لآذاك الألى ورثوا عداه بسائر الألوان

(ع/ ٢/ ١٤٦ب)

ذكر في هذا الفصل إلحاد الطائفة الثالثة من أهل الإلحاد، وهو إلحاد النفاة[(١)] الجاحدين لله ولكتبه ورسله، وهذا هو الإلحاد[(٢)] حقًّا كما قال الناظم، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

ثم شرع الناظم في تعزية أهل السنة، وأنهم هم الغرباء في كل زمان ولقد أحسن القائل[(٣)]:

قد عرف المنكر واستنكر المعروف في أيامنا الصعبه

وصار أهل العلم في وهدة وصار أهل الجهل في رتبه

فقلت للأبرار أهل التقى والدين لما اشتدت الكربه

لا تنكروا أحوالكم قد أتت نوبتكم في زمن الغربه

وللحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب كتاب كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة[(٤)].

---

(١) قال شيخنا: «الملحدون ثلاث طوائف: النفاة، والمعطلة، وأهل الإشراك، وهم الاتحادية والمشركون».

(٢) هؤلاء هم النافون لأسماء الله تعالى، النافون لما تدل عليه من صفات الكمال بالبهتان والقول الباطل، وهؤلاء هم الجهمية أتباع الجهم بن صفوان، والفلاسفة أشياع أرسطو وغيره من حكماء اليونان، وهؤلاء جاحدون لوجود الخالق وربوبيته وأوصافه المقدسة، ولا يعقل وجود ذات في الخارج بلا اسم ولا صفة، وإنما يقدر ذلك في الأذهان. انظر: توضيح المبين (ص١٨٣)، شرح النونية لهراس (٢/ ١٣٠).

(٣) القائل هو أبو الفتح محمد بن علي بن دقيق العيد القشيري.
انظر: الحاوي للفتاوي للسيوطي (ص١٨٤)، سبل الهدى والرشاد للصلحي الشامي (١/ ٣٦٩).

(٤) وهو شرح لحديث «بدأ الإسلام غريبًا...»، انظر معجم الكتب ليوسف بن حسن بن عبدالهادي الدمشقي (ص١١٣).

فصل

في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين(١)

هـذا وثـانـي نـوعـي الـتـوحـيـد تو ... حـيـد الـعـبـادة مـنـك للرحمن

أن لا تـكـون لـغـيره عـبـدًا ولا ... تَـعْـبُـدْ بـغـير شـريـعـة الإيـمـان

فـتـقـوم بـالإسـلام والإيمـان والـ ... إحـسـان في سـر وفي إعـلان

والصدق والإخلاص ركنا ذلك التـ ... ـوحيد كالركنين للبنيان(٢)

وحقيقة الإخلاص توحيد المرا ... د فلا يزاحمه مراد ثان(٣)

(١) هذا النوع هو زبدة ما أرسل الرسل من أجله، وهو توحيد العبادة، فإن كل نبي بعثه الله -تعالى- إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله -تعالى- وحده وترك عبادة ماسواه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وكل نبي يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وهو الذي خلق الخلق لأجله، وأمرهم به على ألسنة رسله، وشرع الجهاد لإقامته، وجعل الثواب في الدنيا والآخره لمن حققه، وبه يظهر الفرق بين أهل السعادة وأهل الشقاء، وعلى العبد أن يبذل جهده في معرفته وتحقيقه من كل وجه، فيعرف حده وتفسيره، ويعرف حكمه ومرتبته، ويعرف آثاره ومقتضياته، ويعرف شواهده وأدلته وبراهينه وحججه التي تؤيده وتنميه وتقويه، ويعرف شروطه ومكملاته، ويعرف نواقضه ومفسداته؛ لأنه الأصل الأصيل الذي لاتصح الأصول إلا به، فكيف بالفروع؟ وأُفضل ما أفرد بالتأليف في ذلك على الإطلاق هو كتاب التوحيد لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبدالوهاب التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ. انظر: التوضيح المبين (ص١٨٥-١٨٦).

(٢) في الهامش (ع) بغير خط المؤلف «الفرق بين الصدق والإخلاص، أن للعبد مطلوبًا وطلبًا، فالإخلاص أن لايكون المطلوب منقسمًا، والصدق أن لايكون الطلب منقسمًا، والصدق بذل الجهد، والإخلاص في إفراد المطلوب. اهـ.

وهو من كلام الناظم في مدارج السالكين (١/ ١١٠) لكنه قال: «فالإخلاص توحيد مطلوبه، والصدق توحيد طلبه».

(٣) المراد هنا هو الله تعالى.

لكن مراد العبد يبقى واحدًا ... ما فيه تفريق لدى الإنسان

إن ربك واحدًا سبحانه ... فاخصصه بالتوحيد مع إحسان

أو كان ربك واحدًا أنشاك لم ... يشركه إذ أنشاك رب ثان[(١)]

فكذاك أيضًا وحده فاعبده لا ... تعبد سواه يا أخا العرفان

والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ... ل الجهد لا كسلا ولا متوان

والسنة المثلى لسالكها فتو ... حيد الطريق الأعظم السلطان

فلواحدٍ كن واحدًا في واحدٍ ... أعني سبيل الحق والإيمان

هذي ثلاث مسعدات للذي ... قد نالها والفضل للمنان

فإذا هي اجتمعت لنفس حرة ... بلغت من العلياء كل مكان

لله قلب شام هاتيك البرو ... ق من الخيام فهم بالطيران

لولا التعلل بالرجاء تصدعت ... أعشاره كتصدع البنيان

(ع/٢/١٤٧أ)

وتراه يبسطه الرجاء فينثني ... متمايلا كتمايل النشوان

ويعود يقبضه الإياس لكونه ... متخلفًا عن رفقة الإحسان

فتراه بين القبض والبسط اللذا ... ن هما لأفق سمائه قطبان

وبدا له سعد السعود فصار مسـ ... ـراه عليه لا على الدبران

لله ذياك الفريق فإنهم ... خصوا بخالصة من الرحمن

شدت ركائبهم إلى معبودهم ... ورسوله يا خيبة الكسلان

شرع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في النوع الثاني من توحيد الأنبياء والمرسلين، وهو توحيد العبادة.

---

(١) في هامش (ع) تعليق للعنقري في شرح هذا البيت، لكنه غير واضح.

والعبادة في اللغة: الذل يقال: بعير معبد أي مذلل، وطريق معبد إذا كان مذللًا قد وطئته الأقدام[(١)].

وأما العبادة في اصطلاح العلماء: فقد عرفها طائفة بقولهم العبادة: «ما أمر به شرعًا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي»[(٢)]، وعرفها طائفة بأنها: «كمال الحب مع كمال الخضوع»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام[(٤)]: «هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم المسكين والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والشكر لنعمه، والرضى بقضائه والتوكل عليه، والرجاء لرحمته والخوف من عذابه، وأمثال ذلك، فالدين كله داخل في العبادة» انتهى.

وكل هذه التعريفات للعبادة معناها واحد. وإذا عرفت معنى العبادة، فاعلم أن التوحيد نوعان:

١- توحيد في المعرفة والإثبات: وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

---

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر ابن الأنباري (٢/ ١٢٢)، تاج العروس (٨/ ٢٤٠).

(٢) هو قول أبي البقاء كما نقله عنه ابن مفلح في الفروع (١/ ١١)، والبهوتي في شرح منتهى الإرادات (١/ ٢٤٠) وكشاف القناع (١/ ٨٥)، والرحيباني في مطالب أولى النهى (١/ ٥٥٦).

(٣) هذا التعريف ذكره ابن القيم في الجواب الكافي (ص١٦٤).

(٤) كما في مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

٢- وتوحيد في الطلب والقصد: وهو توحيد الإلهية والعبادة.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[(١)]: «وأما التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب فهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد:

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره (ع/٢/١٤٨ب) وحكمته، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح، كما في أول الحديد وسورة طه وآخر الحشر، وأول تنزيل السجدة وأول آل عمران وسورة الإخلاص بكمالها وغير ذلك.

النوع الثاني: ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:٦٤] الآية، وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها، وأول سورة المؤمن ووسطها وآخرها وأول سورة الأعراف وآخرها وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد،شاهدة به داعية إليه.

فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته وأمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ويكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء أهل توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٦٨).

بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب،فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم» انتهى.

قال شيخ الإسلام[1]: «التوحيد الذي جاء به الرسول، إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله، فلا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يوالي إلا له ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله؛ وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل:٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف:٤٥]، وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة:٤]، وقال عن المشركين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات:٣٦].

وهذا في القرآن كثير.

وليس المراد (ع/٢/١٤٩أ) بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية: وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء

---

(١) في «درء التعارض» (١/ ٢٢٤).

أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل، فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد؛ فإن الرجل لو أقر بما يستحق الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما يتنزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء؛ لم يكن موحدًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له، والإله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع، فإذا فسر المفسر الإله: بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه[1]، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦].

قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات والأرض فيقولون: الله وهم مع هذا يعبدون غيره، قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٤]، فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابدًا له دون ما سواه، داعيا له دون ما سواه، راجيًا له خائفًا منه دون ما سواه، يوالي فيه ويعادي فيه، ويطيع رسوله ويأمر بما أمر به وينهى عما نهى عنه.

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٢٢٦).

وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء، وابتغوا الشفعاء الذين يشركونهم به، وجعلوا له أندادًا، قال الله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الزمر:٤٣-٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام:٩٤] (ع/٢/ ١٥٠ب)، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها ويصوم وينسك لها، ويتقرب إليها،ثم يقول: إن هذا ليس بشرك إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي، فإذا جعلتها سببًا وواسطة لم أكن مشركًا. ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك» انتهى كلامه.

قوله:

والصدق والإخلاص ركنا ذلك الـ توحيد................................

جعل الإخلاص أحد ركني توحيد العبادة، والصدق ركنه الآخر، وفسر الصدق بما ذكر.

وقال الناظم في بعض كلامه[1]: «ومقام الصدق جامع للإخلاص والعزم

(١) مدارج السالكين (١/ ١٣٧).

فباجتماعهما يصح له مقام الصدق....... »، فظهر من كلامه أن توحيد العبادة أعم من الإخلاص.

قوله: (فلواحد..) يريد به الإخلاص لله الواحد، وهذا هو توحيد المراد.

قوله: (كن واحدًا...) يريد به الصدق وهو توحيد الإرادة.

قوله: (في واحد...) يريد به توحيد الطريق وهو اتباع الكتاب والسنة. وذلك معنى قوله:

والسنة المثلى لسالكها فتوحيد الطريق........................إلخ

قوله: (شــام.....) هو فعل ماض، يقال:شام يشيم شيمًا، إذا نظر من بعد[1].

قوله: (تصدعت أعشار.....) إلخ[2].

---

(١) في الهامش (ع) بخط المؤلف (بلغ قراءة على المؤلف عفا الله عنه)..

(٢) في الهامش (ع) يعلق العنقري بقوله هنا: «قلت: قال في القاموس: أعشاره: أجزاءه».
والشارح هنا لم يستوف جميع الأبيات، وسأشرح هنا الأبيات التي لم يعرج عليها الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فأقول:
قول الناظم:

هــذا وثــاني نــوعي التوحيد توحيد العبادة منك للرحمن

إلى قوله:

.... كالركنين للبنيــان

فيجب أن يعلم أن الله تعالى هو المألوه المعبود على الحقيقة، فيفرده بأنواع العبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيؤدي ما افترضه الله عليه من الأعمال الظاهرة من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها من أعمال الإسلام الظاهرة التي يكون بها مسلمًا، كما يجب عليه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك، مع الالتزام بما أوجب الله عليه، وترك ماحرم الله -تعالى- بالإحسان كالقيام بحقائق العلم والإيمان والأعمال الصالحه، وهي روحها ولبها المقصود منها، فيقوم بذلك كله خالصًا لوجه الله تعالى متابعًا فيه سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. =

= وهذان الركنان: الإخلاص والمتابعة، شرطان لصحة كل عبادة ظاهرة أو باطنة، وكل عبادة خلت منها أو أحدهما فهي باطله، لايعتد بها كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾.

وحقيقة هذا التوحيد أنه يسمى توحيد الألوهية بالنسبة إلى وصف الله المقتضي لأن يكون المحبوب المألوه المعظم المعبود وحده، ويسمى توحيد العبادة بالنسبة الى وصف العبد، الذي هو إخلاص جميع العبادة التي شرعها الله ورسوله، فالإلهيه وصف الله تعالى، والعبودية وصف العبد، وقد جمع الله تعالى بينهما بقوله: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾.

إذا علمنا أن هذا حده وتفسيره، فمن المعلوم أن الداخلين في هذا الاسم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا، وأنه بحسب قيام العبد بالإسلام والإيمان والإحسان والأعمال الصالحه علمًا وعملًا وحالًا تكون مرتبة العبد في التوحيد وثمراته، وكل شر في الدنيا والآخره فمن آثار ترك التوحيد.

ثم فسر المؤلف الإخلاص والمتابعة فقال:

«وحقيقة الإخلاص التوحيد المراد...» إلخ، يعني أن حقيقة الإخلاص أن يوحد العبد مراده ومقصوده، فتكون نيته وإرادته متعلقه بالله وحده لاشريك له، فلا يكون لهذا المراد مزاحم يزاحمه من الأغراض النفسية، بل يكون وصف العبد: الإخلاص لله على الدوام، ويقوم بها يقوم به من الأعمال مستحضرًا لهذا المعنى الشريف، خاليًا من الرياء والمقاصد المخالفة لهذا المقصود، وبهذا يكون العمل صالحًا مقبولًا مثمرًا للثواب.

ثم ذكر نموذجًا من الأدله الداله على التوحيد والعبادة فقال:

«وإن كان ربك واحدًا...» إلخ يعني إذا كنت مقرًا بأن ربك واحد فهو الخالق الرازق المربي لك ولسائر المخلوقات، بالتوحيد والأعمال الصالحه، وإذا علمت أنه الذي أنشأك وحده من غير مشارك له ولا معاون، فكذلك اعبده وحده لاتعبد غيره ممن لم يكن كذلك.

وكثيرًا مايذكر الله -تعالى- في كتابه اعتراف المشركين بربوبيتة الله، فيلزمهم بهذا الاعتراف أن يعبدوه وحده لاشريك له، كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ فإذا كان من المعلوم المتقرر عند كل أحد حتى المشركين بأن الله هو الخالق وحده المدبر لجميع الأمور، وكل ماسواه مخلوق مدبر، فإن العقل والفطرة يجزمان بتعيين عبادة الله وحده، وأنه المستحق للعبادة دون سواه، ممن لايملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولا له من الكمال مايقتضي أن يعبد لأجله.

وقوله: «والصدق توحيد الإرادة...» إلخ، يعني أن التوحيد لا يتم إلا بثلاثة أمور:

توحيد المراد وهو الإخلاص وقد تقدم، وتوحيد الإرادة بأن لاتكون الإراده منقسمة، وتوحيد الطريق وهو اتباع السنه ظاهرًا وباطنًا. =

= وقوله: «فلواحدٍ كن واحدًا في واحد...» إلخ، كن مخلصًا لله تعالى، ومجتمع الإراده والقصد والعمل، وهو الصدق، ومتابعًا للكتاب والسنة؛ فإن هذا هو سبيل الحق والإيمان، وماسواه من الطرق فإنها طرق الغي والضلال والكفر والوبال.

وقوله: «هذي ثلاث مسعدات للذي...» إلخ، يعني إذا اجتمعت له هذه الأمور الثلاثة بأن يكون خلقه ووصفه، وأعماله مقرونة به، والصدق والاجتهاد قرينه وحامله، واتباع الرسول ﷺ طريقه فهو السابق حقًّا، فقد حصلت له السعادة و الفلاح والفوز والأرباح، فإن تخلف العبد وحرمانه مداره على فقد واحد من هذه الثلاثة أو اثنين أو كلها.

وقوله:

لله قلب شام هاتيك البروق ....

يتعجب المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويستعظم من قلب مَنَّ الله عليه بالتحقق بالصدق والإخلاص والمتابعة، حتى صارت له نعتًا، وصارت رغبته كلها في مراضي ربه في كل الوقت، فكلما بدا له منزلة من منازل السائرين وخصلة من خصال العاملين بادر إليها شوقًا ومحبة، وانقاد لها طوعًا واختيارًا، بمنزلة من طالع البروق من خيام الأحبة على بعد، فصار قلبه ينازعه حتى يكاد بهم أن يطير إلى أحبائه ويتمتع بلقائهم الذي هو ألأذ -من الفعل لاذ، ألوذ- للمحبين، يمر عليهم من أرواحهم، فلولا أن المحب يتعلل بقرب اللقاء ويحدث نفسه باجتماعه بأحبته لتصدعت أعشار قلبه، أي جوانبه كتصدع الحيران الذي حيره الحب وذهب بشعوره.

كذلك المحب لله -تعالى- يجهد نفسه في مراضيه حتى تنمو محبة الله في قلبه، ويحدث له الشوق والقلق، فلولا أنه يلاطف نفسه برجاء اللقاء لذابت نفسه واحترق لبه، ثم إذا نظر إلى نفسه وتقصيره وتخلفه عن رفقة السابقين قبضه اليأس، فتجده بين الخوف والرجاء فيرجو العبد قبولها وتقريبها لربه، ويخاف من ردها وعدم القيام بها وبحقوقها.

إن نظر إلى رحمة الله ولطفه انفتح له باب الرجاء والطمع، وإن نظر الى تقصيره ومايستحقه الله من العبودية التي لا يمكن القيام بها أحدث له القبض، وباعتدال الخوف والرجاء يعتدل سير العبد؛ فإذا رجح جانب الرجاء خيف من الأمن من مكر الله، وحصل الشطح الذي لايليق بالمخلوق، وإن رجح جانب الخوف خيف عليه منه باليأس والقنوط من رحمة الله.

وهذه المراتب الثلاث: المحبة والخوف و الرجاء أصل أعمال القلوب، وبها تستقيم الأعمال الظاهرة والباطنة، كما جمعها الله تعالى في قوله: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾. =

= وقول الناظم: «وبدا سعد السعود...» يحتمل بأن مراده بهذا التشبيه أن سير هذا الفريق لما كان مصاحبًا للخوف والرجاء، وكانت روحه المحبة كان سيرًا محمودًا مآله إلى الفرح والعلو وحصول الأرباح، بخلاف من كان سيره سير الباطلين أهل الكسل، فإن سيرهم إلى وراء، قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

ويحتمل أنه أراد بسعد السعود السير على متابعه الرسول والإقتداء بهديه، وتجنب السير على الدبران، كالسير خلف كل من خالف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: «لله ذيَّاك الفريق...» هذا تصغير يراد به التعظيم والتعجب من حسن حالهم، وعلو قدرهم، والفريق هم الموصوفون بتلك الصفات الحميدة وهم الذين أخلصهم الله من كل كدر واختصهم بولايته كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ أي جعلنا ذكر الدار الآخرة في قلوبهم والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبه وصفهم الدائم.

وقوله: «شدت ركائبهم إلى معبودهم...» هذا هو الإخلاص لله ورسوله بالمتابعة.

ويا خيبة الكسلان الذي تخلف عن فريقهم ولم يسلك مسلكهم في طريقهم.

انظر: التوضيح المبين (ص١٨٦-١٩٨).

فصل

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ... ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا كا ... ن من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ... ويحبه كمحبة الديان
والله ما ساووهم بالله في ... خلق ولا رزق ولا إحسان
فالله عندهم هو الخلاق والر ... زاق مولى الفضل والإحسان
لكنهم ساووهم بالله في ... حب وتعظيم وفي إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما ... جعلوا المحبة قط للرحمن
لو كان حبهم لأجل الله ما ... عادوا أحبته على الإيمان
ولما أحبوا سخطه وتجنبوا ... محبوبه ومواقع الرضوان
شرط المحبة أن توافق من ... تحب على محبته بلا عصيان
(ع/٢/١٥١أ)
فإذا ادعيت له المحبة مع خلا ... فك ما يحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعي ... حبًا له ما ذاك في إمكان
وكذا تعادي جاهدًا أحبابه ... أين المحبة يا أخا الشيطان
ليس العبادة غير توحيد المحب ... ة مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقه فيما يحب ... وبغض ما لا يرتضي بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره ... والقصد وجه الله ذي الإحسان
هذا هو الإحسان شرط في قبو ... ل السعي فافهمه من القرآن[1]

(١) المقصود بالإحسان هنا: المتابعة.

والإتبـاع بـدون شـرع رسـولـه ... عين المحـال وأبطـل البطلان
فإذا نبذت كتابه ورسوله ... وتبعت أمر النفس والشيطان
وتخذت[1] أندادا تحبهم كحب ... الله كنت مجانب الإيمان
ولقد رأينا من فريق يدعي الـ ... إسلام شركًا ظاهر التبيان
جعلوا له شركاء والوهم وسو ... وهم به في الحب لا السلطان
والله ما ساووهم بالله بل ... زادوا لهم حبًا بلا كتمان
والله ما غضبوا إذا انتهكت محا ... رم ربهم في السر والإعلان
حتى إذا ما قيل في الوثن الذي ... يدعونه ما فيه من نقصان
فأجارك الرحمن من غضب ومن ... حرب ومن شتم ومن عدوان
وأجارك الرحمن من ضرب وتعـ ... ـزير ومن سب ومن سجان
والله لو عطلت كل صفاته ... ما قابلوك ببعض ذا العدوان
والله لو خالفت نص رسوله ... نصًا صريحًا واضح التبيان
وتبعت قول شيوخهم أو غيرهم ... كنت المحقق صاحب العرفان
حتى إذا خالفت آراء الرجا ... ل لسنة المبعوث بالقرآن
نادوا عليك ببدعة وضلالة ... قالوا وفي تكفيره قولان
قالوا تنقصت الكبار وسائر الـ ... ـعلماء بل جاهرت بالبهتان
هذا ولم نسلبهم حقًا لهم ... ليكون ذا كذب وذا عدوان
وإذا سلبت صفاته وعلوه ... وكلامه جهرًا بلا كتمان

(ع/٢/١٥٢ب)

لم يغضبوا بل كان ذلك عندهم ... عين الصواب ومقتضى الإحسان
والأمر والله العظيم يزيد فو ... ق الوصف لا يخفى على العميان

---

(١) في الأصل «واتخذت...»، وهو خطأ لأنه مكسور، والتصويب من متن النونية.

وإذا ذكرت الله توحيدًا رايـ ـت وجوههم مكسوفة الألوان
بل ينظرون إليك شزرًا مثل ما نظر التيوس إلى عصا الجوبان
وإذا ذكرت بمدحه شركاءهم يستبشرون تباشر الفرحان
والله ما شموا روائح دينه يا زكمة أعيت طبيب زمان

ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الأبيات: الشرك، وذكر أن الله لا يغفره، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨].

قوله:

.... وهو اتخاذ الند للرحمن إلخ

أي أن الشرك: هو اتخاذ ند من دون الله، يدعوه كما يدعو الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويخافه كما يخاف الله، ويحبه كما يحب الله، ونحو ذلك(١).

---

(١) هذا التعريف هو أشهر ما يُعـرَّف به الشرك الأكبر، وهو مقصور على الخلل في العبادة، واقتصر الناظم على هذا النوع من الشرك لكثرة الهالكين فيه، وإلا فإن الشرك الأكبر ليس مقصورًا على الشرك في الألوهية، بل قد يقع السالك في شرك الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات.
والشرك في اللغة يطلق على التسوية بين الشيئين، وله في الشرع معنيان: عام وخاص:
المعنى العام: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سبحانه.
والمعنى الخاص: أنه يندرج تحت التعريف السابق ثلاثة أنواع من الشرك:
الأول: الشرك في الربوبية: وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجاد والإماتة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك. قال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣].
الثاني: الشرك في الأسماء والصفات: وهو تسوية غير الله بالله في شيء منها، والله تعالى يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].
الثالث: الشرك في الألوهية: وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الألوهية، كالصلاة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحو ذلك. ولهذا عرفه بعضهم بأنه: «تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله»، وهذا شامل للشرك في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. انظر: التنبيهات السنية على الواسطية للشيخ عبدالعزيز الرشيد (ص١٢٦).

وهذا هو الشرك الأكبر الذي أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب للنهي عنه وتكفير أهله واستباحة دمائهم وأموالهم.

قوله:

والله ما ساووهم بالله في خلق ....إلخ

أي إن المشركين ما ساووا معبوديهم بالله في الخلق والرزق والإحسان، وإنما ساووهم بالله في المحبة والخوف والرجاء والدعاء ونحو ذلك،كما قال تعالى عن المشركين إنهم يقولون لآلهتهم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨].

ومعلوم أنهم ما ساووهم بالله في الخلق والرزق، وإنما ساووهم به في المحبة والتعظيم، وإلا فهم يعتقدون أنهم مخلوقون مربوبون، كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٤] الآيات. وقال تعالى: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣].

وكان المشركون «يقولون في تلبيهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك»(١)، وقد قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سبأ:٢٢] (ع/ ٢/ ١٥٣أ).

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في شرح المنازل(٢) -في الكلام على هذه الآيات-:

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٠) من طريق حماد بن شعيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان يلبي أهل الشرك:لبيك اللهم..» بقية الأثر، وإسناده ضعيف لحال حماد بن شعيب، ضعفه يحيى بن معين وأبو زرعة.

وقال البخاري: «فيه نظر!!». انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٥) ط. دار الفك، الضعفاء للعقيلي (١/ ٣١١) ط. العلمية.

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤٣).

«وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعًا، يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله وليًّا أو شفيعًا فهو: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت:٤١]، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع، أما مالكًا لما يريد عابده منه؛ فإن لم يكن مالكًا، كان شريكًا للمالك،فإن لم يكن شريكا له كان معينًا وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعا عنده.

فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبًا منتقلًا من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه.

فكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها.

والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه في نوع، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك.

ثم قال: ومن أنواعه -أي الشرك- طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم وهذا أصل شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلًا لمن استغاث به، وسأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده؛ فإنه لا يقدر أن يشفع عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله[1] سببًا لإذنه، وإنما السبب كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها.

وهذه حالة كل مشرك.

فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغير دينه، ومعادات أهل التوحيد، ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأوليائه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص؛ إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه. وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم.

وما نجا من شَرَكِ[2] هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه وإلهه (ع/٢/١٥٤ب) ومعبوده، فجرد حبه لله وخوفه لله، ورجاءه لله وتوكله على الله، واستعانته بالله والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وقصده لله متبعًا لأمره متطلبًا لمرضاته.

إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله، فهو لله وبالله ومع الله» انتهى كلامه.

---

(١) يعني سؤال المخلوق.

(٢) أي حبائل. انظر: القاموس (ص١٢٢٠).

قوله:

ولقد رأينا من فريق يدعي الإسلام............................ الخ

قد ذكر الناظم في شرح المنازل كلامًا كالشرح لكلامه هذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[1]:

«وأما الشرك فهو نوعان أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندًّا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تميت ولا تحيي، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة،كما هو حال مشركي العالم،بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله.

وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده، ويغضبون لتنقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذ انتقص أحد رب العالمين، وإذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوديهم غضبوا غضب الليث إذا ضرب، وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئًا أعرضوا عنه، ولم تتنكر له قلوبهم.

وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة.

وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه،إن قام وإن قعد، وإن عثر وإن استوحى، فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على قلبه

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٨٢).

ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ووسيلته إليه.

وهكذا كان عباد الأصنام سواء.

وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت من الحجر، وغيرهم اتخذها من البشر.

قال تعالى حاكيًا عن أسلاف هؤلاء المشركين: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٣] (ع/٢/١٥٥أ)، ثم شهد عليهم بالكذب والكفر، وأخبر أنه لا يهديهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر:٣]، فهذه حال من اتخذ من دون الله وليًّا يزعم أنه يقرب إلى الله.

وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادي من أنكره، والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم:أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه، وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فإنه يأذن سبحانه لمن يشاء في الشفاعة لهم، حيث لم يتخذوهم شفعاء من دونه، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن له صاحب التوحيد، الذي لم يتخذ شفيعًا من دون الله.

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله: الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده، والشفاعة التي نفاها الله الشفاعة: الشركية في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم، ويفوز بها الموحدون.

فتأمل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي هريرة، وقد سأله من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله**»[(١)] كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله، فقلبَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع.

ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذ وليًّا أو شفيعًا،أنه يشفع له وينفعه عند الله، كما يكون خواص الملوك والولاة؛ تنفع من والاهم، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد في الشفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال تعالى في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وفي الفصل الثاني: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

وبقي فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول، وعن هاتين[(٢)] الكلمتين يسأل الأولون والآخرون:

كما قال أبو العالية: «كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين»[(٣)].

فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك (ع/٢/١٥٦ب) من قلب من وعاها وعقلها: لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من

---

(١) الإيمان لابن منده (٢/ ٨٦٢).

(٢) في (ع، د): «هؤلاء»، والمثبت من المدارج.

(٣) أخرجه ابن جريرفي تفسيره (٧/ ٥٤٨) من طريق حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية بلفظ«يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة: عما كانوا يعملون، وعما أجابو المرسلين»، واللفظ الذي ذكره المؤلف، هو اللفظ المشهور الذي يتناقله أهل العلم في كتبهم، ولم أجده مسندًا، والله أعلم.

القول إلا توحيده واتباع رسوله؛ فإن الله تعالى لا يغفر شرك العادلين به غيره في العبادة والموالاة والمحبة، كما في الآية الأخرى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]، وكما في آية البقرة: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

وترى المشرك يكذب حاله، وعمله قوله، فإنه يقول: لا نحبهم كحب الله ولا نسويهم بالله، ثم يغضب لهم ولحرماتهم إذا انتهكت أعظم مما يغضبه لله، ويستبشر بذكرهم ويتبشبش به، سيما إذا ذكر عنهم ما ليس فيهم من إغاثة اللهفات، وتفريج الكربات، وقضاء الحاجات، وأنهم باب بين الله وعباده.

فترى المشرك يفرح ويسر ويحن قلبه ويهيج منه لواعج التعظيم(١)، والخضوع لهم والموالاة، وإذا ذكرت الله وحده، وجردت توحيده، لحقته وحشة وضيق وحرج، ورماك بتنقص الآلهة التي له، وربما عاداك.

رأينا هذا والله منهم عيانًا، ورمونا بعداوتهم، وبغوا لنا الغوائل(٢)، والله مخزيهم في الدنيا والآخرة، ولم يكن حجتهم إلا أن قالوا كما قال إخوانهم: عاب آلهتنا فقال هؤلاء: «تنقصتم مشايخنا وأبواب حوائجنا إلى الله».

وهكذا قال النصارى للنبي ﷺ -لما قال لهم: إن المسيح عبد-: «تنقصت المسيح وعبته»، وهكذا أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثانًا تعبد ومساجد، وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن الله فيه ورسوله، قالوا: «تنقصت أصحابها».

---

(١) يعني شدة التعظيم.انظر: القاموس (ص٢٦١- مادة لعج).

(٢) **الغوائل:** الدواهي. انظر: القاموس (ص١٣٤٤، ١٦٣١- مادة بغى، غول).
أي: طلبوه وحاولوا إذاءه، فنجاه الله منهم، لأنه كثير الابتهال إلى الله تعالى.

فانظر إلى هذا التشابه بين قلوبهم، حتى كأنهم قد تواصوا به: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧]» انتهى كلامه.

قوله: «الوثن.........» إلخ[١].

قوله: «حرب...» يحتمل أنه يكون بسكون الراء، وهو معروف جمعه حروب ويحتمل أنه بفتح الراء مصدر حرب.

قال في القاموس[٢]: «حرب كفرح: كلب واشتد غضبه، فهو حرب»[٣].

قوله:

.... **مكسوفة الألوان**

هو بالسين المهملة.

قال في القاموس[٤]: «ورجل كاسف البال سيئ الحال وكاسف الوجه عابسه».

---

(١) كذا في (ع، د) لم يشرحها المؤلف، ولعله ذهول منه، و معنى هذا البيت: أن هذا القبوري إذا سمع من أحد الموحدين يتعرض لوثنه الذي يدعوه ويعكف عليه ويصفه بأنه عاجزٌ وناقصٌ، استشاط غضبًا، وأخذته حمية الجاهلية، وهبَّ للانتقام والأخذ بالثأر، ولم يرع في هذا الموحد إلّا ولا ذمة، بل ولا حسن جوار؛ فلا تسأل عما سيفعله بالموحد من أنواع الأذى، مع أن أحدهم لا يغار ولا يغضب إذا انتهكت محارم الله تعالى. انظر: شرح النونية لخليل هراس (٢/ ١٤٠).

(٢) (ص٩٣).

(٣) الراجح أن «حرْب» بسكون الراء، وهي الحرب التي جمعها حروب؛ لأنه ذكر في نفس البيت الغضب، وعطف عليه الحرب، فقال: (فأجارك الرحمن من غضب ومن حرب...) إلخ، والعطف يقتضي المغايرة، ومعنى البيت: غضب عليه، وحاربه بأنواع المحاربه؛ من ضرب، ولكز، وكيد، وشتم، وسب، وغير ذلك من أنواع الأذى.

(٤) القاموس (ص١٢٩٧).

قوله: «الجوبان»[1].

قوله:

شـــــرز.................................. .... إلخ

قال في القاموس[2]: «شزره وإليه يشزره نظر منه في أحد شقيه وهو نظر فيه إعراض أو نظر الغضبان بمؤخر العين (ع/٢/١٥٧أ) أو النظر يمينًا وشمالًا».

(١) بياض في الأصل، وقد علق عليه العنقري لقوله: (هو راعي الغنم)، ومعنى البيت: أنك إذا ذكرت الله -تعالى- ووحدته، تغيرت وجوههم واصفرت، بل نظروا إليك نظر المعرض والمعادي والمبغض لك، بل أحسن أحوالك عندهم أنك مثل راعي الغنم الذي يجوب بها في الصحراء تحقيرًا لك. وهذا يدل على تكبر أهل البدع وتعاليهم على الحق وأهله.

(٢) القاموس (ص٥٣٢).

قال الناظم:

فصل

في صف العسكرين وتقابل الصفين واستدارة رحى الحرب العوان وتصاول الأقران

العوان -بفتح العين-: أي حربًا بعد حرب[(١)].

يا من يشب الحرب جهلا مالكم ... بقتال حزب الله قط يدان

أنى يقاوم جندكم لجنودهم ... وهم الهداة وعسكر القرآن

وجنودكم ما بين كذاب ودجا ... ل ومحتال وذي بهتان

من كل أرعن يدعي المعقول وهـ ... ـو مجانب للعقل والإيمان

قال في القاموس[(٢)]: «الأرعن الأهوج في منطقه الأحمق المسترخي وقد رعن مثلثه رعونة ورعنا محركة وما أرعنه» انتهى.

۞۞۞

أو كل مبتدع وجهمي غدا ... في قلبه حرج من القرآن

أو كل من قد دان دين شيوخ أهـ ... ـل الاعتزال البين البطلان

أو قائل بالاتحاد وأنه ... عين الإله وما هما شيآن

أو من غدا في دينه متحيرًا ... أتباع كل ملدد حيران[(٣)]

---

(١) انظر: ياقوتة الصراط لأبي عمر محمد بن عمر البغدادي المعروف بغلام ثعلب (١/ ١٧٤)، زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن بن سعود اليوسي (١/ ١٨٧) ط. دار الثقافة، لابن سيده (٥/ ١٠٢)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٣٨).

(٢) القاموس (ص١٥٤٩).

(٣) يقول الناظم مخاطبًا فريق المعطلة المحاربين لأهل الإثبات: لا طاقة لكم بقتال حزب الله تعالى، =

وجنودهم جبريل مع ميكال مع باقي الملائك ناصري القرآن(١)

وجميع رسل الله من نوح إلى خير الورى المبعوث من عدنان

فالقلب خمستهم أولو العزم الألى في سورة الشورى أتوا ببيان

في أول الأحزاب أيضًا ذكرهم هم خير خلق الله من إنسان

قوله:

في سورة الشورى........ ....إلخ

في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى:١٣] الآية، وفي الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب:٧] الآية.

۞۞۞

ولواؤهم بيد الرسول محمد والكل تحت لواء ذي الفرقان

وجميع أصحاب الرسول عصابة الـ إسلام أهل العلم والإيمان

=وكيف تستطيع جنودكم منازلتهم وهم ليسوا أقرانهم، ولاشك أنهم ليسوا متكافئين في القوة، لأن جنود أهل الإثبات هم أعلام الهدى وعسكر الإيمان وجنود الرحمن الذابون عن دينه بالسيف واللسان.

وهؤلاء هم الغالبون لأنهم حزب الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

أما جنود أهل التعطيل فما لهم إما كذاب أو دجال أو محتال أو أحمق أو مبتدع من أهل التجهم أو الاعتزال، أو خرافي يعتقد بالحلول أو الاتحاد، أو فيلسوف صاحب شك وحيرة لا يدري أهو على حق أو على باطل.

فكل من اتصف بهذه الصفات فهو إلى الخذلان أقرب منه إلى النصر.

انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ١٤٣)، وشرح النونية لابن عثيمين (٤/ ٣٦).

(١) إنما خص جبريل وميكائيل أولًا بالذكر لأنهما الأميران المطاعان، ومن عداهما من الملائكة تبع لهما. انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ١٤٤).

والتابعون لهم بإحسان على	طبقاتهم في سائر الأزمان
أهل الحديث جميعهم وأئمة الـ	ـفتوى وأهل حقائق العرفان
العارفون بربهم ونبيهم	ومراتب الأعمال في الرجحان
صوفية سنية نبوية	ليسوا أولي شطح ولا هذيان(١)
هذا كلامهم لدينا حاضر	من غير ما كذب ولا كتمان
فاقبل حوالة من أحال عليهم	هم أمليا وهم أولو إمكان

أي إن كلام المذكورين لدينا حاضر، وقد أحلنا كم عليه، فأقبل أيها المحال الحوالة كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أحيل على مليئ فليتبع**»(٢).

۞۞۞

---

(١) مراد الناظم -كما هو ظاهر- أهل الاستقامة في الزهد، ولم يرد أهل الشطح من الصوفية؛ لأنه قال آخر البيت:

.... **ليسوا أولي شطح ولا هذيان**

وابن القيم يحسن الظن بشيوخ الصوفية المتقدمين ويقصد بهم العباد، ويرى أنهم من أهل على عقيدة أهل السنة، واحتج بأقوالهم في اجتماع الجيوش الإسلامية وغيره، وقبله شيخ الإسلام ابن تيمية الذي احتج بأقوالهم في عدد من كتبه، وطريقة شيخ الإسلام الذي تبعه فيها ابن القيم أنه يحتج بأقوال المتقدمين من أي طائفة للرد على متأخريهم؛ لأن الانحراف في المتأخرين كثير.
وقد غلب في كلام كثير من العلماء تسمية بعض الزهاد المشهورين بالزهد صوفية مثل معروف الكرخي وإبراهيم بن أدهم وغيرهم، لوجود تراجمهم في كتب الصوفية، مثل ما فعل أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء الذي ترجم فيه لكثير من أهل العلم والزهد في حلية الأولياء وعدهم من الصوفية، وفيهم مثل سفيان الثوري وابن عيينة وغيرهم ممن لاينتمون للصوفية لا من قريب ولا من بعيد.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١١٩٧) من حديث أبي هريرة برقم (١٥٦٤)، والبخاري في كتاب الحوالات (٢/ ٦٧٥) باب في الحواله برقم (٢٢٨٧).
ومراد الناظم هنا:أن كلام هؤلاء الأخيار في إثبات صفات الله -تعالى- موجود عندنا بالنقل الصحيح عنهم، لم يفتروا فيه على الله -تعالى- الكذب ولم يكتموا منه شيئًا، فإذا أُحِلَت على =

فــإذا بـعـثـنـا غــارة مــن أخـريــا ت الـعـسـكـر المـنـصـور بـالـقـرآن

طحنتكم طحن الرحى للحب حتـ ـى صـرتم كـالـبـعـر في القيعان

أنــى يـقـاوم ذا الـعـسـاكـر طمطم أو تـنـكـلـوشـا أو أخـو الـيـونـان(١)

=أحد منهم فاقبل تلك الحوالة ولاترفضها، فإنها حوالة على غني مليء، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «من أحيل على مليء فليتبع».

وكلام هؤلاء الأئمة الكبار في الصفات موجود في كتاب الفتوى الحموية لابن تيمية، واجتماع الجيوش للناظم، والعلو والعرش كلاهما للذهبي، فمن أراد أن يعرف عقيدتهم، ويقف على ما خلفوه في هذا الباب من آثار وأقوال، فليرجع لهذه الكتب وأمثالها.

انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ١٤٥-١٤٦).

(١) أي: لو بعثنا بغارة على أهل التعطيل لامن قلب الجيش المنصور ومقدمته، بل من ساقته ومؤخرته،لمزقتهم شر ممزق، ولفرستهم بأنيابها حتى تذرهم كعصف مأكول، وكيف يستطيع هؤلاء الأوباش من التتار أتباع هولاكو وجنكيزخان من أمثال طمطم الهندي وتنكلوشا ونحو ذلك من أسماء أهل الجهل والعدوان أن يقاوموا هذا العسكر المتسلح بنصوص الكتاب والسنة؟ أم كيف يستطيع مقاومتهم عباد الأصنام والأوثان من أمثال أرسطو اليوناني الفيلسوف، أو الفارابي الذي تلقى علومه عن الصائبة - كما سيأتي تعريفه في كلام الشارح؟

وطمطم الهندي أحد فلاسفة الهند، له منظومة في علم (الزايرجة) لعلها في الفلسفه أو المنطق، ذكر جلال شوقي في كتابه: «العلوم العقلية في المنظومات العربية» (ص٧٥٢) أنها مخطوطة في مكتبة طلعت حرب بدار الكتب بالقاهرة رقم (٩٠٤ ـ مجاميع)، الرسالة الثانية، ضمن مجموع الصفات: (٦٥/ أ-٧٢/ أ).

أما تنكلوشا فهو أحد علماء الفلك، وسماه ابن النديم في الفهرست (ص٤٣٣): «تينكلوس البابلي»، ثم قال: «هذا أحد السبعة العلماء الذين رد إليهم الضحاك البيوت السبعة التي بنيت على أسماء الكواكب السبعة»، له من الكتب:

١. درج الفلك في الأحكام.

٢. كتاب الوجوه والحدود.

انظر: كشف الظنون (١/ ٧٤٥)، شرح النونية لهراس (٢/ ١٤٦).

والناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إنما أراد بذكر تلك الأسماء لأولئك الفلاسفة -والله أعلم- من أجل أن يدلل على أن سرعة انزهاق الباطل إنما تكون بقدر بعده عن الحق؛ فإن هؤلاء الفلاسفة الذين سبق ذكرهم لهم من الخرافات والباطل ما يكون سببًا عاجلًا في هزيمتهم إذا واجهوا الحق بباطلهم، =

طمطم وتنكلوشا، من فلاسفة الهند.

۞۞۞

أعـني أرسطـو عـابد الأوثـان أو	ذاك الـكـفـور مـعـلـم الألحـان
ذاك المعلم أولا للحرف والثا	ني لـصـوت بـئـسـت العـلـمـان
هـذا أسـاس الفسق والحـرف الذي	وضـعـوا أسـاس الكـفـر والهـذيـان

يعني أن إرسطو هو معلم الحرف، والمراد به المنطق؛ لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية. والمعلم الثاني هو الفارابي: وهو محمد بن محمد أبو نصر الفارابي، التركي الفيلسوف، وكان من أعلم الناس بالموسيقى، بحيث كان يتوصل بصناعته إلى التأثير في الحاضرين من مستمعيه، إن شاء حرك ما يبكي أو ما يضحك، أو ما ينوم(١).

وكان حاذقًا في الفلسفة، ومن كتبه تفقه ابن سينا(٢)، وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني، وتخصيص المعاد للأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك تخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين، فعليه -إن مات على ذلك- لعنة رب العالمين(٣).

=وهزيمتهم تكون بالحجة والبيان، كما تكون بالسيف والسنان؛ لأن أهل الحق أقوياء بالحجة والبيان، كما أنهم أقوياء بالسيف والسنان، وكل شيء في موضعه -والله أعلم-.

(١) سأله سيف الدولة مرة في مجلسه عن السماع؟ فأخرج من وسطه خريطة، ففتحها وأخرج منها عيدانًا فركبها، ثم لعب بها فأضحك منها كل من في المجلس، ثم فكها وغير تركيبها تركيبًا آخر وضرب بها، فبكى كل من في المجلس، ثم فكها وغير تركيبها وحركها، فنام كل من في المجلس، حتى البواب، فتركهم نيامًا وخرج. ويقال:إنه وُجِدَ «كتاب النفس» لأرسطاطاليس، وعليه مكتوب بخط الفارابي: (قرأت كتاب «السماع الطبيعي» لأرسطاطاليس أربعين مرة).
انظر: شذرات الذهب لابن عماد (٤/ ٢١٠-٢١١).

(٢) السير (١٥/ ٤١٧).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢٤٠).

وقد كانت وفاته بدمشق فيما قاله ابن الأثير في كامله[١] في سنة (٣٣٩)[٢].

۞۞۞

أو ذلك المخدوع حامل راية الـ ... إلحاد ذاك خليفة الشيطان
أعني ابن سينا ذلك المحلول من ... أديان أهل الأرض ذا الكفران
وكذا نصير الشرك في أتباعه ... أعداء رسل الله والإيمان
نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم ... وغزوا جيوش الدين والقرآن
فجرى على الإسلام أعظم محنة ... لم تجر قط بسالف الأزمان
أو جعد أوجههم وأتباع لهم ... هم أمة التعطيل والبهتان
أو حفص أو بشر أو النظام ذا ... ك مقدم الفساق والمجان
والجعفران كذاك شيطان ويد ... عى الطاق لا حييت من شيطان
وكذلك الشحام والعلاف والنـ ... ـجار أهل الجهل بالقرآن
والله ما في القوم شخص رافع ... بالوحي رأسا بل برأي فلان
وخيار عسكركم فذاك الأشعري الـ ... ـقرم ذاك مقدم الفرسان
لكنكم والله ما أنتم على ... إثباته والحق ذو برهان
هو قال إن الله فوق العرش واسـ ... ـتولى مقالة كل ذي بهتان
في كتبه طرًا وقرر قول ذي الـ ... إثبات تقريرًا عظيم الشان
لكنكم أكفرتموه وقلتم ... من قال هذا فهو ذو كفران
فخيار عسكركم فأنتم منهم ... برآء إذ قربوا من الإيمان

(١) انظر: الكامل لابن الأثير (٨/ ٤٩١).
(٢) في (د): «٣٩٠».

تقدمت ترجمة ابن سينا والنصير الطوسي، والجعفران هما جعفر بن مبشر[(١)] وجعفر بن حرب[(٢)]، وحفص هو حفص الفرد[(٣)] الذي كان يناظر الشافعي، وهو من تلاميذ حسين النجار[(٤)] وبشر هو بن غياث المريسي والنظام هو إبراهيم بن سيار النظام.

وشيطان الطاق: هو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان الكوفي المعتزلي الشيعي الصيرفي، المعروف بشيطان الطاق[(٥)]؛ من أجل أنه كان صيرفيًّا بطاق المحامل من

(١) أبو محمد البغدادي الثقفي المتكلم الفقيه البليغ كان مع بدعته يوصف بزهد وتأله وعفة، وله تصانيف جمَّة، توفي سنة (٢٣٤هـ). انظر: السير (١٠/ ٥٤٩).

(٢) أبو الفضل الهمذاني العابد المعتزلي، كان من نسّاك القوم، وله تصانيف منها: متشابه القرآن، والرد على أهل الطبائع. توفي سنة (٢٣٦هـ). انظر: السير (١٠/ ٥٤٩).

(٣) لم أجد له ذكرًا في كتب التراجم، وهو مشهور بحفص الفرد، كان من المجبِّرة، ومن أكابرهم، يكنى بأبي يحيى، وكان من أهل مصر، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل، واجتمع معه وناظره فقطعه أبو الهذيل، وكان أولًا معتزليًا، ثم قال بخلق القرآن، ثم قال بخلق الأفعال، وله آراء كثيرة، كفَّره الشافعي لأجلها، وكان يسميه: «حفص المنفرد».
وكان من آراءه: قوله بأن علم الله تعالى مخلوق -تعالى الله عن قوله-، ومنها قوله بأن الله تعالى يخلق حاسة سادسة يوم القيامة للمؤمنين يرون بها ماهيته، وكان من أهل الكلام، وقد تخرج به الحسين الكرابيسي، وكان أعرف الناس بالكلام من بعده.
ويؤكد شيخ الإسلام خطأ من ظن أن حفص الفرد كان قدريًّا، وإنما كان على مذهب ضرار ابن عمر الكوفي، وهو من المثبتين للقدر، لكنه من نفاة الصفات القائلين بأن الله -تعالى- لا تقوم به صفه ولا كلام ولافعل، وأصل حجتهم في ذلك دليل الأعراض المتقدم.
انظر: الفهرست لابن النديم (ص٢٢٤)، شرف أصحاب الحديث للخطيب (ص٥٦)، شرح أصول السنه للالكائي (٢/ ٢٥٣) (٣/ ٤٠٥)، درء التعاض (٧/ ٢٤٦)، المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء عماد الدين بن علي (١/ ١٦٥).

(٤) الحسين بن محمد بن عبد الله البغدادي، المعروف بالنجار، أحد كبار المتكلمين القائلين بالجبر، وهو مؤسس فرقة النجارية، من فرق المرجئة، في حدود سنة (٢٢٠هـ).
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٦)، والسير (١٠/ ٥٥٤)، وهدية العارفين (٥/ ٣٠٣)، وانظر: معجم المؤلفين (٤/ ٥٣).

(٥) شيطان الطاق هو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان المعتزلي، الشيعي المبتدع، وإليه تنسب فرقة =

بغداد[١]، فاختلف هو وصيرفي في نقد درهم، فغلبه فقال متبجحا: أنا شيطان الطاق، فغلب عليه هذا الاسم، والرافضة تنتحله وتسميه ميمون الطاق وله قصة مع أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ، وله شعر جيد[٢].

قال بشار بن برد[٣]: «شيطان الطاق أشعر مني»[٤].

ومذهبه أن الإمامة لم تزل إلى موسى بن جعفر الصادق، فلما مات موسى قطع الإمامة، ووافق هشام بن الحكم[٥] في قوله: أن الله تعالى يعلم الأشياء بعد وقوعها ولا يعلم أنها ستقع[٦]، وزعم أن الله تعالى على صورة الإنسان[٧] لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

=الشيطانية، ويسمون بالنعمانية، وهم من الإمامية الرافضة. انظر: الفرق بين الفرق (ص٨٩)، تاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ١٨٢)، السير (٢/ ٢٨٦).

(١) الطاق: هو البنيان، و«طاق المحامل» لم أجده في شيء من كتب المعاجم، لكن وجدت في مختصر تاريخ دمشق (١/ ٤٠٩) في قصة الفضل بن الربيع مع بهلول المجنون ما يشير أن طاق المحامل محلة بالكوفة. والله أعلم. وانظر: مراصد الاطلاع (٢/ ٨٧٥).

(٢) لسان الميزان (٥/ ٧٧٣)، (٦/ ٣٧٨).

(٣) بشار بن برد أبو معاذ الشاعر مولى بني عقيل، ولد أعمى، لكنه كان على مذهب أبي كامل الرافضي، كان فاسقًا ماجنًا خليعًا، وقد كان المهدي يتهمه بالزندقة، فضربه سبعين سوطًا، ليقر، فمات منها سنة (١٦٧هـ). انظر: الفرق بين الفرق (ص٣٩)، البرهان والعرجان للجاحظ (١/ ٥)، القرط الكامل لعلي بن ابراهيم ابن سعد الخير (ص١٨٠) تحقيق ماللهند من مقولة لأبي الريحان البروني (ص١٩٠)، تاريخ بغداد (٧/ ١١٢)، التبصير في الدين لأبي المظفر الاسفرايني (ص٣٥)، السير (٧/ ٢٤).

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ١٨٣).

(٥) هشام بن الحكم الكوفي المتكلم الرافضي المشبِّه المُعثر، وله نظر، وجدل، وتواليف كثيرة. انظر: السير (١٠/ ٥٤٣).

(٦) حكاه أبو قاسم البلخي عن هشام بن الحكم، وذكر البغدادي في الملل والنحل عن شيطان الطاق أنه (١/ ١٨٦): «وافق هشام بن الحكم في أن الله تعالى لايعلم شيئًا حتى يكون»!!، وانظر قول هشام في مقالات الإسلاميين (١/ ٤٩٣).

(٧) حكاه عنه الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ١٨٧).

«إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن» ليس بجسم[(١)].

وله كتب عديدة منها كتاب «إفعل لما فعلت» وكتاب «إفعل لا تفعل»[(٢)]، وعنده أن كبار الفرق أربعة: القدرية والخوارج والعامة والشيعة، فالناجي في الآخرة من الفرق: الشيعة.

ومن رأيه ورأي هشام: الإمساك عن الكلام في الله تعالى لقوله[(٣)] تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:٤٢]، أي إذا بلغ الكلام إلى الله تعالى فأمسكوا، قالا: ولذلك أمسكنا عن القول في الله والتفكر فيه[(٤)].

وقيل له: ويحك أما استحييت أما اتقيت الله تعالى أن تقول في كتاب الإمامة: «إن الله لم يقل قط في القرآن ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة:٤٠] فضحك طويلًا.........»[(٥)].

وكانت وفاته في حدود الثمانين ومائة[(٦)].

---

(١) قال أبو طالب: سمعت أبا عبدالله -يعني أحمد بن حنبل - يقول: «من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة لآدم قبل أن يخلقه» أخرجه ابن بطة في الإبانة (٣/ ٢٦٦)، وإسناده صحيح.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي (٤/ ٧٨). وله أيضًا من الكتب: كتاب الإمامة، وكتاب المعرفة، وكتاب الرد على المعتزلة في إمامه المفضول، وكتاب في أمر طلحة والزبير وعائشة.
انظر: الفهرست لابن النديم (ص٢١٩).

(٣) في النسخ الخطية «بقوله»، ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) في الملل والنحل للبغدادي، العبارة هكذا (١/ ١٨٧): «فأمسكا عن القول في الله والتفكير فيه حتى ماتا»، وانظر الوافي بالوفيات (٤/ ٧٩).

(٥) العبارة في الفصل لابن حزم هكذا (٤/ ١٣٩): «...فضحك طويلًا حتى كأنا الذين أذنبنا».
وانظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٤/ ٧٨).

(٦) هدية العارفين (٦/ ٨).

ومن شعره:

ولا تك في حب الأخلاء مفرطًا وإن أنت أبغضت البغيض فأجمل

فإنك لا تدري متى أنت مبغض صديقك أو تعذر عدوك فاعقل(١)

وأبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف والنجار: هو الحسين بن محمد النجار والشحام.

قوله: «القرم......» [السيد أصله فحل الإبل. قال الخطابي «معناه المقدم في المعرفة بالأمور والرأي](٢).....».

وقوله:

لكنكم كفرتموه....... .... إلخ

هذا تكفير باللزوم [أي لأنهم كفروا من قال بهذا القول](٣).

✿✿✿

قال الناظم:

هذي العساكر قد تلاقت جهرة ودنا القتال وصيح بالأقران

صفوا الجيوش وعبئوها وابرزوا للحرب واقتربوا من الفرسان

فهم إلى لقياكم بالشوق كي يوفوا بنذرهم من القربان

ولهم إليكم شوق ذي قرم فما يشفيه غير موائد اللحمان

قال في القاموس(٤): «القرم محركة شدة شهوة اللحم كثرةٌ حتى قيل في الشوق إلى الحبيب [قرمت إلى لقائك]»(٥).

---

(١) روضة العقلاء لأبي حاتم ابن حبان البستي (ص٢٠٥)، الوافي بالوفيات (٤/ ٧٨).

(٢) ما بين معكوفتين مستدرك من (م).

(٣) مابين معكوفتين من (د).

(٤) (ص١٤٨١).

(٥) انظر: لسان العرب (١٢/ ٤٧٣) وما بين معكوفتين منه.

۞۞۞

تبًّا لكم لو تعقلون لكنتم ... خلف الخدور كأضعف النسوان
من أين أنتم والحديث وأهله ... والوحي والمعقول بالبرهان
ماعندكم إلا الدعاوي والشكا ... وي أو شهادات على البهتان
هذا الذي والله نلنا منكم ... في الحرب إذ يتقابل الصفان
والله ما جئتم بقال الله أو ... قال الرسول ونحن في الميدان
إلا بجعجعة وفرقعة وغمغمة ... وقعقعة بكل شنان
ويحق ذاك لكم وأنتم أهله ... أنتم بحاصلكم أولو عرفان
ويحقكم تحموا مناصبكم وأن ... تحموا مآكلكم بكل سنان
ويحقنا نحمي الهدى ونذب عن ... سنن الرسول ومقتضى القرآن
قبح الإله مناصبًا ومآكلا ... قامت على العدوان والطغيان
والله لو جئتم بقال الله أو ... قال الرسول كفعل ذي الإيمان
كنا لكم شاويش تعظيم وإجـ ... ـلال كشاويشٍ لذي سلطان
لكن هجرتم ذا وجئتم بدعة ... وأردتم التعظيم بالبهتان[(١)]

---

(١) خلاصة هذه الأبيات: أن أهل الباطل الناكبين عن الصراط المستقيم، والذين حرفوا نصوص الكتاب والسنه وعطلوها لايستطيعون مواجهة أهل السنة الذين تسلحوا بنصوص الوحيين، لأن النصوص والبراهين والفطر تؤديهم، فإن أهل الباطل لو واجهوا أهل الحق سينهزمون هزيمه منكرة،لاقيام لهم بعدها، ولذلك هم يوصون أتباعهم في مجال المناظرة والخصومة أن لا يستدلوا بنصوص الكتاب والسنة؛ ولذلك يغلب عليهم في المناظرة التشويش والصياح وشقشقة اللسان، ومحاولة إسكات الخصم بأي طريقة؛ وذلك باستخدام الألفاظ الطنانة والاصطلاحات الغربية؛ كل هذا لأجل أن يحموا مناصبهم التي أسندت إليهم في التدريس والقضاء والفتيا بهذه البضاعة الكاسدة التي راجت عند الجهلة من الأمراء والحكام، وكذلك مايجري عليهم من رواتب وجرايات. =

= ولأجل هذا كله فأهل السنة والجماعة هم أحق الناس بحماية هذا الدين من عبث العابثين من أهل البدع والضلال والباطل، فلا بارك الله في منصب ومأكل لم يقم على العدل والإنصاف، بل قام على الظلم والعدوان والإجحاف، ولو التزم هؤلاء الإنصاف لقادهم ذلك إلى الوقوف عند نصوص الوحيين والتزموا الحق، فحينئذ سيجدون أهل السنه خير معين لهم، ولنالهم من التوفير والاحترام والحب والتقدير شيء يفوق ما يفعله كثير من الناس عند الملوك.

انظر: شرح النونية لخليل هراس (٢/ ١٥٠-١٥١).

فصل

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فلان
كلا ولا جحد الصفات لربنا ... في قالب التنزيه والسبحان
كلا ولا نفي العلو لفاطر الـ ... أكوان فوق جميع ذي الأكوان
كلا ولا عزل النصوص وإنها ... ليست تفيد حقائق الإيمان
إذ لا تفيدكم يقينا لا ولا ... علما فقد عزلت عن الإيقان
والعلم عندكم ينال بغيرها ... بزبالة الأفكار والأذهان

قال في القاموس[١]: «الزبل بالكسر، وكأمير: السرقين[٢]، والمزبلة بضم الباء ملقاه وموضعه، وزبل زرعه يزبله سَمَدَه، وككتاب: ما تحمله النخلة».

سميتموه قواطعا عقلية ... وهي الظواهر حاملات معان

أي إنكم سميتم ما وضعتموه من العقليات قواطع عقلية بزعمكم، وأما الكتاب والسنة فهي أدلة لفظية محتملة لمعان، وهي الاحتمالات التسعة أو العشرة وقد تقدمت فلذلك لا تفيد اليقين[٣].

❁❁❁

(١) أي: زِبيل. (٣) أي: زِبَال.
(٢) وكذا بفتح الباء كما في القاموس.

---

(١) (ص١٣٠٣).

(٢) السرجين كلمة معربة، ومعناها: الروث. انظر: المصباح المنير للفيومي (١/ ٢٧٣)، الكليات لبي البقاء (ص٧٦١). انظر اللسان (٢/ ٢٩٨) (١١/ ٣٠٠).

ومعنى البيت: أن العلم عند المتكلمين هو ما تزينه أفكارهم لهم. والله أعلم.

(٣) انظر: درء التعارض (١/ ١٣٦) (٣/ ٤٥٣)، وبيان تلبيس إبليس الجهمية (١/ ٦٢٨).

كلا ولا إحصاء آراء الرجا ل وضبطها بالحصر والحسبان
كلا ولا التأويل والتبديل والتـ ـحريف للوحيين بالبهتان
كلا ولا الإشكال والتشكيك والـ ـوقف الذي ما فيه من عرفان
هذي علومكم التي من أجلها عاديتمونا يا أولي العرفان

هذه الأبيات التي (ع/٢/١٦١أ) صدر بها الناظم هذا الفصل تشابه ما أنشده الحافظ مؤرخ الإسلام،أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ(١):

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي سفيه
كلا ولا نصب الخلاف جهالة بين النصوص وبين رأي فقيه
كلا ولا رد النصوص تعمدًا حذرا من التجسيم والتشبيه
حاشا النصوص من الذي رميت به من فرقة التعطيل والتمويه

---

(١) انظر: الرد الوافر (ص٣١)، الشهادة الزكية لمرعي بن يوسف الكرمي (ص٣٩)، أبجد العلوم (٣/ ٩٩) وغيرهم، وكلهم يرون البيت الأول هكذا:

العلم قال الله قال رسوله إن صح والإجماع فاجتهد فيه

إلخ

قال الناظم:

فصل (١)
في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة وأهل الإلحاد حزب جنكسخان

قال في القاموس(٢): «الهدنة بالضم المصالحة كالمهادنة».

يا قوم صالحتم نفات الذات والـ ـأوصاف صلحا موجبًا لأمان

وأغـرتم وهنا عليهم غارة قعقعتم فيها لهم بشنان

ما كان فيها من قتيل منهم كلا ولا فيها أسير عان

(١) وافق المتكلمون الفلاسفة على الأصول العقلية التي ردوا بها نصوص الوحي، وخضعوا لهم في كثير من أصولهم، ولما أرادوا أن يردوا عليهم عجزوا عن ذلك؛ لأن كثيرًا من أصولهم هي أصول أولئك الملاحدة من الفلاسفة؛ فإن ردوا عليهم ردوا على أنفسهم، حتى صرح بعضهم بتكافؤ أدلة المتكلمين مع الفلاسفة، كما سيأتي من كلام الشارح، ولهذا عقدوا الهدنة بينهم وبين الفلاسفة، واتفقوا على مقاومة أهل السنة والجماعة ومحاربتهم، فلما التقى الجمعان، عرف المعطلة وزنادقة الجهمية أن لا سبيل لهم في مقاومة أهل السنة والجماعة فكانت مصارعهم.
ولهذا فإن الأشاعرة استفادوا من أدلة المعتزلة، والمعتزلة شيوخهم، والمعتزلة استفادوا من أدلة الفلاسفة والفلاسفة شيوخهم، فصانع الجميع شيوخهم خوفًا من استرجاع سلاحهم الذي اشتركوا به في رد النصوص، ولما أساء الأشاعرة الأدب مع شيوخهم المعتزلة، استعاد المعتزلة سلاحهم فهزموهم هزيمة منكرة، لأنهم أعرف بأسلحتهم من أولئك، وهكذا حال المعتزلة والجهمية مع الفلاسفة.
ويستفاد من هذه الأبيات أن المنحرفين عن السنة والجماعة من أهل البدع هم أكثر الناس مصانعة ومداهنة للكفار والزنادقة، كما هو ظاهر في أهل التصوف؛فإنهم يتلونون بكل لون، ويوافقون الكفار في كثير من أقوالهم وأفعالهم، وربما دعوا إلى اليهودية والنصرانية لكونهم في بلدانهم، وربما دخلوا معهم في عباداتهم وطقوسهم مصانعة لهم، نعوذ بالله من الخذلان.
انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ١٥٤)، الكافية الشافية (٣/ ٧٦٧-٧٦٨).
(٢) القاموس (ص١٦٠٠).

ولطفتم في القول أو صانعتم   وأتيتم في بحثكم بدهان
وجلستم معهم مجالسكم مع الـ   أستاذ بالآداب والميزان
وضرعتم للقول كل ضراعة   حتى أعاروكم سلاح الجاني
فغزوتموا بسلاحهم لعساكر الـ   إثبات والآثار والقرآن
ولأجل ذا صانعتموهم عند حر   بكم لهم باللطف والإذعان
ولأجل ذا كنتم مخانيثا لهم   لم تنفتح منكم لهم عينان
حذرا من استرجاعهم لسلاحهم   فترون بعد السلب كالنسوان

يعني الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم لما ابتدعوا دليل الأكوان المعروف وقصدوا بذلك الرد على الفلاسفة.

قال شيخ الإسلام(١): «وقالوا إن دين الإسلام إنما يقوم على هذا الأصل، وأنه لا يعرف أن محمدًا رسول الله إلا بهذا الأصل؛ فإن معرفة الرسول متوقفة على معرفة المرسل، فلا بد من إثبات العلم بالصانع أولًا، ومعرفة ما يجوز عليه وما لا يجوز عليه.

قالوا: وهذا لا يمكن معرفته إلا بهذا الطريق، ويقول كثير منهم: إن هذه طريقة إبراهيم الخليل المذكورة في قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٦].

قالوا: فإن إبراهيم استدل بالأفول، وهو الحركة والانتقال على أن المتحرك لا يكون إلهًا، قالوا: ولهذا يجب تأويل ما ورد عن الرسول مخالفًا لذلك من وصف الرب بالإتيان والمجيء والنزول وغير ذلك؛ فإن كونه نبيًّا لم يعرف إلا بهذا الدليل العقلي، فلو قدح في ذلك لزم القدح في دليل عارض السمع، ونقول: إذا تعارض

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥٤٣).

السمع والعقل امتنع تصديقهما وتكذيبهما، وتصديق السمع دون العقل؛ لأن العقل هو أصل السمع، فلو جرح أصل الشرع كان جرحًا[1] له؛ ولأجل هذه الطريق نفت الجهمية والمعتزلة الصفات والرؤية، وقالوا: القرآن مخلوق، ولأجلها قالت الجهمية بفناء الجنة والنار، ولأجلها قال العلاف بفناء حركتها، والتزم قوم لأجلها أن كل جسم له طعم ولون وريح.

فقال لهم الناس: أما قولكم إن هذه الطريق هو الأصل في معرفة دين الإسلام ونبوة الرسل، فهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام؛ فإنه من المعلوم لكل من عرف حال الرسول وأصحابه وما جاء به من الإيمان والقرآن: أنه لم يَدعُ الناس بهذه الطريقة أبدًا، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، فكيف تكون هي أصل الإيمان والذي جاء بالإيمان وأفضل الناس إيمانًا لم يتكلموا بها البتة ولا سلكها منهم أحد.

والذين علموا أن هذه طريقة مبتدعة حزبان:

حزب: ظنوا أنها صحيحة في نفسها، لكن أعرض السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها، وما يخاف على سالكها من الشك والتطويل.

وهذا قول جماعة كالأشعري في رسالته إلى الثغر والخطابي والحليمي والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأبي بكر البيهقي وغير هؤلاء.

والثاني: قول من يقول بل هذه طريقة باطلة في نفسها، ولهذا ذمها السلف، وعدلوا عنها.

---

(١) سبق الكلام عن هذه الشبهة.

وهذا قول أئمة السلف كابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل واسحاق بن راهوية وأبي يوسف ومالك ابن أنس وعبد العزيز بن الماجشون وغير هؤلاء من السلف.

وحفص الفرد لما ناظر الشافعي في مسألة القرآن، وقال القرآن مخلوق وكفره الشافعي، كان قد ناظره بهذه الطريقة[1]، وكذلك أبو عبدالله محمد بن عيسى برغوث[2]، كان من المناظرين للإمام أحمد في مسالة القرآن بهذه الطريقة.

وقال لهم الناس: إن هذا الأصل الذي ادعيتم إثبات الصانع به، وأنه لا يعرف أنه خالق للمخلوقات إلا به، هو بعكس ما قلتم، بل هذا الأصل يناقض كون الرب خالقًا للعالم، ولا يمكن مع القول به (ع/٢/١٦٣أ) القول بحدوث العالم، ولا الرد على الفلاسفة.

فالمتكلمون الذين ابتدعوه، وزعموا أنهم به نصروا الإسلام، وردوا به على أعدائه كالفلاسفة: لا للإسلام نصروا ولا لعدوه كسروا، بل كان ما ابتدعوه مما أفسدوا به حقيقة الإسلام على من تبعهم، فأفسدوا عقله ودينه، واعتدوا به على من نازعهم من المسلمين، وفتحوا لعدو الإسلام بابًا إلى مقصوده؛ فإن حقيقة قولهم: إن الرب لم يكن قادرًا، ولا كان الكلام والفعل ممكنًا له، ولم يزل كذلك دائمًا مدة أو تقدير مدة لا نهاية لها، ثم إنه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك، وجعلوا مفعوله

(١) انظر: مناقب الشافعي، للبيهقي (١/ ٤٥٢-٤٦٤).

(٢) صاحب حسين النجار وتلميذه، وهومن خصوم الإمام أحمد، وكان جهميًا من نفاة الصفات، ومن القائلين بخلق القرآن، مات سنة (٢٤٠هـ) وقيل: (٢٤١هـ). انظر: الدرء (٧/ ٢٥٧) (١٠/ ٢٥٧)، ونقض التأسيس (١/ ٢٨٤)، مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٥٢)، منهاج السنة (٢/ ٦٠٩)، السير (١٠/ ٥٥٤).

هو فعله، وجعلوا فعله وإرادته بعلة قديمة أزلية، والمفعول متأخرًا، وجعلوا القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح، وكل هذا خلاف المعقول الصريح، وخلاف الكتاب السنة.

وأنكروا صفاته ورؤيته وقالوا:كلامه مخلوق، وهو خلاف دين الإسلام والذين اتبعوهم وأثبتوا الصفات قالوا: يريد جميع المرادات بإرادة واحدة، وكل كلام تكلم به أو يتكلم به إنما هو شيء واحد لا يتعدد ولا يتبعض وإذا رؤي رؤي لا بمواجهة ولا معاينة، وإنه لم يسمع ولم يرى الأشياء حتى وجدت، [ثم لما وجدت][1] لم يقم به [أمر][2] موجود، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك. إلى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح والمنقول الصحيح.

ثم لما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء، وأن هذا هو الإسلام الذي عليه هؤلاء، علموا فساد هذا، أظهروا قولهم بقدم العالم، واحتجوا بأن تجدد الفعل بعد أن لم يكن ممتنع ،بل لا بد لكل متجدد من سبب حادث، فيكون الفعل دائمًا.

ثم ادعوا دعوى كاذبة لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها، وهو أنه إذا كان الفعل دائمًا لزم قدم الأفلاك والعناصر، ثم لما أرادوا تقرير النبوة، جعلوها فيضًا يفيض على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره، من غير أن يكون رب العالمين يعلم له رسولًا معينًا، ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولا يعلم الجزئيات، ولا نزل من عنده ملك، بل جبريل هو خيال يتخيل

(١) ما بين معكوفتين ساقط من (د، ع)، واستدركناها من مجموع الفتاوى.

(٢) في (د، ع): «أنه»، والمثبت من مجموع الفتاوى.

في نفس النبي، وهو العقل الفعال[١]، وأنكروا أن تكون السماوات تنشق وتنفطر، وغير ذلك مما أخبر به الرسول ﷺ.

وزعموا أن ما جاء به الرسول ﷺ إنما أراد به خطاب الجمهور بما يخيل إليهم بما ينتفعون به، من غير أن يكون الأمر في (ع/٢/١٦٤ب) نفسه كذلك، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق، وعلمت الناس ما الأمر عليه، ثم منهم من يفضل الفيلسوف على النبي.

وحقيقة قولهم: أن الأنبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع الناس، وهل كانوا جهلاء على قولين لهم.

إلى غير ذلك من أنواع الإلحاد والكفر الصريح والكذب على النبي ﷺ وعلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.....».

إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى.

وقول شيخ الإسلام أنهم - يعني المتكلمين -: «لا للإسلام نصروا ولا لعدوه كسروا»، هو معنى قول الناظم:

وأغـــرتم وهـنـا عـلـيـهـم غـارة .... **إلخ**

قوله:

ولـطـفـتـم في الـقـول أو صانعتم ....

يعني أنكم لضعف دليلكم، صانعتم الفلاسفة، وتلطفتم بالرد عليهم؛ لأن بعض المتكلمين يصرحون بتكافؤ الأدلة:

---

(١) سبق التعريف به.

كما قال الإمام شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري في «كتاب ذم الكلام»[١] قال:

«وقد سمعت محمد بن زيد العمري النسابة![٢] أخبرنا المعافى![٣] سمعت أبا الفضل الحارثي القاضي![٤] بسرخس[٥] يقول: سمعت زاهر بن أحمد[٦] يقول: أشهد لما مات فلان متحيرًا بسبب مسألة تكافُؤُ الأدلة، وذكر إمامًا من أئمة المتكلمين....»[٧].

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب العقل والنقل[٨] قال: «وقد بلغني بإسناد متصل عن بعض رؤوسهم، وهو عند كثير منهم: غاية في هذا الفن أنه قال عند الموت: أموت وما علمت شيئًا، إلا أن الممكن يفتقر إلى الواجب، ثم قال: الافتقار وصف عدمي أموت وما علمت شيئًا[٩].

---

(١) ذم الكلام لأبي إسماعيل الأنصاري (٥/ ١٤٢).

(٢) لم أجد من ذكره.

(٣) لم أعرفه.

(٤) لم أعرفه.

(٥) مدينة قديمة من نواحي خراسان، كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق إليها. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٠٨).

(٦) زاهر بن أحمد بن محمد السرخسي، الإمام العلاّمة، فقيه خراسان، وشيخ القرَّاء والمحدثين، مات سنه (٣٨٩هـ). انظر: السير (١٦/ ٤٧٦-٤٧٨).

(٧) أبو الحسن الأشعري كما في الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٣٣١) وفيه: «... أشهد لما مات أبو الحسن الأشعري متحيرًا بسبب مسألة تكافُؤُ الأدلة»، وليس في السند «فلان» وإنما فيه التصريح باسم أبي الحسن، وتكافؤ الأدلة من أسباب رجوع أبي الحسن الأشعري عن مذهب الاعتزال، أما كونه مات متحيرًا بسبب مسألة تكافؤ الأدلة، فإن كتاب الإبانة الذي ألفه بعد رجوعه من مذهب الاعتزال يرد على ذلك.
انظر: تبيين كذب المفتري (ص٣٠٩)، الشيخ أبو إسماعيل الهروي وآراؤه الاعتقادية لأمل الموسى (١/ ٢٠٩).

(٨) انظر: الدرء (٣/ ٢٦٢).

(٩) القائل هو محمد بن ناماور الخونجي الشافعي، كما حكاه عنه التلمساني، وذكر أنه سمعه منه =

وكذلك الأصبهاني![1]، اجتمع بالشيخ إبراهيم الجعبري يومًا فقال له: بت البارحة أفكر إلى الصباح، في دليل على التوحيد، سالم عن المعارض، فما وجدته.

وكذلك حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي[2] أنه قال: أبيت بالليل، وأستلقي على ظهري واضع الملحفة على وجهي، وأبيت أقابل أدلة هؤلاء بأدلة هؤلاء وبالعكس، وأصبح وما ترجح عندي شيء، -كأنه يعني أدلة المتكلمين من الفلاسفة-» انتهى كلام الشيخ.

قوله:

.... قعقعتم فيها لهم بشنان

القعقعة: تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت، مثل السلاح وغيره.

الشنان: جمع شن وهو القربة البالية، وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل على السير؛ لتفزع فتسرع.

قال النابغة[3]:

كأنك من جمال بني أقيش يقعقع خلف رجليه بشن[4]

=وقت الموت، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أنه تميز في العلوم الحكمية، وله تصانيف في الطب والمنطق. انظر: درء التعارض (١/ ١٦٢)، عيون الأنباء (٣/ ١٩٩-٢٠٠)، السير (٢٣/ ٢٢٨).

(١) لم يتبين لي من هو.

(٢) محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل المازني أبو عبدالله التميمي الحموي، مؤرخ عالم بالمنطق، مات سنة (٦٩٧هـ). انظر: نكت الهميان (ص٢٥٠)، بغية الوعاة (ص٤٤٠)، تاريخ ابن الوردي (٢/ ٢٤٤).

(٣) يخاطب عيينة بن حصن الفزاري، في قطع حلف بني أسد. انظر: ديوانه (ص٩٦)، وذكره الزبيدي تاج العروس (١٧/ ٦٦)، وقد زعم أن هذا البيت مصنوع، وليس هو من قوله.

(٤) والمعنى: كأنك جمل من جمال بني أقيش، فحذف الموصوف واجتزأ منه بالصفة؛ لعلم المخاطب بها يعني، انظر: لسان العرب (٤/ ٣٣١).

مثل يضرب لمن لا يتضعضع لما ينزل به من حوادث الدهر ولا يروعه ما لا حقيقة له(١).

ومعنى كلام الناظم في هذا الفصل: أنكم أيها النفاه صانعتم الفلاسفة، وناظرتموهم مناظرة ضعيفة،لم تزدهم إلا شرًا وإغراءً.

قوله:

ولأجل ذا صرتم مخانيثًا لهم .... إلخ

هذا كما يقال المعتزلة مخانيث الفلاسفة(٢).

✡✡✡

قال الناظم:

ويحثتم مع صاحب الإثبات بالتـ ـكفير والتضليل والعدوان

وقلبتم ظهر المجن له وأجلـ ـبتم عليه بعسكر الشيطان

والله هذي رتبة لا يختفي مضمونها إلا على الثيران (٤/ ٢/ ١٦٥أ)

هذا وبينهما أشد تفاوت فئتان في الرحمن مختصمان

هذا نفى ذات الإله ووصفه نفيًا صريحًا ليس بالكتمان

لكن ذا وصف الإله بكل أو صاف الكمال المطلق الرباني

ونفى النقائص والعيوب كنفيه التـ ـشبيه للرحمن بالإنسان

فلأي شيء كان حربكم له بالجد دون معطل الرحمن

---

(١) انظر: المستقصي في أمثال العرب للزمخشري (٢/ ٢٧٤) ط. دار الكتب العلمية، وقال: «يضرب للرجل الشرس الصعب، أي: لا يُهدد ولا يُفزَع». اهـ. وانظر: مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٢٦١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٩)، (٨/ ٢٢٨).

قوله:

ويحتتم مع صاحب الإثبات .... إلخ

أي أنكم خرجتم عن الحد في بحثكم مع صاحب الإثبات، وكفرتموه وضللتموه واعتديتم عليه.

قوله:

وقلبتم ظهر المجن ....

قال في القاموس(١): «المِجن والمِجنة بكسرهما، والجنان والجنانه بالضم: الترس، وقلب مجنه: أسقط الحياء وفعل ما شاء أو ملك أمره أو اشتد به».

قوله:

هذا نفى ذات الإله ووصفه ....إلخ

أي أن المعطل نفى ذات الرب سبحانه وصفاته، وهذا من الناظم في نفي ذات الرب سبحانه على سبيل الإلزام، والمثبت أثبت صفات الكمال للرب سبحانه، ونفى عنه النقائص والعيوب؛ فلأي شيء كان حربكم للمثبت بالجد: أي [حاربتموهم أشد الحرب](٢).

وأما الفلاسفة(٣)، فصانعتموهم وداهنتموهم في البحث، وتأدبتم معهم؛ وإنما ذلك لخوف استرجاعهم سلاحهم، الذي تسلحتم به على نفي صفات الرب سبحانه.

❁❁❁

---

(١) القاموس (ص١٥٩١).

(٢) ما بين معكوفتين من (م).

(٣) في النسخ الخطية «المعطلة» وهو تحريف قطعًا، لأن المعطلة صانعوا الفلاسفة، وعنوان الفصل يدل على ذلك، وأما أن المعطلة صانعوا المعطلة، فكلام لا معنى له. والله أعلم.

قال الناظم:

قلنا نعم هذا المجسم كافر أفكان ذلك كامل الإيمان
لا تنطفي نيران غيظكم على هذا المجسم يا أولي النيران
فالله يوقدها ويصلي حرها يوم الحساب محرف القرآن
يا قومنا لقد ارتكبتم خطة لم يرتكبها قط ذو عرفان
وأعنتم أعداءكم بوفاقكم لهم على شيء من البطلان

أي: لما قلنا للمتكلمين لأي شيء كان حربكم للمثبتة أشد الحرب دون المعطلة قالوا لنا في الجواب: إن المثبت كافر!!

فيقال لهم: فهل المعطل كامل الإيمان؟.

قوله:

وأعنتم أعداءكم بوفاقكم ....إلخ

أي إنكم معاشر المتكلمين أعنتم أعداءكم الفلاسفة[1] على شيء من الباطل، كنفي صفات الرب سبحانه أو بعضها، وقولكم بخلق القرآن، وإنكار رؤية الله سبحانه في الآخرة وغير ذلك[2].

۞۞۞

(١) في الأصل «المعطلة» وهو خطأ لأن المتكلمين هم المعطلة.

(٢) بل المعنى: أنكم أعنتم أعداءكم من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة لما وافقتموهم على بعض باطلهم، والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إنما قصد علماء زمانه من متأخري الأشاعرة الذين تذبذبوا بين أهل السنة المحضة والمعطلة؛ فلا هم مع أهل السنة على الإثبات الكامل، ولاهم مع المعطلة على النفي الشامل، وقد قالت لهم المعطلة: إما أن تثبتوا جميع الصفات؛ فتكونوا مع الحشوية أعداءً لنا، وإما أن تنفوها النفي الكامل؛ فتكونوا معنا لنحمل حملة رجل واحد ضد الحشوية.
انظر: شرح النونية لهراس (٥/ ١٥٧) مع بعض التصرف.

قال الناظم:

أخذوا نواصيكم بها ولحاكُمُ ... فغدت تجر بذلة وهوان

قلتم بقولهم ورمتم كسرهم ... أنى وقد غلقوا لكم برهان[(١)]

وكسرتم الباب الذي من خلفه ... أعداء رسل الله والإيمان[(٢)]

فأتى عدو مالكم بقتالهم ... ويحريهم أبد الزمان يدان[(٣)]

أي إن المتكلمين (ع/٢/١٦٦ب) لما قالوا ببعض أقوال الفلاسفة[(٤)]؛ صعب الرد عليهم منهم لأنهم قد غلقوا لهم برهان، فلهذا عجزوا عن الرد عليهم[(٥)].

۞۞۞

قال الناظم:

فغدوتم أسرى لهم بحبالهم ... أيديكم شدت إلى الأذقان

حملوا عليكم كالسباع استقبلت ... حمرًا معقرة ذوي أرسان

صالوا عليكم بالذي صلتم به ... أنتم علينا صولة الفرسان

---

(١) الرِهان من الرهن، لأن المدين مرهون للدائن. أفاده شيخنا.

(٢) قال شيخنا: «الباب هو الإثبات».

(٣) اليدان هنا معنى القدرة.

(٤) في الأصل «المعطلة» وهو خطأ متكرر من الناسخ.

(٥) توضيحًا لذلك: الأشاعرة وافقوا الفلاسفة والمعتزلة على باطلهم، كنفيهم للصفات الخبرية واعتدادهم بالأدلة العقلية، وعزلهم نصوص الوحي عن إفادة اليقين، وقولهم: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل وغيرها من أنواع الباطل، ولما رأى أولئك المعطلة -أعني الجهمية والمعتزلة والفلاسفة- من الأشاعرة هذه الموافقة؛ أحكموا قبضتهم عليهم، وجروهم برؤوسهم ولحاهم جرُ ذِلةٍ وهوان.
فلم يستطع الأشاعرة الرد على المعتزلة والجهمية والفلاسفة؛ لأن السلاح واحد، فلو ردوا عليهم هدموا مذهبهم القائم على هذه الأصول!!، وهل يعقل أن يردوا عليهم، وهم يقولون بقولهم، فضلًا أن يوافق المبطل الرد على نفسه؟ انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ١٥٧).

لــولا تحــيــزكــم إلــيــنــا كنتم وسـط العـريـن ممـزقـي اللحمان
لـكـن بـنـا اسـتـنـصـرتم ويقولنا صـلـتم عـلـيـهـم صـولـة الشجعان
ولـيـتـم الإثـبـات إذ صـلـتم به وعـزلـتـم الـتـعـطـيـل عـزل مهان[1]
وأتـيـتـم تـغـزونـنـا بـسـريـة مـن عسكر الـتـعـطـيـل والـكـفـران
مـن ذا بـحـق الله أجـهـل منكم وأحـقـنـا بـالجـهـل والـعـدوان
تـالله مـا يـدري الـفـتـى بمصابه والـقـلـب تحـت الخـتـم والخـذلان

قوله:

لولا تحيزكم إلـيـنـا.............. .... إلخ

يعني أن المتكلمين في بعض الأحوال يتحيزون إلى المثبتة وأهل الحديث، كما صنف الإمام أبو الحسن الأشعري المصنفات الكثيرة بعد رجوعه عن مذاهب المعتزلة في نصرة أهل السنة وأصحاب الحديث، كـ«الإبانة في أصول الديانة» و«مقالات الإسلاميين» و«رسائل الثغر» وغير ذلك[2].

---

(١) لم يستطع الأشاعرة أن يهزموا الفلاسفة إلا لما أخذوا سلاح أهل الإثبات، وما استطاعوا الرد على الفلاسفة في تأويل نصوص المعاد إلا لما سلموا لأهل الإثبات بتحريم التأويل الباطل للنصوص المُحْكَمَة، فكرَّوا على الفلاسفة، وقد اطلعت على بعض ردود الأشاعرة على الباطنية الزنادقة، فرأيتها مبنية على تحريم التأويل.
مع التنبيه على أن هذا من تناقضاتهم الكثيرة، لأنهم إذا رجعوا إلى تأويل نصوص الصفات، مع تحريمهم تأويل نصوص المعاد، والأمر والنهي، التي استندوا إليها في الرد على الفلاسفة والباطنية، فقد تناقضوا تناقضًا بينًا، يدل على فساد أصولهم، والله أعلم.

(٢) المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن أبا الحسن الأشعري استقر أمره على مذهب أهل الحديث كما هو ظاهر كلامه، وهو يؤيد قول من قال: إن أبا الحسن مر بثلاثة أطوار: الاعتزال، ثم الكلابية، ثم استقر على مذهب أهل الحديث، ويؤيد ذلك أنه لولا تمسكه بمذهبهم ما استطاع الرد على المعتزلة، مع أن الأشاعرة يفتخرون بردود الأشعري على المعتزلة، ويقولون: «حجز المعتزلة في قمع السمسمة» وهو ما استطاع الرد عليهم إلا لما قال بمقالة أهل الحديث، وذلك بالاستدلال بالآيات القرآنية =

وكما قال الفخر الرازي في آخر مصنفاته وهو «كتاب أقسام اللذات»: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، واقرأ في النفي: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[(١)].

=والأحاديث النبوية، مع أن أصول الأشاعرة اعتزالية، وهي الأدلة العقلية، وهذا من تناقضاتهم الكثيرة -والله أعلم-.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٧٢).

قال الناظم:

فصل
في مصارع النفاة والمعطلين بأسنة أمراء الإثبات الموحدين

الأسنة: جمع سنان -بكسر السين- وهو الرمح.

وإذا أردت ترى مصارع من خلا ... من أمة التعطيل والكفران
وتراهم أسرى حقير شأنهم ... أيديهم غلت إلى الأذقان
وتراهم تحت الرماح دريئة ... ما فيهم من فارس طعان

تقدم معنى الدريئة[1].

۞۞۞

وتراهم تحت السيوف تنوشهم ... من عن شمائلهم وعن أيمان[2]
وتراهم انسلخوا من الوحيين وال ... ـعقل الصحيح ومقتضى القرآن
وتراهم والله ضحكة ساخر ... ولطالما سخروا من الإيمان
قد أوحشت منهم ربوع زادها الـ ... ـجبار إيحاشا مدى الأزمان

قال في القاموس[3]: «الربع الدار بعينها حيث كانت، جمع رباع وربوع وأربع

(١) الدريئة: هي الحلقة التي يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها.
انظر: اللسان (١/ ٧٤). ودريئة بمعنى مدروئة، والدرء هو الدفع، والمعنى أنك تراهم تحت رماح جند الله تعالى مدفوعين لا يستطيعون المقاومة. انظر: شرح النوينية لابن عثيمين (٤/ ٧٢).
(٢) النوش: التناول والطلب، والمناوشة: المناولة في القتال. انظر اللسان (٦/ ٣٦١).
والمعنى: تأتيهم السيوف من كل جانب فتمزقهم. نظر شرح النونية لابن عثيمين (٤/ ٧٢).
(٣) القاموس (ص٩٢٧).

وأرباع والمحلة والمنزل والنفس وجماعة الناس، والموضع يرتبعون فيه في الربيع كالمربع كمقعد» انتهى[١].

۞۞۞

وخلت ديارهم وشتت شملهم ... ما فيهم رجلان مجتمعان
قد عطل الرحمن أفئدة لهم ... من كل معرفة ومن إيمان
إذ عطلوا الرحمن من أوصافه ... والعرش أخلوه من الرحمن
بل عطلوه عن الكلام وعن صفا ... ت كماله بالجهل والبهتان
فاقرأ تصانيف الإمام حقيقة ... شيخ الوجود العالم الرباني
أعني أبا العباس أحمد ذلك الـ ... ـبحر المحيط بسائر الخلجان

الخُلَيْجُ (١) من البحر: شرم منه، وهو أيضًا النهر، وقيل: جانباه، خليجاه والجمع خلج بضمتين، قاله في مختار الصحاح[٢]. (١) ص: (الخَليج) بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام.

۞۞۞

واقرأ كتاب العقل والنقل الذي ... ما في الوجود له نظير ثان[٣]
وكذاك منهاج له في رده ... قول الروافض شيعة الشيطان
وكذاك أهل الاعتزال فإنه ... أرداهم في حفرة الجبان
وكذلك التأسيس أصبح نقضه ... أعجوبة للعالم الرباني

---

(١) قال شيخنا: «الأولى أن يفسره بالحديث الصحيح: أن أسامة بن زيد قال: يا رسول أين تنزل في دارك بمكة؟، فقال: «وهل ترك عقيل من رباع أو دور...» الحديث اهـ.

(٢) انظر: مختار الصحاح (ص١٠٣).

(٣) قال شيخنا: «يعني في بابه، فلابد من التقييد؛ لأن أفضل كتاب كتاب الله». اهـ.

التأسيس المذكور، هو: تأسيس التقديس للفخر الرازي في تأويل الصفات الخبرية، صنفه للملك العادل أبي بكر بن أيوب[١].

وقد نقضه شيخ الإسلام بكتاب «تخليص التلبيس من تأسيس التقديس» ويسمى أيضًا «بيان تلبيس الجهمية (ع/٢/١٦٨ب) في تأسيس بدعهم الكلامية»[٢] وهو كتاب عظيم نفيس.

قال تلميذه الحافظ محمد بن عبد الهادي في ترجمته المبسوطة[٣]: «لو سافر رجل إلى الصين في تحصيله لما كان كثيرًا» أو كما قال.

۞۞۞

وكـــذاك أجـوبـة لـه مـصـريـة — في سـت أسـفـار كـتـبن سمـان

وكـذا جـواب لـلـنـصـارى فيـه مـا — يـشـفـي الـصـدور وإنـه سـفـران

وهو المسمى بالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح[٤].

۞۞۞

وكـــذاك شـرح عـقـيـدة للأصبها — نـي شـارح المحـصـول شـرح بيان

فـيـهـا الـنـبـوّات الـتي إثـبـاتـهـا — في غـايـة الـتـقـريـر والـتـبـيـان

والله مـا لأولــي الـكـلام نظيره — أبـــدًا وكـتـبـهـم بـكـل مـكـان

---

(١) ذكر ذلك ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص٤٧٥) ط. دار مكتبة الحياة، وابن خلكان في وفيات الأعيان (٥/ ٧٦). والملك العادل:هو سيف الدين أبو بكر محمد أبو أيوب الأيوبي. مات سنة (٦١٥هـ). انظر: نهاية الأرب (٢٩/ ٥٢) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) مطبوع بتعليق الشيخ محمد بن قاسم، وحقق كاملًا في ثمان رسائل دكتوراه، وطبع بمطبعة الملك فهد رَحِمَهُ اللهُ للمصحف بالمدينة.

(٣) انظر: العقود الدرية (١/ ٤٤).

(٤) طبع في ست مجلدات بتحقيق الدكتور/ عبدالعزيز العسكر ورفاقه.

وكذا حدوث العالم العلوي والسـ ـفلي فيه في أتم بيان
وكذا قواعد الاستقامة إنها سفران فيما بيننا ضخمان
وقرأت أكثرها عليه فزادني والله في علم وفي إيمان
هذا ولو حدثت نفسي أنه قبلي يموت لكان غير الشان(١)
وكذاك توحيد الفلاسفة الألى توحيدهم هو غاية الكفران
سفر لطيف فيه نقض أصولهم بحقيقة المعقول والبرهان
وكذاك تسعينية فيها له رد على من قال بالنفساني
تسعون وجهًا بينت بطلانه أعني كلام النفس ذا الوحدان

أي إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ صنف الكتاب المسمى بـ«التسعينية»(٢)، وهو رد على القائلين بالكلام النفسي، وأن كلام الله تعالى معنى واحد قائم بالنفس، على ما هو معروف.

وقوله: «ذا الوحدان......» بالحاء المهملة، أي إنه معنى واحد.

۞۞۞

وكذا قواعده الكبار وإنها أوفى من المائتين في الحسبان
لم يتسع نظمي لها فأسوقها فأشرت بعض إشارة لبيان
وكذا رسائله إلى البلدان والـ أطراف والأصحاب والإخوان
هي في الورى مبثوثة معلومة تبتاع بالغالي من الأثمان
وكذا فتاواه فأخبرني الذي أضحى عليها دائم الطوفان

(١) يعني لو عرفت أنه سيموت قبلي، لاجتهدت في القراءة عليه أكثر.
(٢) طبعت ضمن الفتاوى الكبرى، وطبعت مستقلة بتحقيق الدكتور/ محمد بن إبراهيم العجلان في رسالة دكتوراه في قسم العقيدة في جامعة الإمام.

بلغ الذي ألفاه منها عدة الـ أيام من شهر بلا نقصان
سفر يقابل كل يوم والذي قد فاتني منها بلا حسبان
هذا وليس يقصر التفسير عن عشر كبار ليس ذا نقصان
وكذا المفاريد التي في كل مسـ ـألة فسفر واضح التبيان
ما بين عشر أو تزيد بضعفها هي كالنجوم لسالك حيران
وله المقامات الشهيرة في الورى قد قامها لله غير جبان[1]
نصر الإله ودينه وكتابه ورسوله بالسيف والبرهان
أبدى فضائحهم وبين جهلهم وأرى تناقضهم بكل زمان
وأصارهم والله تحت نعال أهـ ـل الحق بعد ملابس التيجان
وأصارهم تحت الحضيض وطالما كانوا هم الأعلام للبلدان
ومن العجائب أنه بسلاحهم أرداهم تحت الحضيض الداني
كانت نواصينا بأيديهم فما منا لهم إلا أسير عان
فغدت نواصيهم بأيدينا فلا يلقوننا إلا بحبل أمان
وغدت ملوكهم مماليكًا لأنـ ـصار الرسول بمنة الرحمن
وأتت جنودهم التي صالوا بها منقادة لعساكر الإيمان
يدري بهذا من له خبر بما قد قاله في ربه الفئتان
والفدم يوحشنا وليس هناكم فحضوره ومغيبه سيان

حاصل كلامه في هذا الفصل: ذكر بعض مؤلفات شيخه، شيخ الإسلام وذكر بعض مناقبه[2]، وهي بحر لا ساحل له.

---

(١) لا نعرف عن تلك المقامات شيئًا، ولكن ذكر ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٣٩٤)، وابن عبدالهادي في العقود الدرية (ص١٩٤) أمثلة لها.

(٢) الذي يريده الناظم من ذكر تلك المؤلفات هو الكشف عن الدور العظيم الذي قام به شيخ الإسلام =

وقد أفردت المصنفات الكثيرة في مناقبه، كـ «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» لتلميذه الحافظ محمد بن عبد الهادي في مجلد[1]، وعدد أسماء تصانيفه في نحو كراس[2]، ومناقبه لتلميذه أبي حفص البزار[3] في كراسين[4]، وترجمته المفردة للحافظ أبي عبد الله الذهبي[5] ....

=ابن تيمية من تلك التآليف التي كشف بها عن حال الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والصوفية وغيرهم من الخرافيين والقبوريين، فإنه ذكر من كتبه قواعد وأصولًا عقدية وتأصيلات شرعية، لا يستغنى عنها طالب الحق، فقد سارت بمؤلفاته الركبان واستفاد منها الخاص والعام، وشكره على ذلك العلماء الأعلام. انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ١٥٩).

(١) كتاب العقود الدرية لابن عبد الهادي، طبع بتحقيق محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللَّهُ طبع دار الكتاب العربي، وتبدأ مؤلفات شيخ الإسلام من(ص٤٢-١١١).
قال عبد الله بن تيمية شقيق شيخ الإسلام كما في العقود الدرية(ص٨٠): «لو أراد الشيخ تقي الدين أو غيره حصرها -يعني مؤلفات الشيخ- لما قدروا؛ لأنه ما زال يكتب، وقد من الله عليه بسرعة الكتابة، ويكتب من حفظه من غير نقل...».
وانظر: فهرس مصنفات شيخ الإسلام - ضمن كتاب الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص٧٧٩-٨٠٩)، ذكر فيها قرابة (٧٢٠) مصنفًا ما بين كتاب ورسالة وجواب وفتوى.

(٢) طبعت من تأليف شمس الدين ابن القيم، وهو خطأ، و الصحيح أنه من تأليف أبي عبدالله بن رشيق، كاتب شيخ الإسلام.
قال ابن كثير في تاريخه (١٤/ ٢٢٩) ط. دار المعارف: «وفي هذه اليوم - يعني السبت ١١/ ١١/ ٧٤٩هـ- توفي الشيخ أبي عبدالله بن رشيق،كاتب مصنفات شيخنا العلامة ابن تيمية، كان أبصر بخط الشيخ منه، إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه أبو عبدالله هذا......». وانظر: العقود الدرية لمحمد بن أحمد بن عبدالهادي(ص٤٣).

(٣) تحرفت في (ع) و(د) إلى «البزبز» وهو عمر بن علي بن موسى البغدادي الأزجي الحنبلي البزار، سراج الدين، أبو حفص، محدث، مؤرخ فقيه، مات سنة (٧٤٩هـ)، من آثاره: «الأعلام العلية في مناقب الإمام ابن تيمية» وهو الذي أشار إليه المؤلف هنا.
انظر: معجم المؤلفين لرضا حكالة (٧/ ٣٠٢).

(٤) سماه «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية».

(٥) سماها «الدرة اليتيمية في سيرة ابن تيمية» ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (١/ ٤٦٢)، وهدية العارفين (٢/ ١٥٤).

وهي غير تراجمه التي ذكرها في تواريخه[(١)].

وقد ذكره الشيخ أبو حفص عمر بن الوردي في «تاريخه»[(٢)] وأطنب في ترجمته، وكذا ذكره الإمام أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري في تاريخه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»[(٣)] وأسهب وأطنب، والحافظ (ع/٢/١٧٠ب) عماد الدين بن كثير في كتاب «البداية والنهاية»[(٤)] والحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في «طبقات الحنابلة»[(٥)]، والشيخ محمد بن شاكر في ذيله على تاريخ ابن خلكان[(٦)]، والحافظ ابن حجر العسقلاني[(٧)]، والإمام ابن العماد في «شذرات الذهب»[(٨)] وغيرهم.

ومن أراد معرفة تصانيفه وعلومه العظيمة، فليرجع إلى هذه المصنفات، ير فيها ما يثلج صدره، والله تعالى يغفر له ويرحمه، ويجزيه عن الإسلام خيرًا[(٩)].

---

(١) ترجم له الذهبي في معجم الشيوخ (١/ ٥٦-٥٧)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٩٦-١٤٩٨)، وذيل العبر (ص٨٤)، ودول الإسلام (٢/ ٢٣٧)، والإعلام بوفيات الأعلام (ص٣٠٨).

(٢) المسمى «تتمة المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٤٠٦-٤١٣)، و(٢/ ٢٨٥-٢٨٩).

وابن الوردي هو: عمر بن مظفر بن محمد بن أبي الفوارس المعري، المشهور بابن الوردي الشافعي، فقيه، أديب، ناظم، نحوي، مؤرخ، مات بحلب سنة (٧٤٩هـ). انظر: الدرر الكامنة (٣/ ١١٥)، معجم المؤلفين (٨/ ٣).

(٣) انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ـ ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص٣١٢-٣٢٨).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٢٥٥-٣٧٤) (١٤/ ٣-١٤٦).

(٥) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٧-٤٠٨) تحقيق محمد حامد الفقي.

(٦) انظر: فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (١/ ٧٤-٨٠).

(٧) في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٤٤-١٦٠).

(٨) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٧/ ١٤٢-١٥٠).

(٩) أجمع كتاب جمع تراجمه المتفرقة في الكتب هو كتاب الجامع لسيرة شيخ الإسلام، تأليف علي عمران، ومحمد عزيز شمس، ط. دار عالم الفوائد. =

تنبيـــه:

قد نبغ في آخر القرن الثامن رجل يقال له «علاء الدين محمد بن محمد البخاري»(١)، تكلم في شيخ الإسلام، بما هو من كلام الطغام، وأشباه الأنعام،

= أما الكتب التي أفردت ترجمة شيخ الإسلام بالتصنيف فهي كثيرة منها:
١- العقود الدرية لابن عبد الهادي (٧٤٤هـ).
٢- الدرة اليتيمية في سيرة ابن تيمية للذهبي (٧٤٨هـ).
٣- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار (٧٤٩هـ).
٤- ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية لابن كثير (٧٧٤هـ).
٥- مناقب ابن تيمية لحسن بن عمر بن حسن بن حبيب (٧٧٩هـ).
٦- القصيدة التائية في إنكار تكفير العلاء البخاري لابن تيمية لعمر بن موسى القرشي (٨٦١هـ).
٧- الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين ابن تيمية لعبدالرحمن المقدسي الحنبلي.
٨- الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر لابن ناصر الدين الدمشقي (٨٤٢هـ).
٩- الاختيارات المرضية في أخبار ابن تيمية لمحمد بن علي بن طولون الحنفي (٩٥٣هـ).
١٠- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي الكرمي الحنبلي (١٠٣٣هـ).
١١- الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية له أيضًا.
١٢- ابن تيمية لمحمد راغب باشا الحنفي (١١٧٦هـ).
١٣- القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي ابن تيمية الحنبلي لمحمد بن محمد المغربي القافلاني الحنفي (١١٩١هـ).
١٤- القول الجلي في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية الحنبلي لصفي الدين الحنفي البخاري (١٢٠٠هـ). انظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون (ص٦٥-٦٩).

(١) محمد بن محمد... (إلى سبعة) البخاري العجمي الحنفي علاء الدين، فقيه من كبار الحنفية، ولد بإيران، ونشأ ببخارى، ورحل إلى الهند، ثم مكة فمصر واستوطنها، ثم انتقل إلى دمشق، فأقام بها إلى أن مات، ومن آثاره: «فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين» وهي في الرد على ابن عربي، وقد قوبلت بضحة، فأعقبها بثانية سماها: «الملجمة للمجسمة» وغيرها. =

وزعم أن من سماه شيخ الإسلام فهو كافر.

وقد تصدى للرد عليه في هذه الضلالة، وقبيح هذه المقالة: الشيخ الإمام العلامة والمحدث الفهامة الحافظ، أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الشافعي(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بكتاب سماه: «الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر»(٢) وقد أجاد فيه وأفاد وبلغ في إفحام الخصم الغاية والمراد، وهو في مجلد لطيف، وقد مدح هذا التأليف مشايخ الإسلام، وقرظوه بما يشفي الأوام،

= وقد ذكر ابن حجر أنه برع في المعقول والمنقول والمفهوم والمنطوق، واللغة العربية، وصار إمام عصره، وأطال الحافظ في الثناء عليه، لكنه كان فقيهًا حنفيًا شديد التعصب لمذهبه، ضيق الطعن، شديد الغضب، لجوجًا في الخصومة، ولم يكتف بالطعن في ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، بل قد يطعن في النووي أيضًا، ويقول: لا يجوز النظر في كتبه، وأنه رجل ظاهري، وكان بينه وبين العلامة الدلجي خلاف حول المسائل التي كان يثيرها -العلاء- وقد نقل بعضها ابن قاضي شهبة، أما خلافه مع شمس الدين البساطي حول تكفير ابن عربي الطائي الصوفي، فقد كان يكفر ابن عربي، والبساطي يقول: يجب أن ينصب التكفير على أقواله، أما تكفير المعين فغير مسلم لأحد إلا المعصوم، وهو كلام باطل، ترده النصوص، بل يجب تكفير المعين إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع، وابن عربي كافر زنديق، قد اجمع العلماء على تكفيره كما سبق.

وظاهر كلام البساطي سد باب التكفير؛ فلا يكفر أحدٌ ولو ارتد، وهو كلام ترده النصوص، ويترتب عليه من الفساد مالايخفى، والحق في ذلك مع العلاء البخاري- فالله يجزيه عن الإسلام خيرًا- في رده على ابن عربي، غير أنه لا يوافق أبدًا في كلامه في ابن تيمية والنووي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ؛ فقد نفع الله بهما وبكتبهما الأمة الإسلامية نفعًا لا ينكره إلا معاند، وقد أغفل ابن ناصر الدين اسم العلاء البخاري من كتابه؛ ليجعل الباب أمامه مفتوحًا للندم والتوبة عما سلف منه، قال في خاتمة كتابه «الرد الوافر» (ص٢٣٩): «أو رجوعًا إلى الحق ممن بهذا الرد قصدناه». انظر: الإعلام للزركلي (٧/ ٤٦-٤٧)، والرد الوافر لابن ناصر الدين (ص٤-٥، ٢١-٢٣).

(١) محمد بن أبي بكر عبد الله بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، الشهير بـ(ابن ناصر الدين) كان إمامًا محدثًا مؤرخًا، بل حافظ دمشق ومحدثها، مات سنة (٨٤٢هـ). انظر: معجم الشيوخ لابن فهد(ص٢٣٨-٢٣٩)، والدليل الشافي على المنهل الصافي لابن تغزي بردي، ط. جامعة أم القرى، وشذرات الذهب لابن العماد (٩/ ٣٥٤).

(٢) طبع بتحقيق زهير الشاديش، ط. المكتب الإسلامي.

كشيخ الإسلام أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني[(١)] -صاحب فتح الباري-، وقاضي القضاة شيخ الإسلام صالح بن عمر البلقيني الشافعي[(٢)]، والإمام قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي[(٣)]، والعلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي[(٤)]، والعلّامة الحافظ قاضي القضاة نور الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي، والإمام الهمام العلَّامة الفهامة أحمد بن نصر الله البغدادي الحنبلي[(٥)]، والشيخ الإمام العالم الهمام إبراهيم بن محمد الحلبي[(٦)]، والشيخ الإمام العلامة مفيد القاهرة رضوان بن محمد أبو النعيم[(٧)].

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) صالح بن عمر بن رسلان بن نصير الكناني العسقلاني البُلْقَيْني - بضم أوله وسكون اللام وفتح القاف وسكون المثناة كذا ضبطه ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه(ص٥٩٠)، والكتاني في الرسالة المستطرفة (ص١٢٤) - القاهري، علم الدين أبو البقاء، فقيه محدث متكلم مفسر ناثر، ناظم، ولد بالقاهرة سنة (٧٩١هـ) ومات سنة (٨٦٨هـ). انظر: معجم المؤلفين (٥/ ٩).

(٣) عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن أبو هريرة التفهني ثم القاهري الحنفي، ومات سنة (٨٣٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: أبناء الغمر (٨/ ٢٦٦) ط. دار الكتب العلمية، والنجوم الزاهرة (١٤/ ٣٣٩).

(٤) محمد بن أحمد بن عثمان الطائي المصري البساطي، مالكي، مات سنة (٨٤٣هـ). انظر: معجم المؤلفين (٨/ ٢٩١).

(٥) أحمد بن نصر الله بن أحمد التستري الأصل، البغدادي الحنبلي المعروف بابن نصر الله، تولى الإفتاء بالديار المصرية، مات بالقاهرة سنة (٨٤٤هـ). انظر: لحظ الألحاظ لابن فهد (١/ ١٨٩)، ونسبه إلى «الكناني» وقاضي القضاة، وانظر: معجم المؤلفين (٢/ ١٩٥).

(٦) الحافظ إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الأصل، الشافعي المعروف بسبط ابن العجمي، ويكنى بابن القوف، مات سنة (٨٤١هـ). انظر: ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي (٥/ ٣٧٩)، ومعجم المؤلفين (١/ ٩٢-٩٣).

(٧) رضوان بن محمد بن يوسف العقبي المصري، الشافعي، أبو النعيم، من حفاظ الحديث، مات سنة (٨٥٢هـ). انظر: معجم المؤلفين (٤/ ١٦٦).

قوله:

والـفـدم.................................. ....

قال في القاموس[١]: «الفَدْمُ: العيي عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم، والغليظ، الأحمق الجافي، جمع فِدَام، وهي بهاء فَدُمَ ككَرُمَ فَدَامَةً وفُدُومَةً» انتهى[٢].

(١) انظر: القاموس المحيط (ص١٤٧٧).

(٢) في هامش (ع) بخط المؤلف: «بلغ قراءة على المؤلف».

فصل

في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان(١)

يا قوم أصل بلائكم أسماء لم ... ينزل بها الرحمن من سلطان

(١) المقصود بالمصيبة التي أرادها الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الأبيات التي سيذكرها تحت هذا الفصل: هي ما حصل لهؤلاء المعطلة من فساد عملهم، وإيمانهم الذي انهدمت أركانه، فإن الإيمان إذا اختل منه ركن سقطت بقية الأركان، نعوذ بالله من الخذلان، وإذا كان العمل الصالح هو طريق لنجاة الإنسان عند قدومه على ربه، فإن المصيبة كل المصيبة أن يقدم العبد على ربه وقد فوجئ برد عمله، وجعله هباءً منثورًا؛ إما بسبب شرك أو خلل في إيمانه سقطت معه بقية الأركان، بعد أن كدح في الدنيا واجتهد في العمل الذي كان يظنه سببًا لنجاته، فصار سببًا لهلاكه، وقد ذكر الناظم أن سبب تلك المصيبة: هي أنهم عمدوا إلى ألفاظ موهمة تحتمل حقًّا وباطلًا، فقبلوها على إجمالها من غير تمييز ولا تفصيل، يتبين منه ما يصح من معانيها وما لا يصح.
والمنهج الصحيح أن أي لفظ في حق الله -تعالى- لم يرد في الكتاب والسنة،لا نقبله ولا نرده حتى نستفصل عنه؛ فإن أريد به حق قبل، وإن أريد به باطل رد على قائله؛ لأن قبول هذه الألفاظ مطلقًا؛ قد يدخل معها المعنى الباطل، والصواب التفصيل في ذلك كله؛ ولأجل ذلك لابد من التعبير عن المعاني بالألفاظ الشرعية، ولا يرد على هذا ما يستعمله أهل السنة - أحيانًا - من إيراد ألفاظ لم ترد في الكتاب والسنة مثل كلمة «بائن» «الحد» «غير مخلوق» وغيرها، فإن هذه الألفاظ - وإن لم ترد - إلا أنها استعملت لمعان صحيحة، ولا تحتمل أكثر من معنى واحد، وإذا نطق أهل البدعة بالباطل، وجب على أهل الحق أن ينطقوا بالحق ولو بتعابير وألفاظ لم تكن معروفة من قبل، ثم إن هذه الألفاظ التي استعملها أهل السنة ليست مجملة، بل معناها محدد وواضح.
أما الألفاظ المجملة التي يستعملها أهل البدع، فقد كانت سببًا لجر كل مصيبة على هؤلاء المعطلة، من جهة عدولهم بها عن الألفاظ الشرعية، ومن جهة ردهم بها المعاني الصحيحة الواردة في الكتاب والسنة؛ لأن غالب عقائد المعطلة هي السلوب: ليس بكذا، ليس بكذا....إلخ
وهذه الألفاظ التي ناقشهم فيها الناظم هي: الجهة، والحيز، ونفي الجسمية، ونفي حلول الحوادث، والأعراض، وغيرها.
انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٧١)، ومختصر العلو للألباني (ص١٨).

هي عكستكم غاية التعكيس واقـ ـتلعت دياركم من الأركان
فتهدمت تلك القصور وأوحشت منكم ربوع العلم والإيمان
والذنب ذنبكم قبلتم لفظها من غير تفصيل ولا فرقان
وهي التي اشتملت على أمرين من حق وأمر واضح البطلان
سميتم عرش المهيمن حيزًا والاستواء تحيزًا بمكان
وجعلتم فوق السموات العلى جهة وسقتم نفي ذا بوزان

يعني أن المصيبة (ع/٢/١٧١أ) والبلاء الذي حل بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ وذلك أنهم سموا عرش المهيمن سبحانه حيزًا وسموا الاستواء تحيزًا وجهة[1].

❁ ❁ ❁

(١) الجهة والحيز من الألفاظ المجملة التي تعلق بها المعطلة في نفي صفتي العلو والاستواء، ويقولون: إن الله منزه عن الجهة، بمعنى أنه منزه عن المكان؛ لأننا إذا أثبتنا له مكانًا كان مفتقرًا إلى ذلك المكان، ودفعهم ذلك إلى القول بأنه -تعالى- ليس مختصًّا بحيز ولا جهة، بمعنى أنه لا يصح أن يشار إليه بالحس بأنه ههنا أو هناك، وذكروا براهين في ذلك ساقها الرازي في أساس التقديس (ص٦٢-٧٨).
وهؤلاء المعطلة أُتوا من سوء فهمهم؛ فإنهم لم يفرقوا بين الحيز الوجودي والحيز العدمي، فلفظ الجهة قد يراد به ما هو موجود وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا للخالق والمخلوق، فإن أريد بالجهة أمرًا وجوديًّا غير الله -تعالى- كان مخلوقًا، وهو باطل؛ لأن الله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات -تعالى الله عن ذلك-.
وإن أريد بالجهة أمرًا عدميًّا، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، وإذا قيل إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح، ومعناه أنه فوق العالم، حيث انتهت المخلوقات، فهو فوق الجميع، عال عليهم.
ولم يقل أحد من أهل السنة: إن وراء العالم أمورًا وجودية يجب أن يكون الله -تعالى- في واحد منها.
قال شيخ الإسلام: فهذا ما علمنا أحدًا قاله، وإن قاله أحد تُكُلِّمَ معه بخصوصه، ولا يجعل هذا قول أهل العلم والإيمان الذين يقولون: إن الله -تعالى- فوق العرش. =

قال:

وجعلتم الإثبات تشبيهًا وتجـ ـسيمًا وهـذا غاية البهتان
وجعلتم الموصوف جسمًا قابل الـ أعـراض والأكـوان والألـوان
وجعلتم أوصافه عرضًا وهـ ـذا كله جسر إلى النكران

أي أنكم أيها المعطلة سميتم الإثبات تشبيهًا وتجسيمًا، وقلتم إذا وصفتم الله بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله،فقد قلتم بأن الله جسم، قابل للأعراض وهي الألوان ونحوها، والأكوان الأربعة: وهي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون تعالى الله عن ذلك(١).

❁❁❁

= انظر: بيان تلبيس الجهمية -قسم الدراسة- (ص٣٦٢-٣٧٠)، وشرح الرسالة التدمرية للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك (ص٢٠٥-٢٠٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٦٧١).

(١) للمعطلة طريقتان في التنزيه: إما نفي الصفات بحجة أنها تؤدي إلى التشبيه، أو نفي الصفات بحجة أنها تؤدي إلى التجسيم، والتشبيه عند أهل السنة: هو وصف الله تعالى بشيء من خصائص المخلوقين، لكن المعطلة أدرجوا في مفهومه ما ليس منه، فجعلوا إثبات الصفات كلها أو بعضها تشبيهًا، وظنوا أن هذا هو التنزيه، ومن اعتمد في ما ينفيه من الأسماء والصفات على مجرد نفي التشبيه فقد ضل وجانب الصواب؛ لأن الاشتراك في الأسماء لا يوجب الاشتراك في معانيها، فلله تعالى صفات تخصه، وللمخلوق صفات تخصه، والاشتراك في المعنى الكلي العام لا يلزم منه الاشتراك عند الإضافة والتخصيص، وعمدتهم في ذلك قياس الغائب على الشاهد، وبعض المعطلة نفوا ما نفوا من الصفات بحجة أنها تؤدي إلى التجسيم؛ قالوا لأن الصفات لا تقوم إلا بجسم والأجسام متماثلة، فلو قامت بالله -تعالى- الصفات للزم أن يكون مماثلًا لسائر الأجسام، وهذا هو التشبيه، وأهل الإثبات يجيبون تارة بمنع المقدمة الأولى، وتارة بمنع المقدمة الثانية، وتارة بمنع المقدمتين، وتارة بالاستفصال عن المراد عن الجسم.
انظر: شرح الرسالة التدمرية للبراك (ص٣٤٧)، وشرح الرسالة التدمرية للخميس (ص٣١٠)، ومقالة التشبيه (١/ ٤٥٨-١٦٠).

قال:

وكـذاك سميتم حلول حوادث ... افعاله تلقيب ذي عدوان
إذ تنفر الأسماع من ذا اللفظ نفـ ... ـرتها من التشبيه والنقصان
فكسوتم افعاله لفظ الحوا ... دث ثم قلتم قول ذي بطلان
ليست تقوم به الحوادث والمرا ... د النفي للأفعال للديان
فإذا انتفت أفعاله وصفاته ... وكلامه وعلو ذي السلطان
فبأي شيء كان ربا عندكم ... يا فرقة التحقيق والعرفان
والقصد نفي فعاله عنه بذا التـ ... ـلقيب فعل الشاعر الفتان
وكذاك حكمة ربنا سميتم ... عللا وأغراضا وذان اسمان
لا يشعران بمدحةٍ بل ضدها ... فيهون حينئذ على الأذهان
نفي الصفات وحكمة الخلاق والـ ... أفعال إنكارا لهذا الشان
وكذا استواء الرب فوق العرش قلـ ... ـتم إنه التركيب ذو بطلان
وكذاك وجه الرب جل جلاله ... وكذاك لفظ يد ولفظ يدان
سميتم ذا كله الأعضاء بل ... سميتموه جوارح الإنسان
وسطوتم بالنفي حينئذ عليـ ... ـه كنفينا للعيب مع نقصان
قلتم ننزهه عن الأعراض والـ ... أغراض والأبعاض والجثمان
وعن الحوادث أن تحل بذاته ... سبحانه من طارق الحدثان
والقصد نفي صفاته وفعاله ... والاستواء وحكمة الرحمن

يعني الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن المعطلة سموا صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعراضًا، وسموا حكمته أغراضًا وعللا[1]، وسموا إثبات وجهه ويده أو يديه سبحانه

---

(١) الحكمة: هي الغاية المحمودة المقصودة التي يفعل من أجلها، وهي المسألة المعروفة عند أهل السنة بمسألة: «تعليل أفعال الله»، وقد اختلف الناس فيها على أربعة أقوال: =

أبعاضًا[(١)].

= القول الأول: أن الله -تعالى- خلق المخلوقات، وأمر المأمورات لا لعلة ولا لداع، بل فعل ذلك لمحض المشيئة، وصرف الإرادة.

وهذا قول الجهمية الجبرية، والفلاسفة، والأشعري وأصحابه.

قالوا: «لا يجوز تعليل أفعاله -تعالى- بشيء من الأعراض والعلل الغائية»، فسموها عللًا وأغراضًا ثم نفوها؛ لأن فيها معنى الافتقار.

وهذه مكابرة، وجحد للضرورات؛ فإن ما في خلق الله تعالى وأمره من الحكم والمصالح، أمر تشهد به الفطر والعقول، ونفي الحكمة، يقتضي وصفه بالجهل، تعالى الله عن ذلك، وذلك لأن الحكمة تتضمن كمال الإرادة والعدل والإحسان والجود والبر، ووضع الأشياء في مواضعها.

ومن أصرح الأدلة في الرد على نفاة الحكمة قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾. قال المفسرون: العبث أن يعمل عملًا لا لحكمة وهو من جنس اللعب.

القول الثاني: أن الله -تعالى- فعل المفعولات، وخلق المخلوقات لحكمة محمودة، ولكن هذه الحكمة مخلوقة منفصلة عنه.

وهذا قول المعتزلة، وهو مبني على قاعدتهم الباطلة: أن الله لا يقوم به فعل ولا نعت.

القول الثالث: قول عبد الله بن سعيد بن كلاب، ومن وافقه، وهؤلاء يثبتون حكمة وغاية قائمة بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكنهم يجعلونها قديمة غير مقارنة للمفعول، فهم يزعمون أن الله -تعالى- لم يزل راضيًا عمن علم أنه سيموت مؤمنًا وإن كان أكثر عمره كافرًا.

وهذا القول ترده النصوص الصريحة، التي تدل على أن الله لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، وقولهم هذا مبني على قاعدتهم الباطلة:أن إرادة- الله تعالى- للشيء هي الكراهة ألا يكون، ولعلهم بهذا القول فتحوا بابًا للصوفية في ولوج المنكر.

القول الرابع: قول أهل السنة، وأهل الحديث، والصوفية وغيرهم، وهو أن الله ـ سبحانه ـ يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها هو، وقد يُطلِع الله عباده عليها، وقد لا يطلعهم، وأدلة أهل السنة مستفيضة في الكتاب والسنة لا تخفى على من له أدنى إلمام بالكتاب والسنة، وقد أطال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ جدًّا في الاستدلال لذلك كما في شفاء العليل.

انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ١٧٤)، وبدائع الفوائد (٣/ ٧٠٨)، وشفاء العليل (ص٢٤٩)، ومدارج السالكين (٣/ ٣٥٩) (٣/ ٤٦٢)، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه للشيخ الدكتور عبد الرحمن المحمود (ص٢٤٢-٢٤٦).

(١) المعطلة سموا ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الكمال لله تعالى: جوارح وأعضاء، ثم نفوها، فنفوا عنه -تعالى- الوجه، واليدين، والعينين، والقدم، والساق، والأصابع، ونحوها من الصفات الذاتية. =

وقالوا: هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَى منزه عن الأعراض والأغراض والأبعاض[1]، وكذا سموا قيام أفعاله به سبحانه حلول الحوادث؛ وذلك كله لأجل التشنيع على من تبع مذهب السلف الذي دل عليه صحيح المنقول وصريح المعقول.

ولهذا قال الناظم:

فإذا انتفت أفعاله وكلامه ... وصفاته وعلو ذي السلطان[2]

فبأي شيء كان ربا عندكم ... .

۞۞۞

قال الناظم:

والناس أكثرهم بسجن اللفظ محـ ... ـبوسون خوف معرة السجان

والكل إلا الفرد يقبل مذهبا ... في قالب ويرده في ثان

= قالوا: والخالق تعالى ليس بذي أبعاض؛ لأنه ليس بمؤلف، وكذلك ليس بذي جوارح؛ لأن الجوارح كواسب، وسميت أعضاء الإنسان جوارح؛ لأنه يكسب بها، والله منزه عن ذلك. انظر: تلبيس إبليس (ص٨٨).

ويرد عليهم: أن هؤلاء المعطلة لم يثبت عندهم من صفات الله- تعالى-إلا ما ثبت للمخلوق؛ فشبهوا أولًا ثم عطلوا ثانيًا، ولا يلزم من إثبات الصفات لله- تعالى- أن تكون بمعنى الأدوات أو الأعضاء والجوارح؛ لأن هذه الألفاظ التي ذكرتموها تدل على الحاجة والفقر وطلب النفع لمن قامت به، والله تعالى منزه عن ذلك، والله لا يقاس بخلقه، فهو الغني بذاته الأحد الصمد، وما سواه فقير محتاج إليه سبحانه.

وأيضًا: فإن أهل السنة إذا أثبتوا صفة لله تعالى فإنهم يثبتونها مع نفي التشبيه، ومن أوضح الأدلة على فساد قول المعطلة: أن تلك المعاني التي ذكروها لم ترد في الكتاب ولا في السنة، فهي منتفية في حق الله -تعالى-؛ لفساد معانيها، فإن الألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة صحيحة المعاني، سالمة من الاحتمالات الفاسدة، فلا يجب العدول عنها نفيًا وإثباتًا، لئلا يُثْبَت معنى فاسدًا أو ينفى معنى صحيحًا.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٩٨)، والصواعق المرسلة (٢/ ٤٣٩).

(٢) في (د، ع): «وعلوه على عرشه..»، وهو سهو من الناسخ.

والقصد أن الذات والأوصاف والـ ... أفعال لا تنفى بذا الهذيان

سموه ما شئتم فليس الشأن في الـ ... أسماء بل في مقصد ومعان

كم ذا توسلتم بلفظ الجسم والتـ ... ـجسيم للتعطيل والكفران

وجعلتموه الترس إن قلنا لكم ... الله فوق العرش والأكوان

قلتم لنا جسم على جسم تعا ... لى الله عن جسم وعن جثمان

وكذاك إن قلنا القران كلامه ... منه بدا لم يبد من إنسان

كلا ولا ملك ولا لوح ولـ ... ـكن قاله الرحمن قول بيان(١)

تقدم معنى أن الكلام بدا منه تعالى ومعنى بدايته.

❁❁❁

قلتم لنا إن الكلام قيامه ... بالجسم أيضًا وهو ذو حدثان

عرض يقوم بغير جسم لم يكن ... هذا بمعقول لذي الأذهان

---

(١) معنى الأبيات: أن أكثر الناس يعتمد على اللفظ، فيتغير به إثباتًا أو نفيًا، فتجده محبوسًا بسجن اللفظ لا ينظر إلى المعنى، ولا ينظر إلى الهدف، ولا ينظر إلى المقصود ولا العلة التي سيق الكلام من أجلها، كما هو حال الظاهرية في جمودهم على الألفاظ، وهؤلاء إذا سمعوا لفظًا يوهم شيئًا من التشبيه فروا منه خشية الوقوع فيه.

وهؤلاء الذين يعتمدون على الألفاظ إذا جاءتهم المعاني في اللفظ نفسه قبلوها، وإذا جاءتهم بلفظ آخر ردوها.

وجملة القول أن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله لا يصح أن تنفي بمثل هذا الهراء، فإن العبرة ليست بما يتواضعون عليه من ألفاظ وأسماء، بل بما وراء ذلك من معان ومدلولات، فليسموا هذه الأشياء بما أرادوا، فإن ذلك لن يغير من الحق شيئًا.

مثال ذلك لفظ الجسم الذي جاءت به المعطلة لرد صفات الله تعالى، فهم ينفون الصفات لأن إثباتها يقتضي التجسيم، وهم إذا نفوا الجسم عن الله تعالى إنما قصدهم بذلك نفي الصفات الثابتة لله تعالى. انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ١٦٩)، وشرح ابن عثيمين (٤/ ٨٩-٩٠).

أي قالت النفاة إذا قلتم: إن كلام الله تعالى بدا منه[١]، لم يبد من إنسان، ولا ملك (ع/٢/١٧٣ا)، ولا من اللوح المحفوظ، فتقول النفاة: الكلام عرض، والعرض لا يقوم بغير جسم، فكلامكم أيها المثبتة غير معقول[٢].

۞۞۞

وكذاك حين نقول ينزل ربنا ... في ثلث ليل آخر أو ثان

قلتم لنا إن النزول لغير أجـ ... ـسام محال ليس ذا إمكان

وكذاك إن قلنا يرى سبحانه ... قلتم أجسم كي يرى بعيان

أي إذا قلنا إنه سبحانه يرى في الآخرة قالت المعطلة يلزم أنه جسم وأن له جهة[٣].

۞۞۞

(١) قال سفيان بن عيينة: سمعت عمرو بن دينار يقول: «أدركت مشيختنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدا، وإليه يعود» أخرجه الطبري في صريح السنة (ص١٩)، ومن طريقه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٣٤).
قال الإمام أحمد فيما نقله عنه هارون بن عبد الرحمن أبو موسى العكبري كما في طبقات الحنابلة (١/ ٣٩٨): (منه بدأ علمه، وإليه يعود حكمه).

(٢) هذه الشبهة عمدة المعطلة في نفي أكثر الصفات الاختيارية، كالكلام، والضحك والعجب والحب والبغض والرضى وغيرها، مما يصح أن يكون صفة لله تعالى تقوم به -سبحانه-، ويشتق له منها اسم، فهذه الصفات وأمثالها ينفيها المعطلة بحجة أنها عرض من الأعراض، والأعراض لا تقوم إلا بالأجسام، والأجسام متماثلة فيجب نفيها عن الله.
وأيضًا فإن هذه الصفات إذا قامت بالله -تعالى- كان محلًّا لحلول الحوادث، والله منزه عن حلول الحوادث، وقد سبق الكلام عن هاتين القاعدتين، أما الصفات التي هي من باب الخبر؛ كالضحك، والغضب، والحب، والكره والانتقام، وغيرها، فهذه ينفونها فرارًا من القول بحلول الحوادث -زعموا-. انظر: شرح النونية لخليل هراس (٢/ ١٧٠).

(٣) إثبات الرؤية من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد قال بثبوتها الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين وأهل الحديث وسائر طوائف الإسلام المنسوبون إلى السنة والجماعة، وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين، وبها يتميز أهل الحق عن غيرهم. =

أم كان ذا جهة تعالى ربنا ... عن ذا فليس يراه من إنسان
أما إذا قلنا له وجه كما ... في النص أو قلنا كذاك يدان
وكذاك إن قلنا كما في النص إن ... القلب بين أصابع الرحمن
وكذاك إن قلنا الأصابع فوقها ... كل العوالم وهي ذو رجفان
وكذاك إن قلنا يداه لأرضه ... وسمائه في الحشر قابضتان
وكذاك إن قلنا سيكشف ساقه ... فيخر ذاك الجمع للأذقان
وكذاك إن قلنا يجيء لفصله ... بين العباد بعدل ذي سلطان
قامت قيامتكم كذاك قيامة الـ ... آتي بهذا القول في الرحمن

أي إذا قلنا: إن له تعالى وجهًا -كما ورد به النص[1]- كما يليق بجلاله، أو قلنا:

= ومن أظهر الأدلة على إثبات الرؤية قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، فأضاف النظر إلى الوجه الذي هو محله، ثم عداه بـ (إلى) الصريحة في نظر العين، وأخلى الكلام من قرينة تدل على خلاف نظر العين، ومعناها: نظرت إلى ربها فنضرت بنوره.
هكذا فسرها الصحابة والتابعون وأتباعهم، وهو قول كل مفسر من أهل السنة والحديث..
والآيات التي تدل على الرؤية كثيرة، وأما الأحاديث الدالة على إثبات الرؤية فهي كثيرة، بل متواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن، منها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الصحيحين: «أن أناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر؟»** قالوا: لا يا رسول الله، قال: **«هل في الشمس ليس دونها سحاب؟»** قالوا: لا، قال: **«فإنكم ترونه كذلك...»** الحديث بطوله، وقد رواه أيضًا من الصحابة: أبو سعيد الخدري، وجرير بن عبد الله البجلي، وروى غير هؤلاء أحاديث أخرى تدل على الرؤية، لكن الجهمية والمعتزلة تمحلوا، فنفوا الرؤية مع كثرة الأدلة وصراحتها خوفًا من إثبات التجسيم والجهة، ثم جاءت الأشاعرة؛ لتجمع بين قول أهل السنة وقول المعتزلة فقالت: يرى لا في جهة؟! فأتت بالمحال، ولهم أدلة عديدة ذكرها الرازي في «أساس التقديس» الذي نقضه شيخ الإسلام في كتابه العظيم «نقض التأسيس»، فمن أراد التوسع فليراجعه.
وانظر: شرح ابن أبي العز على الطحاوي (ص٢٠٧).

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وأكثر النصوص الدالة على الرؤية دالة على إثبات الوجه لله تعالى.

إن له سبحانه يدين، أو قلنا كما في النص: «إن القلب بين أصابع الرحمن»[(١)]، أو إن الأصابع فوقها العوالم[(٢)]، وإنه يقبض أرضه وسماءه في الحشر[(٣)]، وأنه سيكشف عن ساق[(٤)]، وأنه سبحانه يجيء لفصل القضاء[(٥)]، وغير ذلك مما في كتاب الله، أو في صحيح السنة وحسنها، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، قامت قيامتكم، ورميتمونا بكل حجر ومدر.

ولنبسط الكلام في الوجه واليدين فنقول[(٦)]:

وجه الرب -سبحانه- حيث ورد في الكتاب والسنة فليس بمجاز، بل على حقيقته، واختلف المعطلة في جهة التجوز في هذا:

فقالت طائفة: لفظ الوجه زائد، والتقدير (ويبقى ربك) (إلا ابتغاء ربه الأعلى)، و(يريدون ربهم).

---

(١) كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٥): «إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء».
أما اليد فقد ورد فيها نصوص كثيرة منها قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

(٢) يشير إلى حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي في البخاري (٣/ ١٥١٩)، قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾.

(٣) كما في قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية، قال ابن عباس: يقبض على الأرض والسماوات جميعًا فما يرى طرفها من قبضته، ويده الأخرى يمين. انظر: تفسير مقاتل (٣/ ١٣٩).

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

(٥) كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]. وقال: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات:٣٨].

(٦) مختصر الصواعق (٣/ ٩٩٢-١١١٠).

وقالت فرقة: الوجه بمعنى الذات، وهذا قول أولئك، وإن اختلفوا في التعبير عنه.

وقالت فرقة: ثوابه وجزاؤه، فجعله هؤلاء مخلوقًا منفصلًا؛ قالوا: لأن الذي يراد هو الثواب[(١)].

قال عثمان بن سعيد الدارمي[(٢)] -وقد حكى قول المريسي أنه قال في قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه**»[(٣)] يحتمل أن يقبل الله عليه بنعمته وإحسانه (ع/٢/١٧٤ب) وإفضاله، وما أوجب للمصلي من الثواب فقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي ما توجه به إلى ربك من الأعمال الصالحة[(٤)]، وقوله:

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٦٥-٢٦٦)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١/ ٢٦٣-٢٦٤)، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٢٢٧)، وأصول الدين لعبد القادر بن طاهر (ص٥٢)، والإرشاد لابن المعالي الجويني (ص١٥٧)، وأساس التقديس للرازي (ص١٥١-١٥٦)، ومختصر الصواعق (٣/ ٩٩٢ ـ تعليق).

(٢) نقص الدارمي على بشر المريسي (٢/ ٧٠٤) ط. مكتبة الرشد.

(٣) أخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة، باب المصلي يتنخم (١/ ٣٢٦) من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن حذيفة به، وإسناده حسن لحال عاصم بن بهدلة.

(٤) هذا تفسير الجهمية نفاة الصفات مستدلين باللغة على أن الوجه هنا إما القبلة أو الجهة، لكنه تفسير باطل ترده النصوص، وقد حكى هذا التفسير الدارمي في نقضه على بشر المريسي، أورده بقوله (٢/ ٧٠٨): (أفيجوز أن يقال للقبلة، وأعمال العباد: ذو الجلال والإكرام؟ فقد علم المؤمنون من خلق الله أنه لا يقدس وجه بذي الجلال والإكرام غير وجه الله...).

وأما تفسير الآية، فإنها من المتشابه الذي يجب رده إلى المحكم، وظاهر الآية يدل على أن كل شيء فان إلا وجه الله فقط، وهو معنى باطل؛ لأن التوحيد الذي لا يصح الإيمان إلا به، يقوم على إثبات وجود الله ذاتًا وصفاتًا، فإن الصفات مرتبطة بالذات، والقاعدة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات؛ لأن الصفات تدل على الذات بدلالة التضمن، فالآية تدل على إثبات الوجه بالمطابقة وعلى إثبات الذات بدلالته التضمن، وقد ذكر الزبيدي في تاج العروس (١٩/ ١١٠) أن: «الوجه: نفس الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]. قال الزجاج: أراد إلا إياه، ويقال: هذا وجه الرأي، أي هو =

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٤] أي قبلة الله- قال الدارمي(١): «...لما فرغ المريسي من إنكار اليدين ونفيهما عن الله، أقبل قبل وجه الله ذي الجلال والإكرام لينفيه عنه، كما نفى عنه اليدين، فلم يدع غاية في إنكار وجه الله ذي الجلال والإكرام والجحود به، حتى ادعى أن وجه الله الذي وصفه بأنه ذو الجلال والإكرام مخلوق؛ لأنه ادعى أنه أعمالٌ مخلوقةٌ يتوجه بها إليه، وثواب وإنعام مخلوق يثيب به العامل، وزعم أنه قبلة الله، وقبلة الله لا شك مخلوقة.....» ثم ساق الكلام في الرد عليه.

وذكر(٢) الخطابي والبيهقي وغيرهما قالوا «لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه فقال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٧]؛ دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة، وأن قوله: ﴿ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٧]، صفة للوجه وأن الوجه صفة للذات»(٣).

قال الناظم في الصواعق(٤): «فتأمل رفع قول: ﴿ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٧]

=الرأي نفسه، مبالغة»، وهذا لا يصح وهو قول المعتزلة الذي يثبون ذاتًا مجردة عن الصفات، فالآية تدل على إثبات الوجه الذي لا يقوم إلا بالذات، وإثبات أنه السيد، كما يقال جاء وجوه القوم يعني أسيادهم وأكبرهم، ولا يعرف السيد إلا بوجهه، والله أعلم. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٤٣٤)، (١٦/ ٣٢٢)، ودرء التعارض (١٠/ ٣٠٨)، ونقض التأسيس (١/ ٣٦).

(١) نقض الدارمي على المريسي (٢/ ٧٠٤)، لكنه حكاه عن المريسي بصيغة الحاضر بقوله: «ثم لما فرغت من إنكار اليدين، ونفيهما عن الله ذي الجلال والإكرام، أقبلت على الوجه تنفيه...» إلخ. وفي الكلام تقديم وتأخير.

(٢) الضمير يعود على الناظم، والمؤلف ينقل عنه، و لم يشر إلى ذلك في بداية كلامه، ولعله ذهل عن ذلك،لكن النقل التالي يبين أن ما سبق هو نقل لكلام الناظم، والله أعلم.

(٣) انظر: الاعتقاد للبيهقي (ص٨٨)، وأقاويل الثقات لمرعي الكرمي الحنبلي (ص١٤٣).
وقولها ذكره ابن القيم في الوجه السابع في سياق الرد على من زعم أن لفظ الوجه مجاز، لكن الشارح حذف بقية الأوجه اختصارًا.

(٤) مختصر الصواعق (٣/ ٩٩٦).

عند ذكر الوجه وجره في قول: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٧٨]، فذو الوجه المضاف بالجلال والإكرام، لما كان القصد: الإخبار عنه، وذي الوجه المضاف إليه بالجلال والإكرام في آخر السورة، لما كان المقصود عين المسمى، دون الاسم فتأمله...».

ثم استدل رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ على إبطال هذه التأويلات بأوجه:

١- منها[1] أنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء: بمعنى ذاته ونفسه، وغاية ما شبه به المعطل وجه الرب أن قال: هو كقول القائل وجه الحائط، ووجه الثوب، ووجه النهار.

فيقال للمعطل: المشبه به ليس الوجه في ذلك بمعنى الذات، بل هذا مبطل لقولك؛ فإن وجه الحائط: أحد جانبيه، فهو مقابل لدبره ومثل هذا: وجه الكعبة ودبرها، فهو وجه حقيقة، ولكنه بحسب المضاف إليه، فلما كان المضاف إليه بناء، كان وجهه من جنسه، وكذلك وجه الثوب: أحد جانبيه، وهو من جنسه، وكذلك وجه النهار: أوله[2]، ولا يقال لجميع النهار.

---

(١) هذا الوجه الثامن من أوجه الرد على من زعم أن وجه الله مجاز. انظر: مختصر الصواعق (٣/ ٩٩٦).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٨٠) من طريق العوفي عن أبيه، عن عمه الحسين، عن أبيه عن جده عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ... ﴾ الآية [آل عمران:٧٢]، وذلك أن طائفة من اليهود قالوا: «إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا» في إسناده محمد بن عطية العوفي، ضعفه ابن عدي، وقال البخاري: عنده عجائب.

وأخرجه ابن أبي حاتم كما في العجاب (٢/ ٦٩٤) من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه، عن ابن عباس، وقابوس ضعيف خصوصًا في أبيه.

وقد روى مثله عن قتادة، والربيع، والسدي، ومجاهد، وأبي مالك الغفاري، وهو الذي تؤيده اللغة كما سيأتي في كلام الشارح.

انظر: العجاب في بيان الأسباب لابن حجر (٢/ ٦٩٣-٦٩٥) ط. دار ابن الجوزي.

وقال ابن عباس: «وجه النهار: أوله»[١].

ومنه قولهم صدر النهار، قال ابن الأعرابي[٢]: «أتيته بوجه نهار وصدر نهار»، وأنشد للربيع بن زياد[٣]:

من كان مسرورًا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار[٤]

٢- ومنها أن حمله على الثواب المنفصل من أبطل الباطل؛ فإن[٥] اللغة لا تحتمل ذلك، ولا يعرف أن الجزاء (ع/ ٢/ ١٧٥أ) يسمى وجهًا للمجازي.

٣- وأيضًا: فالثواب مخلوق[٦]، وقد صح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه استعاذ بوجه الله فقال: **«أعوذ بوجهك الكريم أن تضلني لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت**

---

(١) هذا أحد القولين في تفسير الآية الواردة في سورة آل عمران: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ...﴾ [آل عمران:٧٢] الآية، رواه عطية عن ابن عباس، وحكى ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٥) مثله عن مجاهد وقتادة والزجاج في آخرين.

(٢) انظر: مجالس العلماء للزجاجي (ص٣٠٦).

(٣) الربيع بن زياد بن عبد الله العبسي، كان يلقب بالكامل؛ لشجاعته، وذكائه، ودهائه، وكان هجاءً عياشًا فحّاشًا سبَّابًا، مات سنة (٣٠ ق.هـ)، وقيل غير ذلك. انظر: العمدة لابن رشيق (١/ ١٢٨-١٢٩)، ومعجم القراء الجاهليين (ص١٤١-١٤٢).

(٤) بعده:

يجد النساء حواسرًا يندبنه قد قمن قبل تبلج الأسحار

وهذه الأبيات من قصيده في رثاء مالك بن زهير العبسي.

انظر: خزانة الأدب (٧/ ٣٦٣)، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (١/ ٦١٧) ط. مؤسسة الرسالة، ومجمع الأمثال للميداني (٢/ ١١٣)، وديوان الحماسة للتبريزي (ص٤١٣) ط. دار القلم، وتفسير السمعاني (١/ ٣٣١).

(٥) هذا الوجه التاسع من ردود ابن القيم على من حمل الوجه على المجاز، انظر: مختصر الصواعق (١/ ٩٩٨).

(٦) هذا الوجه العاشر، انظر: مختصر الصواعق (١/ ٩٩٨).

والجن والإنس يموتون» رواه أبو داود وغيره(١).

ومن دعائه يوم الطائف: «**أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة**»(٢).

ولا يظن برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستعيذ بمخلوق.

---

(١) الذي في سنن أبي داود «أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول عند مضطجعه: اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم من شر ما أنت آخذ بناصيته...» الحديث.

أخرجه أبو داود في سننه (٥/ ٣٠١)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٤٥٤) وغيرهم، من طريق الأحوص بن ثواب عن عمار بن رزيق، عن أبي إسحاق عن الحارث وأبي ميسرة عن علي به، وقد صححه النووي في الأذكار (ص٦٥)، لكن قوى أبو حاتم إرساله، وقال كما في العلل لابنه (٢/ ١٨٦): «رواه بعض الحفاظ عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسل وهو الصحيح، وأشار إلى خطأ الرواية الأولى، وذكر أن عمار بن رزيق إنما سمع من أبي إسحاق بأخره»، لكن تعوذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثبت في بعض المواطن، من أشهرها ما خرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٢٣) والترمذي في سننه (٥/ ٢٦١) وغيرهم.

عن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله يقول: لما نزلت هذه الآية: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [الأنعام:٦٥] قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعوذ بوجهك...**» الحديث.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

أما الحديث الذي أشار إليه ابن القيم هنا فجميع السنن والمسانيد التي روت هذا الحديث فيها: «أعوذ بعزتك» بدل «أعوذ بوجهك».

(٢) أخرجه ابن إسحاق في السير له (١/ ٢٦٠-٢٦٢) ضمن قصة خروج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف لدعوة ثقيف، والتماس النصر منهم.

وأخرجه الطبراني في الكبيرة (١٣/ ٧٣) وابن مندة في الرد على الجهمية (ص٩٩).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٨): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه ابن إسحاق مدلس، وهو ثقة، وبقية رجاله ثقات» اهـ. وضعفه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه على فقه السيرة للغزالي (ص١٢٦).

وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٥/ ١٥٦) من طريق موسى بن عقبة عن طاووس مرسلًا.

٤- ومنها[١] أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في دعائه: «**أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك**»[٢]، ولم يكن ليسأل لذة النظر إلى الثواب المخلوق، ولا يعرف تسمية ذلك وجهًا لغة ولا شرعًا ولا عرفًا.

٥- ومنها[٣] أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بوجه الله فأعطوه**»[٤].

وفي السنن من حديث جابر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا ينبغي لأحد أن يسأل بوجه الله إلا الجنة**»[٥]، فكان طاوس يكره أن يسأل الإنسان

---

(١) هذا هو الوجه الحادي عشر في سياق الرد على من زعم أن الوجه الوارد في القرآن مجاز.
انظر: مختصر الصواعق (٣/ ١٠٠٢).

(٢) أخرجه النسائي في الصغرى (٣/ ٥٤) في الدعاء باب الذكر من السنن.
من طريق يحيى بن حبيب عن حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه به، وإسناده حسن لحال عطاء بن السائب، وحماد ممن سمع منه قبل اختلاطه، كما نص على ذلك يحيى القطان والنسائي.
انظر: تهذيب الكمال للمزي (٧/ ١٤٨).

(٣) الوجه الثاني عشر في سياق الرد على من زعم أن الوجه الوارد في النصوص مجاز.
انظر: مختصر الصواعق (٣/ ١٠٠٣).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٨٥)، وأبو داود (٢/ ١٢٨)، والنسائي في الكبرى (٢/ ٤٣)، والصغرى (٥/ ٨٢) وغيرهم، من طريق الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر به، وتابع الأعمش كما في الطبراني الكبير (١٢/ ٤١٥) (١٢/ ٣٩٧) العوام بن حوشب وحبان بن علي عن مجاهد به. انظر: الأذكار للنووي (ص٣١٥).

(٥) أخرجه بهذا اللفظ، البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٩٣-٩٤)، وفي الكبرى (٤/ ١٩٩)، وغيرهم، من طريق سليمان بن معاذ عن محمد بن المنكدر عن جابر به، وإسناده ضعيف لحال سليمان، وهو ابن قرم بن معاذ منسوب إلى جده -كما حققه أبو حاتم والذهبي وابن حجر- ومن قال سليمان بن قرم غير سليمان بن معاذ فقد قال: هما اثنين.
قال أبو حاتم كما في الجرح والتعديل (٤/ ١٣٦): «نسبه أبو داود - يعني الطيالسي - إلى جده كي لا يفطن له»، وقال في التقريب (ص٢٥٣): «سليمان بن قرم ـ بفتح القاف وسكون الراء ـ ابن معاذ، أبو داود البصري النحوي ومنهم من ينسبه إلى جده، سيئ الحفظ، يتشيع من السابعة»، =

بوجه الله[1].

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[2].

٦- ومنها[3] قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السماوات والأرض من نور وجهه»[4]. فهل يصح أن يحمل الوجه في هذا على مخلوق أو يكون صلة لا معنى له أو يكون بمعنى القبلة والجهة.

وهذا مطابق لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات**»[5]، فأضاف النور إلى الوجه، والوجه إلى الذات، واستعاذ بنور الوجه الكريم، فعلم أن نوره صفة له، كما أن الوجه صفة ذاتية، وهو الذي قاله ابن مسعود، وهو تفسير

=لكن البخاري والدارقطني والخطيب البغدادي يرون أن سليمان بن قرم غير ابن معاذ؛ لأن الأول بصري ينسب إلى النحوي والثاني ينسب إلى الضبي.

والحديث ضعيف على كل حال؛ لأن الأول نص الأئمة على تضعيفه، والثاني قال عنه محمد بن طاهر المقدسي في ذخيرة الحفاظ (٤/ ٢٤٦٨): «ليس للمتقدمين فيه كلام، وفي حديثه نكرة» والله أعلم.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٥٣٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٠٥) من طريق الحجاج بن محمد ابن جريج، قال: «أخبرني ابن طاووس عن أبيه: أنه كان يكره أن يسأل الإنسان بوجه الله».

(٢) سبق تخريجه، وهو الوجه الثاني عشر في سياق الرد على إبطال المجاز، في صفات الله.

(٣) الوجه الرابع عشر في سياق الرد على إبطال المجاز.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]، فلا تشتغل بأقوال المتأخرين الذين عشت بصائرهم عن معرفة ذلك، فخذ العلم عن أهله، فهذا تفسير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٧- ومنها[١] أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم: متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة، وهي الزيادة التي فسر (ع/٢/١٧٦ب) بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة[٢]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، فروى مسلم في صحيحه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، قال: «**النظر إلى وجه الله تعالى**»[٣].

فمن أنكر حقيقة الوجه؛ لم يكن للنظر عنده حقيقة، ولا سيما إذا أنكر الوجه والعلو، فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد، وإن أحسن العبارة قال: هو معنى يقوم بالقلب، نسبته إليه كنسبة النظر إلى العين، وليس في الحقيقة عنده نظر، ولا وجه ولا لذة تحصل للناظر!!

٨- ومنها[٤] أن تفسير وجه الله بقبلة الله، وإن قاله بعض السلف كمجاهد وتبعه الشافعي، فإنما قالوه في موضع واحد[٥] لا غير، وهو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ

---

(١) الوجه الخامس عشر في سياق الرد على من أبطل صفة الوجه بالمجاز.

(٢) لو قال: «وأصحابه من بعده» لكان أولى.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١/ ١٦٣) برقم (٢٩٧، ٢٩٨).

(٤) الوجه الثامن عشر في سياق الرد على من أبطل صفة الوجه بالمجاز. انظر: مختصر الصواعق (٢/ ١٨٠).

(٥) ولايعني ذلك أن تفسير مجاهد والشافعي وغيرهما لتلك الآية بـ(القبلة) يعد تأويلًا، معاذ الله أن يظن ذلك بمثل هؤلاء الأئمة الفحول، وهم من أئمة السلف الذين رويت عنهم كثير من =

﴿الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]. فهب أن هذا كذلك في هذا الموضع، فهل يصح أن يقال ذلك في غيره من المواضع التي ذكر الله تعالى فيها الوجه، فما يفيدكم هذا في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الليل:٢٠]، وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان:٩].

على أن الصحيح في قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، أنه كقوله في سائر الآيات التي فيها ذكر الوجه؛ فإنه قد اطرد مجيئه في القرآن والسنة مضافًا إلى الرب تعالى على طريقة واحدة ومعنى واحد، فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع، غير الموضع الذي ذكره في سورة البقرة وهو قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]. وهذا لا يتعين حمله على القبلة والجهة، ولا يمتنع أن يراد به وجه الرب حقيقة، فحمله على موارده ونظائره كلها أولى(١).

=أحاديث الصفات، واتخذت أقوالهم في الصفات منهجًا يسير عليه أهل السنة في باب الصفات.

وتفسيرهم بالقبلة في قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ بناءً على أنها ليست من آيات الصفات، وهو القول الثاني في تفسير الآية، وهو أن الوجه هنا ليس هو الصفة المعروفة التي يثبتها أهل السنة في كتبهم، بل هي القبلة على بعض أقوال المفسرين؛ ولأن هؤلاء الأئمة قد أثبتوا صفة الوجه في مواضع أخرى موافقة للسلف، والله أعلم.

(١) يرى شيخ الإسلام -خلافًا لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن هذه الآية ليست من آيات الصفات، وحكى عن جمهور السلف أن ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ في قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ بمعنى قبلة الله، فإن السياق يدل على المراد حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ والمشرق والمغرب من الجهات.
والوجه بمعنى الجهة في لغة العرب، يقال: قصدت هذا الوجه، وسافرت إلى هذا الوجه، أي إلى هذه الجهة، وهذا كثير مشهور، فالوجه هو الجهة، وهو الوجه كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي متوليها، فقوله: ﴿وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ كقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ كلا الآيتين متقاربتان، وكلاهما في شأن القبلة والوجهة.
وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه الآية قد تدل على الصفة بوجه فيه نظر، لكنه حكى في موضع آخر أن من عدها من الصفات فقد غلط. انظر: الفتاوى (٢/ ٤٢٩) (٣/ ١٩٣) (٦/ ١٦-١٧).

٩- ومنها[١] أنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغةً ولا شرعًا ولا عرفًا، بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه، فلا يدخل أحدهما على الآخر ولا يستعار اسمه له[٢].

---

(١) الوجه التاسع عشر.

(٢) حكى ابن منظور في اللسان (١٥/ ٢٢٥) أن: وجه كل شيء مستقبله، وأن الوجه والجهة بمعنى واحد، ووجه الفرس: ما أقبل عليك من الرأس من دون منابت شعر الرأس.

والفقهاء في أحكام الوضوء يقولون في حد الوجه: هو ما تحصل به المواجهة، والوجه والجهة بينهما عموم وخصوص من وجه، فهما يشتركان في معنى عام وهو المواجهة والقبلة، وينفرد الوجه بأنه معنى كلي مطلق، ينقلب ويتغير معناه عند الإضافة والتخصيص، كما يقال: وجه الإنسان، ووجه الفرس، ووجه الرب، فهذا التخصيص يجعل الوجه هنا بمعنى الصفة.

وتحديد المراد يعرف من سياق الكلام، فإن كان الكلام عن الجهات فيكون الوجه بمعنى الجهة كما يقال لمن يريد السفر: أي وجه تريد؟ بمعنى: أي جهة، وأنا أريد هذا الوجه، أي هذه الجهة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي قبلة الله؛ لأن السياق يدل على ذلك، ولا يدخل هذا في التأويل؛لأن الوجه هنا ليس بمعنى القبلة.

أما إن كان الكلام عن الصفات فيكون المراد بالوجه الصفة المعروفة كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وغيرها من الآيات.

ولما كان الوجه أشرف صفات الموجود، عبر به سبحانه عن ذاته، كما في الآيات السابقات؛ فإنها تدل دلالة صريحة على صفة الوجه لله تعالى الذي يدل على بقية صفاته، ولذلك كان أعظم نعيم الجنة النظر إلى وجه الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، والزيادة هي النظر إلى وجه الله -تعالى- كما جاء في الحديث.

والخلاصة: أن تفسير الوجه بالجهة مشهور في كلام العرب، ولعله من المسلمات، كما ذكر شيخ الإسلام، إلا أن ذلك لا يعني فتح باب التأويل لصفات الله تعالى، فلا يكون ذلك تأويلًا إلا إذا كان السياق يدل صفة الوجه، ثم تأولها بعضهم بالقبلة، أما إذا كان السياق يدل على الجهة كما في قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ فتفسير الوجه هنا بالقبلة ليس تأويلًا لا من قريب ولا من بعيد.

وللفائدة فقد قال شيخنا: «الذين فسروا قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ بمعنى الصفة، ضموا إليه أدلة أخرى». اهـ.

نعم القبلة تسمى وجهة كما قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا ﴾ [البقرة:١٤٨]، وقد تسمى جهة وأصلها وجهة، لكن أعلت بحذف فائها كزنة وعدة[1]، وإنما سميت قبلة ووِجهة لأن الرجل يقابلها ويواجهها بوجهه، وأما تسميتها وجهًا فلا عهد به، فكيف إذا أضيف إلى الله تعالى، مع أنه لا يعرف تسمية القبلة وجهة الله في شيء من الكلام، مع أنها تسمى وجهة، فكيف يطلق عليها وجه الله، ولا يعرف تسميتها وجهًا.

١٠- وأيضًا: فمن المعلوم أن قبلة الله التي نصبها لعباده هي قبلة واحدة وهي القبلة التي أمر الله عباده أن يتوجهوا إليها حيث كانوا، لا كل جهة يولي وجهه إليها؛ فإنه يولي وجهه إلى المشرق والمغرب (ع/ ٢/ ١٧٧أ) والشمال[2] وما بين ذلك، وليست تلك الجهات قبلة الله، فكيف يقال: أي وجهة وجهتموها واستقبلتموها فهي قبلة الله.

فإن قيل: هذا عند اشتباه القبلة على المصلي وعند صلاته النافلة في السفر.

قيل: اللفظ لا شعار له بذلك البتة، بل هو عام مطلق في الحضر والسفر، وحال العلم والاشتباه والقدرة والعجز يوضحه:

أن إخراج الاستقبال المفروض والاستقبال في الحضر وعند العلم والقدرة، وهو أكثر أحوال المستقبل، وحمل الآية على استقبال المسافر في التنقل على الراحلة، وحال الغيم ونحوه، بعيد جدًّا عن ظاهر الآية، وإطلاقها وعمومها وما قصد بها؛

---

(١) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك (٤/ ٢١٦٢-٢١٦٤)، والتصريح بمضمون التوضيح لخالد الأزهري (٥/ ٤٦٦-٤٦٩) ط. الزهراء للإعلام العربي، وأدب الكاتب لابن قتيبة (ص٤٣)، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٩٢).

(٢) في هامش (ع): «انتقل في ملك الأمير عبد الله بن إبراهيم العسكر بالشراء الشرعي، في ش (أي شعبان) سنة ١٣٣٢هـ» أي بعد موت مصنف هذا الشرح المبارك الشيخ أحمد بن عيسى بثلاث سنوات -رحم الله الجميع-.

فإن أين من أدوات العموم[(١)]، وقد أكد عمومها بما أراده لتحقيق العموم كقوله: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة:١٤٤].

والآية صريحة في أنه: أينما ولى العبد فثم وجه الله، من حضر أو سفر في صلاة وغيرها، وذلك أن الآية لا تعرض فيها للقبلة ولا لحكم الاستقبال، بل سياقها لمعنى آخر: وهو بيان عظمة الرب تعالى وسعته[(٢)]، وأنه أكبر من كل شيء وأعظم منه وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي.

فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ [البقرة:١١٥] منبهًا بذلك على ملكه لما بينهما ثم ذكر عظمته سبحانه وأنه أكبر وأعظم من كل شيء فأينما ولى العبد وجهه فثم وجه الله ثم ختم باسمين دالين على السعة والإحاطة فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١١٥]، فذكر اسمه الواسع عقيب قوله: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٥] كالتفسير والبيان والتقرير له فتأمله.

فهذا السياق لم يقصد به الاستقبال في الصلاة بخصوصه، وإن دخل في عموم الخطاب حضرًا وسفرًا بالنسبة إلى الفرض والنفل والقدرة والعجز.

---

(١) ذهب جمهور الأصوليين إلى أن أدوات الشرط ومنها: «أين» من صيغ وألفاظ العموم.
انظر: المعتمد في أصول الفقه لأبي يعلى (١/ ٢٠٦)، والعدة له (٢/ ٤٨٤-٤٨٥)، وقواطع الأدلة لأبي المظفر (١/ ٣١٧)، وشرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٤٦٧)، والمسودة لآل تيمية (ص١٠)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ١٢١).

(٢) مصدر واسع، وهو من أسماء الله تعالى، وجاء ذكره في سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.
قال الفراء: الواسع الجود الذي يسع عطاؤه كل شيء. وقال الكلبي: واسع المغفرة، وقيل: وسعت رحمته الخلق أجمعين. وقيل: وسع رزقه الخلق أجمعين.
انظر: معالم التنزيل (١/ ١٠٨)، الحجة في بيان المحجة (١/ ١٦٢).

وعلى هذا، فالآية باقية على عمومها، وأحكامها ليست منسوخة ولا مخصوصة، بل لا يصح دخول النسخ فيها لأنها خبر[١] عن ملكه للمشرق والمغرب وأنه أينما ولى الرجل وجهه فثم وجه الله وعن سعته وعلمه، فكيف يمكن دخول النسخ والتخصيص في ذلك.

١١- وأيضًا: هذه الآية ذُكِرَتْ مع ما بعدها؛ لبيان عظمة الرب، والرد على من جعل له عدلًا من خلقه أشركه معه في العبادة، ولهذا ذكرها بعد الرد على من جعل له ولدًا فقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة:١١٦] إلى قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧].

فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة، ولا سيق الكلام لأجلها، وإنما سيق لذكر عظمة الرب، (ع/٢/١٧٨ب) وبيان سعة علمه وحلمه، والواسع من أسمائه، فكيف تجعلون له شريكًا بسببه، تمنعون بيوته ومساجده أن يذكر فيها اسمه، تسعون في خرابها، فهذا للمشركين.

ثم ذكر ما نسبه إليه النصارى من اتخاذ الولد، ووسط بين كفر هؤلاء

---

(١) لا يجوز أن يدخل في أصول الدين، ولا في الأخبار التي جاءت عن الله -تعالى- وعن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسخ ولا تبديل؛ لأن ما أخبر الله تعالى به من أسمائه وصفاته وأفعاله ورسالاته واليوم الآخر، وكذلك ما وقع من أخبار الرسل والأمم الماضية التي جاء ذكرها في القرآن والسنة هي من الأمور الثوابت، فلو أخبر عن شيء أنه كان أو سيكون، ثم أخبر بنقيض ذلك أو برفعه، لكان ذلك كله كذبًا مستلزمًا سبق الجهل، وحدوث العلم وتجدده.
وهذا مما يعلم ضرورة أن الله -تعالى- منزه عنه، بل لم يزل الله -تعالى -عالمًا بما يكون وما سيكون ومريدًا له، لم يستحدث علمًا لم يكن، ولا إرادة لم تكن، فهو العالم بعواقب الأمور الفعَّال لما يريد.
انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/ ٥٩٠-٥٩١)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة لعثمان بن علي (١/ ٢٦٨-٢٦٩).

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة:١١٥]، فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والإيمان والرد على المشركين، لا بيان فرع معين جزئي.

١٢- ومنها[1] انه لو أريد بالوجه في الآية الجهة والقبلة لكان وجه الكلام أن يقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]؛ لأنه إذا كان المراد بالوجه الجهة فهي التي تولي نفسها وإنما يقال ثم كذا إذا كان أمران كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠] فالنعيم والملك، ثم لا إنه نفس الظرف والوجه، لو كان المراد به الجهة نفسها لم يكن ظرفًا لنفسها؛ فإن الشيء لا يكون ظرفًا لنفسه فتأمله.

ألا ترى أنك إذا أشرت إلى جهة الشرق والغرب لا يصح أن تقول: ثم جهة الشرق ثم جهة الغرب بل تقول: هذه جهة الشرق وهذه جهة الغرب، ولو قلت: هناك جهة الشرق والغرب؛ لكان ذكر الظرف لغوًا، وذلك لأن «ثم» إشارة إلى المكان البعيد، فلا يشار بها إلى قريب، والجهة والوجهة مما يحاذيك إلى آخرها.

فجهة الشرق والغرب وجهة القبلة مما يتصل بك إلى حيث ينتهي، فكيف يقال فيها «ثم» إشارة إلى البعيد، بخلاف الإشارة إلى وجه الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإنه يشار إلى حيث يشار إلى ذاته.

ولهذا قال غير واحد من السلف: «فثم الله تحقيقًا»[2]؛ لأن المراد وجهه الذي هو من صفات ذاته، والإشارة إليه بأنه «ثم» كالإشارة إليه بأنه فوق سمواته، وعلى العرش وفوق العالم.

(١) هذا هو الوجه الثالث والعشرون وقد حذف المؤلف ما قبله اختصارًا.
(٢) لم أجد له تخريجًا في ماطلعت عليه من المصادر.

١٣- ومنها[١] أن تفسير القرآن بالقرآن هو أولى التفاسير ما وجد إليه السبيل، ولهذا كان يعتمده الصحابة والتابعون والأئمة بعدهم، والله تعالى ذكر في القرآن القبلة باسم القبلة والوجهة، وذكر وجهه الكريم باسم الوجه المضاف إليه، فتفسيره في هذه الآية بنظائره هو المتعين.

١٤- ومنها[٢] أنك إذا تأملت الأحاديث الصحيحة وجدتها مفسرة للآية مشتقة منها كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإنما يستقبل ربه»**[٣]، وقوله: **«فإن الله يقبل إليه بوجهه مالم يصرف وجهه عنه»**[٤]، وقوله: **«إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصقن قبل وجهه»**[٥]، وقوله: **«فإن الله بينه وبين القبلة»**[٦]، وقوله: **«إن الله يأمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته** (ع/ ٢/ ١٧٩أ) **ما لم يلتفت»** رواه ابن حبان في صحيحه والترمذي[٧].

---

(١) الوجه الرابع والعشرون.

(٢) الوجه السادس والعشرون.

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ١٢٩)، وأحمد (٣/ ٢٤)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٧٥) ط. مكتبة الدار، وغيرهم، من طريق محمد بن عجلان عن عياض بن عبد الله عن أبي سعيد به، وإسناده حسن لحال محمد بن عجلان، وأصله في الصحيحين، وله شواهد.

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ٥٦٠)، وأحمد في المسند (٥/ ١٧٢)، والدارمي في سننه (١/ ٣٩٠) وغيرهم، من طريق يونس عن ابن شهاب عن أبي الأحوص عن أبي ذر بلفظ: «لا يزال الله مقبلًا على العبد في صلاته ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه».

(٥) أخرجه النسائي في الصغرى (٢/ ٥١) بإسناد صحيح من حديث ابن عمر، وروى عن جابر بن عبد الله مثله.

(٦) أخرجه البخاري (١/ ١٤٧) من حديث أنس.

(٧) أخرجه ابن حبان (١٤/ ١٢٤)، وابن أبي يعلى في مسنده (٣/ ١٤٠)، والترمذي في جامعه (٣/ ٥٧١-٥٧٢)، والطبراني في الكبير (٣/ ٣٢٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٨٢)، من طرق عن يحيى بن كثير، عن زيد بن سلام، عن أبي سلام (ممطور)، عن الحارث الأشعري به. =

وقال: «**إن العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه فلا ينصرف عنه حتى ينصرف أو يحدث حدث سوء**»(١).

وقال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه فإذا التفت أعرض الله عنه وقال: يا ابن آدم أنا خير ممن تلتفت إليه فإذا أقبل على صلاته أقبل الله عليه فإذا التفت أعرض الله عنه**»(٢) انتهى كلام الناظم باختصار.

قوله:

أمـا إذا قلـنـا وجـــه كما ... في النـص او قلنا كذاك يـدان(٣)

قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] قالت الجهمية ومن تبعهم: هذا مجاز في النعمة أو القدرة، وهذا في الأصل(٤) قول الجهمية وتبعهم المعتزلة، وبعض

= وأخرجه النسائي في الكبرى -كما في تحفة الأشراف- (٣/ ٣) عن هشام بن عمار عن محمد بن شعيب بن شابور، عن معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام به، وإسناده صحيح.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٤٢) من طريق وكيع عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة من قوله، وإسناده ضعيف، فيه الأعمش سليمان بن مهران مدلس، وقد عنعن، لكن أخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٣٢٧) من طريق أبي بكر بن عياش، عن عاصم عن أبي وائل، عن حذيفة أنه رأى شبث بن ربعي يبزق بين يديه، فقال: لا تبزق بين يديك، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ينهى عن ذلك، وقال: «إذا قام الرجل يصلي أقبل عليه بوجهه، حتى ينقلب أو يحدث حدث سوء».
وأخرجه ابن المنذر في الأوسط (٣/ ٢٦٧) من طريق ابن إسماعيل، عن عفان، عن حماد عن عاصم به، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٢٦٧) من طريق سالم بن نوح عن الفضل بن عيسى الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر به.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣٢): «رواه البزار، وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي، وقد أجمعوا على ضعفه» اهـ.

(٣) في (د، ع): «وكذلك لفظ يد ولفظ يدان»، وهو خطأ من الناسخ، والمثبت من الأبيات.

(٤) من هنا بدأ النقل من مختصر الصواعق للناظم (٣/ ٩٧٠) مع التنبيه إلى أن المؤلف بدأ بالنقل =

المتأخرين ممن ينتسب إلى الأشعري[(١)].

والأشعري وقدماء أصحابه يردون على هؤلاء، ويبدعونهم، ويثبتون اليد حقيقة[(٢)].

قال عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي[(٣)] -جليس الشافعي والخصيص به

=من الوجه العشرين، والوجه الأول في الرد على الجهمية القائلين بأن إثبات اليد مجاز يبدأ من (ص٩٤٦) من نفس المجلد.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (ص٢١٨)، وأساس التقديس (ص٩٩)، ودفع شبه التشبيه (ص١١٤)، وتمهيد الأوائل (ص٢٩٧)، ومشكل الحديث وبيانه لابن فورك (ص٨٠) ط. عالم الكتب، ودرء التعارض (٨/ ٩٨)، ونقض التأسيس (١/ ٤٠٢)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٥٣).

(٢) أبي الحسن الأشعري وأئمة أصحابه كأبي الحسن الطبري، وأبي عبد الله بن مجاهد، وأبي الحسن الباهلي، وأبي بكر الباقلاني، وأبي إسحاق الإسفراييني، وأبو بكر بن فورك، وأبي محمد بن اللبان، وأبي علي بن شاذان، وأبي القاسم القشيري، والبيهقي.

فهؤلاء متفقون على إثبات الصفات الخبرية؛ ومنها اليد والوجه والاستواء، والرد على من تأولها ليس لهم في ذلك قولان. وهذا موجود في كتب الأشعري كلها؛ كالموجز، والمقالات الصغيرة والكبيرة، والإبانة، وغير ذلك.

وهكذا نقل عنه سائر الناس، حتى المتأخرين؛ كالرازي، والآمدي، ينقلون عنه إثبات الصفات الخبرية، ولا يحكون عنه في ذلك قولين.

ثم جاء أبو المعالي الجويني وأتباعه، فخالفوا الأشعري، وقدماء أصحابه في الصفات الخبرية، فلم يثبتوها، وأبو المعالي هو أول من اشتهر عنه نفيها، وله في تأويلها قولان، ففي الإرشاد أولها، وفي الرسالة النظامية مشى فيها على تحريم التأويل، وإثباته للصفات ليس إلا مجرد تفويض المعنى.

ثم جاء أتباع الجويني فساروا على طريقته، فحكوا عنه القولين، فلم يثبتوها، ثم منهم من تأولها، ومنهم من توقف في إثباتها ونفيها؛ كالآمدي، والرازي، مع أنهما من المتأخرين، ولم يحكيا عن الأشعري في الصفات الخبرية قولين، ولم يخف عليهما ما حكاه أبو بكر بن فورك من إجماع أصحاب الأشعري على إثبات الصفات الخبرية.

انظر: درء التعارض (٢/ ١٧) (٣/ ٢٨١) (٧/ ٧٤)، ومجموع الفتاوى (٤/ ١٤٧) (١٢/ ٢٠٣) (١٦/ ٤٠٧).

(٣) في الأصل المالكي، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه لكون المذكور مكيًّا شافعيًّا بإجماع من ترجموه، =

وقد مات قبل الإمام أحمد - في كتاب «الرد على الجهمية والزنادقة»(١) قال: «يقال للجهمي: أتقول إن لله وجهًا، وله نفس وله يد، فيقول: نعم، ولكن معنى وجه الله هو الله، ومعنى نفسه عينه، ومعنى يده نعمته.

=وهو: عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم أبو الحسن الكناني المكي الشافعي إمام من أئمة أهل السنة، وكان يلقب بـ (الغول).

قال في التقريب: «صدوق فاضل من صغار العاشرة» وكان من أصحاب الشافعي، وقد طالت صحبته له وخرج معه إلى اليمن، له كتب من أشهرها: كتاب «الحيدة» وهي مناظرة وقعت بينه وبين بشر المريسي في مسألة خلق القرآن. مات سنة (٢٤٠هـ).

انظر: طبقات الشافعية الكبري لابن السبكي (٢/ ١٤٤-١٤٥)، وتاريخ بغداد (١٠/ ٤٤٩).

تنبيه: استفدت هذا التنبيه من تعليق المحقق على حاشية مختصر الصواعق لابن القيم / ط. أضواء السلف.

(١) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة من أهم كتب الكناني، وهو غير كتاب الحيدة له، وقد نقل عن الأول عدد من العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية في الدرء (٦/ ١١٥)، وأشار إليه في التسعينية (١/ ١٦٢)، وقد ظن بعض المحققين أن كتابه هذا هو كتاب الحيدة!! لأجل أن كل من ترجم له، لم يذكر إلا كتاب الحيدة، وهو كلام بعيد لأمور:

الأول: هذا الكتاب كما يظهر من نقل شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم عنه يختلف عن كتاب الحيدة، لأن فيه نصوصًا لا توجد في كتاب الحيدة، والدليل على ذلك يظهر من الوجه الثاني وهو:

الثاني: أن كلامه في هذا الكتاب، ليس فيه تعيين لأحد، وإنما الرد على مقاله الجهمية كقوله: «يقال للجهمي: أتقول إن لله وجهًا، وله نفس، وله يد فيقول: نعم...» إلخ، بينما نجد كتاب الحيدة كان خطابًا مباشرًا مع بشر المريسي كقوله: «فقال بشر وكذا، وقلت له كذا».

الثالث: أن شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم من أعظم الناس تحقيقًا وتوثيقًا لكتب أئمة السلف، فبعض كتب السلف التبست بغيرها، فنسبت كتب إلى غير مؤلفيها، وضُعِّفَت نسبة بعض الكتب إلى مؤلفيها، أو جمع لمؤلف كتابان على أنهما كتاب واحد.

فمؤلفات هذين الإمامين رَحِمَهُمَاٱللَّهُ عمدة في توثيق مؤلفات السلف، بل قد وقفت في مؤلفاتهما على كتب لا توجد عند غيرهما، ولم يقف عليها غيرهما، والله أعلم.

قال: والجواب أن يقال له -فذكر كلامًا يتعلق بالوجه والنفس- ثم قال: وأما قوله في اليد: إنها يد النعمة، كما تقول العرب: لك عندي يد، فقد قال الله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران:٢٦]، وقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس:٨٣]، وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١]، وقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

قال: فزعم الجهمي أن يد الله نعمته، فبدل قولًا غير الذي قيل له، فأراد الجهمي أن يبدل كلام الله؛ إذ أخبر الله أن له يدًا بها ملكوت كل شيء، فبدل مكان اليد نعمة، وقال(١): العرب تسمي اليد نعمة.

قلنا له: العرب تسمي النعمة يدًا، وتسمي يد الإنسان يدًا، فإذا أرادت يد الذات، جعلت على قولها علمًا ودليلا يعقل به السامع أنها أرادت يد الذات، وإذا أرادت يد النعمة جعلت على قولها علمًا ودليلًا يعقل السامع كلامها أنها تريد يد النعمة، ولا تجعل كلامها مشتبهًا على سامعه.

ومن ذلك قول الشاعر:

ناولت زيدًا بيدي عطية ... يد بها زمانًا مخضب(٢)

فدل بهذا القول على يد الذات بالمناولة وبالباء، حين قال« بيدي...»، فجعل الباء استقصاء للعدد حين لم يكن له غير يدين.

---

(١) يعني الجهمي.

(٢) الذي في مختصر الصواعق (٣/ ٩٧٢) هكذا:

ناولت زيدًا بيدي عطية ... يرعى بها زمنًا كنانًا مخصبًا

قال المحقق: «لم أقف على قائله».

وقال الآخر حين أراد يد النعمة:

أشكر يدين لنا عليك وأنعما   شكرًا يكون مكافيًا للمنعم(١)

فدل على يد النعمة بقوله: «لنا عليك..» ثم قال: «...وأنعما» ثم قال: «يدين» فجعل النون مكان الياء، لم يستقص بهما (ع/٢/ ١٨٠ب) العدد، فهذا قول العرب ومذهبها في لغاتها(٢).

والله تعالى لم يسم في كتابه يدًا بنعمة، ولم يسم نعمة يدًا، سمى سبحانه اليد يدًا والنعمة نعمة في جميع القرآن، فأما ما ذكره سبحانه من يدين ويده، فقد ذكرت ذلك في صدر هذا الكلام، وأما النعمة التي هي غير اليد، فمن ذلك قوله: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [المائدة:٧]، وقوله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ [النحل:٥٣]، وقوله: ﴿ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾ [المائدة:٣]، وقوله: ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ ﴾ [الأحزاب:٣٧]، فسمى الله النعم باسم النعمة، ولم يسمها بغير أسمائها، ومثل هذا في القرآن كثير.

وذكر تعالى أيدي المخلوقين فسماها بالأيدي فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء:٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) هذا الكلام من أقوى الأدلة على بطلان المجاز، وأنه ليس في اللغة نقل للكلام عن الحقيقة إلى ماليس بحقيقة، وهذا قول إمام متقدم حجة، ثقة في نقله لكلام العرب، وقد أثبت هنا أن اليد حقيقة في النعمة وفي يد الإنسان، وأن العرب إذا أرادت يد النعمة أو يد الإنسان جعلت على قولها علمًا ودليلًا يعقل السامع من كلامها أنها تريد هذا أو ذاك، وهو عكس مايدعيه المعطلة وأذنابهم من وجود المجاز في اللغة، ثم في القرآن، ثم في الصفات، مع أن جميع آيات الصفات الواردة في القرآن، قد دل الدليل والسياق على أن المراد بها الحقيقة، والله أعلم.

أَيۡدِيَهُمَا ﴾ [المائدة:٣٨]، وقال: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [الأنعام:٩٣]، فهذه أيد لا نعمة، وذكر نعمته على زيد، ونعمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسماها نعمة، ولم يسمها يدًا، ثم أخبر سبحانه عن يديه أنهما يدان لا ثلاثة، وجعل الباء استقصاءً للعدد حين قال: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥]، فدل على أنهما يدي الذات، لا يتعارف العرب في لغاتها ولا أشعارها إلا أن هاتين اليدين يدي الذات لاستقصاء العدد بالباء، وأما نعم الله فهي أكثر وأعظم من أن تحصر أو تعد كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [إبراهيم:٣٤].

قال(١): واعلم رحمك الله أن قائل هذه المقالة، جاهل بلغة القرآن وبلغة العرب ومعانيها وكلامها؛ وذلك أن الله إذا افتتح الخبر عن نفسه بلفظ الجمع، ختم الكلام بلفظ الجمع، واذا افتتح الكلام بلفظ الواحد، ختم الكلام بلفظ الواحد، وإنما يعني الخبر عن نفسه، وإن كان اللفظ جمعًا.

فأما ما كان من لفظ الواحد، فهو قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣]، فافتتح الخبر عن نفسه بلفظ الواحد، وبمثله ختم الكلام فقال: ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقال: ﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء:٢٤]، وقال: ﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡ ﴾ [الإسراء:٥٤]. وأما ما افتتحه بلفظ الجمع فهو قوله: ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [الإسراء:٤]، فافتتحه بلفظ الجمع، ثم ختمه بمثل ما افتتحه به، فقال: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ ﴾ [الإسراء:٥]، وإنما عنى بذلك نفسه؛ لأنها كلمة ملوكية تقولها العرب.

---

(١) مختصر الصواعق (٣/ ٩٧٢).

وروي أن ابن عباس لقي أعرابيًّا ومعه ناقة فقال: «لمن هذه؟ فقال الأعرابي: لنا، فقال له ابن عباس: كم أنتم؟ فقال: أنا واحد، فقال ابن عباس(١): هكذا قول الله تعالى نحن، وخلقناه، وقضينا، إنما يعني نفسه»(٢).

والمبهم يرد إلى المحكم، فكل كلمة في القرآن (ع/٢/١٨٢ب) من لفظ جمع قبلها محكم من التوحيد ترد إليه، فمن ذلك قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء:٤]، يرد إلى قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقوله: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النبأ:٨]، يرد إلى قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾ [يس:٨٢]، وقوله: ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود:١٠١]، وكذلك قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس:٧١] يرد إلى قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥]، فلما افتتح الكلام بلفظ الجمع فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ [يس:٧١]، قال: ﴿أَيْدِينَآ﴾، ولما افتتح بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥] ختم الكلام على ما افتتحه به.

فهذا بيان لقوم يفقهون، وقد كان أكثر قسم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أقسم أن يقول: «**لا والذي نفس محمد بيده**»(٣)، وهذا لا يليق به النعمة، وهذا قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصدق كتاب الله» انتهى كلامه.

---

(١) تقدم.

(٢) لم أجد له تخريجًا، ولكن نقل أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢١) ط. مكتبة الخانجي، ذلك عن العرب، وأنه معروف من لغاتها، والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٦٧٦) من طريق محمد بن مصعب عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حلف قال: «.... فذكره».

والأشعري في كتبه: يصرح بإثبات الصفات الخبرية في كتبه كلها[(١)]، ومعلوم أن أحدًا لا ينكر لفظها وإنما أنكروا حقائقها ومعانيها الظاهرة.

وكلام الأشعري موجود في الإبانة والموجز والمقالات، وموجود في تصانيف أئمة أصحابه، وأجلهم على الإطلاق القاضي أبو بكر بن الطيب، وقد ذكر ذلك في كتاب الإبانة والتمهيد وغيرهما[(٢)].

وذكره ابن فورك فيما جمعه من كلام ابن كلاب وكلام الأشعري[(٣)]، وذكره البيهقي في الأسماء والصفات والاعتقاد[(٤)]، وذكره أبو القاسم القشيري[(٥)] في كتاب الشكاية له[(٦)] وذكره ابن عساكر في كتاب تبيين كذب المفتري[(٧)]، حتى الفخر الرازي والسيف الآمدي حكوا ذلك عن الأشعري، وأنه أثبت اليدين صفة لله، ولكن غلطوا حيث ظنوا أن له قولين في ذلك[(٨)].

---

(١) مع التنبيه على أن الأشعري وأئمة أصحابه كانوا يرون إلى جانب ذلك: صحة طريقة الاستدلال بحدوث الأعراض، وتركيب الأجسام. انظر: الدرء (٧/ ٧٤).

(٢) انظر: الرسالة الحرة (ص٢٤)، وتمهيد الأوائل (ص٢٥٩).

(٣) اسم الكتاب «مقالات أبي محمد بن كلاب وأبي الحسن الأشعري» وهو من كتب ابن فورك المفقودة، وقد ذكره ابن القيم في الصواعق - كما في المختصر (٣/ ١٠٤٢) وابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٦/ ٣٧٩).

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٧٢)، والاعتقاد له (ص٧٨)، وقد رد على من تأول اليد بالنعمة أو القدرة.

(٥) الإمام الزاهد القدوة عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري الخراساني النيسابوري، توفي سنة (٤٦٥هـ). انظر: السير (١٨/ ٢٢٧).

(٦) وهو «شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة» ضمن الرسائل القشيرية، وقد ذكره ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤٠٥) بتمامه.

(٧) انظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص١٥٢).

(٨) هذا يخالف ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن الآمدي والرازي، أنهما ينقلان عن الأشعري إثباته للصفات الخبرية، ولم يحكيا عنه قولين في ذلك، كما في درء التعارض (٢/ ١٧)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٣). =

وهذه كتبه كلها ليس فيها إلا الإثبات، فهو الذي يحكيه عن أهل السنة وينصره، ويحكي خلافه عن الجهمية والمعتزلة.

نعم كان قبل ذلك يقول بقول المعتزلة ثم رجع عنه وصرح بمخالفتهم واستمر على ذلك حتى مات[(١)].

قال أبو الحسن الأشعري في «كتاب الإبانة» -الذي ذكر ابن عساكر أنه آخر كتبه وعليه اعتمد في ذكر مناقبه واعتقاده- قال[(٢)]: «فإن سألنا سائل فقال: أتقولون إن لله يدين؟.

قيل: نعم نقول ذلك لقول الله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الفتح: ١٠]، ولقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**خلق الله آدم بيده وغرس جنة عدن بيده**»[(٣)]، وقال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ

= والذي يظهر لي -والله أعلم- أن هذا الكلام يحتاج إلى مزيد تأمُّل؛ لأن الذين غلطوا في ذلك هم أتباع أبي المعالي الجويني، فإنهم حكوا عنه لا عن الأشعري قولين في تأويلها؛ لأن الجويني أول من تأولها، فتبعه أصحابه على ذلك، ولم أقف على أحد منهم أنه حكى عن الأشعري قولين ذلك، والله أعلم.

(١) انظر: درء التعارض (٢/ ١٧-١٨) (٥/ ٢٤٨)، ومجموع الفتاوى (٥/ ١٠١)، واجتماع الجيوش (ص٢٨٦).

(٢) انظر: الإبانة (ص٧٩).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ص٤٢)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (ص٤٣٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٥٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٣٥) وغيرهم، من طريق عون بن عبد الله بن الحارث، عن أخيه عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**خلق الله ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده...**» وذكر الحديث، وفيه تقديم وتأخير، وذكر «الفردوس» بدل «جنة طوبى».
وفي إسناده من لا أعرفهم، قال ابن القيم في حادي الأرواح (ص٧٤): «المحفوظ أنه موقوف»، وروى مثله عن قتادة، وميسرة، وحكيم بن جابر، وعكرمة، وورّدان بن خالد، وغيرهم.
انظر: الدر المنثور (٧/ ٢٠٧).

مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وفي الحديث: «كلتا يديه يمين»(١)، وليس يجوز في لسان

(١) أخرجه مسلم في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل (٣/ ١٤٥٨) من حديث عبدالله بن عمرو وأوله: «إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين...» الحديث.

وقوله: «...وكلتا يديه يمين» يجب الإيمان به كما ورد على ظاهره، وليس ذلك بمستحيل عقلاً؛ فإن وصف يديه باليمين لا ينافي اتصافه بيدين اثنتين -كما ورد في النصوص-؛ لأنه أراد بذلك معنى التمام والكمال، وكل شيء مياسره تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام، وذلك من صفات المخلوق، والقاعدة عند أهل السنة: أن كل نقص تنزه عنه المخلوق فالله تعالى أولى بالتنزه عنه، وقد كانت العرب تحب التيامن، وتكره التياسر لما في اليمن من التمام، وفي اليسار من النقص، ولذلك قالوا: اليمن والشؤم.

فاليمن من اليمنى والشؤم من الشؤمى، ولا يجوز وصف الله بذلك بحجة أن اليمنى تقابلها الأخرى؛ لأن الأخرى نقص، والله تعالى منزه عن النقائص، كامل بذاته وصفاته، فاقتضى أن تكون كلتا يديه يمين.

وأما ما رواه مسلم (٤/ ٢١٤٨) وعبد بن حميد في مسنده (ص٢٤١) من طريق عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «**يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرضين، ثم يأخذهن بشماله...**» الحديث، فقد قال البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٣٩): «رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة هكذا، وذكر الشمال فيه، تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر، لم يذكرا فيه الشمال، ورواه أبو هريرة رضي الله عنه، وغيره عن النبي ﷺ فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال، وروى ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة إلا أنه ضعيف بمرة، تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير وبالآخر يزيد الرقاشي وهما متروكان...».

وقال أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٢/ ٥٠٦): «عمر بن حمزة أحاديثه مناكير».

وعلى هذا فرواية من قال «بيده الأخرى» هي المحفوظة، وقد ظهر لي من الروايات التي ساقها البيهقي أن عمر بن حمزة روى عنه اثنان هما: محمد بن أبي شيبة ومحمد بن العلاء، فرواية ابن أبي شيبة عن عمر بن حمزة منكرة، ورواية محمد بن العلاء وافق فيها بقية الروايات، فكأن عمر بن حمزة حدث بهذا الحديث مرة فأصاب، وحدث به مرة أخرى فأخطأ، وعلى هذا فلا يجوز وصف يده الأخرى بالشمال؛ لعدم ثبوت الرواية في ذلك، بل توصف الأخرى بـ (الأخرى) كما ثبت في الأحاديث (أن كلتا يديه يمين). =

العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا وكذا بيدي، وهو بمعنى النعمة، إذا كان الله خاطب العرب بلغاتها وما تجده (ع/٢/١٨٣أ) مفهومًا في كلامها ومعقولًا في خطابها، وإذ لا يجوز في خطابها أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني النعمة، بطل أن يكون معنى بيدي: النعمة....».

وساق الكلام في إنكار هذا التأويل وأطاله جدًّا، وقرر أن لفظ اليدين على حقيقته وظاهره، وبين أن اللغة التي نزل بها القرآن لا تحتمل ما تأولته الجهمية.

وقال لسان أصحابه وأجلهم أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتاب «التمهيد»[1] -وهو أشهر كتبه-: «فإن قال القائل: فما الحجة في أن لله وجهًا ويدين.

قيل: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، فأثبت لنفسه وجهًا ويدين.

فإن قالوا: إنما أنكرتم أن يكون المعنى خلقت بيدي، أنه خلقه بقدرته أو بنعمته؛ لأن اليدين في اللغة تكون بمعنى النعمة وبمعنى القدرة، كما يقال: لفلان عندي يد بيضاء، وهذا الشيء في يد فلان وتحت يده، ويقال: رجل أيد، إذا كان قادرًا، كما قال تعالى: ﴿خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس:٧١] يريد عملنا بقدرتنا.

= ويجوز أن يراد باليمين هنا: العطاء باليدين جميعًا كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ فإذا كانت اليدان يمين كان العطاء بهما، وقد ورد ما يدل على ذلك في الحديث الذي خرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٣)، وابن ماجه في سننه (١/ ١٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٢) أن النبي ﷺ قال: «يمين الله سحَّاء، لا يغيضها شيء» فكلمة (يمين) هنا يراد بها اليدين جميعًا؛ لأنهما هما اللتان بهما ينفق كيف يشاء موافقة للآية.

انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٢٤٧) ط. دار الكتاب العربي، مع التصرف.

(١) انظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص٢٩٥).

وقال الشاعر[1]:

إذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين[2]

وكذلك قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ يعني بقدرته ونعمته.

قال: فيقال له: هذا باطل؛ لأن قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ يقتضي إثبات يدين،هما صفة له، فلو كان المراد بهما القدرة؛ لوجب أن يكون له قدرة، ولا تزعمون أن الله تعالى قدرة واحدة، فكيف يجوز أن تثبتوا قدرتين؟ وقد أجمع المسلمون المثبتون للصفات والنافون لها على أنه لا يجوز أن يكون لله تعالى قدرتان، فبطل ما قلتم.

وكذلك لا يجوز أن يكون خلق الله آدم بنعمتين؛ لأن نعم الله -تعالى- على آدم وغيره لا تحصى؛ ولأن القائل لا يجوز أن يقول: رفعت الشيء أو وضعته بيدي، أو توليته بيدي وهو يريد نعمته.

وكذلك لا يجوز أن يقال: لي عند فلان يدان، يعني نعمتين، وإنما يقال: لي عنده يدان بيضاوان؛ ولأن «فعلته بيدي» لا يستعمل إلا في اليد التي هي صفة الذات.

ويدل على فساد تأويلهم أيضًا: أنه لو كان الأمر على ما قالوه؛ لم يغفل عن ذلك إبليس، وأن يقول: وأي فضل لآدم عليَّ يقتضي أن أسجد له، وأنا أيضًا بيدك خلقتني، وفي العلم: «إن الله تعالى فضل آدم عليه بخلقه بيديه»[3] دليل على فساد ما قالوه.

---

(١) القائل هو شماخ بن ضرار الذبياني الغطفاني أحد الشعراء المخضرمين، شهد موقعة القادسية، ومات في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر: الشعر والشعراء (١/ ٣٢١-٣٢٥)، وخزانة الأدب (٣/ ١٩٦-١٩٧).

(٢) ديوانة (ص٣٣٦). ومعناه: تلقاها بالقوة أو أخذها بالقوة. انظر: خزانة الأدب (٣/ ٤٢).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٥١٣) من طريق عبدالوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة عن كعب الأحبار قال «إن الله تعالى خلق يدم بيده، وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده...» =

فإن قال القائل: فما أنكرتم أن يكون يده ووجهه جارحة، إذ كنتم لا تعقلون يدًا ووجهًا (ع/ ٢/ ١٨٤ب) هما صفة الجارحة.

قلنا: لا يجب ذلك، كما لا يجب إذا لم نعقل حيًّا عالمًا قادرًا إلا جسمًا أن نقضي نحن وأنتم ذلك على الله(١)، وكما لا يجب إذا كان قائماً بذاته أن يكون جوهرًا؛ لأنا وإياكم لم نجد قائمًا بنفسه في شاهدنا إلا كذلك(٢)، وكذلك الجواب لهم إن قالوا: فيجب أن يكون علمه وكلامه وحياته وسائر صفات ذاته أعراضًا أو أجسامًا أجناسًا أو حوادث أو أغيارًا له تعالى ومحتاجة إلى قلب» انتهى كلامه.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ(٣):

والله لو قلنا الذي قال الصحا ... بة والألى من بعدهم بلسان

لرجمتمونا بالحجارة إن قدر ... تم بعد رجم الشتم والعدوان

والله قد كفرتم من قال بعـ ... ـض مقالهم يا أمة العدوان(٤)

=بقية الأثر. والباقلاني إنما ساقه هنا بالمعنى؛ لأن آدم خصه الله تعالى بأن خلقه بيده، كما في حديث الشفاعة الطويل، فهو يتميز بذلك عن إبليس، والملائكة، وجميع الخلق، والله أعلم.

(١) يقصد بهذا: أن الله تعالى لايقاس بخلقه، فلايمكن تصور كنهه، فإننا إذا لم نعقل حيًّا قادرًا إلا جسمًا، فلايلزم ذلك في حق الله تعالى، فإننا نؤمن بأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا ولايخلو منه العرش، مع أن هذا لايعقل ولايتصور في حق المخلوق، فإن من نزل من أعلى إلى أسفل، كان المكان العالي خاليًا منه، والأمور الغيبية لاتقاس بأمور الشهادة، فإن الله تعالى ليس كمثله شيء، وقد ميز المؤمنين بأنهم يؤمنون بالغيب، والله أعلم.

(٢) في هامش (ع) بخط المؤلف: «بلغ...».

(٣) «رحمه الله تعالى» ليست في (ع).

(٤) قال شيخنا -تعليقًا على الأبيات-: «كأن فيه إشارة إلى أن قولنا أقل من قول الصحابة، ونحن ما قلنا إلابما قال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وقد حصل رجمهم لأهل السنة بالشتم والعدوان». اهـ.

وجعلتم الجسم الذي قدرتم بطلانه طاغوت ذا البطلان

ووضعتم للجسم معنى غير معـ ـروف به في وضع كل لسان

وبنيتم نفي الصفات عليه فاجـ ـتمعت لكم إذ ذاك محذوران

كذب على لغة الرسول ونفي إثـ ـبات العلو لفاطر الأكوان

أي أنكم أيها المعطلة وضعتم للجسم معنىً غير معناه المعروف في لغة العرب، وسميتم كل ما هو مركب من المادة والصورة أو من الجواهر المنفردة أو ما يقبل الإشارة الحسية جسمًا، وليس هذا معنى الجسم في لغة الصحابة التي جاء بها القرآن.

كما قال الجوهري في صحاحه المشهورة(١): «قال أبو زيد: الجسم الجسد، وكذلك الجسمان والجثمان، وقال الأصمعي: الجسم والجسمان: الجسد، والجثمان الشخص قال: والأجسم الضخيم البدن». انتهى.

قال شيخ الإسلام في كلامه على حديث النزول(٢): «وقد ادعى طوائف من النفاة أهل الكلام: أن الجسم في اللغة هو المؤلف المركب، وأن استعمالهم لفظ الجسم في كل ما يشار إليه موافق للغة.

قالوا: لأن كل ما يشار إليه فإنه يتميز منه شيء عن شيء، وكل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر المنفردة التي كل واحد منها جزء لا يتجزأ، ولا يتميز منه جانب عن جانب، أو من المادة والصورة اللذين هما جوهران عقليان(٣) كما يقول ذلك بعض الفلاسفة.

---

(١) الصحاح للجوهري (٥/ ١٨٨٧).

(٢) شرح حديث النزول لشيخ الإسلام (ص٢٤٠).

(٣) الجوهران العقليان: اصطلاح فلسفي، يعنون به أن الأجسام المحسوسة، مركبة من المادة الكلية والصورة الجوهرية، وهذ شيء باطل، فإن جميع العقلاء يعلمون بالضرورة أن ذلك لايكون =

قالوا: وإذا كان هذا مركبًا مؤلفًا، فالجسم في لغة العرب هو المؤلف المركب، بدليل أنهم يقولون: رجل جسيم وزيد أجسم من عمرو، إذا أكثر ذهابه في الجهات، ليس يقصدون بالمبالغة في قولهم: (ع/ ٢/ ١٨٥أ) أجسم وجسيم إلا لمن كثرت الأجزاء المنضمه والتأليف؛ لأنهم لا يقولون: أجسم فيمن كثرت علومه وقدره وسائر تصرفاته وصفاته وغير الاجتماع[(١)]، حتى إذا كثر الاجتماع فيه بتزايد أجزائه قيل: أجسم ورجل جسيم، فدل ذلك على أن قولهم جسم يفيد التأليف. فهذا أصل قول هؤلاء النفاة، وهو مبني على أصلين سمعي لغوي، ونظري عقلي فطري:

أما السمعي اللغوي، فقولهم: إن أهل اللغة يطلقون لفظ «الجسم» على «المركب»، وهم استدلوا عليه بقولهم: هو أجسم إذا كان أغلظ وأكثر ذهابًا في الجهات، وأن هذا يقتضي أنهم اعتبروا كثرة الأجزاء.

فيقال: أما المقدمة الأولى[(٢)]، وهو أن أهل اللغة يسمون كل ما له مقدار، بحيث يكون أكبر من غيره أو أصغر جسمًا، فهذا لا يوجد في لغة العرب البتة،

=إلا في الأذهان، لا في الأعيان، فإننا إذا قلنا: مادة، ولم نعين، أو قلنا دم، ولم نعين،فهذا اسم مطلق يحتاج إلى إضافة يتحدد بها نوع المادة، أما إذا قلنا: مادة الحديد أو مادة الرصاص، دم الشاة أو الجمل أو الإنسان،حصل التعيين، ولم يكن أمرًا ذهنيًا. وكذلك الحال إذا قلنا: صورة أو شكل ولم نعين، فهذا لايوجد إلا في الأذهان، أما إذا قلنا صورة القمر أو الشمس،أو يد خالد أو وجه عثمان، أو منظر زيد، فهذا تعيين، لأنه موجود في الخارج.

يؤخذ من ذلك: أن أكثر علوم الفلاسفة مبنية على خيالات، وهذا سر كثرة الحيرة في كبارهم، والله أعلم. انظر: درء التعارض (٦/ ١٣١، ١٦٣)، (٧/ ١٢٦)، مجموع الفتاوى (٥/ ٤٢١).

(١) يعني أنه لايقال: فلان جسيم أو ضخم لمن كان عالمًا أو كبير القدر عند الناس، إلا لمن حصل اجتماع حسي بتكاثر الأجزاء فيه، لأنه لايقال: فلان كبير أو ضخم أو جسيم لأمر معنوي، والله أعلم.

(٢) هذه المقدمة هي الأصل الأول لقول النفاة بأن الجسد، يفيد التأليف، لدلالة اللغة عليه، وسيبطل شيخ الإسلام قولهم هذامن لغة العرب، وأنها لا تدل عليه.

ولا يمكن أحدًا أن ينقل عنهم أنهم يسمون الهواء الذي بين السماء والأرض جسمًا، ولا يسمون روح الإنسان جسمًا، بل من المشهور أنهم يفرقون بين الجسم والروح، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون:٤] يعني أبدانهم دون أرواحهم الباطنة.

وقد ذكر نقله اللغة: أن الجسم عندهم هو الجسد، ومن المعروف في اللغة أن هذا اللفظ يتضمن الغلظ والكثافة، فلا يسمون به الأشياء القائمة بنفسها إذا كانت لطيفة كالهواء وروح الإنسان، وإن كان لذلك مقدار يكون بعضه أكبر من بعض،لكن لا يسمى في اللغة ذلك جسمًا.

ولا يقولون في زيادة أحدهما على الآخر: هذا أجسم من هذا، ولا يقولون: هذا المكان الواسع أجسم من هذا المكان الضيق، وإن كان أكبر منه، وإن كانت أجزاؤه زائدة على أجزائه عند من يقول: بأنه مركب من الأجزاء.

ليس كل ما هو مركب عندهم من الأجزاء يسمى جسمًا، ولا يوجد في الكلام قبض جسمه ولا صعد بجسمه إلى السماء، ولا أن الله يقبض أجسامنا كيف يشاء، إنما يسمون ذلك روحًا، ويفرقون(١) بين مسمى الروح ومسمى الجسم، كما يفرقون(٢) بين البدن والروح، وكما يفرقون بين الجسد والروح، فلا يطلقون لفظ الجسد على الهواء.

فلفظ الجسم عندهم يشبه لفظ الجسد، قال الجوهري(٣): «الجسد والبدن

(١) في (د، ع) «يفرق»، والمثبت من شرح حديث النزول.
(٢) في (د، ع) «يفرق»، والمثبت من شرح حديث النزول.
(٣) انظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٤٥٦).

تقول فيه: تجسد كما تقول: الجسم تجسم »كما تقدم نقله عن أئمة اللغة أن الجسم هو الجسد.

فعلم أن هذين اللفظين مترادفان أو قريبان من الترادف.

ولهذا يقولون: لهذا الثوب جسد كما يقولون: (ع/٢/١٨٦ب) له جسم إذا كان غليظًا ثخينًا صفيقًا، وتقول العلماء: النجاسة قد تكون مستخبثة كالدم والميتة وقد لا تكون مستجسدة[(١)] كالرطبة[(٢)].

ويسمون الدم جسدًا كما قال النابغة[(٣)]:

فلا لعمرو الذي قد زرته حججًا وما أريق على الأنصاب من جسد[(٤)]

المقدمة الثانية[(٥)]: أنه لو سلم ذلك فقولهم: إن هذا [الذي][(٦)] يطلقونه عند تزايد الأجزاء هو مبني على أن الأجسام مركبة من الجواهر المنفردة، وهذا لو قدر أنه صحيح، فأهل اللغة لم يعتبروه ولا قال أحد منهم ذلك، فعلم أنهم إنما لحظوا غلظه وكثافته.

---

(١) في النسح الخطية «مستجسمة» وهو خطأ، والتصويب من «شرح حديث النزول».

(٢) المستجسدة: هي الرطبة، ويمثلون لها بالروث والعذرة، ويفرقون بين النجاسة المستجسدة والمائعة في الوصف، ولا يفرقون بينهما في الحكم.
انظر: بدائع الصنائع للكاساني (١/٤٨)، والحاوي الكبير (٢/٢٦٣)، وتحفة الفقهاء (١/٥٨).

(٣) زياد بن معاوية بن ذبيان، ويعرف بالنابغة، شاعر جاهلي، مات سنة (١٨ق.هـ)، انظر: طبقات الشعراء لابن قتيبة (ص٦١)، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ (١/١٧٨).

(٤) ديوانة (ص١٥).

(٥) هذه المقدمة هي الأصل الثاني لقول النفاة بأن الجسد، يفيد التأليف، لدلالة العقل عليه، وسيبطل شيخ الإسلام قولهم هذامن جهة العقل، وأنه لايدل عليه.

(٦) زيادة لا بد منها.

وأما كونهم اعتبروا كثرة الأجزاء أو قلتها فهذا لا يتصوره أكثر عقلاء بني آدم، فضلًا عن أن ينقل عن أهل اللغة قاطبة أنهم أرادوا ذلك بقولهم: جسيم وأجسم، والمعنى المشهور في اللغة لا يكون مسماه ما لا يفهمه إلا بعض الناس، وإثبات الجواهر المنفردة، أمر خص به بعض الناس، فلا يكون مسمى الجسم في اللغة ما لا يعرفه إلا بعض الناس وهو المركب من ذلك.

وأما الأصل الثاني العقلي فقولهم: إنما يشار إليه بأنه هنا وهنا، فإنه مركب من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة.

وهذا بحث عقلي، وأكثر عقلاء بني آدم من أهل الكلام، وغير أهل الكلام ينكرون أن يكون ذلك مركبًا من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة، وإنكار ذلك قول ابن كلاب وأتباعه الكلابية، وهو قول الهشامية[(١)] والنجارية[(٢)] والضرارية[(٣)] وبعض الكرامية[(٤)]، وهؤلاء الذين أثبتوا الجوهر الفرد، زعموا أنا لم نعلم لا بالحس ولا بالضرورة أن الله أبدع شيئًا قائمًا بنفسه، وأن جميع ما نشهده

---

(١) الهشامية: فرقة من فرق الشيعة، تنسب إلى الهشامين: هشام بن الحكم الرافضي، وهشام بن سالم الجواليقي، وقد أضافوا إلى الرفض بدعة التجسيم والتشبيه.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٨٤)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص٦٥).

(٢) سبق التعريف بها.

(٣) الضرارية: فرقة من الجبرية، تنسب إلى ضرار بن عمر المعتزلي، كما قال عنه الذهبي في الميزان (٢/ ٣٢٨): «معتزلي جلد، له مقالات خبيثة، قال: يمكن أن يكون جميع من يظهر الإسلام كافرًا في الباطن؛ لجواز ذلك على كل فرد في نفسه»، ومن الضرارية حفص الفرد الذي كان يناظر الشافعي. انظر: الملل والنحل (١/ ٩٠)، والفرق بين الفرق (ص٢١٣).

(٤) سبق التعريف بها.

مخلوقًا من السحاب والمطر والحيوان والنبات والمعدن، بني آدم وغير بني آدم فإنما فيه أنه أحدث أكوانًا في الجواهر المنفردة كالجمع والتفريق والحركة والسكون[١]، وأنكر هؤلاء أن يكون الله لما خلقنا أحدث أبدانًا قائمة بأنفسها أو شجرًا أو ثمرًا أو شيئًا قائمًا بنفسه، وإنما أحدث عندهم أعراضًا، وأما الجواهر المنفردة فلم تزل موجودة، ثم من يقول:إنها محدثة،منهم من يقول: إنهم علموا حدوثها بأنها لم تخل من الحوادث، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث...

إلى أن قال: ولهذا صارت النفاة إذا أثبت أحد شيئًا من الصفات،كان ذلك مستلزمًا لأن يكون الموصوف عندهم جسمًا، وعندهم الأجسام متماثلة، فصاروا يسمونه مشبهًا بهذه المقدمات التي يلزمهم (ع/ ٢/ ١١٨٧) مثل ما ألزموه لغيرهم.

وهي متناقضة لا يتصور أن ينتظم منها قول صحيح، وكلها مقدمات ممنوعة عند جماهير العقلاء، وفيها من تغيير اللغة والمعقول ما دخل بسببه هذه الأغاليط والشبهات،حتى يبقى الرجل حائرًا،لا يهون عليه إبطال عقله ودينه والخروج عن الإيمان و القرآن، فإن ذلك كله متطابق على إثبات الصفات، ولا يهون عليه التزام ما يلزمونه من كون الرب مركبًا من الأجزاء أو مماثلًا للمخلوقات.

فإنه يعلم -أيضًا- بطلان هذا، وأن الرب عَزَّوَجَلَّ يجب تنزيهه عن هذا؛ فإنه سبحانه أحد صمد، والأحد ينفي التمثيل، والصمد ينفي أن يكون قابلًا للتفريق والتجسيم[٢] والبعضية، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فضلاً عن كونه مؤلفًا مركبًا ألف من الأجزاء.

---

(١) وهي التي تسمى بالأكوان الأربعة، وقد مرَّت.

(٢) قال شيخنا: «يقصد: التجسيم على اصطلاحهم وهو القابل للتفريق والبعضية». اهـ.

فيفْهِمُونَ من يخاطبونه: أن ما وصف به الرب نفسه لا يعقل إلا في بدن مثل بدن الإنسان، بل وقد يصرحون بذلك، ويقولون: الكلام لا يكون إلا من صورة وصورة مركبة[١] مثل فم الإنسان ونحو ذلك مما يدعونه.

وإذا قال النفاة لهم[٢]: متى قلتم إنه يُرَى؛ لزم أن يكون مركبًا مؤلفًا؛لأن المرئي لا يكون إلا بجهة من الرائي، وما يكون بجهة من الرائي لا يكون إلا جسمًا، والجسم مؤلف مركب من الأجزاء.

وقالوا[٣]: إذا تكلم بالقرآن أو غيره من الكلام لزم ذلك[٤]، وإذا كان فوق العرش لزم ذلك، صار المسلم العارف بما قال الرسول ﷺ يعلم أنه يرى في الآخرة لما تواتر عنده من الأخبار عن الرسول ﷺ بما يدل على ذلك، مع ما يوافق ذلك من القضايا الفطرية التي خلق الله عليها عباده[٥].

وإذا قالوا:هذا يستلزم أن الله مركب من الأجزاء المنفردة، والمرَكَبْ لا بد له من مُرَكِبْ، فلزم أن يكون الله محدثًا؛ إذ المركب يفتقر إلى أجزائه، وأجزاؤه تكون غيره، وما افتقر إلى غيره لم يكن غنيًّا واجب الوجود بنفسه، حَيَّرُوْهُ وشككوه، إن

---

(١) يعني أن الكلام لايقع إلا من صورة، والصورة دائمًا تكون مركبة، وفي مجموع الفتاوى العبارة هكذا «والكلام لايكون إلا من صورة مركبة»، والمعنى واحد.

(٢) الضمير يعود إلى من يخاطونه من أهل الإثبات.

(٣) يعني النفاة لأهل الإثبات.

(٤) يعني أن يكون مركبًا، وفي مجموع الفتاوى: «أو قالوا».

(٥) في مجموع الفتاوى «وصار المسلم العارف....»إلخ، والجملة فيها سقط،كما يظهر من السياق، ولعل المقصود أن هؤلاء النفاة المعطلة إذا أفهموا من يخاطبونه أن إثبات الصفات يستلزم التركيب،صار المسلم العارف بما تواتر عنده عن النبي ﷺ في ذلك،يشك في تلك الأخبار، والله أعلم.

لم يجعلوه مكذبًا لما جاء به الرسول، مرتدًا عن بعض ما كان عليه من الإيمان، مع أن شكه وحيرته تقدح في إيمانه ودينه وعلمه وعقله.

فيقال: أما كون الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مركبًا ركبه غيره، فهذا من أظهر الأمور فسادًا، وهذا معلوم فساده بضرورة العقل، ومن قال هذا فهو من أكفر الناس وأجهلهم وأشدهم محاربة لله، وليس في الطوائف المشهورة من يقول بهذا.

وكذلك إذا قيل: هو مؤلف أو مركب،بمعنى أنه كانت أجزاؤه مفرقة، فجمع بينها كما يجمع بين أجزاء المركبات من الأطعمة، والأدوية، والثياب والأبنية، فهذا التركيب من اعتقده في الله فهو من أكفر الناس وأظلمهم، ولم يعتقده أحد من الطوائف المشهورة في الأمة.

بل أكثر العقلاء عندهم: أن مخلوقات الرب ليست مركبة هذا التركيب، وإنما يقول بهذا: من يثبت الجواهر المنفردة، وكذلك من زعم أن الرب مركب مؤلف، بمعنى أنه يقبل التفريق والانقسام والتجزئة، فهذا من أكفر الناس وأجهلهم، وقوله شر من قول الذين يقولون إن لله ولدًا،بمعنى أنه انفصل منه فصار ولدًا له، وقد بسطنا الكلام على هذا في تفسير ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١][(١)]، وفي غير ذلك....»[(٢)]، وأطال الكلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا الذي سقناه من كلامه كالشرح لهذه الأبيات، فرحمه الله ورضي عنه.

---

(١) تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية (ص٣٠، ٤٤، ٤٧) ط. دار الطباعة المحمدية.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٤٢٤).

قال الناظم:

وركبتم إذ ذاك تحريفين تحـ ـريف الحديث ومحكم القرآن
وكسبتم وزرين وزر النفي والتـ ـحريف فاجتمعت لكم كفلان
وعداكم أجران أجر الصدق والـ إيمان حتى فاتكم حظان
وكسبتم مقتين مقت إلهكم والمؤمنين فنالكم مقتان
ولبستم ثوبين ثوب الجهل والظـ ـلم القبيح فبئست الثوبان
وتخذتم طرزين طرز الكبر والتـ ـيه لعظيم فبئست الطرزان
ومددتم نحو العلا باعين لـ ـكن لم تطل منكم لها الباعان
وأتيتموها من سوى أبوابها لكن تسورتم من الحيطان
وغلقتم بابين لو فتحا لكم فزتم بكل بشارة وتهان
باب الحديث وباب هذا الوحي من يفتحهما فليهنه البابان
وفتحتم بابين من يفتحهما تفتح عليه مواهب الشيطان
باب الكلام وقد نهيتم عنه والـ ـباب الحريق[1] فمنطق اليونان
فدخلتم دارين دار الجهل في الد نيا ودار الخزي في النيران
وطعمتم لونين لون الشك والتـ ـشكيك بعد فبئست اللونان
وركبتم أمرين كم قد أهلكا من أمة في سالف الأزمان
تقديم آراء الرجال على الذي قال الرسول ومحكم القرآن

---

(١) في النسخ المعتمدة: «الحزيق» بالزاي، وفي بقية النسخ الأخرى «الحريق» بالراء، والحزيق: هو الضيق أو القصد؛ لأن كل من ألزم نفسه بقواعد المنطق فقد حجر على عقله وتفكيره، مع أن كثيرًا من قواعدهم جاء العلم الحديث بهدمها وبطلانها.
انظر: الفلسفة والعلوم الإنسانية للصف الأول الثانوي (ص٩-١٠) ط. وزارة التربية - الجمهورية السورية.

والثاني نسبتهم إلى الألغاز والتـ ـلبيس والتدليس والكتمان
ومكرتم مكرين لو تما لكم لتفصمت فينا عرى الإيمان
أطفأتم نور الكتاب وسنة الـ ـهادي بذا التحريف والهذيان
لكنكم أوقدتمو للحرب نا را بين طائفتين مختلفان
والله مطفيها بألسنة الألى قد خصهم بالعلم والإيمان
والله لو غرق المجسم في دم التـ ـجسيم من قدم إلى الآذان
فالنص أعظم عنده وأجل قد رًا أن يعارضه بقول فلان[(١)]

☜ قوله: «طرزين.......» قال (ع/٢/١٨٩أ) في القاموس[(٢)]: «الطرز الهيئة والطراز بالكسر علم الثوب معرب وطرزه تطريزًا أعلمه فتطرز».

ومراد الناظم الهيئة أي اتخذتم هيئتين هيئة الكبر وهيئة التيه والله أعلم[(٣)].

---

(١) يقصد بالمجسم هنا المثبت، والناظم يخاطب المعطلة باصطلاحهم.
(٢) انظر: القاموس (ص٦٦٢).
(٣) في الأبيات السابقة يتكلم الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن العواقب السيئة المترتبة على تحريف المعطلة لنصوص الصفات الواردة في الكتاب والسنة، وإن كانت المناسبة هي الكلام عن الجسم، لكن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يحاول دائمًا التأصيل في ردوده على أهل البدع، ويمكن تلخيص كلامه على خطورة التحريف بما يلي:
١ - أنكم أيها المعطلة ارتكبتم بهذا الاصطلاح الفاسد للجسم تحريفين: تحريف القرآن، وتحريف الحديث، فملتم بكل منهما عن أصل وضعه.
٢ - اقترفتم جرمين: أحدهما: جرم النفي لما دلت عليه النصوص من الصفات، والثاني: جرم التحريف للنصوص، وصرفها عن المعاني المرادة منها.
فاجتمع لكم نصيبان في الوزر.
٣ - وحرمتم أجرين: أجر الصدق؛ حيث كذبتم على الله ورسوله، وأجر الإيمان؛ حيث كفرتم بما هو ثابت من الصفات؛ ففاتكم بذلك أجران.
٤ - وكسبتم بهذا التحريف مقتين: مقت الله لكم؛ حيث قلتم على الله بغير علم، ومقت المؤمنين لكم؛حيث خالفتم سبيلهم. =

= ٥- ولبستم بهذا التحريف ثوبين: ثوب الجهل؛ فلم تعرفوا الله بصفات كماله؛ لأنكم اعتقدتم أن في إثباتها نقصًا له، والثاني: ثوب الظلم والعدوان؛ حيث اعتديتم على حرمة النصوص، وتجرأتم عليها بالتحريف.

٦- وتحليتم بخلقين مذمومين: أحدهما: داء الكبر؛ حيث لم تقبلوا الحق وتنقادوا له، والثاني: داء التيه والخيلاء اغترارًا بما عندكم من علم مموه، وسفسطه كاذبة.

٧- ومددتم نحو العلا باعين، لكن قصرت أيديكم عن تناولها، وكأن الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يقصد بذلك أنهم طلبوا أن يكون لهم باع في معرفة الكتاب، وباع في معرفة السنة، وأنى يكون ذلك لمن كذب وحرف وعاند، فإن هذا العلم لا يمكن أن يهبه الله تعالى إلا لمن آمن وصدق بكل ما جاء في الكتاب والسنة، وانقاد لذلك.

فإن من آمن وصدق بكل ما جاء في النصوص فقد أخذ بأسباب الهداية والتوفيق، وحصل له مع الإخلاص ما طلبه من أسباب العلا والرفعة والتمكين، فصار من العلماء العاملين.

أما من لم يومن بالنصوص الشرعية فإنه لم يأخذ بأسباب الهداية والتوفيق؛ كهؤلاء المعطلة، فقد حصل لهم من الخذلان وعدم التوفيق ما لا يمكن وصفه، فهم أجهل الناس بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما كان أمر هؤلاء كذلك، ولم يحصل لهم ما طلبوه من العلا، موهوا ومخرقوا، فحصل لهم علم مزور، خدعوا به ضعاف النفوس، وحسبوهم علماء، وهم جهلة.

وهذا معنى قول الناظم:

واتيتموها من سوى أبوابها ... ولكن تسورتم من الحيطان

وقد يكون معنى العلا: المنزلة في العلم والمنزلة عند الناس.

٨- وأغلقتم على أنفسكم بابين، لو فُتِحا لكم لظفرتم بكل ما يسركم، وأدركتم كل ما تؤمّلون من الخير: أحدهما باب الحديث الذي حرفتموه وأنكرتموه، وطعنتم في نقلته. والثاني: باب القرآن الكريم الذي لم تتلوه حق تلاوته، فهما بابان لكل خير.

٩- أنكم أيها المعطلة أغلقتم على أنفسكم بابي الرحمة والخير، والحق والإيمان، وفتحتم بابين هما من أعظم مداخل الشيطان: فالأول باب الجدل المذموم الذي نهى الله -تعالى- ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»**.

والمقصود بالجدل المذموم هو الجدل على الباطل.

أما الثاني فهو باب المنطق اليوناني الذي وضعه أرسطو الوثني، أشهر فلاسفة اليونان، وقد سماه الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الحريق؛ لأن معظم من دخلوا منه واتخذوه آلة لعلمهم أحرق دينهم وإيمانهم. =

= ١٠- ودخلتم بسببه دارين: دار الجهل في الدنيا حين أعرضتم عن علم الكتاب والسنة، ودار الخزي والهوان في الآخرة إن متم على ما يوجب لكم النار من التعطيل والكفر.

١١- وذقتم لونين من الطعام: لون الشك الذي أكلت مرارته قلوبكم، ولون التشكيك الذي تفسدون به غيركم.

١٢- وركبتم بسببه أمرين قد أهلكا الأمم الماضية قبلكم وهما: تقديم آراء الرجال على الوحي المنزل، ونسبتكم الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى الألغاز والتعمية والتدليس.

١٣- ومكرتم مكرين وهما: محاولة إطفاء نور القرآن ونور السنة.

انظر: شرح نونية ابن القيم لخليل هراس (٢/ ١٧٤-١٧٧).

فصل
في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت(١)

أهون بذا الطاغوت لا عز اسمه ... طاغوت ذي التعطيل والكفران
كم من أسير بل جريح بل قتيـ ... ـل تحت ذا الطاغوت في الأزمان
وترى الجبان يكاد يخلع قلبه ... من لفظه تبا لكل جبان
وترى المخنث حين يقرع سمعه ... تبدو عليه شمائل النسوان
ويظل منكوحًا لكل معطل ... ولكل زنديق أخي كفران
وترى صبي العقل يفزعه اسمه ... كالغول حين يقال للصبيان
كفران هذا الاسم لا سبحانه ... أبدا وسبحان العظيم الشان

قوله: «الطاغوت......» هو مشتق من طغا، وتقديره:طَغَوْتَ، ثم قلبت الواو ألفًا(٢).

قال الواحدي: «قال جميع أهل اللغة: الطاغوت كل ما عبد دون الله، يكون واحدًا وجمعًا، ويذكر ويؤنث قال الله تعالى: ﴿يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠]، فهذا في الواحد وقال في الجمع: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقال في المؤنث: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الزمر:١٧]».

---

(١) يقصد الناظم بالطاغوت هنا «الجسم» الذي نصبه المعطلة لنفي صفات الله -تعالى-.
(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (١/ ١٣٧) ط. مؤسسة الرسالة.

قال النووي: «قال الليث وأبو عبيدة والكسائي، وجماهير أهل اللغة الطاغوت (ع/٢/١٩٠ب): كل ما عبد من دون الله، وقال الجوهري: الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال»[١]. انتهى.

قوله:

أهـــون بـــذا الـــطـــاغـــوت.....   ....

هي صيغة تعجب: أي ما أهونه.

قوله: «تبًا....» التب والتبيب والتباب النقص والخسار[٢].

قوله: «المخنث..... » هو اسم مفعول من خنث، فهو مخنث وهو بضم الميم وفتح الخاء والنون وتشديدها.

قال في القاموس[٣]: «الخنث ككتف من فيه انخناث أي تكسر وتثن وقد خنث كفرح وتخنث وانخنث».

قوله: «....شمائل النسوان» الشمل الطبع جمع شمائل قاله في القاموس[٤].

قوله: « كالغول........» الغول بضم الغين اسم وجمعه أغوال وغيلان.

قال أبو السعادات[٥]: «الغول: واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلوات، تتراءى للناس، تتلون تلونا

---

(١) انظر: مسلم بشرح النووي (٣/ ١٨)، وفي الكلام تقديم وتأخير، ونقل كلام الواحدي «الطاغوت يكون واحد وجمعًا...» إلخ دون قوله: «قال جميع أهل اللغة...».

(٢) القاموس (١/ ٧٨) وزاد ابن سيده: «التتبيب: الهلاك». انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٤٦٧).

(٣) (ص٢١٦).

(٤) القاموس (ص١٣١٨).

(٥) انظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٥٥).

في صور شتى، وتغولهم: أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي ﷺ وأبطله»[١] انتهى.

ومعنى كلام الناظم: أن اسم الجسم[٢] إذا ذكر لصبي العقل لا صبي السن أفزعه، وهاله كما يفزع الصبي إذا خوف بالغول.

قوله: «.....كفران» هذا الاسم هو مصدر من كفر يكفر كفرانا.

قوله: «...لا سبحانه»[٣].

۞۞۞

كم ذا التترس بالمحال أما ترى ... قد مزقته كثرة السهمان

---

(١) كما في صحيح مسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة ولا غول**».
قال النووي في شرح مسلم (١٤/ ٢١٦): (قال آخرون: ليس المراد بالحديث نفي وجود الغول، وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها، قالوا ومعنى «لا غول» أي لا تستطيع أن تضل أحدًا، ويشهد له حديث آخر: «...لا غول ولا السعالى» قال العلماء: السعالي ـ بالسين المفتوحة والعين المهملة ـ وهم سحرة الجن، لهم تلبيس وتخيل، وفي الحديث الآخر: «إذا تغولت الغيلان فنادلوا بالآذان» أي ارفعوا شرها بذكر الله- تعالى، وهذا دليل على أنه ليس المراد نفي أصل وجودها). وانظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٥٥).

(٢) في جميع النسخ «غول» وهو تحريف قطعًا، ومعنى البيت لا يستقيم به، بل ويخالف ما ذكره الناظم في قوله:

وترى صبي العقل يفزعه اسمه ... كالغول حين يقال للصبيان

والضمير يعود على الجسم، شبه خوف المعطلة من الجسم كخوف الصبيان من الغول، ومعناه: أن صبي العقل وهو الأحمق ضعيف العقل من المعطلة يرتاع حين يذكر عنده لفظ الجسم، كما يرتاع الأطفال عندما تحكى لهم قصص الغيلان. انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ١٧٨).

(٣) كذا في الأصل، لم تشرح، ومعناه: أننا معشر أهل الحق كفرنا بهذا الجسم الذي وضعتموه، فلا نسبح بحمده أبدًا، بل لا نسبح إلا لربنا العظيم الذي هو أهل لكل شأن.
انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ١٧٨).

قال في القاموس(١): «الترس معروف جمع أتراس وترسة وتراس وتروس والتراس صاحبه وصانعه والتراسة صنعته والتتريس والترس التستر به»(٢).

۞۞۞

جسم وتجسيم وتشبيه أما	تعيون من فشر ومن هذيان
أنتم وضعتم ذلك الطاغوت ثم	به نفيتم موجب القرآن
جعلتموه شاهدًا بل حاكمًا	هذا على من يا أولي العدوان
أعلى كتاب الله ثم رسوله	بالله فاستحيوا من الرحمن
فقضاؤه بالجور والعدوان مثـ	ـل قيامه بالزور والعدوان
وقيامه بالزور مثل قضائه	بالجور والعدوان والبهتان(٣)
كم ذي الجعاجع ليس شيء تحتها	إلا الصدى كالبوم في الخربان(٤)

(١) القاموس (ص٦٨٨).

(٢) معنى البيت: يقول الناظم ـ للمعطلة نفاة الصفات بحجة أن إثباتها يؤدي إلى التجسيم ـ إلى متى وأنتم تتسترون بهذا الطاغوت -الجسم- وأنتم ترون سهام أهل الحق موجهة إليه حتى جعلته ممزق اللحمان؛ فإن أهل السنة لما أثبتوا الصفات لله تعالى نفوا عنها مشابهة المخلوقات، فأبطلوا قولكم: «إن إثبات الصفات يؤدي إلى التجسيم، والأجسام متماثلة، فالله ليس بجسم، فلا يصح وصفه بالصفات».

(٣) الذي ظهر لي بعد التأمل أن هذا البيت ليس تكرارًا لما قبله، فإنا إذا شبهنا قضاء الجور بشهادة الزور، وجعلنا القيام بشهادة الزور مثل القضاء بالجور، فمعناه أن حكم المعطل على كتاب الله، جمع فيه بين إثم شهادة الزور وإثم الحكم بغير ما أنزل الله تعالى. والله أعلم.

(٤) معنى الأبيات، أن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يقول لهم: متى كلما سمعتم صفة أثبتها أحد قلتم له: هذا جسم وتجسيم وتشبيه.

أما تكلون من هذا الكذب والهذيان، فأنتم الذين اخترعتم طاغوت «الجسم» ثم نفيتم به ما يدل عليه القرآن.

بل وصلت بكم الوقاحة والجرأة على أن جعلتموه حاكمًا على كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما تستحيون من الله تعالى. =

قوله: «إلا الصدى....» قال في مختار الصحاح[١]: «الصدى ذكر البوم والصدى أيضًا الذي يجيبك مثل صوتك في الجبال وغيرها وقد أصدى الجبل».

قوله: «كالبوم....» قال في القاموس[٢]: «البوم والبومة بضمهما طائر كلاهما للذكر والأنثى وبومة لقب محمد بن سليمان المحدث».

❁❁❁

ونظير هذا قول ملحدكم وقد	جحد الصفات لفاطر الأكوان
لو كان موصوفًا لكان مركبًا	فالوصف والتركيب متحدان
ذا المنجنيق وذلك الطاغوت قد	هدما دياركم إلى الأركان[٣]

= فهذا الطاغوت الذي حكمتم به على الصفات الواردة في الكتاب والسنة ونفيتموها، حكمه جائر لا شك؛ لأنكم أنتم الذين اخترعتموه من عند أنفسكم، والأصل إذا بطل، بطلت فروعه وأحكامه، لأن ما بني على الباطل فهو باطل. انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ١٧٩).

(١) مختار الصحاح (ص١٩١).

(٢) القاموس (ص١٣٩٧-١٣٩٨).

(٣) يعني أن فعلكم هذا هو مثل فعل رئيس الفلاسفة الملحد أبي علي ابن سينا الذي قرر هو وأتباعه أن إثبات الصفات يؤدي إلى التركيب، كما في كتاب النجاة (ص٢٢٧)، وقد تقدم الكلام عن ذلك (ص١٢٥٣).

ونزيد الأمر إيضاحًا فنقول:

الفلاسفة ينفون الصفات؛ لأن في إثباتها تركيبًا، والله تعالى بسيط وليس مركبًا، لأن كل مركب يفتقر إلى بعض أجزائه، وأجزاؤه غيره فلا يكون واجبًا.

وخلصوا من ذلك أن واجب الوجود ليس مركبًا؛ لأنه يشترط في واجب الوجود أن يكون واحدًا، ويعنون بالواحد ما لا صفة له، ولا قدر ولا يقوم به فعل.

والوحدانية عند الفلاسفة تعني البساطة وعدم التركيب.

فهم يردون صفاته تعالى إلى صفة واحدة، ثم يردون تلك الصفة إلى الذات، والصفات ليست زائدة على الذات أو مستقلة عنها، بل هي عين الذات، ثم إذا أثبتوا ذاتًا فإنهم يثبتون ذاتًا مجرده من كل معنى؛ لأنهم يثبتون لله وجودًا بشرط الإطلاق. =

والله ربي قد أعان بكسر ذا ... ويقطع ذا سبحان ذي الإحسان

أي أن الله (ع/٢/١٩١) سبحانه قد أعان بكسر الطاغوت، وبقطع المنجنيق بالحجج الساطعة، والبراهين القاطعة.

۞۞۞

فلئن زعمتم أن هذا لازم ... لمقالكم حقًّا لزوم بيان

فلنا جوابات ثلاث كلها ... معلومة الإيضاح والتبيان

منع اللزوم وما بأيديكم سوى ... دعوىً مجردة من البرهان

لا يرتضيها عالم أو عاقل ... بل تلك حيلة مفلس فتان

فلئن زعمتم أن منع لزومه ... منكم مكابرة على البطلان

معنى كلام الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في هذه الأبيات: إنكم معاشر المعطلة ألزمتم المثبتة،إذا أثبتوا صفات الباري سبحانه: التجسيم والتركيب.

قوله:

فلئن زعمتم أن هذا لازم لمق ... الكم................................ إلخ

قوله:

فلنا جوابات ثلاث........ ....

= فالتجسيم عندكم أيها المعطلة والتركيب عند الفلاسفة أفسد عليكم دينكم ودنياكم، وقد اقتُلعَتْ دياركم من أساسها حتى صارت خاوية على عروشها.

انظر: الإشارات والتنبيهات لابن سينا (٣/ ١٤٧) ط. دار المعارف، والملل والنحل للشهرستاني (ص٣٧٩، ٤٤٣)، وشرح النونية لهراس (٢/ ١٧٩)، والأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (٣/ ١١٩-١٢٦).

إلى قوله:

منع اللزوم وما بأيديكم سوى … دعوى مجردة بلا برهان

أي أن ذلك لا يلزم المثبتة، لأن لازم المذهب ليس بمذهب[١].

قوله:

فلئن زعمتم ان منع لزومه …

أي إذا قلنا بإثبات الصفات، لم يلزمنا تجسيم، فإن زعمتم أن ذلك مكابرة، فلنا جواب ثان.

وهو قوله:

فجوابنا الثاني امتناع النفي في … ما تدعون لزومه ببيان

إن كان ذلك لازمًا للنص فالـ … ـملزوم حق وهو ذو برهان

والحق لازمه فحق مثله … أنى يكون الشيء ذا بطلان

«ويكون ملزوما» به حقًّا فذا … عين المحال وليس ذا إمكان

فتعين الإلزام حينئذ على … قول الرسول ومحكم القرآن

وجعلتم أتباعه[٢] ما تسترا … خوفا من التصريح بالكفران[٣]

والله ما قلنا سوى ما قاله … هذي مقالتنا بلا كتمان

---

(١) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١/ ٣١٥)، والفواكه الدواني لأحمد بن غنيم النفراوي (٢/ ٢٢٨) ط. دار الفكر، وإجابة السائل شرح بغية الآمل للأمير الصنعاني (١/ ١٢٦) ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) في (ع): «امتاعه» وفي هامش (ع): «أصحابه» والمثبت في (د).

(٣) والمستر: هو ما يستر به، ومراد الناظم: أن الإلزام الذي ألزمنا به المعطلة حين أثبت الصفات، هو في الحقيقة إلزام لكلام الله تعالى ورسوله، لكنهم لم يصرحوا بذلك، بل جعلوا اتباع الكتاب والسنة سترًا دون ذلك. انظر: الكافية الشافية (٣/ ٧٨٧) بتحقيق العريفي ورفاقه.

فجعلتمونا جنة والقصد مفـ ـهوم فنحن وقاية القرآن

يقول الناظم:

الجواب الثاني للنفاة: أنا لم نقل إلا بما دلت عليه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، فإن كان لازمها التجسيم -كما زعمتم-، فإذا صح ذلك، فالملزوم حق[1]؛ لأنا لم نتبع إلا ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله؛ لأنه من المحال (ع/ ٢/ ١٩٢ب) أن يكون الشيء باطلًا في نفسه، وتكون ملزوماته حقًّا!!

فتعين إلزامكم حينئذ على قول الرسول ومحكم القرآن، وأنهما لم يدلا إلا على التجسيم والتشبيه، فرميتم أتباع الرسول بالتشبيه والتجسيم والتركيب تسترًا.

وهذا معنى قوله: « ما تسترا...» خوفًا من أنكم إذا نسبتم الكتاب والسنة إلى التشبيه والتجسيم، نُسِبْتُم إلى الكفر والضلال، وإلا فالمثبتة لم يقولوا إلا بما قاله الله ورسوله، لكن جعلتم تشنيعكم على أتباعه جنة، وقصدكم مفهوم، والله أعلم.

۞۞۞

قال الناظم:

هذا وثالث ما نجيب به هو اسـ ـتفساركم يا فرقة العرفان

ماذا الذي تعنون بالجسم الذي ألزمتمونا أوضحوا ببيان

تعنون ما هو قائم بالنفس أو عالٍ على العرش العظيم الشان

أو ذا الذي قامت به الأوصاف أو صاف الكمال عديمة النقصان

أو ما تركب من جواهر فردة أو صورة حلت هيولى ثان

---

(١) الملزوم هنا هو التجسيم، وقوله: «حق» لا يعني موافقة المعطلة على قولهم هذا، وإنما المقصود أن أهل الإثبات يثبتون الصفات لله -تعالى- امتثالًا وتمشيًا مع النصوص، سواء سماها المعطلة تجسيمًا أم تركيبًا؛ لأن العبرة بالحقائق لا بالألفاظ، وبما دلت عليه النصوص لا بما نحتته العقول.

أو ما هو الجسم الذي في العرف أو ... في الوضع عند تخاطب بلسان
أو ما هو الجسم الذي في الذهن ذا ... ك يقال تعليم ذي الأذهان
ماذا الذي في ذاك يلزم من ثبو ... ت علوه من فوق كل مكان
فأتوا بتعيين الذي هو لازم ... فإذا تعين ظاهر التبيان
فأتوا ببرهانين برهان اللزو ... م ونفي لازمه فذان اثنان
والله لو نشرت لكم أشياخكم ... عجزوا ولو واطاهم الثقلان
إن كنتم أنتم فحولا فابرزوا ... ودعوا الشكاوي حيلة النسوان
وإذا اشتكيتم فاجعلوا الشكوى إلى الـ ... ـوحيين لا القاضي ولا السلطان

هذا هو الجواب الثالث من أجوبة المثبتة للنفاة:

وهو استفسار المثبتة للنفاة: ما مرادهم بالجسم؟ هل هو القائم بنفسه، كالهواء وروح الإنسان ونحوهما، أو ما هو عال على العرش، أو ما قامت به الصفات أو هو الجسم التعليمي[(١)]: وهو الكمية السارية في الجسم الطبيعي[(٢)] الممتدة في الجهات

---

(١) الجسم التعليمي: هو الذي يقبل الانقسام طولًا وعرضًا وعمقًا، وسمي تعليميًّا؛ لأنه يبحث في العلوم التعليمية، أي الرياضية الباحثة في الكم المتصل والمنفصل.
انظر: التعريفات للجرجاني (ص١٠٤)، والتعاريف للمناوي (ص٢٤٥).

(٢) الجسم الطبيعي: هو الجوهر القابل للأبعاد الثلاثة عند الحكماء والمعتزلة، وعند الأشعري هو الجوهر المنقسم.
ويقسم أهل المنطق الجسم الطبيعي إلى قسمين: مطلق، وهو المركب من الهيولى والصورة الجسمية، ومقيد، كالإنسان وهو مركب من الهيولى والصورة الجسمية والصورة النوعية، قالوا: وكل من هذه الأجزاء الثلاثة جواهر.
أما المتكلمون فيرون أن الجسم هو المركب من الجواهر المفردة، وهي الأجزاء التي لا تتجزأ..
وقول المناطقة بأن الجسم التعليمي هو الكمية السارية في الجسم الطبيعي الممتدة في الجهات الثلاث، معناه عندهم أن الجسم الطبيعي هو ذو طول وعرض وعمق، وهذا معلوم لكل أحد، =

الثلاث، أعني الطول والعرض والعمق، سمي جسمًا تعليميًّا؛ لكونه موضوعًا للحكمة التعليمية، أعني الحكمة الرياضية.

والذي يدل على تغاير المعنيين أنك إذا أخذت شمعة بعينها، وشكَّلتَها بأشكال مختلفة، بأن جعلتها تارة كرة وتار مكعبًا وتارة اسطوانة مثلًا، فالجسم الطبيعي باق بعينه، وقد تغيرت كميته السارية في جهاته، تغيرات شتى(١).

قوله:

.... او صـــورت حـلـت هـيـولـي ثـان

أي: وهل المراد بالجسم: المركب عند الفلاسفة المشائين من الهيولي والصورة، أو مرادكم الجسم الذي في العرف، أو في الوضع، فإذا بينتم مرادكم بالجسم، أجبناكم حينئذ بالجواب المركب:

وهذا معنى قوله:

فنجيب بالتركيب حينئذ جوابًا شـافـيًـا فـيـه هــدى الحـــيران
الحــق إثـبـات الـصـفـات ونفيها عـين المحــال ولـيـس في الإمـكـان

=ولكن الفلاسفة وأهل المنطق يحبون التشدق في الكلام، ويلجأون دائمًا إلى العبارات المعقدة التي يمكن أن يعبر عنها بما هو أسهل منها بأخصر عبارة.

انظر: دستور العلماء للقاضي عبدالنبي بن عبدالرسول نكرى (ص٢٧٤).

(١) يعني تغير الطول والعرض والعمق. انظر: الجديد في الحكمة لسعد بن منصور كمونه (١/ ٢٦٥).

لكن ذكر شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٢/ ٣١٦) ضابطًا يفرق فيه بين الجسم الطبيعي والجسم التعليمي فقال: (النظار يريدون بلفظ «الجسم» تارة المقدار، ويسمونه الجسم التعليمي، وتارة يريدون به الشيء المقدر وهو الجسم الطبيعي، والمقدار المجرد عن المقدر كالعدد المجرد عن المعدود...).

فالجسم إما لازم لثبوتها ... فهو الصواب وليس ذا بطلان

أو ليس يلزم من ثبوت صفاته ... فشناعة الإلزام بالبهتان

فالمنع في إحدى المقدمتين معـ ... ـلوم البيان إذا بلا نكران

المنع إما في اللزوم أو انتفا ... ء اللازم المنسوب للبطلان

هذا هو الطاغوت قد أضحى[1] كما ... أبصرتموه بمنة الرحمن

شرح الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في الجواب القاطع المركب:

وهو أن الحق: إثبات الصفات، ونفيها عين المحال!!وأبطل الباطل، وحينئذ فالجسم إما لازم لثبوتها، فيكون هو الصواب، وإما أن يكون ليس بلازم، وإنما الإلزام به من تشنيع المعطلة.

قوله:

فالمنع في إحدى المقدمتين ... .

وهما القول بالجسم أو انتفاء اللازم: معلوم بغير إنكار، ونحن نمنع إحدى المقدمتين، ونقول: إن كان الكتاب والسنة، قد دلا على التجسيم، والعياذ بالله، فهو حق بهذا الاعتبار، ولكن نحن نمنع اللزوم، وهو المقدمة الثانية، والله أعلم[2].

فصل

يا قوم تدرون العداوة بيننا ... من أجل ماذا في قديم زمان

إنا تحيزنا إلى القرآن والنـ ... ـقل الصحيح مفسر القرآن

وكذا إلى العقل الصريح وفطرة الر ... حمن قبل تغير الإنسان

هي أربع متلازمات بعضها ... قد صدقت بعضًا على ميزان

والله ما اجتمعت لديكم هذه ... أبدًا كما أقررتم بلسان

إذ قلتم العقل الصحيح يعارض الـ ... ـمنقول من أثر ومن قرآن

فنقدم المعقول ثم نصرف الـ ... ـمنقول بالتأويل ذي الألوان

فإذا عجزنا عنه ألقيناه لم ... نعبأ به قصدًا إلى الإحسان

ولكم بذا سلف لهم تابعتم ... لما دعوا للأخذ بالقرآن

صدوا فلما أن أصيبوا أقسموا ... لمرادنا توفيق ذي الإحسان

ولقد أصيبوا في قلوبهم وفي ... تلك العقول بغاية النقصان

فأتوا بأقوال إذا حصلتها ... أسمعت ضحكة هازل مجان

هذا جزاء المعرضين عن الهدى ... متعوضين زخارف الهذيان

في مبدأ العداوة الواقعة بين المثبتين الموحدين وبين النفاة المعطلين

معنى كلام (ع/ ٢/ ١٩٤ب) الناظم في هذه الأبيات:

أنه يقول: تدرون أيها المعطلة ما مبدء العداوة الواقعة بيننا وبينكم، وما الذي أحدثها؟ ثم أخذ في بيان ذلك فقال: إنا تحيزنا إلى القرآن والنقل الصحيح والعقل الصريح والفطرة، وأنتم أخذتم -فيما زعمتم- بالعقل، وقلتم:إذا تعارض العقل

والنقل، فإما أن نردهما جميعًا، وإما أن نقبلها جميعًا، ولا سبيل إلى ذلك، وإما أن نقبل النقل ونترك العقل، وهو محال؛ لأن العقل أصل النقل، فلو صدقنا النقل وكذبنا العقل؛ لأفضى ذلك إلى تكذيب النقل؛ لأن العقل أصل النقل، فلذلك قدمنا العقل، ثم صرفنا النقل المخالف - بزعمهم - للعقل، وذلك إما بالتأويل -إن أمكن-، وإما بالتفويض[1].

قوله:

ولـكـم بـهـذا سـلـف........ .... إلخ

هؤلاء السلف: هم المنافقون الذي ذكرهم الله تعالى بقوله في سورة النساء: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١] الآيات.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في العقل والنقل[2]: «وفي هذه الآيات أنواع من العبر الدالة على ضلال من تحاكم إلى غير الكتاب والسنة، وعلى نفاقه، وإن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية، وبين ما يسميه هو عقليات، من الأمور المأخوذة عن بعض الطواغيت، من المشركين وأهل الكتاب، وغير ذلك من أنواع الاعتبار.

فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه، من اتباع القرآن والإيمان مثلًا،أو لتعديه حدود الله (ع/٢/١٩٥أ)، بسلوك السبيل التي نهي عنها، أو لاتباع هواه بغير هدى من الله، فهو الظالم لنفسه، وهو من أهل الوعيد، بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله باطنًا وظاهرًا، الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله، فهذا

---

(١) انظر في الجواب عن هذه الشبهة: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨٦) وما بعدها.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٥٨).

مغفور له خطؤه كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]، إلى قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]» انتهى كلامه.

۞۞۞

قال الناظم:

واضرب لهم مثلا بشيخ القوم إذ ... يأبى السجود بكبر ذي طغيان

ثم ارتضى أن صار قوّادًا لأر ... باب الفسوق وكل ذي عصيان

قوله:

واضرب لهم مثلًا بشيخ القوم ... إلخ

المراد به إبليس عليه اللعنة، وذلك أن الله أمره بالسجود لآدم، فعصى كبرًا وطغيانًا، ثم ارتضى بأن صار قوادًا لكل فاسق وعاص، نعوذ بالله.

وهذا مأخوذ من قول أبي نواس:

۞۞۞

عجبت من إبليس في كبره ... وفي الذي أظهر من نخوته

تاه على آدم في سجدة ... وصار قوادًا لذريته[1]

قوله: «....نخوته» قال في القاموس[2]: «نخا ينخو نخوة افتخر وتعظم».

وكذا قوله: «تاه.......» أي تكبر.

۞۞۞

(١) ديوان أبي نواس (ص١٢٥).

(٢) (ص١٧٢٤).

وكذاك أهل الشرك قالوا كيف ذا بشر أتى بالوحي والقرآن

ثم ارتضوا أن يجعلوا معبودهم من هذه الأحجار والأوثان

أي: أن أهل الشرك تكبروا، وقالوا: الله أكبر وأجل وأعظم، من أن يرسل بشرًا(١)، ثم ارتضوا بأن جعلوا آلهتهم من الأحجار، والأوثان والجماد [فصاروا](٢) أخس حالًا من الحيوان(٣).

۞۞۞

وكذاك عباد الصليب حموا بتا ركهم من النسوان والولدان

وأتوا إلى رب السموات العلى جعلوا له ولدا من الذكران

أي إن عُبَّاد الصليب، وهم النصارى، نزهوا بتاركهم(٤) من النساء والولدان، ثم جعلوا لله سبحانه ولدًا، تعالى الله عن قولهم. البترك الأكبر: هو لوقا الناقل عن

(١) كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) هذا من تناقضاتهم التي تدل دلالة مباشرة على بطلان اعتراضاتهم على الرسالة النبوية، والناظر في السور المكية يجد فيها كشفًا لكثير من تناقضات المشركين، مثل طلب الغوث والحاجة من الأصنام في وقت الرخاء، ثم الإخلاص لله -تعالى- بالدعاء في وقت الشدة، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾، ومثل وأدهم البنات خوفًا من العار، ثم هم يتزوجون بناتًا، ولم يقتلوهم، ومثل إقرارهم بفصاحة القرآن الذي نزل على محمد ﷺ، ويقولون: «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه يعلو، ولا يعلى عليه» ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، ثم يزعمون أن الذي علمه إياه حداد أعجمي لا يعرف العربية، كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾، ولهم تناقضات كثيرة لا يمكن حصرها، وهذه حال كل من عدل عن الحق إلى غيره، لأن كثرة التناقضات تضعف الأقوال وتسقطها، وتدل على بطلان دعاوى أصحابها -والله أعلم-.

(٤) جمع (بترك)، ويسمى (بطرك)، و(بطريك) و(بطريق): وهو مقدم النصارى، ورئيس رؤساء الأساقفة، يجمع على (بطارك) و(بطارق)، وهي مرتبة دينية هي عندهم بمنزلة أصحاب المذاهب عندنا. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٦١).

بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأصل الترتيب عندهم: أن القارئ للإنجيل من أول وهلة: شماس، فإن تأوله وأتقن حفظه صار قسيسًا، ويدوم كذلك ما دام عنده زوجة، وإن بلغ في العلم ما بلغ، فإن ماتت زوجته، فإن تزوج خرج عن مراتب العلم، ويسمى سالخ القسوسية[1]، فإن تنزه عن الزفر، وما يخرج من الأرواح صار بتركًا في مذهب الأرمن[2].

وأما الروم[3] واليعاقبة[4] والنسطورية[5]: فيرون أنه لا يجوز أن يكون بتركًا

---

(١) في (د) «القسوس».

(٢) **الأرمن**: هم بادية الروم، انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٢٦).

(٣) **الروم**: جيل معروف واحدهم رومي، ينتمون إلى عيصو بن إسحاق، وكانت بلادهم تضاف إليهم، فيقال بلاد الروم، وكان الترك والروس شمال بلادهم، وجنوبهم الشام والإسكندرية، ومغاربهم البحر والأندلس، وكانت الرقة والشامات كلها تعد في حدودهم أيام الأكاسرة، وكانت أنطاكية دار مملكتهم إلى أن نفاهم المسلمون إلى أقصى بلادهم.
انظر: مراصد الاطلاع (٢/ ٦٤٢)، لسان العرب (٥/ ٣٧٨)، والأنساب (٣/ ١٠٤-١٠٦)، وتهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٣٠).

(٤) **اليعاقبة**: هي فرقة من فرق النصارى تنتسب إلى يعقوب البرذعاني الراهب، قالوا: بالأقاليم الثلاثة، لكنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، وقد قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾، فمنهم من قال: المسيح هو الله، ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح، فظهر الحق لا عن طريق الحلول، ولا عن طريق اتحاد الكلمة، بل صار هو هو كما يقال ظهر الملك بصورة الإنسان -تعالى الله عن قولهم-.
وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد إلا أنه جوهرين؟!، فجوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث تركبا كما تركبت النفس والبدن، فصارا جوهرًا واحدًا أقنومًا واحدًا.
وقالوا: إن القتل وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين، وقالوا: لو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد.
وقد ذكر لهم الشهرستاني كلامًا كثيرًا على هذه الشاكلة، تركناه لطوله، يضحك منه عقلاء المجانين. انظر: الملل والنحل (٢/ ٢٥٣-٢٥٥).

(٥) **النسطورية**: فرقة من فرق النصارى تنسب إلى نسطور الحكيم، الذي تصرف في الأناجيل، وقد زعم أن الكلمة اتحدت بجسد عيسى بإشراق الشمس في كوة على بلورة، وزعمت هذه الفرقة أن الابن لم يزل متولدًا من الأب، وإنما تجسد بجسد المسيح حين ولد، والحدوث راجع إلى الجسد =

إلا من تنزه عن النساء، وأكل الأرواح، وما يخرج منها من أول عمره، إلا العسل والسمك لأنه خليفة المسيح[١].

وطاعة هؤلاء فرض على النصارى[٢].

وأما الأسقف[٣] والميرون[٤] والراهب[٥]، فأسماء للمتعبدين خاصة، فالماكث في القلة: ميرون[٦]، وكثير السياحة أسقف[٧]، وتارك النساء فقط راهب، وشرط الروم ملازمته للبس المسوح، وخدمة الدير، وأن لا يصلي خارج الكنيسة[٨].

۞۞۞

=والناسوت، فهو إله وإنسان اتحدا، وهما جوهران أقنومان، طبيعيان: جوهر قديم، وجوهر محدث، إله تام، وإنسان تام، ولم يُبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث، وقالوا: إن القتل وقع على جهة ناسوتية لا على جهة لاهوتية، لأن الإله لا تحله الآلام.

انظر الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٦٨-٢٦٩)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٣٢).

(١) انظر: هداية الحيارى لابن القيم (١/ ١٤٠)، وتزيين الأسواق لداود الأنطاكي (٢/ ٧٧).

(٢) لأنهم بمنزلة القضاة عندهم. انظر: الجواب الصحيح (٢/ ١٥٤).

(٣) الأسقف: هي الدرجة العليا في الكهنوت، وهو كاهن ذو درجة أولى موكول إليه، وللكاهن أن يقدم القرابين، وهو في الكنيسة نائب المسيح، فله حق الرياسة على الكهنة الذين هم تحته، كما أن الأساقفة يعتبرون في دين النصارى أصحاب الفتوى.

انظر: أسرار الكنيسة السبقة لياكون حبيب جرجس (ص١٨٤) ط. دار الاعتصام، وكنز النفائس في اتحاد الكنائس (ص١٩١).

(٤) لم أجد من عرف بهم.

(٥) الراهب هو التارك للنساء. انظر: تزيين الأسواق لداود (٢/ ٧٧) ط. عالم الكتب.

(٦) تزيين الأسواق (٢/ ٧٧).

(٧) تزيين الأسواق (٢/ ٧٧).

(٨) انظر: تزيين الأسواق (٢/ ٧٧).

والدير: جمع أديار، وهي دور النصارى التي بها صوامعهم وكنائسهم.

وكــذلــك الجـهــمـي نــزه ربــه ... عن عـرشـه مـن فـوق ذي الأكـوان
حــذرا مـن الحـصـر الــذي في ظنه ... أو أن يــرى مــتـحـيـزًا بمـكـان
فـأصـاره عـدمًـا ولـيـس وجـوده ... مـتـحـقـقًـا في خـارج الأذهـان
لـكـنـمـا قـدمـاؤهـم قـالـوا بـأنّ ... الــذات قـد وجـدت بـكـل مـكـان
جـعـلـوه في الآبـار والأنجـاس والـ ... ـخـانـات والخَـرِبَـاتِ والقيعان

قال في القاموس[١]: «الخان الحانوت (ع/٢/١٩٦ب) أو صاحبه وخان التجار»[٢] معروف.

قوله: «......القيعان» قال في القاموس[٣]: «القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عليها الجبال والآكام جمع قيع وقيعة وقيعان بكسرهن».

أي أن الجهمية نزهوا الله عن أن يكون مستويًا على عرشه؛ حذرًا من أن يكون محصورًا أو متحيزًا، ثم قالوا: إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، فأوقعوا عليه صفة المعدوم.

قوله:

لـكـنـمـا قـدمـاؤهـم قـالـوا بأ ... ن الــذات.................. إلخ

أي أن قدماء الجهمية قالوا: بأنه سبحانه موجود بكل مكان، تعالى الله عن ذلك، ولكن هذا ليس قول الجهمية الأولين جميعهم، فإن هذا قول النجارية والضرارية، كما تقدم ذلك في أوائل هذا الشرح، ففي كلامه مساحة[٤].

۞۞۞

(١) القاموس (ص١٥٤٢).
(٢) إلى هنا انتهت عبارة صاحب القاموس.
(٣) القاموس (ص٩٧٨).
(٤) في هامش (ع) علق العنقري بقوله: (استدراك الشارح على الناظم بقوله: «ولكن...» فيه نظر فليتأمل). اهـ.
=

والقصد أنكم تحيزتم إلى الـ آراء وهي كثيرة الهذيان
فتلونت بكم فجئتم أنتم متلونين عجائب الألوان
وعرضتم قول الرسول على الذي قد قاله الأشياخ عرض وزان
وجعلتم أقوالهم ميزان ما قد قاله والعول في الميزان

أي أن هذا ميزان عائل جائر، قال في القاموس[1]: «عال جار عن الحق والميزان نقص»[2].

۞ ۞ ۞

ووردتم سفل المياه ولم نكن نرضى بذاك الورد للظمآن
واخذتم أنتم بُنَيات الطريق[3] ونحـ ـن سرنا في الطريق الأعظم السلطان

= وقد تأملت هذا الشرح من أوله إلى آخره فوجدته على ما ذكر الشيخ عبد الله العنقري رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإن الشارح ذكر في أوائل شرحه بأن القائلين بأن الله -تعالى- في كل مكان هو قول النجارية، وهم عوام الجهمية وعبادهم، أما الجهمية الفحول -ومنهم الضرارية- فيقولون: «إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه» وهذا هو كلام شيخ الإسلام في عدد من كتبه.
فالظاهر أن الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ حصل له ذهول هنا عما قرره هناك، والله أعلم.

(١) القاموس (ص١٣٤٠).

(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾.
فأنتم أيها النفاة أما تكلون من هذا الكذب والهذيان، فأنتم الذين اخترعتم طاغوت «الجسم» ثم نفيتم به ما يدل عليه القرآن.
بل وصلت بكم الوقاحة والجرأة على أن جعلتموه حاكمًا على كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
أما تستحيون من الله تعالى.
فهذا الطاغوت الذي حكمتم به على الصفات الواردة في الكتاب والسنة ونفيتموها، حكمه جائر لا شك؛ لأنكم أنتم الذين اخترعتموه من عند أنفسكم. والأصل إذا بطل، بطلت فروعه وأحكامه، لأن ما بني على الباطل فهو باطل، والله أعلم.
انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ١٧٩).

(٣) هي الطرق الصغار تتشعب من الجادة وهي الترهات. انظر: لسان العرب (١٤/ ٩١).

بُنيات الطريق: هي الطرق الصغار، وتتشعب من الطريق الأعظم، ثم ترجع إليه.

۞۞۞

وجعلتم ترس الكلام مجنكم ... تبًا لذاك الترس عند طعان

ورميتم أهل الحديث بأسهم ... عن قوس موتور الفؤاد جبان

فتترسوا بالوحي والسنن التي ... تتلوه نعم الترس للشجعان

تقدم تفسير الترس.

☜ قوله: «موتور....» هو اسم مفعول من وتره يتره.

قال في القاموس[1]: «وتره يتره وترًا وترة، والقوم جعل شفعهم وترًا كأوترهم والرجل أفزعه وأدركه بمكروه ووتره ماله نقصه إياه» انتهى.

قلت: ومنه الحديث: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»[2] (ع/٢/١٩٧أ).

۞۞۞

هو ترسهم والله من عدوانكم ... والترس يوم البعث من نيران

افتاركوه لفشركم ومحالكم ... لا كان ذاك بمنة الرحمن

ودعوتمونا للذي قلتم به ... قلنا معاذ الله من خذلان

فاشتد ذاك الحرب بين فريقنا ... وفريقكم وتفاقم الأمران

وتأصلت تلك العداوة بيننا ... من يوم أمر الله للشيطان

بسجوده فعصى وعارض أمره ... بقياسه وبعقله الخوان

(١) القاموس (ص٦٣١).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٢٠٣). و صحيح مسلم (١/ ٤٣٥).

فأتى التلاميذ الوقاح فعارضوا أخباره بالفشر والهذيان
ومعارض للأمر مثل معارض الـ أخبار هم في كفرهم صنوان
من عارض المنصوص بالمعقول قد ما أخبرونا يا أولي العرفان
أو ما عرفتم أنه القدري والـ ـجبري أيضًا ذاك في القرآن
إذ قال قد أغويتني وفتنتني لأزينن لهم مدى الأزمان
فاحتج بالمقدور ثم أبان أن الفعل منه بغية وزيان
فانظر إلى ميراثهم ذا الشيخ بالتـ ـعصيب والميراث بالسهمان
فسألتكم بالله من وراثه منا ومنكم بعد ذا التبيان

حاصل كلام الناظم في هذه الأبيات: أن أصل العداوة بيننا وبينكم -يا معشر من عارض أمر الله بقياسه وعقله- من حين أمر الله إبليس بالسجود لآدم، فعصى وعارض أمر الله بالعقل والقياس، وذلك فيما حكى الله عنه، وهو قوله: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٣٣]، وقوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]، يعني النار خير وأفضل من الطين، فأنا خير من آدم،فهذا معارضة اللعين، للأمر بالعقل والقياس.

وقوله:

وأتى التلاميذ الوقاح فعارضوا أخباره................................ إلخ

أي أن النفاة عارضوا الأخبار بالفشر والهذيان، وقالوا: العقل يعارض النقل، والقواطع العقلية تعارض الظواهر اللفظية، والأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، ونحو ذلك من الفشر والهذيان، وهذا معنى معارضتهم للخبر، وهو معنى قول الناظم:

ومعارض للأمر مثل معارض الأخبار.............................. إلخ

قوله:

من عارض المنصوص بالمعقول قد ما........................... الخ

أن إبليس حين احتج بالقدر وهو قوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩]، فاحتج أولًا بالقدر والجبر، وهو قوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾، ثم قال: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩]، فتبعته القدرية المجبرة في الاحتجاج بالقدر، وهو أنهم مجبورون على أفعالهم، وتبعته القدرية النفاة، وهم الذين زعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة في قوله: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩]، فالقدرية المجبرة تبعوه في الجبر، والقدرية النفاة تبعوه في نفي خلق أفعال العباد.

فالطائفتان قد عارضتا المنصوص بالمعقول، وهذا معنى قول الناظم:

فانظر إلى ميراثهم ذا الشيخ بالتـ عصيب...............................

كما هو ظاهر والله أعلم، وقد تقدم الكلام في مذهب أهل السنة والجماعة في خلق أفعال العباد، وفي رد مذهب الجبرية[1].

۞۞۞

هذا الذي ألقى العداوة بيننا إذ ذاك واتصلت إلى ذا الآن
أصّلتم أصلا وأصل خصمكم أصلا فحين تقابل الأصلان
ظهر التباين فانتشت ما بيننا الـ ـحرب العوان وصيح بالأقران
أصلتم آراء الرجال وخرصها من غير برهان ولا سلطان
هذا وكم رأي لهم فبراي من نزن النصوص فأوضحوا ببيان
كل له رأي ومعقول له يدعو ويمنع أخذ رأي فلان

---

(١) في هامش (ع) -بخط المؤلف-: (بلغ قراءة على المؤلف عفا الله عنه).

والخصم أصل محكم القرآن مع ... قول الرسول وفطرة الرحمن
وبنى عليه فاعتلى بنيانه ... نحو السما أعظم بذا البنيان
وعلى شفا جرف بنيتم انتم ... فأتت سيول الوحي والإيمان
قلعت أساس بنائكم فتهدمت ... تلك السقوف وخر للأركان
الله أكبر لو رأيتم ذلك الـ ... ـبنيان حين علا كمثل دخان
تسمو إليه نواظر من تحته ... وهو الوضيع ولو يرى بعيان
فاصبر له وهنا ورد الطرف تلـ ... ـقاه قريبا في الحضيض الداني[1]

ثم شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان أن (ع/ ٢/ ١٩٨ب) التعطيل أساس الزندقة والكفر، وأن الإثبات أساس العلم والإيمان فقال:

(١) معنى الأبيات: أن إبليس هو الذي ألقى العداوة بين أولياءه وأعداءه، فاستمرت مستعرة إلى الآن، ولا تزال كذلك ما دام في الأرض حق وباطل، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك لأن أهل الباطل أصلوا لأنفسهم أصولًا وأصل خصومهم من أهل الحق أصولًا، ولن يتلاقى الأصلان أبدًا مادام الليل والنهار، ولهذا قامت الحرب بين الحق والباطل. وإذا كانت أصول أهل الحق هي الكتاب والسنة، فإن أصول الباطل هي تقليد الرجال، والأخذ بآرائهم المبنية على التخرص والتخمين بلا حجة ولا دليل، وكذلك هي متناقضة متضاربة، فكل صاحب رأي يدعو لرأيه ويمنع من الأخذ برأي غيره. فبأي رأي من هذه الآراء المتضاربة نزن نصوص الكتاب والسنة؟! انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ١٩٢).

فصل

في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفران والإثبات أساس العلم والايمان(١)

من قال إن الله ليس بفاعل ... فعلًا يقوم به قيام معان

كلا وليس الأمر أيضًا قائمًا ... بالرب بل من جملة الأكوان

أي من قال: إن الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق، والأمر هو المأمور، وقد تقدم بسط الكلام في ذلك(٢).

قوله: «......قيام معان» هو بفتح الميم، أي قيامًا معنويًا.

۞۞۞

(١) لأن المعطلة من الجهمية ومن وافقهم عطلوه تعطيلًا كاملًا يقتضي عدمه، ولا شك أن جحود صفاته -تعالى- مستلزم لجحود ذاته.
فإذا جرد الموجود عن كل اسم وصفة فهو معدوم؛ لأنه لا يتصور أبدًا موجود بلا اسم ولا صفة، والجهمية من أشهر معتقداتهم إنكار جميع الأسماء والصفات.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٢/ ٣١١): «جهم كان ينكر أسماء الله -تعالى؛ فلا يسميه شيئًا لا حيًا ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز». وقد قيل: إن الجعد صاحب مقالة التعطيل كان زنديقًا.
قال الذهبي في السير (٥/ ٤٣٣): قال وهب بن منبه لجعد: «إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يدًا وأن له عينًا ما قلنا ذلك، ثم يلبث الجعد أن صلب».
وقال الحافظ في اللسان (٢/ ١٠٥): «وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة، منها أنه جعل في قارورة ترابًا، فاستحال دودًا وهوامًا، فقال: أنا خلقت هذا؛ لأني كنت سبب كونه» وإذا رجعنا إلى سند مقالة جعد وجدنا ها تؤول إلى يهودي زنديق.
انظر: الكامل لابن الأثير (٥/ ٤٢٩)، وشرح الأصفهانية لابن تيمية (ص٥١-٥٢)، ومجموع الفتاوى (٣/ ٧).

(٢) تقدم أن هذا من بدع الجهمية، وأن عامة أهل الإسلام على خلاف هذا. انظر: الفتاوى الكبرى (٥/ ٥٩).

قال الناظم:

كلا وليس الله فوق عباده بل عرشه خلو من الرحمن
فثلاثة والله لا تبقي من الـ إيمان حبة خردل بوزان
وقد استراح معطل هذي الثلا ث من الإله وجملة القرآن
ومن الرسول ودينه وشريعة الـ إسلام بل من جملة الأديان

قوله: «خِلْوٌ.....» بكسر الخاء، أي: خال.

قوله: «هذي الثلاث.....» وهي القول بأن فعله تعالى وأمره، لا يقومان به، والقول بنفي الفوقية والعلو، لا يبقي من الإيمان حبة خردل.

۞۞۞

وتمام ذاك جحوده لصفاته والذات دون الوصف ذو بطلان

أي وتمام ذاك جحود صفات الرب تعالى، مع أن وجود ذات بغير صفات (ع/٢/١٩٩أ) باطل[(١)].

۞۞۞

وتمام ذا الإيمان إقرار الفتى بالله فاطر هذه الأكوان
فإذا أقر به وعطل كل مفـ ـروض ولم يتوق من عصيان
لم ينقص الإيمان حبة خردل أنى وليس بقابل النقصان

هذا هو القول بأن الإيمان هو التصديق والمعرفة، كما هو قول الجهمية والأشعري في المشهور من قوليه، وأنه لا يزيد ولا ينقص[(٢)].

۞۞۞

(١) انظر: العقيدة الأصفهانية (ص٧٦).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٤٤)، (١٨/ ٢٧١).

وتمـــام هـــذا قـولـه إن الـنـبـو ... ة لـيـس وصـفًـا قـام بـالإنـسـان
لـكـن تـعـلـق ذلـك المـعـنـى القديـ ... ـم بـواحـدٍ مـن جمـلـة الإنـسـان
هــذا ومــا ذاك الـتـعـلـيـق ثابتًا ... في خـــارج بـل ذاك في الأذهـــان
فـتـعـلـق الأقـــوال لا يـعـطـي الـذي ... وقـفـت عـلـيـه الـكـون في الأعـيـان
هــذا إذا مــا حـصـل المـعـنـى الـذي ... قـلـتـم هـو الـنـفـسـي في الـبـرهـان
لـكـن جمـهـور الـطـوائـف لم يـروا ... ذا ممـكـنـا بــل ذاك ذو بـطـلان
ما قـال هـذا غيركم من سائر النـ ... ـظـار في الآفـــاق والأزمـــان
تـسـعـون وجـهًـا بـيـنـت بطلانه ... لـولا الـقـريـض لـسـقـتـهـا بـوزان

أي وتمام هذا قوله إن النبوة ليس وصفًا قام بالإنسان، وإن المعنى القديم، وهو المعنى النفسي تعلق به، ومع ذلك فالتعلق ليس ثابتًا في الخارج، بل هو في الذهن، وذلك هو المعنى النفسي الذي أثبتته الأشاعرة(١).

---

(١) هذا قول الأشاعرة والكلابية القائلين بالكلام النفسي؛ لأن الله تعالى إذا كان -عندهم- لا يتكلم بحرف ولا صوت، فتكون حقيقة ذلك إنكار النبوة؛ لأن لفظ النبي عندهم قديم قائم بذاته كغيره من المعاني النفسية؛ فمعنى النبوة هي تعلق ذلك المعنى القديم بواحد من الناس فيصير بذلك نبيًا، ومعلوم أن هذه التعلقات أمور عدمية لا وجود لها في الخارج، وإنما يفرض الذهن وجودها في الأذهان؛ فتعلق الأقوال بشيء لا يعطي ما تعلق به الوجود في الأعيان ما دام هذا التعلق عدميًا، وبذلك لا يكون تعلق لفظ النبي بواحد من الناس بمكسب له صفة النبوة.

قال شيخ الإسلام في النبوات (ص٤٠٧-٤٠٨): (والنبوة قد قال طائفة من الناس إنها مجرد صفة النبي، وقال طائفة ليست صفة ثبوتية في النبي، بل هو مجرد تعلق الخطاب الإلهي به بقول الرب: «إني أرسلتك»؛ فهي عندهم صفة إضافية كما يقولونه في الأحكام الشرعية: أنها صفات إضافية للأفعال لا صفات حقيقية، والصحيح أن النبوة تجمع هذا وهذا، فهي تتضمن صفة ثبوتية في النبي، وصفة إضافية هي مجرد تعلق الخطاب الإلهي به بقول الرب: «إني أرسلتك»).

انظر: الصواعق (٢/ ٧٢٧-٧٢٨) (٣/ ٩٨٧)، وشرح النونية لهراس (٢/ ١٩٤).

قوله:

....مـــا قـــال هـــذا غـيركـم .... إلخ

أي ما قال هذا القول أحد غيركم معشر الأشعرية.

قوله:

تـــسـعـــون وجـــــهًــــــا........ .... إلخ

هذه الأوجه ساقها شيخ الإسلام في رسالته المعروفة بالتسعينية[1].

قوله: «لولا القريض......» قال في القاموس[2]: «قرضه يقرضه: قطعه وجازاه كقارضه والشعر قاله»[3].

۞۞۞

يـا قـوم أيـن الـرب أيـن كلامه	أيـن الـرسـول فـأوضحوا ببيان
ما فـوق عـرش الـرب مـن هـو قائل	طـه ولا حـرفًا مـن الـقـرآن
ولـقـد شـهـدتم أن هـذا قولكم	والله يـشـهـد مـع أولـي الإيـمـان
وا رحمـتـاه لـكـم غـبـنـتـم حظكم	مـن كـل مـعـرفـة ومـن إيـمـان
ونـسـبـتـم لـلـكـفـر أولى منكم	بـالله والإيـمـان والـقـرآن
هـذي بـضـاعـتـكـم فـمـن يستامها	فـقـد ارتـضـى بـالجـهـل والخسـران
وتمـام هـذا قـولـكـم في مـبـدأ	ومـعـادنـا أعـنـي المـعـاد الـثـانـي

هذا على قول (ع/ ٢/ ٢٠٠ب) مثبتي الجوهر الفرد[4]، وقد تكلفوا في معاد الأبدان

---

(١) التسعينية لشيخ الإسلام، طبعت في بمكتبة الرشد، بتحقيق الدكتور محمد العجلان.

(٢) (ص٨٤٠).

(٣) ومعنى البيت: لولا ضيق المقام لساق التسعين وجهًا، لكنه خاف من الإطالة.

(٤) لم يبين الشارح هذا القول الذي بنى عليه من قال بالجوهر الفرد مذهبهم، فنقول:
أشار الناظم بقوله: (وتمام هذا قولكم في مبدأ ومعادنا...) إلخ إلى قول جهم وأتباعه في المبدأ والمعاد، فإنهم قرروا بأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كان معطلًا عن الفعل والكلام؛ لامتناع حوادث لا أول لها، =

على هذا الأصل، فمنهم من يقول: يفرق الأجزاء ثم يجمعها، ومنهم من يقول: يعدمها ثم يعيدها: واختلفوا ههنا فيما إذا أكل حيوان حيوانًا، فكيف يعاد؟ وادعى بعضهم أن الله يعدم أجزاء العالم.

ومنهم من يقول: هذا لا يمكن أن يعلم ثبوته ولا انتفاؤه، والمعاد عندهم يفتقر إلى أن يبتدىء هذه الجواهر، والجهم بن صفوان منهم يقول: يعدمها بعد ذلك، ويقول بفناء الجنة والنار، وأبو الهذيل العلاف يقول تعدم الحركات.

قال ابن العربي في عقيدته الوسطى[1]: «اختلف أهل السنة في الإعادة، هل بالجمع والتفريق أو بعد محض العدم، والحق التوقف، وهو اختيار إمام الحرمين، إذ كلاهما جائز عقلًا في قدرته تعالى، ولا قاطع في ذلك، فالأحوط التوقف»[2] انتهى.

وفي شرح الرسالة للشيخ أبي القاسم ابن ناجي[3]: «قال بعض الشيوخ أجمع أهل الحق على القول برد الجواهر بأعيانها، وإنما اختلفوا:

=ثم صار فاعلًا بعد أن لم يكن فاعلًا من غير تجدد أمر أصلًا، وانقلب الفعل من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي، وذات الفعل قبل الفعل، ومع الفعل، وبعده واحدة.

وهذا مبني على قولهم بالجوهر الفرد الذي جعلوه أصلًا في إثبات الصانع.

انظر: نقض التأسيس (١/ ٢٨٠)، والصواعق (٣/ ٩٨٧) (٣/ ١١٩٢)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٢٤٦)، وشرح الطحاوية (ص٥٩٧-٥٩٨).

(١) لم أجد له كتابًا بهذا الاسم، وإنما الذي ذكره عنه مترجموه أن له كتابًا بعنوان: «التوسط في معرفة صحة الاعتقاد والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والإلحاد».

(٢) لم أعثر على هذا النقل.

(٣) هذا هو الصواب في اسم ناجي، مع أن اتفاق أكثر المصادر على تسميته «قاسمًا»، وتاريخ وفاته (٨٣٧هـ)، إلا أن الصواب في اسمه هو ما ذكره الشارح هنا، وهذا يدل على أن الشارح محقق وليس ناقلًا فقط، والدليل على ما ذكرناه هو صورة الوثيقة المحفوظة في جامع القيروان، برقم (٢٨٢٩-٢-١٧٣٩)، وفيها الدلالة على أن اسم ابن ناجي أبو القاسم، وأن وفاته سنة (٨٣٩هـ)=

هل عن عدم أو تفريق. قال أبو المعالي: لا دليل قاطع بأحدهما، والظواهر تقتضي الإعدام لا بالتفريق، وعليه فترد بأعيانها، وكون الابتداء والإعادة بالعلم والقدرة والإرادة.

وأما إن قلنا بالتفريق لا بالإعدام، فتجمع الجواهر، ثم يخلق تعالى فيها الصفات بأعيانها، كما كانت أول مرة، وكل ما هو ممكن، فالقدرة صالحة لايقاعه»(١) انتهى.

وقال شارح المواقف(٢): «وهل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها، أم يفرقها ويعيد تأليفها؟ الحق أنه لم يثبت في ذلك شيء، فلا نجزم فيه نفيًا ولا إثباتًا لعدم الدليل على شيء من الطرفين، وليس في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، دليل على الإعدام؛ لأن التفريق هلاك كالإعدام، فهلاك كل شيء: خروجه عن صفاته المطلوبة منه، وزوال التأليف كذلك، ومثله يسمى فناء عرفًا، فلا يتم الاستدلال بقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦] على الإعدام أيضًا، والله تعالى أعلم» انتهى كلامه.

=أو بعدها خلافًا لما في أكثر المصادر، ونص الوثيقة: (أشهد الفقيه الأعدل المدرس القاضي المؤلف أبو الفضل أبو القاسم بن الشيخ المرحوم أبي مهدي عيسى بن ناجي التنوخي أنه متى أصابه أجله...) إلخ.

وهو أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني، فقيه من القضاة، من أهل القيروان، تعلم فيها وولي القضاء في عدة أماكن، له كتب منها: شرح المدونة، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وفارق أنوار القلوب. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ١٧٩).

(١) شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (١/ ٣٨) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) انظر: شرح المواقف للجرجاني (٣/ ٤٧٥) (٣/ ٣٨٧)، وشرح الصدور للسيوطي (ص٣٠٨)، وروح المعاني (١٥/ ١٧٩).

فهذا قول النفاة في المعاد، أما قولهم في المبدأ (ع/ ٢/ ٢٠١) فقد تقدم الكلام عليه، والله أعلم.

✿✿✿

وتمام هذا قولكم بفناء دا ... ر الخلد فالداران فانيتان

أي إن الجهمية قالوا بفناء الجنة والنار.

✿✿✿

يا قومنا بلغ الوجود بأسره الد ... نيا مع الأخرى مع الإيمان

الخلق والأمر المنزل والجزا ... ومنازل الجنات والنيران

والناس قد ورثوه بعد فمنهم ... ذو السهم والسهمين والسهمان

بئس المورِّث والمورَث والترا ... ث ثلاثة أهل لكل هوان[1]

يا وارثين نبيهم بشراكم ... ما إرثكم مع إرثهم سيان

شتان بين الوارثين وبين مو ... روثيهما وسهام ذي سهمان[2]

يا قوم ما صاح الأئمة جهدهم ... بالجهم من أقطارها بأذان

إلا لما عرفوه من أقواله ... ومآلها بحقيقة العرفان

قول الرسول وقول جهم عندنا ... في قلب عبد ليس يجتمعان

نصحوكم والله جهد نصيحة ... ما فيهم والله من خوان

فخذوا بهديهم فربي ضامن ... ورسوله إن تفعلوا بجنان

أي أن قول أهل النفي والتعطيل قد بلغت شناعاته الوجود بأسره: الدنيا والآخرة والخلق والأمر والجزاء والجنة والنار، وقد توارث الناس تلك الضلالات

---

(١) قال شيخنا: «المورِّث هم المعطلة، المورَث هم الأتباع، والتراث هو النفي» اهـ.

(٢) قال شيخنا: «موروث أهل السنة هو الوحي، وموروث أهل التعطيل هو النفي» اهـ.

والشناعات،فمنهم من ورث السهم، ومنهم من ورث السهمين، ومنهم من ورث السُهْمَانِ(١).

قوله:

والله ما صاح الأئمة جهدهم .... إلخ

أي ما كثر تشنيع الأئمة الكبار في جميع المدن والأقطار، وتحذيرهم من جهم وأقواله، إلا لما عرفوا من مآلها المنافي للدين، المباين للحق واليقين.

۞۞۞

قال الناظم:

فإذا أبيتم فالسلام على من اتـ ... ـبع الهدى وانقاد للقرآن

سيروا على نُجُب العزائم واجعلوا ... بظهورها المسرى إلى الرحمن

سبق المفرد وهو ذاكر ربه ... في كل حال ليس ذا نسيان

يشير إلى ما رواه مسلم في صحيحه(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال: سيروا هذا جمدان سبق المفرودن قالوا: وما المفردون يا رسول الله قال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ (ع/٢/٢٠٢ب) [الأحزاب:٣٥]، روي لفظ المفردون: من التفريد، ومن الإفراد، والمشهور الذي قاله الجمهور وهو التشديد.

۞۞۞

---

(١) جمع سهم، حكاه ابن منظور في اللسان (مادة سهم) (٢/ ٢٠٠- ط. دار عالم الكتب): «ويجمع على أسهم وسِهام وسُهمان» اهـ.

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٣) برقم (٢٦٧٦).

لكن أخا الغفلات منقطع به ... بين المفاوز تحت ذي الغيلان

صيد السباع وكل وحش كاسر ... بئس المضيف لأعجز الضيفان

قال في القاموس[(١)]: «كسر الطائر كسْرا وكسورًا ضم جناحيه يريد الوقوع وعقاب كاسر».

۞۞۞

وكذلك الشيطان يصطاد الذي ... لا يذكر الرحمن كل أوان

والذكر أنواع فأعلى نوعه ... ذكر الصفات لربنا المنان

وثبوتها أصل لهذا الذكر والنا ... في لها داع إلى النسيان

فلذاك كان خليفة الشيطان ذا ... لا مرحبًا بخليفة الشيطان

والذاكرون على مراتبهم فأعـ ... ـلاهم أولو الإيمان والعرفان

بصفاته العليا إذ قاموا بحمـ ... ـد الله في سر وفي إعلان[(٢)]

وأخص أهل الذكر بالرحمن أعـ ... ـلمهم بها هم صفوة الرحمن

وكذاك كان محمد وأبوه إبـ ... ـراهيم والمولود من عمران

وكذاك نوح وابن مريم عندنا ... هم خير خلق الله من إنسان

لمعارف حصلت لهم بصفاته ... لم يؤتها أحد من الإنسان

وهم أولو العزم الذين بسورة الـ ... أحزاب والشورى أتوا ببيان

وكذلك القرآن مملوء من الـ ... أوصاف وهي القصد بالقرآن

ليصير معروفًا لنا بصفاته ... ويصير مذكورًا لنا بجنان

ولسان أيضًا مع محبتنا له ... فلأجل ذا الإثبات في الإيمان

مثل الأساس من البناء فمن يرم ... هدم الأساس فكيف بالبنيان

(١) القاموس (ص٦٠٤).

(٢) قال شيخنا: «أصل الذكر ثبوت الصفات، ولا يستطيع أحد ذكر إذا كان نافي الصفات» اهـ.

يعني الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

أن الذكر أنواع: فأعلاها ذكر الصفات، وثبوت صفاته سبحانه أصل لهذا الذكر، ونافي الصفات داع إلى نسيانها، وهو خليفة الشيطان.

والذاكرون على مراتب(١): فأعلاهم أولو الإيمان والعرفان بصفاته سبحانه، ولذلك قاموا بحمد الله في السر والإعلان، وأخص أهل الذكر بالله: أعلمهم بصفاته؛ ولذلك كان أولو العزم من الرسل: وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هم خير خلق الله؛ للمعارف التي حصلت لهم بصفاته سبحانه، بحيث لم يؤتها غيرهم.

ولذلك [فإن](٢) القرآن مملوء بصفاته سبحانه، وهي القصد بالقرآن ليكون معروفًا لعباده بصفاته، مذكورًا لهم بقلوبهم، وهو معنى قوله:

....مـــذكـــورًا لهـم بجنان

وهو القلب، ونحو من هذا قول الناظم في المقدمة(٣): «وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها، ومحبته وذكره، والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه(٤)، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف، وله أطلب وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل وإليه أكره ومنه أبعد......» إلى آخر ما ذكره.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٤٨)، وجلاء الأفهام (ص٦٢٠).

(٢) زيادة لا بد منها.

(٣) انظر: الكافية الشافية (ص٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/ ١٢١)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٦).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتاب الكلم الطيب[1]: «الذكر نوعان:

أحدهما: ذكر أسماء الرب وصفاته، والثناء عليه، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به، وهذا أيضًا نوعان:

أحدهما: إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث نحو «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» «سبحان الله وبحمده لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» ونحو ذلك.

فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء، وأعمه نحو «سبحان الله عدد خلقه.....» فهذا أفضل من (ع/٢/٢٠٣أ) نحو «سبحان الله» وقولك «الحمد لله عدد ما خلق في السماء وعدد ما خلق في الأرض وعدد ما بينهما وعدد ما هو خالق» أفضل من نحو قولك «الحمد لله»، ولهذا في حديث جويرية[2] أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت اليوم لوزنتهن سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضى نفسه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته**» رواه مسلم[3].

وفي الترمذي وسنن أبي داود عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه دخل مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على امرأة، وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال: «**أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل سبحان الله عدد ما خلق في السماء وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والله**

---

(١) انظر: الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب للناظم (ص٢١٦).

(٢) برة بنت الحارث المصطلقية، جويرية، أم المؤمنين، كان اسمها أولًا (برة) فغيره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تزوجها إلى (جويرية). انظر: الإصابة لابن حجر (٧/ ٥٣٣)، برقم (١٠٩٢٠).

(٣) مسلم (٤/ ٢٠٩٠) برقم (٢٧٢٦).

أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك»[١].

النوع الثاني[٢]: الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قولك: الله عَزَّوَجَلَّ يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم ولا يخفى عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وهو على كل شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد لراحلته، ونحو ذلك.

وأفضل هذا النوع: الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى عليه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل.

وهذا النوع أيضًا ثلاثة أنواع: حمد وثناء ومجد، فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله، مع محبته والرضى عنه، فلا يكون المحب الساكت حامدًا، ولا المثني بلا محبة حامدًا، حتى يجتمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئًا بعد شيء كان ثناءً، وإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك، كان مجدًا.

وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول سورة الفاتحة، «.....**فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال: حمدني عبدي وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي»**[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٦٢)، وأبو داود (٢/ ٨٠)، والدعوات الكبير للبيهقي (٢/ ٤٣)، وغيرهم من طريق سعيد بن أبي هلال عن خزيمة عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، عن أبيها به.
وقال الترمذي: «حسن غريب من حديث سعد»، وصححه الضياء في المختارة (٣/ ٢٠٩)، وقال الحافظ في نتائج الفكر (١/ ٨١): «هذا حديث حسن... ورجاله رجال الصحيح إلا خزيمة، فلا يعرف نسبه، ولا حاله، ولا روى عنه إلا سعيد، وقد ذكره ابن حبان في الثقات كعادته فيمن لم يجرح، ولم يأت بمنكر».

(٢) من النوع الأول.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٩٦) برقم (٣٩٥).

والنوع الثاني[١]: من الذكر ذكر أمره ونهيه وأحكامه وهذا أيضًا نوعان إلى آخر كلامه وهو كلام نفيس[٢].

قوله:

أولو العزم الذين بسورة الـ ... أحزاب والشورى.........

قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧]، وفي سورة (ع/٢/٢٠٤أ) الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣] الآية.

قوله:

.... فلأجل ذا الإثبات في الإيمان

مثل الأساس من البناء..... ....

يعني أن الإثبات في الإيمان مثل الأساس مع البناء، وقد قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «الإثبات أمكن» نقله عنه الخطابي[٣].

۞۞۞

والله ما قام البناء لدين رسـ ... ـل الله بالتعطيل للديان

ما قام إلا بالصفات مفصلًا ... إثباتها تفصيل ذي عرفان

فهي الأساس لديننا ولكل ديـ ... ـن قبله من سائر الأديان

---

(١) النوع الأول هو ذكر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه وتمجيده.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦١).

(٣) لم أجد من نقله عن الشافعي، وبحثت عنه في كتب الخطابي، فلم أجده.

وكذاك زندقة العباد أساسها التـ　　ـعطيل يشهد ذا أولو العرفان

والله ما في الأرض زندقة بدت　　إلا من التعطيل والنكران

والله ما في الأرض زندقة بدت　　من جانب الإثبات والقرآن

هذي زنادقة العباد جميعهم　　ومصنفاتهم بكل مكان

ما فيهم أحد يقول الله فو　　ق العرش مستولٍ على الأكوان

ويقول إن الله جل جلاله　　متكلم بالوحي والقرآن

ويقول إن الله كلم عبده　　موسى فأسمعه بذي الآذان

ويقول إن النقل غير معارض　　للعقل بل أمران متفقان

والنقل جاء بما يحار العقل فيـ　　ـه لا المحال البين البطلان

فانظر إلى الجهمي كيف أتى إلى　　أس الهدى ومعاقل الإيمان

بمعاول التعطيل يقطعها فما　　يبقى على التعطيل من إيمان

يدري بهذا عارف بمآخذ الـ　　أقوال مضطلع بهذا الشأن

والله لو حُدِّثتموا لرأيتم　　هذا وأعظم منه رأي عيان[1]

لكن على تلك العيون غشاوة　　ما حيلة الكحال في العميان

أقسم الناظم في البيت الذي أوله:

والله ما قام الأساس لدين　　رسل الله.......................... إلخ

إن دين الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ما قام بالتعطيل، وإنه ما قام إلا بإثبات الصفات مفصلة، ثم أخبر أن زندقة العباد أساسها التعطيل، فانظر زنادقة العباد ومصنفاتهم

(١) أي لو حدثتكم عن أخبار المعطلة النفاة لرأيتم العجب، وفي بعض النسخ «حدقتم» أي أمعنتم النظر لرأيتم الأمر على أكثر مما سمعتموه، ولعل اللفظة الثانية أرجح، ويدل عليها ما بعدها، إذ هم على العكس، حين صار على عيونهم غشاوة، فلم يعرفوا خطورة النفي والتعطيل.

بكل مكان، فإنه ليس فيهم من يثبت علو الله تعالى على خلقه، أو يقول أن الله سبحانه متكلم بالوحي والقرآن، وأن الله كلم (ع/٢/٢٠٥أ) عبده موسى فأسمعه النداء.

قوله:

ويقول إن النقل غير معارض للعقل............................ إلخ

أي أن المعطلة تقول: إن العقل يعارض النقل، وحاشا من ذلك، لكن النقل جاء بمحارات العقول، أي بما تتحير فيه العقول، وأما أن النقل يجيء بالمحال الباطل، فكلا ومعاذ الله[1].

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٤٧)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٣٣)، ومجموع الفتاوى (٢/ ٣١٢) (١١/ ٢٤٤)، والصواعق للناظم (٣/ ٨٣٠).

محتويات المجلد الثالث

تم بحمد الله المجلد الثالث، ويليه المجلد الرابع

وأوله: «في بهت أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والإثبات بتنقيص الرسول ﷺ»